سبائك الذهب
في المواعظ والخطب

الجزء الثاني

جمعها ورتبها
أبو زيد
أحمد أحسن الشملان

بسم الله الرحمن الرحيم

السعادة المنشودة

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي علا بحولِهِ، ودنا بِطَوْلِهِ، مانح كلِّ غنيمةٍ، كاشفِ كلِّ عظيمةٍ، نحمدُهُ ونؤمنُ بهِ ونتوكلُ عليه، ونستعينُهُ وهو خيرُ مستعانٍ على أمورِنا في دنيانا والدينِ.

ونشهدُ ألا إله إلا اللهُ واحداً أحداً فرداً صمداً، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، تعالى عن الشبيهِ والمثالِ، وتنزه عن قبحِ الفعالِ.

ونشهدُ أن محمداً عبدُهُ ورسولُهُ وأمينُه على وحيه، بلغَ الرسالةَ، وأدى الأمانةَ، ونصحَ الأمةَ، وجاهدَ في اللهِ حقَّ جهادِهِ حتى أتاه اليقينُ، فصلواتُ اللهِ عليه وعلى آله الطاهرين، من يومِنا هذا إلى يومِ الدينِ.

أما بعدُ عبادَ اللّه:

إن البشريةَ اليومَ تعيشُ في حيرةٍ من أمرِها، تحيا حياةً بائسةً غيرَ مستقرةٍ، حياةَ نكدٍ وهمٍّ، حياةً يسودُها القلقُ والضياعُ، على الرغم من تقدم العلم وتوفر أرقى متطلبات الحياة وما وصل إليه الناس من تطور في كل مناحي الحياة، فقد تمكن الإنسان من إدراك رغباته والحصول على آماله، إلا أنه ما زال هناك شيء غامض مفقود لم تستطع البشرية الحصول عليه، ألا وهو السعادة والطمأنينة وراحة البال، لم تستطع البشرية بكل ما أوتيت من علم ومعرفة الحصول عليها، لماذا؟ وما سبب تلك الكآبة والبؤس والعبوس الذي يخيم على وجوه الناس في هذا العصرِ؟ حتى أصحابُ الأموالِ الذين يتمرغون بين الملايين لا وجودَ للراحةِ في قلوبِهم، والملوكُ وأصحابُ المناصبِ والرُّتبِ العليا الذين كلُّ شيءٍ تحت تصرفِهم ويتمرغون بين النعمِ والملذاتِ، ومع كلِّ ذلك لا يجدونَ لذةً للعيشِ، ولا يحسون بالراحةِ.

الكثيرُ من الناسِ بلغَ الغايةَ في كلِّ شيءٍ، وحازَ من متاعِ هذه الدنيا كلَّ ما لذَّ وطاب، يلبسُ من الثيابِ أنْعَمَها، ويأكلُ من الطعامِ أطيَبَهُ، ويركبُ أفْخَمَ المركوباتِ، ويسكنُ أفخرَ القصورِ، ولكن أين السعادةُ؟ لا وجودَ لها! لماذا؟ الجوابُ لأنهم صرفوا همَّهم في تزيينِ ظاهرِهم وتوفيرِ حاجاتِ هذا الجسدِ، فوضعوا الدواءَ في غيرِ محلِ الألمِ، يحاولونَ معالجةَ الجسدِ بالثيابِ والعطورِ والمأكلِ والمسكنِ.

وما عَلِمَ هؤلاءِ المساكينُ أنَّ العلةَ والمرضَ في النفسِ والروحِ، لا في الجسدِ، كما قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

إنَّ الرَّوحَ المريضةَ لا يشفيها المالُ، ولا تداويها الحدائقُ والقصورُ، ولن يزيلَ عِلَّتَهَا توفيرُ الثيابِ والعطورِ.

الروحُ بحاجةٍ لغذاءٍ روحاني وقوتٍ إيماني، غذاؤها هو في ذكرِ اللهِ، ودواؤها في القربِ من اللهِ، راحتُها في المساجدِ وفي حلقاتِ الذكرِ، وفي مجالسةِ العلماءِ وفي كتابِ اللهِ، سعادةُ الروحِ في الدينِ والإيمانِ الصادقِ، والإخلاصِ للهِ في العبادةِ، راحةُ الروحِ في الصلاةِ والصومِ، وتلاوةِ القرآنِ وذكرِ اللهِ، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ راحةُ الروحِ حين تَصْدُقُ وتُحسِنُ للآخرينَ، ترتاحُ الروحُ عندما تقولُ كلمةَ الحقِّ وتقومُ بالواجبِ في معاملتِها ترتاحُ النفسُ عندما تؤدي ما عليها من حقوقٍ وواجباتٍ، وعندما تفعلُ الخيرَ وتطيعُ اللهَ، وتمرضُ الروح وتصابُ بالضيقِ عندما تكذبُ وتغشُّ وتخدعُ، فالخيانةُ والحسدُ والحقدُ أمراضٌ تؤذيها وتقلقُها.

عبادَ اللهِ:

إنَّ الإنسانَ روحٌ وجسدٌ، وللروحِ غذاءٌ وللجسدِ غداءٌ، وللروحِ دواءٌ، وللجسدِ دواءٌ، ولكنَّ الناسَ صرفوا أكبرَ همِّهم في العنايةِ بالجسدِ، في هذا الجسمِ الفاني وتركوا الأصلَ وهي الروحُ الخالدةُ.

صرفَ الناسُ همَّهُم إلى الجسمِ، ووفروا له ما يحتاجُ من الأدويةِ والغذاءِ، وبنَوا له المستشفياتِ ومصانعَ اللباسِ ووسائلَ النقلِ والزينةَ، وَبنَوا له الحدائقَ والملاهي.

وأهملوا جانبًا مُهمًّا في حياةِ الإنسانِ، إنه جانبُ الروحِ، الجانبُ الإيمانيُّ الجانبُ النفسيُّ الذي بَشَّرَ اللهُ مَن اهتمَّ به بالفلاحِ حيثُ قالَ تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾

عباد الله:

هناكَ من يهتمُّ بجسدِهِ يغذيهِ ويربيهِ ومصيرُهُ غداً للدودِ والترابِ، وهناك من يربي نفسَهُ وروحَهُ ويزكيها ويطهرُها للجنةِ والنعيمِ الدائمِ، فأيُّهما الرابحُ؟

إنَّ مردَّ الجسدِ للترابِ، ومردَّ الروحِ إلى اللهِ، مصيرُ الجسدِ للفناءِ، ومصيرُ الروحِ الخلودِ.

فأيهما أحقُّ بالاهتمامِ وأولى بالرعايةِ؟ الذي يبقى أم الذي يفنى؟

يا خادمَ الجسمِ كمْ تشقى بخدمَتِهِ ... أتطلبُ الربحَ فيما فيه خسرانُ

أقبلْ على النفسِ واستكملْ فضائِلَهَا ... فأنتَ بالنفسِ لا بالجسمِ إنسانُ

عباد الله:

إِنَّ الرُّوحَ تَعْتَلُّ وَتَمْرَضُ كَالجَسدِ، وَلها دَوَاءٌ جَاءَ بِهِ طَبِيبُ الْقُلُوبِ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وَآله مِنْ عِندِ الله.

قَالَ تَعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء٨٢]

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس ٥٧] فَالْحَسَدُ مَرَضٌ، وَالكِبْرُ مَرَضٌ، وَالَغِشُّ وَالخِيانَةُ وَالغَدْرُ وَالكَذِبُ، كُلُّ هَذهِ أمْرَاضٌ تَعُودُ عَلَى صَاحِبِهَا بالضِّيقِ وَالهَمِّ، وَتُقَسّي الْقَلبَ وَيَعِيشُ صَاحِبُها فِي قَلَقٍ، وَكَمَا أَنَّ العِبَادةَ تُغَذِّي الْنفسَ وَتُسعِدُهَا وَتَعودُ عَلَيْها بِالرَّاحَةِ وَالطَّمَأْنِينَةِ- فَإنّ التفريطَ فِيهَا وَالإِقْلالَ مِنْهَا يُمْرِضُ النّفسَ وَيُقْلِقُهَا وَيُتْعِبُها، مَثَلُهَا مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا قَلَّ عَلَيهِ الْطّعَامُ وَالشَّرَابُ

هَزُلَ وَضَعُفَ، فَكَذاَ الْرَّوحُ إِذَا قَلَّ غِذَاؤُهَا، فَإِذا كانَ في الذِّكرِ طَمَأْنِينَةٌ فَإِنَّ فِي تَرْكِهِ ضَيقًا وَضَنكًا، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه١٢٤] وَكَذَا فإِنَّ الإيمَانَ وَالْعَمَلَ الْصَالِحَ يَجْلِبُ لِصَاحِبِهِ الْسَّعَادَةَ وَالْحَياةَ الطّيبَة.

يَقولُ اللهُ عزَّ وَجَلَّ فِي حَقِّ الْمُؤمِنِين ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النّحل٩٧] وَقَدْ أَخْبَرَ تَعَالَى عَن حَالِ الْمُهْتَدِي والضّالِّ، وَصَوَّرَ حَالَهُمَا وَالْفَرقَ بينهمَا بِقَولِهِ: ﴿مَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام١٢٥] فَبَيّنَ لَنَا أنَّ الْمُهْتَدِيَ يَكُونُ عَلَى حَالَةٍ طَيبَةٍ مِنْ انشِراحِ الصَّدرِ وَالانْبِسَاطِ، وَأنَّ الضَّالَ يَكُونُ فِي حَالَةٍ سَيّئةٍ مِنْ الضّيقِ والقَلَقِ، والكَبْتِ الحَرِجِ الَذي لا يَجِدُ مَخْرَجاً مِنْه.

عبادَ اللهِ:

إِنَّ الّذِينَ يَسْعَونَ فِي تَطهِيرِ أَنْفُسِهِمْ وَتَزْكِيَتِهَا، وَالْمُهْتَمّينَ بِسَلَامَةِ قُلُوبِهِم مِنَ الأمْرَاضِ وَالآفَاتِ هُمْ أهلُ الفَوزِ وَالنَّجَاةِ غَدَاً بَينَ يَدَيِ اللهِ ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء ٨٨-٨٩] فَسلَامةُ الْقَلبِ مِنْ الأَمْرَاضِ هِيَ خَيرُ وِقايةٍ مِنْ عَذابِ النَّارِ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر٩].

عبادَ اللهِ:

إِنَّ مِنَ الْمُفَارَقَاتِ الْعَجِيبَةِ، والتَّنَاقُضَاتِ الغَرِيبَةِ هوَ ذلِكَ التَغايرُ بَينَ الروحِ وَالجَسَدِ رَغْمَ اجتِمَاعِهِمَا، واحْتِياجِ كُلٍّ مِنْهُمَا لِلآخَرِ، وعَدَمُ اسْتِغْنائِه عَنه، ومَعَ ذَلِكَ تَجِدُ بَيْنَهِمَا مِنْ الْاخْتِلافِ الْكَثيرِ، فَتَرى أنَّ الجِسْمَ مِنْ تُرابٍ وَمَرْجِعَهِ إِليه، والشّيءُ يَحِنُّ إِلى أصْلِهِ، فَغِذَاءُ الْجَسَدِ، مِنْ الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَعِلَاجُهُ فِيهَا وَرَاحَتُه في قُرْبِهَا.

أَمَّا الروحُ فَهِيَ مِنْ رُوحِ اللهِ نَفَخَها في هَذَا الْجَسَدِ ليستْ مِنْ الدُّنْيا، إِنَّها مِنْ العَالَمِ العُلْوِي، مِنْ عَالَمِ الرّوْحَانِيَّةِ من عَالَمِ الخُلْدِ وَالْجِنَانِ.

لَا رَاحةَ لَهَا في الدُّنْيَا تُحِبُّ الْهُدُوءَ والسَكِينةَ، وتَكرَهُ الضَّوْضَاءَ، وَتَكْرَهُ الْكَسَلَ والنَّومَ والشِّبعَ، وَتُحبُّ الخِفَّةَ وَالْهُدُوءَ، والجِدَّ والنّشَاطَ، تُحِبُّ الْنظرَ إِلى السّمَاءِ وَالْتَّأمُلَ في المَلكُوتِ، وَالأفْلَاكِ الْعُلْيَا، إِنَّها تَحِنُّ إِلى أَصْلِهَا، وَتَشْتَاقُ إِلى مَوْطِنِها الْأَصْلِي إِلَى الرَّوحَانِيَّةِ والفَضِيْلَةِ، تَسْتَأْنِسُ بِكُلِّ مَا هُوَ إِيْمَانِيٌّ عُلْوِيٌّ، وَتَنْفُرُ مِنْ كلِّ مَا هُوَ طِينِيٌّ دُوْنِيٌّ، تَسْتَأْنِسُ بِالقُرْآنِ وَتَطْمَئِنُّ بِالذِّكْرِ وَمجَالِسِ الْمَلَائِكَةِ، غِذَاؤُها في الْدُّعَاءِ وَالْمُنَاجَاةِ، وَدَواؤُها بِالعِبَادَةِ والذِّكْرِ، رَاحَتُهَا في الْقُرْبِ مِنْ اللهِ وَإِتِّبَاعِ أمْرِه.

عِبادَ اللهِ:

الإنسانُ يَعيشُ حَرْباً نَفْسِيّةً ومعرَكَةً مُتَواصِلَةً تَنْشَأُ بَينَ رُوحِهِ الخَالِدَةِ وجَسَدِهِ الشَّهْوَانِي، فَالروحُ تُرِيدُ أَنْ تَرْقَى بِالجَسَدِ إِلى الْعُلَى، إِلى دَارِ الخُلْدِ وَالْجِنانِ، إِلى أَصْلِهَا الّذِي خَرَجَتْ مِنْه، إِلى مَقْعَدِ الصِّدْقِ عِنْدَ مَليكٍ مُقتَدِر، تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ مِنْ هذا الجَسَدِ الْآدَمِيِّ مَلَاكاً يَعِيشُ عَلَى وَجْهِ هذِهِ الْأَرْضِ، يَحْمِلُ صِفَاتِ الْمَلائِكَةِ وَيتَخَلَّقُ بِأخْلَاقِهِمْ.

تُرِيدُهُ أَنْ يَحْيَا حَياةَ الكَمَالِ، وَأَنْ يَتَّصِفَ بِصِفَاتِ الفَضيلةِ في العِفّةِ والطَّهارَةِ والصِّدْقِ والْوَفاءِ، والتَّحَلِّي بِالصَّبرِ والسَّمَاحَةِ وَحُسْنِ الخُلُقِ، وأنْ تَمْتَلِئَ نَفْسُهُ بِالرّحمةِ والْعطْفِ والحَنَانِ، وأنْ يَحيا قَلبُهُ بِالْعِلمِ والْمَعرِفَةِ والتَّقْوَى وَحبِّ الخيرِ.

وَأَمَّا الجَسَدُ وَشَهواتُهُ الحيوانِيَّةُ فَإِنَّهُ يُرِيدُ مِنْ الْرُوحِ أنْ تَخْلُدَ مَعَهُ إِلى الأَرْضِ، إِلى حياةِ الْبَذَخِ والدَّعَةِ، لِيَعِيْشَ كَمَا تَعِيشُ الأنعامُ يأكُلُ ويَشْرَبُ، ويَخْلُدُ لِلكَسَلِ والنَّومِ، هَمُّهُ بَطْنُه وَفَرْجُهُ وإِشْبَاعُ مَلَذَّاتِه وَشَهواتِه، يُرِيدُ أنْ يَعِيشَ كَما تَعِيشُ الوُحُوشُ في الغابِ، في نِزاعٍ وَصِراعٍ، يَقْتلُ الْقَويُّ الضَّعيفَ، ويَبْطِشُ الْكَبيرُ بِالصَّغِيرِ، بِلا رَحمةٍ وَلا شَفَقَةٍ، وَهَكَذَا تَسْتَمِرُّ الْحَيَاةُ، ويَسْتَمِرُّ النِّزاعُ إِلى أنْ تَكونَ

الغلبةُ إِمَّا لِلرّوحِ، فَيَسْعَدُ الْإِنْسَانُ، وَإِمّا لِلْجَسَدِ والنَّفسِ، فَيُشْقَى بِذَلِكَ، وَمِمَّا وَرَد في الأثَرِ أنّ مَلَكَ الْمَوتِ إِذَا قَبِضَ رُوْحَ الْعَبدِ الْمُؤمِنِ، قَالَتِ الروحُ لِلجَسَدِ: جَزَاكَ اللهُ عَنِّي خَيْراً، فَقَدْ كُنْتَ سَرِيعاً إِلَى طَاعَةِ اِللهِ بَطِيئاً عَن مَعْصِيةِ اِللهِ، فَقدْ نَجْوَتَ وَأَنْجَيتَ، وَيَقولُ الْجَسَدُ لَها: مِثلُ ذَلِك، وإِنْ كانَ عَاصِياً قَالَتِ الروحُ لِلْجَسَدِ: جَزَاكَ اللهُ عَنِّي شَرَّاً، فَقَدْ كُنْتَ سَرْيعاً فِي مَعْصِيةِ اللهِ بَطيئاً عَنْ طَاعَتِهِ، فَقَدْ هَلَكتَ وَأَهْلَكْتَ، وَيقولُ الْجَسَدُ لِلرُّوحِ مِثلُ ذَلِك.

وَقد ضَرَبَ اللهُ فِي القُرآنِ لَنَا مِنْ الأَمْثَالِ مَا فِيهِ عِبرةٌ لِمَنِ اعْتبَرَ، وَلنتَأَمّلِ الْمَثَلَ الّذِي ضَرَبَهُ اللهُ عَنْ عَابِدِ بَني إِسْرَائِيلَ الّذَي تَبعَ هَواهُ، وأَطَاعَ شَهواتِهِ ونَفْسَهُ، وَعَصَى رُوحَهُ، وَخَالَفَ عَقْلَهُ، فَكَانَ عاقِبَةُ أَمْرِه خُسراً.

قَال تَعالَى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف١٧٥-١٧٦] باركَ اللهُ لِيْ وَلكم فِي القُرآنِ الْعَظيمِ، وَنَفَعنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فيه مِنَ الآياتِ والذِّكْرِ الْحَكِيمِ، إِنَّهُ تَعَالَى جَوادٌ مَلِكٌ بَرٌّ رَؤوفٌ رَحِيمٌ، فَاسْتَغفِرُوه إِنَّهُ هو الغفورُ الرَّحيم.

السعادة المنشودة

الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لِلهِ الَّذِي خلقَ الأرضَ بِقُدرَتِهِ، وَدبَّرَ الْأمرَ بِحكْمَتِهِ، العَالِمِ بِدقائِقِ الأمورِ، والمحيطِ عِلماً بِمَا يَدورُ في الضمائِرِ والصدورِ، لا يُسألُ عما يَفْعَلُ وهم يُسْألون.

وأَشهدُ ألا إِلهَ إِلا اللهُ الحكيمُ الخبيرُ صاحِبُ الأمرِ والتدبيرِ.

وأشهدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورسولُه البشيرُ النذيرُ الدّاعي إِلى اللهِ بِإِذنهِ السِّراجُ المُنيرُ صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وسَلَّمَ تَسليماً كثيراً

أما بعدُ :

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾

عبادَ اللهِ:

إِنَّ اللهَ يَدْعوكم، ورَسولَه يَدعُوكم، وَما زَالَ النداءُ يتردَّدُ صدَاهُ مِنْ حينٍ إِلى آخرَ، يَدعُو البشريَّةَ لِمَا فيهِ خَيرُها، ولِمَا فِيهِ عِزتُها وكَرَامَتُها، يَدعو الناسَ لِحياةٍ طيّبَةٍ كريمةٍ، ومِنْ أَجلِ سعادتِها في الدنيا والآخرةِ، ولهذا بَعثَ اللهُ النَّبيينَ والمرسلِينَ.

لقد بعثَ اللهُ رسولَهُ لا ليُهيمِنَ على الأُمَّةِ ويتَحكّمَ في الرقابِ، ولكنّهُ جاءَ لِخِدْمةِ الْبَشَريّةِ، وَلِمَا فيهِ مصلحتُها، يُبَصِّرُ الأَعْمَى وَيَهْدِي الضّالَ، ويُعَلِّمُ الجاهلَ وَيُرَبِّي ويُؤَدِّبُ الإنسانِيّةَ كَمَا قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ إنهُ طَبِيبُ القلوبِ وَبَلْسمُ الجِراحِ أَرْسَلَتْه الرحمةُ الإِلهيةِ لِيُدَاوِيَ المَرْضَى، وَيُوانسَ البُؤَسَاءَ، ويُوَاسِيَ المَحْرُومِين، أَتى مِنْ عِندِ اللهِ

بِدُسْتُورٍ إِلَهِيٍّ وَقَانُونٍ من لدُنْ حَكِيمٍ خَبير، يُدِيرُ نِظَامَ هَذا الْكونِ ﴿يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ إِنَّهُ دُسْتُورٌ رَبَّانِيٌّ وَكِتَابٌ خَالِدٌ يُنَظِّمُ حَيَاةَ البَشَرِيَّةِ، وَيُعَلِّمُهُم طُرُقَ العَيْشِ وَالْكَسْبِ الحلالِ، وَأَسَالِيبَ الْمُعَامَلةِ الطيبةِ، لِكي يَعيشُوا تَحت ظِلِّ نِظامٍ إِلهِيٍّ آمنٍ، وحياةٍ مُستقِرَّةٍ طَيبةٍ، تَملؤُها الرحمةُ والأَمنُ والسعادةُ التي فَقَدَها الناسُ في هذا الزمانِ، وما ذَلِكَ إلا لِبُعدِهِم عَن تَعالِيمِ دينِهم، ودُستورِه الخالدِ، الّذي نَبذُوه وَرَاءَ ظُهُورِهِم واسْتَبْدَلوهُ بِأَنْظِمةٍ وَقوانينَ بَشَرِيَّةٍ خَاطِئةٍ، فَلمَّا اسْتَبْدلوا الّذي هوَ أَدْنَى بالذي هو خَيْرٌ أذاقَهُمُ اللهُ مِن العذابِ الأدنى دونَ العذابِ الأكبر ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ قَدَّسُوا رَأيَهم وَرَجَّحُوهُ على حُكمِ الله ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ فَإِنَّ اللَّه شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أفَرَغِبوا عَن حُكمِ اللهِ وهو خيرُ الحاكمينَ ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ أَلَمْ يقرؤوا قولَ الله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

ثَلاثَةُ أحكامٍ: كُفرٌ وَظُلمٌ وَفِسْقٌ تَوالَتْ فِي حَقِّ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِحُكمِ الله.

هكذا يَكونُ الشقاءُ وهكذا يَفعلُ الجَهْلُ بِأهلِهِ، وما عُصِيَ اللهُ بِأعظمَ من الجهلِ، أَيَظُنُّ هَؤلاءِ أَنَّ فِي أَحكامِ اللهِ قَسْوةً أو ظلماً حتى استَبْدَلُوها بقوانينَ غربيةٍ وأحكامٍ بَشَرِيَّةٍ وَضْعِيّة.

فَعُطِّلَتْ حُدودُ اللهِ وَانْتُهِكَتْ مَحَارِمُه واللهُ يقول: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾، ولكنَّه العَمَى والخُسْرَانُ والضَّلالُ البعيدُ ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً

أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾

عبادَ اللّه:

لَقدْ ظَنَّ البعضُ أنَّ الدِّينَ هو سَبَبُ تَخَلُّفِهم وَجهلِهِم، وَتَوَهَّمُوا أَنَّ نِظامَ الغَربِ هو سَبَبُ تَقَدُّمِهم وَرُقِيِّهم، والذي يَكفلُ لَهُم السّعادَةَ والراحةَ التي يَبحثونَ عنها، فَأَخذُوا يُقَلِّدونَهم، وَيَقتَفُون آثارَهم في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ، ويَحذُون وَرائَهم حَذْوَ القذّة بالقذّة.

غُـرابٌ تَعَلَّـمَ مَشْـيَ الْقَطـا ... وقَـدْ كـانَ أَدْرَكَ مَشْـيَ الْحِجَـل

فَهَـرولَ مَـا بَـينَ ذَاك وَذَا ... فَـلا ذَا تَـأَتَّى وَلا ذَا حَصَـل

هذا كلُّه يَحدثُ في الوقتِ الذي نَرَى فيه الغربَ اليومَ يَعودونَ إلى دستورِ الإسلامِ، بلْ وبَعدَ دِراساتٍ وبحوثٍ طويلةٍ صَرّحَ كثيرٌ مِنهم بِأنَّ النظامَ الإسلامِيَّ هُو أفضلُ وأَنْسَبُ نِظامٍ يُمكِنُ أنْ يَسيرَ على مِنهاجِه العالمُ اليومَ، وهو النظامُ الوحيدُ الذي يَصلَحُ لِكلِّ زمانٍ ومكانٍ، ويُمكنُ لِلبَشَرِيةِ أَنْ تَسْعَدَ وتَسْتَقرَّ حياتُها تَحتَ ظِلّه ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾

حَرَّموا المُخَدِّرَاتِ والمسْكِراتِ، وهُم الذين صَنَعُوها وَأَغْرَوا بِها الناسَ، وفَتَحُوا أبوابَ الدَّعارَةِ والزِّنا، وفي الأَخِيرِ حَذَّرُوا مِنها حَيثُ رَأَوْا عَواقِبَها، وانْتَشَرَتْ أَمْرَاضُها التي عَجِزُوا عن عِلاجِها إلى اليوم.

مَنَعُوا وَطْءَ الْحَائِضِ، وَأَكلَ لَحمِ الخنزِير، وَهَكَذا شَاءتْ إِرَادَةُ اللهِ أَنْ يَعُودُوا إلى الحقِّ مُذْعِنِين، وَأَنْ يُطَبِّقُوا أحكامَ اللهِ كَارِهين بَعدَما رَأَوْا أَنَّهُ الحقُّ، وذلك قولُ اللهِ ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

عبادَ اللّه:

إنَّ الحياةَ الحقيقيةَ والعيشَ الآمِنَ يَتَمثَّلُ في العودَةِ إلى دُستورِ اللهِ والعملِ بأحكامِه، فهوَ السبيلُ الوحيدُ لِإخراجِ الناسِ مِن حياةِ البؤسِ والشقاءِ والهَمِّ والقلقِ الذي خَيَّم على الناسِ.

عبادَ اللّه:

إنَّ رِضَا النَّفسِ وَسَعادَتَها هي في رِضا اللهِ، ورضَا اللهِ هو في تَطبيقِ أوامرِه والانتهاءِ عن نواهيهِ، فإذا قامتْ النفسُ بِواجبِها نحو رَبِّها رَضِي عنها فَاطْمَأَنَّتْ وسَكنَتْ وغَمرَتْها السعادةُ والرِّضَا، وغَشِيتْها الرّحمةُ وصارَتْ مِمّن رَضِي اللهُ عنهم ورَضُوا عنه وقِيلَ لها عِند احتضارِها: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

اللهم أنت خلقتَ أنفسَنا وأنت تَتولَّاها، أنت وَليُّها ومَولاها، وبِيدِكَ مَسْرَاها ومجرَاها، وإليك مَردُّها ومَثْواها.

فَزَكِّها أَنْتَ خيرُ مَنْ زَكَّاها، فَزكِّها أنتَ خيرُ مَن زكَّاها، ونعوذُ بكَ مِن صاحبٍ يُغويها أوْ هَوىً يُرديها، أوْ رِزْقٍ يُنسِيها، أنت مُميتُها ومُحييها، وأنت مَلجأُنا، وإليك مَرجعُنا، وأنت على كل شيءٍ قدير.

عبادَ اللّه:

أَكثِروا في هذا اليومِ وأمثالِهِ مِن الصلاةِ والسلامِ على نبيكم الكريمِ امتثالاً لِأمرِ اللهِ القائلِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ اللهمَّ فَصَلِّ وَسلِّمْ وباركْ وترحَّمْ على أبي الطّيبِ والطَّاهرِ والقاسمِ نَبيِّ الهدى، وأَمينِ اللهِ على وَحيهِ محمدِ بنِ عبدِ الله بنِ عبدِ المطلب بنِ هاشم، وصَلِّ اللهمَّ على أخيه وابنِ عمِّهِ إمامِ المشارقِ والمغاربِ أميرِ المؤمنين عليِّ بنِ أبي طالب، وَصَلِّ اللهمَّ على زوجتهِ الحوراءِ سيدةِ نساءِ الدنيا والأخرى فاطمةَ البتولِ الزهراء.

وصلِّ اللهمَّ على سِبْطَي رسولِ الرّحمةِ، وسَيِّدَيْ شَبَابِ أهلِ الجنةِ في الجنةِ أبي محمدٍ الحسن، وأبي عبدِ الله الحسين.

وصلِّ اللهمَّ على إمامِ الجِدِّ والاجْتِهادِ صاحبِ المنهجِ الحقِّ الجَلِي الْوَلِي بنِ الوَلِي الإمامِ زيدِ بنِ علي.

وصلِّ اللهم على الإمامِ الهادي إلى الحقِّ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ القاسم بنِ إبراهيمَ، وعلى سَائرِ أهلِ بيتِ نَبيئِكَ المطهرينَ، دعاةً منهم ومقتصدين، وارْضَ اللهم عن الصحابةِ الأخيارِ من المهاجرين والأنصارِ، وعَنَّا مَعَهُم بِفَضْلِكَ وَمَنِّكَ يا كريم، اللهمَّ انصُرِ الإسلامَ والمُسلِمين، وأَذِلَّ الشركَ والمُشرِكين، اللهمَّ أَهْلِكِ الكفرةَ والمُلحدين، والمفرِّقين بينَ المُسلمين، والصَّادِّينَ عن ذِكرِك، والمخرِّبين لِدينِك، والمُتَقَطِّعِين في سبيلِك، والمُعادِينَ لِأوليائِك، اللهم فَرِّقْ جَمْعَهُم وَشَتِّتْ شملَهم واجعلِ الدائرةَ عليهم واكْفِنا بِهم كيفَ شِئتَ وأَنَّى شِئتَ يَا قويُّ يا عزيزُ يا جبارُ يا مُنْتَقِم.

عبادَ اللّه:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإحسان وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل٩٠].

فاْذكرُوا اللهَ العظيمَ الجليلَ يَذكرْكم، واشكرُوه على نعمِهِ يَزدْكُم.

وَأقمِ الصلاةَ إِنَّ الصلاةَ تنهى عن الفحشاءِ والمنكرِ، وَلَذِكْرُ اللهِ أكبرُ، واللهُ يَعلمُ ما تصنعون.

التوبة

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ الأربابِ ومَالكِ الرقابِ، ومُنشئِ السحابِ، ومُنزلِ الكتابِ - سبحانَه- الكريمِ الوهابِ، الرحيمِ التواب ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِى الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ -سُبحانَهُ- الحيِّ القيومِ، لا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ، القائمِ على كلِّ نفسٍ بِمَا كسَبَتْ، عالمِ الخفايا، وغافرِ الخطايا، ﴿وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾

وَنشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عبدُ اللهِ ورسولُه الدّاعِي إلى سبيلِهِ صلواتُ الله عليه وعلى آله الأكْرَمين مِنْ يومِنا هذا إلى يومِ الدّين وسَلَّمَ تَسْليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ عبادَ اللّه:

مَا أَسرعَ الأيامَ، وتَقلباتِ الأزمانِ، أشْهُرٌ تَمُرُّ وكأنها ساعاتٌ، وسنواتٌ تتلوها سنواتْ، كلُّ شيءٍ مِن حولِنا يَتَغَيَّر، وكلُّ شَيءٍ يَتبَدّلُ، إلا ابنَ آدم الغافِلَ ما زال ذلك الجاهلَ العاصي، وَمَهما عَلّمتْه الأيامُ، وذَاقَ الدّروسَ مِن نكباتِ الزمانِ فلن يتعلَّمَ، فلا المصائِبُ تُحَوِّلُهُ عن العصيانِ، ولا الفقرُ والغلاءُ مَنَعَه مِن الذنوبِ،، ولا الخوفُ والبلايا أَعَادَتْهُ إلى الصوابِ، إنْ أُعْطِي لم يَشْكُر، وإنْ مُنِعَ لم يَصْبِر، وعَظَهُ الزمانُ فلم يَرْعَوِ، وَنَاداهُ القرآنُ فَلَمْ يَعِ، شَبَّ أبناؤنا وماتَ آباؤُنا، وكَبُرتْ أَعْمارُنا، وَاشْتَعلَ الشيبُ في رُؤوسِنا، وَمَا زِلْنا في غَمرةِ الغفلاتِ لاهين ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ﴾.

مَتى يَا تُرَى سَيَفِيقُ النَّائمُ؟ وَيَسْتَيقِظُ الغافِلُ؟ وَيرجِعُ الضَّالُّ؟ ويَؤُوبُ العَاصِي وَيَتُوبُ المُذنِبُ؟ هَل مَع غَرْغَرَة الرُّوحِ كما تَابَ فِرْعونُ، حِينَ أدْرَكَهُ

الغَرَقُ فَلَمْ تَنْفَعْهُ مِن عذابِ اللهِ الشديدِ؟

أمْ حينَ يَرى الملائكةَ وتُكْشَفُ عن بصرِه الغِشاوةُ؟ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً﴾ ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَـئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾؟!

أَمْ حين تُرفعُ الأعمالُ وتُطْوَى الصُّحُفُ وتَظهرُ الآياتُ؟ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾

عبادَ الله:

لـقد رُويَ عن المصطفى صَلّى الله عليه وآله أنَّهُ قالَ: ((مَنْ سَوَّفَ للتوبةِ لم يُوفَّقْ لها)) بهذا أوْ معناه.

كثيرٌ مِن النَّاسِ يُمَنِّي نفسَهُ الأمانيَّ ويَخدَعُها بالمواعيدِ الكاذبةِ، وهو مُنْذُ حَمَلَ عقلَهُ يقولُ: سَأَتُوبُ هذا الأسبوعَ، سَوفَ أُصَلِّي غداً، سَأصومُ هذاَ العامَ، وهكذا مواعيدُ عُرقوبٍ، وخيالاتٌ كاذبةٌ يَخْدَعُ بِهَا نَفْسَهُ، وتَمُرُّ الشهورُ والسنواتُ وهو كَما هو، فَلا هُو الذي تَابَ، ولَا هُو الذِي صَلَّى، ولا هُو الذي اسْتَغْفَرَ وَأَنَابَ.

ومَا زالَتْ تلكَ المواعيدُ يُرَدِّدُها على لِسانِهِ ولَمَ يَصحَّ منها شيءٌ، وسوفَ يَظَلُّ على هذهِ الغفلةِ، والتسويفِ بالتوبةِ فَلا يُوقِظُهُ إِلَّا صَرعةُ الموتِ وغُصَّتُهُ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً﴾ ﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا

﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَايِلُهَا وَمِن وَرَايِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾

وهذا مِصْدَاقُ حديثِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله حين قال: ((مَن سَوَّفَ للتوبةِ لم يُوفَّقْ لها)).

ومما يُرْوى أنه جاءَ رَجلٌ إلى أميرِ المؤمنينَ عليٍّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، عِظْنِي.؟

قال: يا فلانُ، لا تَكنْ مِمّن يَرجُو الآخرةَ بغيرِ عملٍ، ويُؤخِّرُ التوبةَ لِطولِ الأَملِ، يقولُ في الدنيا قولَ الزاهدينَ، ويَعملُ عملَ الراغِبين.

وعنِ الحسنِ أنه قالَ: يا ابنَ آدمَ، لا تَتَمنَّى المغفرةَ بغيرِ التوبةِ، ولا الثوابَ بغيرِ العملِ، ولا تَغْتَرَّ باللهِ، فإنَّ الغرَّةَ باللهِ أنْ تَتَمادَى في سَخَطِهِ، وتَتْرُكَ العملَ فِيما يُرضِيهِ، وتَتَمنَّى عَليهِ مع ذلكَ مغفرةً، فَتَغُرُّكَ الأمانيُّ حتى يَحِلَّ بِكَ أَمرُهُ، أَمَا سَمِعتَهُ يقولُ: ﴿وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾؟

عبادَ اللّه:

لِماذَا نُوكِلُ طاعتَنَا لِلّهِ بِالمواعيدِ والخِداعِ؟ لِمَاذَا التراخِي لِماذَا التأخيرُ؟

ما الّذي يَمْنَعُنا مِنْ التوبةِ؟ وما الذي يُؤمِّنُنَا والمَوتُ عَلى الرِّقابِ، والبلاءُ يطرقُ كلَّ بابٍ؟

عبادَ اللّه:

خيرُ البِرِّ عاجِلُهُ ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، ولا تُؤجِّلْ عَمَلَ اليومِ إلى الغدِ، وكُلَّما كانتِ التوبةُ أسرعَ كُلَّمَا كانَ العبدُ أقربَ لِلتوفيق، وَأَوْجَبَ لِلقبولِ ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَـئِكَ يَتُوبُ اللّه عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّه عَلِيماً حَكِيماً﴾.

عبادَ اللّه:

عَلى كُلِّ مُقصِّرٍ في طاعةِ اللهِ ومُنْهمِكٍ في العصيانِ أَنْ يُسْرِعَ بالرّجوعِ إلى اللهِ،

وأَنْ يُبَادرَ بالتوبةِ قبلَ انقطاعِ الأجلِ وحُلولِ الموتِ، ولا يُمَنِّي نفسَهُ بِطولِ الأملِ فَما أكثرُ البلايا في هذا الزمنِ، وما أَسْرعُها في خَرمِ الآجالِ.

ومَا الذي يُؤَمّنُ الإنسانَ على حياتِه، وهو مُهدَّدٌ بالفناءِ في كلِّ لحظةٍ؟ وما أَكثرُ الأسبابِ، حَوادثُ في الطرقاتِ، وغَوارِبُ رَصَاصٍ، وغَازَاتٌ وجَلَطَاتٌ وسُمومٌ، وما مِنْ يومٍ يَمرُّ إلَّا ونَسمعُ مِنْ أخبارِ المصائبِ ما يَشِيبُ لَهُ الرّأسُ، وتَذهلُ لَهُ العُقولُ ـ ماتَ فُلانٌ وهو سكرانٌ، انقلبَ فلانٌ وهو يُغَنِّي، صَدَمَ فلانٌ وَهُوَ لا يُصَلِّي، قُتِلَ فُلانٌ وهو مُفْطِرٌ لِشَهرِ رَمَضانَ، وتُوفِيَ هذَا وَهُو عَاقٌّ لِوالِدَيهِ، وذَا قَضَى نَحْبَهُ وَهو آكِلٌ لِمَواريثِ أَرْحَامِه، وقَاطِعٌ لِصِلَتِهم، وذَاك قُتِلَ وَهُوَ ظَالِمٌ لِلنَّاسِ آكلٌ لِلحرامِ، ومُغتصِبٌ لِحقِّ الضّعيفِ.

ما الَّذِي يُؤمِّنُنَا أنْ نُصبحَ مِثلَ هَؤلاءِ في يومٍ مَّا، وَالعِياذُ بِالله؟

مَا المانِعُ، وهَلْ لَنَا مِنْ ضَمانٍ يَحولُ بَينَنا وبَينَ ذلِك؟

﴿أَفَأَمِنُواْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

عبادَ اللّه:

مَا الذي يَسْتَفيدُهُ العاصِي إذا تركَ الصَّلاةَ؟

مَا الَّذي يَرْبَحُهُ المُفطِرُونَ في شهرِ رَمضان؟

ماذا استفادَ أهلُ العصيانِ، وما الذي انتفعَ بِهِ المُذنِبُونَ والْمُقَصِّرونَ في مُدَّةِ أعمارِهم؟

اسْأَلُوا وَتَأَمَّلوا هَلْ زَادتْ أرزاقُهم، هل ربِحَتْ تِجَارتُهم، هل ارْتَاحُوا في أنفُسِهِم؟ هل عَظُمُوا في أعينِ الناس؟

عبادَ اللهِ:

إِنَّ الذنوبَ لا تُورِثُ إلا الفقرَ والحِرمانَ، والبُعدَ عنِ اللهِ تعالى لا تُورِثُ إِلَّا الْهَمَّ والضيقَ والقلقَ كما قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾، بل إِنَّ مِنْ عَدلِ الله تعالى أنْ فَاضَلَ بينَ حياةِ العاصِي والمؤمنِ في الحياةِ الدنيا ﴿وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾.

كَمَا قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ ۝٢١ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٢٢ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

فَعلَى كلِّ مُقصرٍّ أنْ يسألَ نفسَهُ، لماذَا التَأخيرُ للتوبةِ؟ ولِماذا يُؤجِّلُ الإنابةَ؟ ولِماذَا يُسوِّفُ نفسَهُ، ويُواعدُها كَذِباً بالاستِقامةِ، إلى مَتى؟

مَا الذي يخافُهُ المُقصِّرُ مِن التوبةِ؟ ومَا الذي يَمْنَعُهُ مِن إخلاصِ الْأَوبةِ، والإنابةِ إلى اللهِ في الوقتِ الحَاضِرِ؟ ﴿أفلا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

ولْننظرْ بِعينِ الْبَصيرةِ إلى مَن التَزَمُوا نَهجَ اللهِ وأَذعنُوا له بِالطاعةِ، مُواظِبينَ على الصَّلاةِ، ماذَا خَسِرُوا ومَا الذي نَقصَ عليهم؟ ومَاذَا فَاتَهُم؟

لَا شَيءَ فَهُم مِنْ أَمْرِهم في رَاحةٍ، وحياتُهم سعيدَةٌ طيبةٌ كما بَيَّنَ اللهُ حالَهم بقولِهِ: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٩٦ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ

فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾

إِنَّ الْمُبتَعِدَ عن اللهِ هو في حَقيقَةِ الأمرِ مُعذَّبٌ وهو لا يَشعُرُ، وحياتُه كلُّها شَقاءٌ وتَعَبٌ، هُمُومٌ وغُمُومٌ كما وصَفَهُمُ اللهُ بقولِهِ:﴿فَمَن يُرِدِ اللَّه أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّه الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

يَكفِي أهلَ الفجورِ في دُنياهم أَنَّهُم مَمقوتُون عِندَ النَّاسِ، ومَنبُوذُونَ حتى مِن أهلِيهم وأقْربائِهم، حَتَّى الفجرةُ فيما بينَهُم مُتباغِضُونَ يَقْدَحُونَ في بعضِهم البعضِ ويُجاهِرونَ بِالكراهِيَّةِ فيما بينَهم، فالعصاةُ يَخافُهم النَّاسُ على أموالِهم وعَلى نسائِهم، وأبنائِهم، وتَراهُم يَتّحذَّرُون مِنهم في كلِّ شيءٍ، ولا يَأْمنُونَهم على شيء.

يَكفِي العاصي عذاباً أَنَّهُ يعيشُ مَنبوذاً بين الناسِ، كلٌّ يَتمنَّى لَهُ الهلاكَ والشرَّ، إِنْ مَرِضَ لم يعودوه، وإِنِ ابْتُلِيَ لم يُعينُوه وإِنْ ماتَ لم يَحضُروا جِنازتَه، ولم يَتَرَحَّمُوا عَليه، إِنِ اغْتَنَى حَسَدُوه، لَقد فَقدَ حُبَّ النَّاسِ وخَسِرَ وُدَّهم وَتَعَاطُفَهم، وهذا عقابٌ من اللهِ أنْ يُجازيَ مَن عَصوهُ بِنزعِ حُبِّهِ مِن قُلوبِ الخلقِ ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.

حَتى لَو رَأى العاصِي الناسَ حولَهُ يَتَمَلَّقُون إليهِ وَيتَظَاهَرُون بِحُبِّه فليس ذَلك بِصدقٍ مِنهُم، فَهم لَهُ مُدَاهِنون، وبِه يَمْكُرون فَحُبُّهُم هو لِلمالِ الذي معه ولَيسَ لَهُ، وَهُمْ يَلْتَفُّونَ مِن حولِه لِأجلِ مَصالِحِهم وَنَيلِ أطْماعِهم لَا لِمصلحتِه هو، فَإِذا اسْتغنَوا عنهُ لَقَّوهُ ظُهُورَهم، وتَنكَّرُوا لَه، وهُو أَحوجُ مَا يَكونُ إِليهِم.

عِبادَ اللهِ:

إِنَّ العَاصِيَ لِلّهِ مُقَصِّرٌ في حَقِّ اللهِ، ومُقَصِّرٌ فِي حَقِّ نفسِهِ، ومُهِينٌ لَها في الدنيا والآخرةِ، وعِرضُهُ مُنتَهَكٌ في كلِّ حالٍ.

يَستَبيحُ الناسُ مِنهُ مَا لاَ يَسْتَبيحُونَ مِن غيرِه، إِنْ غَابَ ذَكَرُوه بِالمكرُوه، وسَلَخُوه واغْتَابُوه، وإِنْ حَضَرَ سَبُّوهُ وَشَتَمُوهُ، وبِأقبحِ الألقابِ يَقْذِفُوه، حَتى

أَهْلُهُ ووالِداهُ يَلحقُهم مَعَه وبِسببِه أَقبحُ اللعناتِ، وأبْشَعُ الشَّتْمِ والسِّبابِ، وتَراهُ يَسمعُ ذلِك وَيضحَكُ ولا يُحَرِّكُ سَاكِناً، والمصيبةُ أنَّه لا يَستطِيعُ أنْ يَمْنَعَهُم، ولا يَقْدِرُ على دَفعِ ذلك.

أليْسَتْ مُصيبة أنْ يَعجزَ إِنْسَانٌ أَنْ يَحمِيَ عِرضَه، وَأنْ يَمنَع السَّفَلَةَ والسُّفَهاءَ مِن التَّطاوُلِ عَلَى عِرْضِ وَالِدَيه.

عِبادَ اللّه:

لَقدْ ذَهبَتْ من قلوبِ كثيرٍ من الناسِ الغِيْرةُ والحْمِيّةُ، وَرُفِعتْ عَنهُم الْهَيْبةُ، وَهُم الّذِينَ أَذهَبُوها، وهم الذين هَتَكُوا أعْراضَهُم وانْتَهكُوا حُرُمَاتِهم،

والعاصِي: هو مَن فَتحَ لِلسُّفَهَاءِ البابَ لِيَنالُوا مِن عِرْضِهِ، وعِرْضِ أَهْلِهِ الأَحْياءِ مِنهُم وَالأمْواتِ، والَّذِي لا يَخْشَى اللهَ حَقيقٌ أَلَّا يَخْشَاه الناسُ، والّذِي لا يَحتَرِمُ نَفْسَه جَدِيرٌ بِأَنْ لا يَحتَرِمَهُ الناسُ، ولا يُعِيْرُونَه أَيَّ اهتمامٍ، بَلْ إِنَّنَا نَرَى ونَسمعُ كُلَّ يَومٍ مِن الشَّتَائِمِ واللَّعَنَاتِ أَلْوَاناً وَأَلْوَاناً، وَلَمْ نَسمعْ أَحَداً مِن العُصَاةِ وَالسُّفَهَاءِ مَنَعَ أَحَداً مِن لَفْظَةٍ قَبيحةٍ، أَوْ مَنعه من مسبةٍ وجهها في حق والديه، بل تراه يقابله بالضحكِ والسرورِ مُظهراً الرضى والقبول.

نعوذُ بالله من ضلالِ العقولِ وقبحِ الجهالاتِ ومن سوءِ القولِ والعملِ.

واستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم من كلِّ معصيةٍ وذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا

يُخْزِى اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

التوبة

الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لِلهِ رَبِّ العالمينَ حَمْداً كَثِيراً طيباً مُباركاً فيه، نَحمدُهُ ونستعينهُ ونَستَهدِي اللهَ الهُدى، ونَعُوذ بهِ مِن شُرورِ أَنْفُسِنا، وَسَيِّئاتِ أعْمَالِنا، وسوءِ العاقبةِ والردى.

ونَشهدُ أَلَّا إلهَ إلا اللهُ إلهاً واحداً أحداً فرداً صمداً، لم يتخذْ صاحبةً، وَلا ولداً.

ونَشهدُ أَنَّ مُحمّداً عبدُه ورسولُه المُجْتَبى وَأَمِينُه المُصْطَفَى صَلّى الله عليه دَائِماً أبداً، وعَلَى عِترتِه النُّجباءِ وسَلَّمَ تَسليماً كثيراً مِن يومِنا هذا إلى يومِ الدين.

أمَّا بَعدُ: عبادَ اللّهِ:

إنَّ التوبةَ والرجوعَ إلى اللهِ مِنْ أَعْظَمِ الأمورِ التي مِنْ وَاجبِ كُلِّ إنسانٍ أَنْ يَبذُلَ فِي سَبيلِها قُصَارى جُهدِهِ؛ لِأَنَّها تُعتبَرُ بِدَايةً لِحياةٍ جديدةٍ، وطَهارَةً مِن كلِّ رِجسٍ وَدَنَسٍ، وَوِلَادَةَ عُمْرٍ جَدِيدٍ لِلتَّائِبِ، يُصبِحُ بعدَهُ التائبُ إنساناً آخرَ، وشَخْصِيّةً أُخْرَى، لَها ثِقْلُها ومَكانَتُها عندَ اللهِ تعالى وعِند الخلقِ، فاللهُ تعالَى عِندَما يَأمرُ عبدَه بِالتوبةِ لَمْ يُرِدْ ذَلكَ لِنفسِهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَهو غَنيٌّ عَنَّا، بَلْ أَرَادَ لِلإنسانِ أَنْ يَحْيَا حَيَاةً كَرِيمَةً شَرِيفَةً، وَأَنْ يَعيشَ عَيشاً هَنِيئا طَيِّباً، عِرضُهُ مُصَانٌ، وَنَفْسُهُ عَزِيزَةٌ مُحْتَرَمَةٌ، أَرَادَ اللهُ تعالى لِعبدِه الْعِزةَ والكرامَةَ فِي الْدُّنيا والآخِرَةِ؛ لأنَّ التائبَ الذِي يعقِدُ العزمَ على الاستقامةِ هو يَبنِي لِنفسِهِ مكانةً عظيمةً يتغيّرُ معهاَ كُلُّ شَيءٍ مِن حولِه.

التّائبُ الصّادقُ فِي تَوبتِهِ هُو الذي يُغَيِّر بَاطِنَهُ فَيَتَغَيَّرُ ظَاهِرُه، يُغَيِّرُ أَفكارَهُ، وَيُحْسِنُ ظَنَّهُ، وَيُطَيّبُ كَلامَه، ويُطْهِّرُ باطنَه من الخبائثِ والآثامِ، وَسُوءِ الظَّنِّ،

فإِذَا صَدَقَ فِي تَغْيِيرِ بَاطِنِه، وَأَخْلَصَ فِي اسْتِقَامَتِهِ تَغَيَّرَ كُلُّ شَيءٍ مِنْ حَولِهِ، وتغيرت نظرته لما حوله، وتغيرت أخلاقه ومعاملته مع الناس، واخْتَلَفَتْ نَظرةُ النَّاسِ إِلِيهِ، وَتَغَيَّرَتْ مُعَاملتُهم لَهُ، وَفَرَضَ هَيبتَهُ واحترامَهُ على النَّاسِ، وَكُلُّ هذا بِسببِهِ هو؛ لأنه احْتَرَمَ النَّاسَ فَاحْتَرمُوه، وَأَحْسنَ الظنَّ بِالنَّاسِ فَأْحْسَنُوا بِه الظّنَّ، وصَان لِسانَه عنْ أَعراضِهم فَصَانُوا عِرضَه.

عِبادَ اللّه:

إِنَّ التوبةَ الصادِقةَ النصوحَ تَجعلُ صَاحِبَها فِي حِصنٍ وَمَنَاعةٍ حَامِيةٍ مِن كُلِّ قَبِيحٍ، مُصَانَةً مِن كُلِّ مُسْتَكْرِهٍ، وَبِهَذا يَكُونُ العبدُ التَّائبُ قَد بَنا نَفْسَه بِناءً عَظِيماً كَرِيمَا، وَجَعَلَ لَهَا مَكانَتهَا بَيْنَ النّاسِ، وَرَفعَ مُقَامَها، وَتَغَيَّرَ كُلُّ شَيءٍ مِنْ حولِه، وَكَسَبَ حُبَّ النّاسِ، ورِضَاهُم، وَأَمِنُوه وَاسْتَأْمَنَهم وَاسْتَأْمَنُوه، فَلا يَرَى مِنهم إِلَّا مَا يُحبُّ، وَلا يَسمعُ مِنهم إِلَّا مَا طَابَ مِن الكلام، وَسَيُبَدِّلُه اللهُ عَن كلِّ مَا تَركهَ لِلهِ مَا هُو خَيرٌ منه، ومن تَركَ شَيْئاً للهِ عَوَّضَهُ اللهُ خَيراً مِنه؛ لِأنَّ العبدَ إِذا أَرْضَى اللهَ أَرْضَاه اللهُ وأَعَزَّهُ وَأَكَرَمَهُ، وسَخَّرَ لهُ كُلَّ شيءٍ، وَمَنْ أَسْخَطَ اللهَ أَسْخَطَ اللهُ عليهِ كلَّ شيءٍ حَتَّى الأَرْضَ التي يَسِيرُ عَليهَا.

وَكَمَا رُوِي عَن ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَنْ أَسْخَطَ اللهَ فِي رِضَا الناسِ سَخِطَ اللهُ عَليهِ، وأَسْخَطَ عَليه مَنْ أَرضَاهُ فِي سَخَطِهِ، ومَنْ أَرْضَى اللهَ فِي سَخَطِ الناسِ رَضِي اللهُ عَنهُ، وَأَرْضَى عَنْه مَنْ أَسْخَطَهُ فِي رِضَائِه))

فَالتوبةُ عِبادَ اللّه:

هِي حَدٌّ فَاصِلٌ بَينَ حَياةِ اللّهْوِ واللّعِبِ، وَبَينَ حَياةِ الجِدِّ والصّدْقِ، إِنَّها انْتِقَالٌ مِنْ حَضْرَةِ المرَدَةِ والشَّيَاطِينِ إِلى رِحابِ اللهِ الطَّاهِرِ الْمقَدَّسِ، إِنها تَحَوُّلٌ مِن مُجْتَمَعِ السُّفهاءِ والسَّفلةِ، إِلى زُمْرةِ الكرامِ البررةِ.

فَهِيَ عَمليَّةُ تبديل كُلِّ مَا هُو قَبِيحٌ بِكلِّ مَا هُو طَيِّبٌ وَجَمِيلٌ، وَسوفَ يُحَبِّبُ اللهُ للتائب الخيرَ وَيُكَرِّهُ لَه الشرَّ وذلك من لطف الله وتوفيقه كما قال تعالى:

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْأِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾، فَعَلَى كُلِّ عَاقِلٍ أنْ يُشَمِّرَ مُلَبِّياً نِداءَ اللهِ الدَّاعِي لِلتوبةِ؛ فَإن فِي دَعْوَتِه العزةَ والكرامَةَ، وقَدْ دَعَانَا لِمَا فِيه خَيْرُنا وهَو الخبيرُ بِنا، والعالِمُ بِما يُصلِحُنا ففي إِجَابتِه حَياةٌ لَنَا وفَلاحٌ.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّه يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

عبادَ اللّه:

كَثيرٌ مِنَ الناسِ قَد قَطَعَ أَكْثرَ عُمُرِهِ فِي اللّهْوِ واللَّعِبِ، مُقَصِّراً فِي حَقِّ اللهِ، مُسْتَهِيناً بِأوَامِرِ اللهِ ﴿وَتَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾

حَتَّى مَلُّوا حَياتَهم، وكَرِهُوا عَيْشَهُم، وضَاقُوا حَتَّى مِنْ أَنْفُسِهم، وَبِالرَّغْمِ مِن قُبحِ فِعالِهم، وما كَسَبَتْهُ أَيْدِيهِم، فَإنَّ اللهَ البَرَّ الرحيمَ مَا زَالَ يُنادِيهم بِالعودَةِ إليهِ ويُرَغِّبُهم فِي التوبةِ والإنابة.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الزمر].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾

أَلَمْ يَحِنِ الوقتُ لِأَنْ تَتُوبُوا؟ أَلَمْ يَكْفِ مَا ضَاعَ مِن العُمُرِ في اللهوِ والفساد؟

عبدَ الله:

قــدِّمْ لنفسِــكَ توبــةً مرجــوةً قبلَ المماتِ وقبلَ حبسِ الأنفسِ
بــادرْ بهــا تُــرِحِ النفــوسَ فإنهــا ذخــرٌ وغــنمٌ للمنيــبِ المحســنِ

يَكفِي مَا مَضَى مِن ضَياعٍ، يَكفي مَا فَاتَ مِن الأوْقاتِ وَالأَعْمَارِ التي ذَهَبتْ في غَيرِ فائدةٍ، لَقد آنَ الأوَانُ لِأَنْ نَنْتَبِهَ مِن غَفْلَتِنَا، وَأَنْ نَنْتَبِه لِمَا بَقِيَ مِن أعمارِنا، وَلْنَحمَدِ اللَهَ أَنَّنا مَا زِلنا عَلى سَلامةٍ مِن أَبْدَانِنَا وَمَا زَالَ فِي أَعْمَارِنَا بقيةٌ، ونَحْمَدُ اللهَ الّذي أَبْقَانَا لِلتَّوَبةِ، وَلَمْ يُعَاجِلْنَا بِالْهَلَكَةِ والعقوبةِ، ونَحنُ عَلى العصيانِ مُنْهَمِكون.

فَاللهَ اللهَ في صِدقِ التَّوبةِ والإِنَابَةِ، والرّجُوعِ إلى اللهِ، وَلْنَجْعلْ يَومَنا هذا آخرَ عَهْدٍ لَنَا بِالمعَاصِي، وَلْنُعاهِدِ اللهَ على التوبةِ والإنابةِ.

وَهَذَا شَهْرُ التَّوْبَةِ والغفرانِ أَوْشَكَ أَنْ يَحُطَّ رِحَالَهُ، وَقَدْ قَارَبَتْ أَيَّامُ حُلُولِهِ المُبَاركةِ.

فلنُعِدَّ لَهُ العُدَّةَ وَلْنَتَأَهَّبْ لِلقَائِه، وَحُسْنِ اسْتِقْبَالِه بِقلوبٍ طَاهرةٍ نَقيةٍ، وَبِنُفوسٍ مُؤمنةٍ تَقِيّةٍ، وَلا يَكُنْ هَمُّنَا فِي هَذا الشَّهْرِ إِعْدَادَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ، وَتَوفِيْرَ الأطعمةِ، والملذَّاتِ، فَليسَ هَذا مَا أَرَادَهُ اللهُ مِنَّا فِي هذا الشهرِ، ولَمْ يَشْرَعِ اللهُ هذا الشهَر لِلأَكلِ والنّومِ، بَلْ شَرَعَهُ لِلصَّيامِ، وَالْقِيَامِ لِلصَّلاةِ، وَالْعِبَادَةِ، وَتِلَاوةِ القرآنِ، لِعمارةِ المساجِدِ، وغَسْلِ القلوبِ مِن الذنوبِ، وتَطْهِيرِ النُّفُوسِ مِن الأرجاسِ والأدْناسِ.

فَاللهَ اللهَ لا يُضَيِّعَنَّ أحدُكُم شَهرَ الطَّاعةِ كَمَا أَضَاعَ بَقِيةَ الشُّهورِ، وَلَا يَهْجُرُ كِتَابَ اللهِ كَمَا هَجَرهُ مِن قبلُ.

فَلِلَّهِ العِلْمُ مَنْ يَأتِي عَليهِ شهرٌ غيرُه.

فَنسألُ اللهَ العونَ، والتوفيقَ عَلى صِيامِهِ، وَقِيَامِه إِنَّه نِعْمَ المَوْلَى، وَنِعْمَ النَّصِيرُ، وهو حَسبُنا، وَنِعْمَ الوكيلُ.

عِبَادَ اللّهِ:

إِنّكُم فِي يومٍ عَظيمٍ وَيومِ عيدٍ كريمٍ شَرَّفهُ اللهُ وَكَرَّمَهُ عَلى سَائِرِ اللَّيالِي والأيامِ. فَأكثِرُوا فِيه مِن الصَّلاةِ والسَّلامِ عَلى نَبيِّكُم خَيرِ الأنامِ، امتثالاً لِأمرِ اللهِ القائلِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

اللهمَّ فَصَلِّ وسَلِّمْ وبَارِكْ وتَرحمْ على عبدِك ونَبيِّكَ وخِيرتِك مِن خَلقِك أبي الطيبِ والطاهرِ والقاسمِ محمدِ بنِ عبدِ الله بنِ عبدِ المطَلِب بنِ هاشم، وَصَلِّ اللهمَّ وسَلِّمْ عَلى أخَيهِ وابنِ عمِّهِ وبابِ مدينةِ علمِهِ أشجعِ طاعنٍ وضَاربٍ عَليِّ بنِ أبي طالب، وعَلى زوجتِه الحورَاءِ، خامسةِ أهلِ الكساءِ فَاطمةَ البتولِ الزهَراء، وَصلِّ اللهمَّ وسَلِّمْ على وَلديْهِما الإمامينِ الأعظمينِ أبي مُحمدٍ الحسنِ وأبي عبدِ اللهِ الحُسين، وصل اللهم وسلمْ على الولي بنِ الولي الإمامِ زيدِ بنِ علي، وصل اللهم وسلم على الإمامِ الهادِي إلى الحقِ القويمِ يحيى بنِ الحسين بنِ القاسم بنِ إبراهيم، وصل اللهم وسلم على سائرِ أهلِ بيتِ نبيئِك المطهرين دُعاةً منهم ومقتصدين، وارْضَ اللهم عن الصحابةِ الأخيارِ من المهاجرين والأنصارِ، وعَنَّا مَعهم بِفضلِك ومنِّك يا كريم.

اللهم لا تَرُدَّنا مِن هَذا المقامِ خَائبين، وَلا مِنْ بَابِ رَحْمَتِك مَطرُودِين، وَلَا بالسّيئاتِ مُعَاقَبينَ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِالسِّنين، وَتُبْ عَلَينا يَا خيرَ التَّوابِين، واغفرْ لنا يا خيرَ الغافرين، وَثَبّتنَا فِي الدِّين، وَارْزُقنا التوبةَ واليقين..

اللهمَّ حَبِّبْ إِلَيْنا الإيمانَ وَزَيّنْهُ في قُلوبِنا، وَكَرِّه إِلينا الكُفرَ والفَسُوقَ والعِصيانَ، واجْعلْنَا مِن الرَّاشِدين، وَاجْعَلْ يَومَنا هَذا، وَسَاعَتَنا هَذِه، وَمُقَامَنا هذا آخِرَ عَهدٍ لَنَا بِالعصيان، واجْعَلْها تَوبةً مَقبولةً لا تُوقِفْنَا بَعدَها عَلى ذَنْبٍ اقْتَرَفْنَاه، وَلَا مَعْصِيةٍ اجْتَرَحْنَاهَا، ولا جُرْمٍ عَمِلْناه بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحمين.

اللهم انْصُرِ الإسلامَ والْمُسلمينَ، وانْصُرِ الحقَّ والمحقين، واخْذُلِ الباطِلَ والمبطلين، وَأَذِلَّ الشِّرْكَ والمشركين، وَدَمِّرْ أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدين، وَاجْعَلْهُم غَنيمةً لِلمسلمين، وَأَكفِنَا شَرَّ كُلِّ دَابةٍ أنتَ آخذٌ بِنَاصِيَتِها، إِنَّك قَريبٌ مُجيبٌ.

اَللَّهمَّ اجْعَلْ هَذا البلدَ آمِناً وسَائِرَ بلادِ الْمُسلمين، واكفِنَا مَا أَهَمَّنا في دُنيانا والدين، واسْقنا الغيثَ وأَمِّنَّا مِنَ الْخَوفِ، ولا تجعلنا من القانطين. وآخر دعوانا أنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العالمين.

عباد الله:

اذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يذكرْكم، واشكروه على نعَمِهِ يزدِكم، ولذكرُ اللهُ أكبرُ واللهُ يعلم ما تصنعون.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

حقوق المساجد ومكانتها في الإسلام

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لِلهِ الذي شَرَّفنا بالعلمِ وكَرَّمنا بالحلمِ وأَنْعمَ علينا بالعقلِ والتَّفكيرِ لِنَستدِلَّ به على طُرُقِ الخيرِ، نَحمدُه حَمداً لا يُحصى عَددهُ ولا يُدرَك حَدُّه.

ونَشهدُ أَلَّا إلهَ إلا اللهُ، كلُّ شيءٍ هالكٌ إلَّا وَجْهَهُ، ليسَ كمثلِهِ شيءٌ وهو السميعُ البصيرُ.

ونَشهدُ أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورَسولُه، المبعوثُ رحمةً لِلعالمينَ، بَلَّغَ رِسَالَتَه وَأدَّى أَمَانَته وَجَاهَدَ في الله حَقَّ جِهادِه حَتى أَتاهُ اليقينُ، فَصلواتُ اللهِ عَليه وعَلى آله الطاهرين، مِن يَوْمِنا هذا إلى يومِ الدين.

أمّا بعدُ

يَقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [الأحقاف ١٣٢].

عبادَ اللّه:

اسْمَعوا وَعُوا، وَأَنْصِتُوا حَالَ الخطبتَينِ، وَتَدَبَّرُوا مَا يُلْقَى عَلى أَسْمَاعِكم فَرُبَّ كَلِمةٍ تَسْمَعُها وَأَنْتَ بِها جَاهِلٌ فَتعملُ بِها تُدخِلُك الجنةَ، وَرُبَّ كَلمةٍ تَسمعُها فَتنتَهِي بِسَبَبها تُنقذُكَ مِن النَّارِ.

عِبادَ اللّه:

إِنَّ الإنسانَ لَم يَلدْ عَالِمَاً، بَلْ كُلُّنا وُجِدْنَا جُهَلَاءَ لَا عِلمَ لنا كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ

وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل١٧٨].

وَمَهما بلغَ الإنسانُ مِنْ العلمِ والمعرفةِ فَما زَالَ جَاهِلاً في جَنبِ عِلمِ اللهِ القائل: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الإسراء ٨٥]، وكلُّ مُتعلِّمٍ وَفوقَه مَنْ هُو أَكثرُ مِنه عِلْماً، وَأَوْفرُ فِقْهاً وفَهماً ﴿وَفَوقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٍ﴾[يوسُف٧٦].

فَعَلينا عبادَ اللهِ بِالاستماعِ والإنصاتِ، وخَاصةً في خُطبةِ الجُمْعَةِ، فَإِنَّهَا لَمْ تُشْرَعْ إِلَّا لِتَعلِيمِ النَّاسِ أمورَ دينِهم وآخرتِهم. وَحَقٌّ على كلِّ مَن حَضَرَ الجُمعةَ أو مَجْلِسَ ذِكْرٍ أَنْ لَا يَخْرُجَ مِنه إِلّا بِفَائدَةٍ تَعودُ عليه بِالخير في دِينِهِ ودُنياه، لِيدخُلَ فِي بَشارةَ اللهِ القائل ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر]، وَحَديثُنا اليومَ سَيكونُ عن حرمةِ المساجدِ ومَكَانتِها فِي حياةِ المؤمن.

عِبادَ اللّه:

إِنّنا في هذا المكانِ في مقامٍ شريفٍ، في بُقعةٍ مُباركةٍ، في بيتٍ مُقدَّسٍ، شَرَّفَهُ اللهُ وَعظَّمَه، إِنّنَا في بيتٍ من بُيُوتِ الله، والمسجدُ ليسَ كغيرِهِ من البُيُوت، بل هو مِن شَعائرِ اللهِ ومُقَدَّسَاتِه الّتِي اخْتَصَّها بِالفضلِ، وَرفعَ مِن شَأنِها، وَأَمَرَنَا بِتَقدِيْسِها وتَعظِيمِها قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج١٣٢]، فَمَنْ حافظَ عليها وحَفِظَها، وَشَارَك في عِمارَتِها وبِنائِها نَالَ مِن اللهِ الفضلَ، ودَخَلَ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة١٨].

أَلَا وَمَن عَظَّمَها، فَقدْ عَظَّمَ مَا عَظَّمَ اللهُ، وأولئكَ مِن المُتقينَ الذين وعدهم اللهُ بالخيرِ كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج٣٠].

أَمَّا مَنْ تَهاونَ بِها وَدَنَّسَها، وَضَيَّع حُقُوقَها فَقدْ بَرَز لِمُحاربةِ الله، وهَدَمَ مَا أمرَ اللهُ بِه أنْ يُرفعَ، وعليهِ مِن اللهِ السخط، ومَا لَهُ مِن اللهِ مِن نصيرٍ.

عبادَ الله:

إِنَّ اللهَ قد جعلَ له بُيوتاً اخْتَصَّها، وجَعلَها مَقَرًّا لِعبادتهِ وطاعتهِ، وَأَمَرَ بِصَونِها وَالْمُحافَظَةِ عليها، ولمْ يَأْذَنْ فِيها بِأيِّ فِعلٍ يُخالِفُ طاعتَه قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾. [سورة الجن(١٨)]

فالمساجِدُ هي للهِ خاصةً، ليس لِأحدٍ فيها حقٌّ، ولا يجوزُ فِيها إِلّا ما كانَ لِلهِ إِلَّا الطاعاتِ غَالباً.

حَتىٰ المباحُ الذي لا إِثمَ فيه لا يَجوزُ في المساجدِ نحو الكلامِ في أمورِ الدنيا لِقوله ﷺ: ((الكلامُ في المساجدِ يأكلُ الحسناتِ كما تأكلُ النارُ الحطبَ)).

وكذا النومُ في المساجدِ لا يَجوزُ لِغيرِ الْمُعتكفِ ونحوه، لقوله ﷺ: ((لا تبيتوا في المسجد فتحتلموا)).

وَأيضاً فإنَّ مِن المنَاهِي التي لَا تَحلُّ في المسجدِ البيعَ والشراءَ، وَلَو قطعةً من سواك، وكذا لا يَحلُّ لِأحدٍ أنْ يَسألَ عَن ضائعةٍ في المسجدِ؛ فَفِيما يُروَىٰ عنه ﷺ أنه قال: ((إذا رأيتم مَنْ يبيعُ أو يبتاعُ في المسجدِ فقولوا: لا أربح الله تجارتك، وإذا رأيتم من يَنْشُدُ عن ضالَّةٍ -أي: يسألُ عن ضائعتِهِ- فقولوا: لا ردها اللهُ عليك)).

عبادَ الله:

إِنَّ لِكلِّ إنسانٍ بَيتاً ولِكُلِّ بَيتٍ حُرمتَه، فكيفَ بِمن يَتأدبُ في بيوتِ المخلوقين، ولا يتأدبُ في بيتِ الخالقِ عز وجل؟ إِنَّ المساجدَ هي بيوتُ اللهِ وحُرَمُهُ، ولها حقوقٌ وواجباتٌ، فَعلينَا أنْ نُعطيَها حقَّها، وأنْ نُوفّيَها نصيبَها مِن التّشريفِ والتّعظيمِ. كما قال تعالىٰ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾. [النور٣٦،٣٧].

عبادَ الله:

أنتم الآنَ في بيتٍ مُقَدَّسٍ شَرَّفَه اللهُ وَعَظَّمَه، وليسَتْ كَغَيْرِها مِن الأَمَاكِن، ولِلمسَاجِدِ حُقوقٌ مَنْسِيّةٌ غَفَلَ عنها كثيرٌ من الناسِ، وتهاونُوا بِواجبِهم نحوَها.

عَمَرُوا بيوتَهم، وهَدَمُوا بيوتَ اللهِ، حَافَظُوا على بيُوتِهم وصَانُوها، وتَهاونُوا بِبُيوتِ اللهِ وَأَهْمَلُوهَا.

فَمِنْ هذهِ الحقوقِ: أنّه لا تَجوزُ في المسجدِ التهويةُ، ولا أن تَرميَ فِيه بشيءٍ، ولا أنْ تبصُقَ مِن بَابِه أَوْ مِن نَوافِذِه، ولا يَجُوزُ تَعليقُ شَيْءٍ في سَقْفِهِ أَوْ جُدْرَانِه إِلا إِذَا كَان لِصالحِ المسجدِ ومَنفعتِهِ، وإِذا اشْتريْتَ شيئًا بمالك ونَويتَ بِه لِلمسجدِ فَلا يَصحُّ لك أَنْ تَأخذَه وَلَوِ اسْتغنَى عنهُ المسجدُ. ولا يجوز أخذ شيء من أملاك المسجد واستعماله في غيره ولا إخراجه منه؛ لأن كل ذلك قد صار موقوفًا عليه، وعلى من استعمله الأجرة للمسجد.

وَأَمَّا حُكمُ مَن يُدَنِّسُ فِراشَ المسجدِ، أو يُنَجِّسُ فراشَه أو يُحرقُه، أو يَعْبَثُ بِأَجْهزتِه، أَوْ نحوِ ذلك، فَواجبٌ عليه إِصلاحُ ما أَفسدَ، وإِبْدَالُ ما أتلفَه، وتَنظيفُ ما نَجَّسَه أَوْ لَوّثَه، ولكنْ كُلُّ ذلك بِإِذنِ الوَلِيِّ لِلمسجدِ والْقَيِّمِ عليه.

وعَليه أَرْشُ النَّقصِ فِي كُلِّ ذلك بِما قَدَّرَه عَدلانِ، فَهذِهِ هِيَ بَعضُ الحقوقِ.

فَأينَ نحنُ -عبادَ اللهِ- مِن هذه الحقوقِ؟ وأينَ نحنُ مِن حُرمَةِ المساجدِ وفَضْلِها؟ وَأَنَا عِندما أقولُ هذا فَأَنَا لَا أُبَالِغُ وَلا أُزَايدُ في بَيتٍ هو لِلهِ، فَمهمَا قُلنا، ومَهمَا ذَكرنَا مِن حُقوقِ المساجدِ فَما زِلنا مُقَصِّرين، ومُفَرِّطينَ فيها، ولَنْ نُوفِّيَها مَا تَستحِقُّه مِن العنايةِ، والاهتمامِ الذي أَلزَمنا اللهُ أنْ نُوليَها بقوله: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [النور٣٦] فقولُه: ﴿أَنْ تُرْفَعَ﴾ أَمرٌ مِن اللهِ بِأنْ تُعظَّمَ وتُكَرَّمَ وتُقدَّسَ بما يليق بمقامِ صاحبِها جَلَّ جلالُه.

فاللهُ سبحانَه قد حَرَّمَ على الْجُنُبِ دخولَ المساجدِ، وحَرَّمَ على الكافرِ أَنْ يَقْربَها، بَل لَقد وَرَدَ النَّهيُ عن دُخولِ المسجدِ في حَقِّ مَنْ أَكَلَ مِن البقل كالثُّومِ

وَالبَصَلِ وَنحوِهما؛ لِما تجلبه من الروائح الكريهة التي تسبب الأذىٰ لِلغيرِ، روىٰ الإمام زيدٌ، عن آبائه أن الرسول ﷺ قال: ((مَنْ أكلَ مِن هذه البقلةِ فلا يقربَنَّ مَسجدَنا)) قالَ ذلك عندما دخلَ رجلٌ المسجدَ وقد أكلَ الثومَ.

فَأينَ مَن يدخلُ المسجدَ بِثيابِ العملِ، بِعَرَقِها وغُبَارِها وَوَسَاخَتِها مِن هذا الحديثِ؟ ومِن قوله تعالىٰ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف٣١].

أينَ الذين حَوَّلُوا المساجِدَ إِلىٰ دُورِ حَضَانَةٍ، يَلْهُو فِيها أَطفَالُهم، ويَلْعبُون، كَأَنَّهم في حديقةٍ أوْ مَلْهَىٰ؟.

مَعاشِرَ الآباءِ، إِنَّنَا لا نَعترِضُ عَلىٰ طِفْلٍ مُمَيِّزٍ يُفَرِّقُ بَين النَّجَاسَةِ وَغَيْرِها، أنْ يحضُرَ المسجدَ مُتأدِّباً لِيتَعلَّمَ الصلاةَ والقرآنَ، وَلكِنَّنَا نَشكُو مِمّنْ لَا يُمَيِّزُ وَلا يَعِي، فَهو إِنْ لم يُنَجِّسْ فَلا أَقَلَّ مِن أَنْ يَلْعَبَ وَيَلْهُوَ فَيَشْغَلَ المُصلين، ويُغالِطَ عليهم صلاتَهم، بل لقد نَهىٰ النبيُّ ﷺ عَن كُلِّ مَا يَشغَلُ المُصَلِّيَ عن صلاتِه، ولَو بِقِرَاءَةِ القرآنِ، حيثُ قال: ((لا يشغلنَّ قارِئُكم مصليَكم)) فَما بَالُك بِلعبِ الأطفالِ وَعَبَثِهم، والأَعْظَمُ مِن كُلِّ هذا أَنْ تُصْبِحَ هذهِ سَجيةً وعادةً علىٰ الدّوامِ، ولَيسَتْ مُجَرَّدُ غَلْطَةٍ وَقَعتْ مرةً واحدةً بِدون قَصْدٍ.

عبادَ الله:

يَجبُ أَنْ نعيَ أوامرَ اللهِ وأنْ نُطَبِّقَ أحكامَه كما يجب، وأنْ نُقِيمَ حدودَه، ونُعَظِّمَ شَعَائِرَهُ تعالىٰ، امْتثالاً لِقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج٣٠].

لا بُدَّ أنْ نفهمَ أَنَّنَا هنا في بيتٍ أُسِّسَ علىٰ التّقوىٰ، بيتٍ لا كَسائِرِ البيوتِ، إنَّه بيتُ اللهِ العزيزِ، بيتُ اللهِ العلي الجبَّار، الذي لا تُوازِيهِ عَظمةٌ.

فإِذَا دخلتَ فيه، فَقَدْ حَلَلْتَ ضَيْفاً علىٰ اللهِ، أَنْتَ الآنَ هنا ضَيفُ اللهِ، ومِن واجبِ الضّيفِ أَنْ يَلْتَزِمَ بِآدَابِ الضِّيَافَةِ، عليه أنْ يَلتَزِمَ بِأَخْلاقِ الضَّيفِ، وَيَسْتَضْيِفَ وَيَنْتَظِرَ الضيافةَ.

هذا في حقِّ الضّيفِ العادِي، فَما بَالُكَ إِذا كَانَ ضَيْفاً لِلهِ، ونَازِلاً فِي بِيتٍ مِنْ بِيُوتِه أَليسَ مِن واجبِنا احترامُ بَيتِه وتَعظيمِه، والتِزَامُ السَّكِينةِ وَالأَدَبِ فيه تَعظِيماً لِلهِ تعالى، روى مولانا الحجة مجد الدين عن مشائخِهِ عن زيدِ بن عليٍّ أنَّ عليًّا عليه السلام كان يقولُ عند دخولِ المسجد: (بسمِ اللهِ وباللهِ، السلامُ عليك أيُّها النبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه، السلامُ علينا وعلى عبادِ اللهِ الصالحين، السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.

عِبادَ اللّه:

إِنَّ لِكلٍّ مِنَّا بَيتَه، ولِكلٍّ مِنَّا حُرمتَه، وأنت لا تُحِبُّ لِأحدٍ أَنْ يَعبَث في بَيتِك، وَلَا تُريدُ مِن ضَيفِك أنْ يَستَخِفَّ بِدَارِك، وَلا أَنْ يَحُطَّ مِن كَرَامَتِك، كُلٌّ مِنَّا يُريدُ مِن ضَيفِهِ الأَدَبَ والاحترامَ، ويَكرَهُ منه العبثَ والفوضَى، مَهْمَا كانتِ الأسبابُ، فَلِماذَا نُريدُ مِن النّاسِ احترامَ بُيوتِنا، والتَّأَدُّبَ في ضِيَافَتِنا، بَينَما نَفْعلُ العكسَ في ضِيافَةِ اللهِ وفي بيته؟ إِنَّ هذا لشيءٌ عُجَاب.

بُيوتُنا معمورةٌ، وبُيوتُ اللهِ مَهْجُورَةٌ، بُيوتُنا مُضَاءةٌ، وبَعضُ بُيوتِ اللهِ مُظلِمَةٌ، بُيوتُنا نَظيفَةٌ، وبُيوتُ اللهِ مُتَّسخِةٌ، بُيوتُنا مُطَيَّبَةٌ مُعَطَّرَةٌ مُرَتَّبةٌ مُنَظَّمةٌ، وبيوتُ الله فَوضَى مُبَعثَرَةٌ، فَعَلى مَنْ تَقَعُ مَسؤُولِيةُ كُلِّ هَذِه الخُرُوقَاتِ والأَخْطَاءِ؟ وعلى مَن تَقعُ اللائمةُ؟ الكلُّ يَرَى الخَلَلَ، ولكنْ لَا أَحدَ يُصْلِحُه! كُلُّنَا نَجِدُ الوَسَخَ والقَذَارَةَ في المساجِدِ، ولَكنْ لَا أَحدَ يَرْفَعُها، بَل هُناك مَن يَتخِذُ مِن المَسْجِدِ مَكَاناً يُنَظِّفُ فِيهِ ثِيابَه، وَيَغْسِلُ فِيهِ بَدَنَه، ثُمَّ يَرْمِي مُخلفاتِ الصَّابُونِ والأوساخِ وراءَه في المسجدِ، وَيُحَمِّلُ غيرَه مَسْؤولِيَّةَ تَنظِيفِه.

أَهَكَذَا يَفعلُ المُحِبُّ فِي دَارِ حَبِيْبِه؟!

أَهَكَذَا يَصنعُ العبدُ في بيتِ سَيِّدِهِ؟ أَهَكَذَا تُجَازِي اللهَ على إِحسانِهِ إلينا؟

عِبادَ اللّه:

إِن المساجدَ رَوضةٌ مِن رياضِ الجنةِ، فِعْلُ الخيرِ فيها مُضَاعَفٌ، وفِعْلُ الشَّرِّ فيها كذلك، وفي تَطْيِيْبِها فَضْلٌ عَظِيم، وَفي كَنْسِها وتَنظِيفِها أَجْرٌ كَبِيرٌ، وَكُلُّ عَمَلٍ لِصَالِحِهَا فَهو مُضَاعَفٌ مُبَارَكٌ عندَ الله.

عَبدَ اللهِ، هَل تَعلمُ أَنَّك بِكَنْسِكَ وتَطيِيْبِكَ لِلمسْجدِ تُعَظِّمُ اللهَ، وتُعَظِّمُ شَعائِرَهُ وَمُقَدَّسَاتِه؟ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة١٨].

هَذا فِي حَقِّ فَاعِلِ الخيرِ، أَمَّا المُخَرِّبُ الذي يَسعَى فِي المساجدِ بِالإِفْسَادِ فَإِنَّ جُرمَهُ عَظِيمٌ، كَمَا قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَـئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة١١٤].

عَبْدَ اللّه:

لا يَسْتَوِي المسيءُ إِليك في الشَّارِعِ، والمُخْطِئُ عَلَيْكَ وَهُو ضَيْفُك، وَفِي بَيْتِكَ، وعَلى فِراشِك؛ ذَلك هو الضَّلالُ البعيد.

فَعَلَى الذينَ لَا يَعرفونَ حَقَّ اللهِ في مُقدَّساتِه، ولا يُعَظِّمُونَ حُرُمَاتِه، ولا يَلْتَزِمُونَ بِآدَابِ الضِّيَافَةِ بَيْنَ يَديْ اللهِ، أَنْ يَتْقَوا فِي بُيوتِهم، يَعْبَثُوا فِيها كَما يَحْلُوْ لَهُم، وَيَكُفُّوا عَن بيوتِ اللهِ أَذَاهُم.

وَأَخِيْراً نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرْزُقَنَا مَعْرِفَتَه، وَمَعْرِفةَ حُرمَاتِه، وإِجلالَ مُقَدَّساتِه، إِنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ، وهو حسبُنا ونِعمَ الوكيلُ.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ

وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النورِ٣٦-٣٧].

بَارَكَ اللهُ لي وَلكُم فِي القُرآنِ العظيم، ونَفَعنِي وَإِيّاكُمْ بِما فيهِ مِن الآياتِ والذِّكرِ الحكيمِ، إِنَّه تعالى جوادٌ مَلِكٌ بَرٌّ رَءَوفٌ رَحِيم، فاسْتغفِرُوه إِنَّه هو الغفورُ الرّحيم.

حقوق المساجد ومكانتها في الإسلام

الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الَّذي أَبَانَ لنَا مَعالِمَ الدِّين، وأكرمَنا باليقينِ، وألزَمَنا تَعظيمَ شَعائِرِهِ، واحترامَ مُقدَّسَاتِه، فَقَالَ عز من قائل كريم: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ فَلَهُ الحمدُ على تَوفِيقِه، وحُسْنِ هِدَايَتِه.

ونَشهدُ ألّا إِلَه إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، ولا مَثِيلَ، ولا خُلْفَ لِقوله ولا تَبدِيلَ، ونَشهدُ أنَّ مُحمّداً عَبْدُهُ وَرسُولُهُ الصادقُ الأمينُ، وعلى آلِهِ الهداةِ الميامينَ، من يومِنا هذا إلى يومِ الدِّين، وسَلّمْ تَسْليمَاً كثيراً.

وَبَعدُ، عبادَ الله

وَرَدَ عن الرسولِ ﷺ في فضلِ المساجدِ وَبنائِها أَنّه قَالَ فيما رواه الإمام زيدٌ عن آبائه عليهم السلام: ((مَنْ بَنَى مَسْجِدًا بَنَى لَهُ بيتًا فِي الْجَنَّةِ)) فَأَيْنَ الْمُتَنَافِسُون عَلى الجنَّةِ؟ أينَ الْمُتَزَوِّدُونَ لِلدَّارِ الآخرة؟ كُلٌّ مِّنَّا يَفْهمُ وَيَعِي، ولكنْ أَيْنَ مَنْ يَعملُ وَيُطَبِّقُ؟ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً * وَإِذاً لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّـا أَجْراً عَظِيماً وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً﴾.

رَحِمَ اللهُ الآباءَ وَالأجْدادَ مَع فَقْرِهم، وقِلَّةِ ذاتِ أَيْدِيهم، بَنَوْا لَنا الْمَسَاجِدَ وَحَفَرُوا الْبِرَكَ، وشَيَّدوُا المدَارِسَ، وَأَوْقَفُوا لَهَا خِيْرَةَ أَمْوَالِهم، وَلَمْ يَبقَ لَنا إلَّا أَنْ نُحَافِظَ عَلَيها، لَسْنا بِحَاجَةٍ إلى أَنْ نَبْنِيَ، نَحنُ بِحاجةٍ إلى أنْ نُصْلِحَ، وَنُحَافِظَ على مَا تَبَقَّي مِن حَسَناتِهم، وأَنْ نَسُوقَ لَهَا مَا يَلْزَمُنا مِن الْأَمْوالِ المَوْقُوفَةِ عليها، والحقوقِ اللازمةِ لها، وَلكِنْ، ولِلْأَسَفِ خَلَفَ خَلْفٌ هَدَمُوا مَا بَنَاه الآباءُ، وَمَنَعُوا مَا أَوْجَبَه الأَجْدَادُ، فَاللهُ المُستعانُ.

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائمًا وقاعدًا
ومَن يُرَى عن الغبارِ حائدًا

عِبَادَ اللّه:

لقد كانَ الآباءُ حَرِيصِينَ على تَنظيفِ المساجِدِ، وكَنْسِها، وتَطيِيبِها، والمحافظةِ عليها، وتَوفيرِ الماءِ لَها، فَبَنَوا لَها البِرَكَ الكبيرةَ، وَشَقُّوا لَها السَّواقِيَ لِمياه الأمطارِ، وَحَفَرُوا لها الآبارَ، وخَدمُوها بالفُرُشِ المَغْزُولِ بِاليدِ، والمَنْسُوجِ مِن الشَّعَرِ واللِّيْفِ، وَوَفَّرُوا لَها المَصَاحِفَ المَنْسُوخةَ بالأَيْدِي، رَغمَ قِلَّةِ الأورَاقِ وَشِحَّةِ المَوَارِدِ، وعُسْرِ الْحالِ إِلَّا أنَّهم لم يَتَوانَوا لَحَظَةً واحدةً فِي خِدمَةِ بُيوتِ اللهِ، وَإِقَامَةِ شَعَائِرِه التي أَمَرَ بِتَعْظِيمِها وِعَمارَتِها.

أَمَّا الآنَ ومع تَوَفُّرِ الإِمكانياتِ فَقد أَصبحتْ حالَةُ المَساجِدِ يُرْثَى لَها، امْتَلأتْ بِالأَتْرِبةِ والغُبارِ، وَلا تَرَى مَن يَمُدُّ يَدَه لِتَنْظِيفِها. بل على العكس هناك من يتعمد توسيخها بالمكسَّراتِ و البصقِ في جُدرانِها، ومنهم مَن يُدْخِلُ أحذيتَهُ وهي تقطرُ بالماءِ النجسِ على فراشِها، ومِن الناسِ مَنْ يحسدُ المسجدَ حتى من الماءِ ويمنعه عنه، فلا يجدُ المصلون ما يتوضؤون به، إنَّ هذا كلَّه حَسَدٌ للهِ ومنعٌ لنعمة الله وصدٌّ عن المساجِدِ؛ لأنَّ الماءَ حياةُ المساجِدِ فإذا عَدِمَ الماءُ هُجِرَتِ المساجدُ وغابَ عنها المصلونَ، وهنالك شائعةٌ خطيرةٌ عَمَّتِ المساجدَ في هذا الزمانِ، حيثُ نجدُهم يفتحونها نصفَ ساعةٍ لكلِّ فريضةٍ، ثم يُغلقونها ويمنعون مَنْ جاءَ للصلاةِ بعدَ ذلكَ، فلا نعلمُ أيَّ بدعةٍ ابتدعَها هؤلاءِ في المساجِدِ، وأيَّ مصيبةٍ اجْتَلَبُوها على بيوتِ اللهِ.

تخيلْ وأنتَ في أعظمِ مدينةٍ وتأخرتَ ولوْ لخمسِ دقائقَ عنْ صلاةِ الجماعةِ، هلْ تُصَدِّقُ أنك لم تجدْ مسجداً مفتوحاً؟ كلُّ الجوامعِ مقفلةٌ وجميعُ دوراتِ المياهِ، ولو طلبتَ مِنْ قَيِّمِ الجامعِ ليفتحَ لكَ لتصليَ لَرَفَضَ زاعماً أنَّ الدوامَ قد انتهى، فهل للهِ دوامٌ يَغلقُ فيه أبوابَهُ عن سائِلِيه وطالِبيه؟ إلى أين يذهبُ المسافرُ

والمشغولُ وأصحابُ الضروراتِ، هل يقطعون الصلاةَ؟ أم عليهم أن يستأجروا لهم غرفاً في إحدى الفنادق ليحصلوا على الماءِ لأداءِ الصلاةِ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَـئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، فبيَّنَ تعالى بأن لا أحدَ أظلمُ ممن فعل هذا واتصف بتلك الصفة.

عباد الله:

إلى أينَ يَلجأُ الغريبُ فِي بِلادِ الغُربةِ، أَليسَ المسْجِدُ أَوْلَى بِالْغَريبِ؟ لقد أَصبَحتِ المَسَاجِدُ دُوراً خَاصةً فِي عُرفِ بَعضِ النّاسِ يَتَحَكَّمُون فِيها كَيفَما يَشَاءُون، وَيَتَحَكَّمُون في غَلقِها وفَتْحِها.

أَليْسَتِ المساجِدُ كُلُّها لِلهِ كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾؟ أَليسَتِ المساجدُ حقاً عاماً لِكُلِّ المسلمين على حدٍّ سواء؟ أوَلم يقرؤوا قولَ الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحجّ٢٣].

عِبادَ الله:

إِنَّ المَسْجدَ لا يكونُ مَسجِداً إِلَّا إذا سَبَّلَهُ صَاحِبُ الْمِلْكِ، وأَوْقَفَ أَرْضَه، وأَخْرَجَها مِن مِلكِهِ، وجعلَها مُسَبَّلَةً، بمعنى أَنَّهُ أَبَاحَها لِكُلِّ النَّاسِ، وجَعَلَهم فِيها شُرَكَاءَ مُستَوِيِيْنَ فِي أَحَقِّيَّةِ العبادةِ فيها، في أَيِّ وَقْتٍ شَاءُوا، ولا يَحِقُّ لِأحدٍ أَنْ يَمْنَعَ أحداً مِنها، يُقَالُ: طريقٌ مُسَبَّلَةٌ وَسَابِلةٌ أي نَافِذَةٌ لا يُمْنَعُ منها أحدٌ، لا مَقْطوعةٌ ولا مَمْنوعةٌ، وَقَد أَوْجَبَ الشَّرعُ عَلى مَن بَنَى مَسْجِداً أَنْ يَفْتَحَ لَه بَاباً عَلى الطَّرِيقِ الْعَامَّةِ؛ لِيَتَمكَّنَ كُلُّ واحدٍ مِن دُخولِه مَتى شَاءَ، وإِلَّا فإِنَّهُ لَا يُسَمَّى مَسْجِداً بَل هُو مُجَرَّدُ مُصَلّى فَقَطْ؛ وعَلى هذا فَلا يَجوزُ إِغلاقُ الْمَسْجِدِ عَلى الإِطلاقِ بَل يَلْزَمُ بَقَاؤُهُ مَفْتُوحاً فِي كُلِّ الأَوْقاتِ حَتَّى لَو خِيْفَ عَلَيهِ مِنَ السَّرِقَةِ وَالنَّهْبِ؛ فَهذَا مَا حَكمَ بِهِ

الشَّرعُ، فَما بَالُك بِمَن يَمْنَعُ الْمُصَلِّينَ مِنْ أَدَاءِ مَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيهِم مِن العِبَادَةِ؛ فَهذَا مِنْ أَظْلَمِ الخلقِ؛ لِمنْعِهِ حقوقَ المسلمين في تلك المساجِدِ.

عِبادَ اللّه:

علينا أَنْ نَنْظُرَ في أَحوالِ مَساجِدنا، فَهيَ بِحاجةٍ مَاسَّةٍ لِلرِّعَايةِ والاهتمامِ؛ لأَنها شِعارُ المُسلمين، وهِي الْمَدرَسةُ التي تَخَرَّجَ مِنها الرِجال المؤمنون، وتَعلَّمُون فِيها شَرائِعَ اللهِ وأَحكامِهِ.

فَمَنْ أَرادَ خيرَ الدُّنيا ونعيمَ الآخرةِ، فَليُعطِ هَذِه الْمَساجدَ حَقَّهاَ، وَلْيُقْرِضِ الله قَرْضَاً حسنًا يَكُن له صدقةٌ جاريةٌ في بَنكِ الرحمن، نُريدُ عَمَلاً وصِدْقاً وَوَفَاءً معَ بُيوتِ اللهِ لِأَنَّنا إذا أَصْلَحْنا بُيوتَ اللهِ وعَمَرْناها أَصْلَحَ اللهُ أمرَ دُنْيَانَا وَآخِرَتَنا، وَأبْدَلَنا عَنها قُصُوراً فِي الجنةِ، فَجُودُوا رَحِمَكم اللهُ ولا تَبْخَلُوا على بُيوتِ اللهِ، فَمَنْ يَبْخَلُ فَإِنَّما يَبْخَلُ عَن نَفْسِه، وإِنْ تَتَوَلّوْا يَسْتَبْدِل قَوْماً غَيرَكُم، وَمَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وصَدَّقَ بِالْحُسنىَ فَسَنُيَسِّرُه لِليُسْرَى، وَسوفَ يَرَى مَا تَقَرُّ بِهِ عينهُ مِن فَضلِ الله وثَوابِه، واللهُ عِندَه حُسْنُ الثواب.

عِبادَ اللّه:

إِنَّ مَا تُقَدِّمونَه لِبيوتِ اللهِ فَإِن اللهَ لَن يُضَيِّعَه، وما تُقَدِّموا لِأَنْفُسِكم مِن خَيْرٍ تَجِدُوه عِند الله، وكَذا ما تُنْفِقُونَه عَلى المرافِقِ التَّابِعَةِ لِلمسجِدِ كَالْبِرَكِ وَالْمَنَازِلِ وَالْمدَارِسِ وَنَحْوِها فَإِنَّها فِي حُكْمِ المسْجِدِ، وَهِي مِن الصَّدَقَاتِ الجَارِيَةِ الّتِي لا يَنقطِعُ ثوابُها.

وَأهميةُ إِحياءِ المساجِدِ بِالعلمِ والْوعظِ وَالْإِرْشادِ و...الخ هي العمارةُ الحقيقةُ.

اللّهُمَّ إِنّا نَسْأَلُك فِي هذه السَّاعةِ المُباركةِ أَنْ تَجعلَنا مِن أَدِلَّةِ الرَّشَادِ، ومِن صَالِحِ العبادِ، وأَنْ تُرزَقَنا فَوزَ المعادِ، وأَنْ تُعِينَنَا عَلى مَا فِيه الخيرُ والرشاد.

اللّهمَّ أَلِّفْ بَين قُلوبِ عِبادِك على طاعَتِك، اللّهمّ انْزَعِ الْغِلَّ مِن قُلوبِهم، وَالْحَسَدَ مِن صُدورِهم.

اللّهمَّ وَاجْعلْهم عَوناً في مَرضاتِك، ويَداً في طاعتِك، اللّهم ومَنْ أَعَانَ على صَلاحِ هَذا البلدِ، وهذا المسجدِ بِنَفسِه، أَوْ بِمَالِه أوْ بِيدِه، فَنَسأَلُك أنْ تُجزِلَ ثَوابَه، وأنْ تُخلفَ عليهِ بِأحسنِ الخلَفِ في مالِه وولدِه، وأنْ تَجزِيَهُ في الدُّنيا الخيرَ والثوابَ، وفي الآخرةِ الرحمةَ والرضوانَ.

اللّهمَّ ومَنْ أَرَادَ بِهذا البلدِ سُوءاً أو مكروهاً، أو سَعَى في خَرابِه، وَإِقلاقِ أَمْنِه، وَزَرْعَ الفِتْنَةِ بين أَهلِه، فَإِنَّا نَسْأَلك أنْ تَكْفِيَنا شَرَّهُ، وأَنْ تردَّ كيدَهُ في نَحرِهِ، وأنْ تَجعلَ مَكْرَه فِي ظَهرِه، وأنْ تَشْغَلَهُ بِنَفْسِه، وَتُؤَمِّنَنَا مِن جمِيعِ شَرِّهِ وَضُرِّهِ، وَهَمْزِهِ وَلَمْزِهِ، وَعَداوَتِه، وكَيدِه، ومكرِه ومصائدِه، إِنَّكَ جَوادٌ قَريبٌ مُجيب.

عبادَ اللّه:

إِنَّ اللهَ أَمَركُم بِأمرٍ بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ، وَثَنَّى بِمَلائِكتِه المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِه، وَثَلَّثَ بِكُم أَيُّهَا المؤْمِنُون مِن جِنِّهِ وَإِنْسِه فقال عَزَّ مِن قَائِلٍ كريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

اللّهم فَصلِّ وسَلِّمْ وبَارِك وترَحَمَّ على عبدِك ونَبيِّكَ وخِيرتِك من خلقِك، وصفوتِك مِن بَرِّيَّتِك، أَبي الطِّيبِ والطَّاهرِ والقَاسِمِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ الله بنِ عبدِ المُطَّلِبِ بنِ هاشم، وَبَلِّغْ رُوحَهُ مِنَّا فِي هذه السَّاعةِ الْطَّيبةِ المُباركةِ أَبْلَغَ الصّلواتِ وَأَتَمَّ الْتَّسليم بِرحمتِك، يا كريمُ.

وصَلِّ اللّهُمَّ عَلى أخِيه وَوصِيِّه، وبَابِ مَدينَةِ عِلْمِهِ أَشْجَعِ طَاعِنٍ وضَارِب، مَولانا أَميرِ المُؤمنينَ عَليِّ بنِ أبي طالب.

وصَلِّ اللّهُمَّ على زَوجتِهِ الْحَورَاءِ، سَيّدةِ النِّساءِ، وخَامِسَةِ أَهلِ الْكساءِ، فاطمةَ البتولِ الزهراء.

وَعَلى وَلَدَيْهِما الْسَّيِّدَينِ الشَّهِيدَينِ، وَالْقَمَرَينِ النَّيِّرَيْنِ أبي مُحَمدٍ الحسنِ، وأبي عبدِ اللهِ الحسين.

وَعلى مَولانا الوَليِّ بنِ الوِليِّ ذِي المنهجِ الْجَلِيِّ الإِمامِ زيدِ بنِ علي. وعَلى إِمامِ

اليمنِ الميمونِ الهادِي إلىٰ الحقِّ القويمِ، يَحيى بنِ الحُسَيْنِ بنِ القَاسِمِ بنِ إبراهِيم.

وعَلَىٰ سَائِر أَهْلِ بَيتِ نَبيِّك الْمُطَهَّرِين دُعَاةً مِنْهُم وَمُقْتَصِدِين.

وَارْضَ اللّهُمَّ عَن صَحَابَةِ نَبِيْئِك الرّاشِدِين، مِن صَفْوَةِ المهاجرين والأنصارِ، وَالْتَّابِعين، وَتابعِ التابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدِّين، وارْضَ عَنَّا مَعَهُم بِفَضْلِك وَمَنِّكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اللَّهُمَّ إِنّا نَسْأَلُك مِنْ مُقَامِنَا هَذا وِفِي سَاعَتِنا هذِه، أنْ تَرْحَمَنَا رَحْمَةً تُغْنِيْنَا بِها عَنْ رَحْمَةِ مَن سِواكَ، وَتَفْتَحَ لنا بِها أبْوابَ رِضْوانِك، وَتَغْمُرَنا بِفيضِ إنْعَامِك، اللّهُمَّ لَا تَدَعْ لَنا فِي مَقامِنا هَذا ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَه، وَلا هَمّاً إِلَّا فَرَّجْتَه، وَلا دَيْناً إِلَّا قَضَيْتَه، وَلَا عُسْراً إِلَّا يَسَّرْتَه، وَلا ضَالًّا إِلَّا هَديتَهُ، وَلا مَظْلُوْماً إِلَّا أَعَنْتَه وَنَصَرْتَه، وَلَا ظَالِماً إِلَّا أَهْلَكْتَهُ وَقَصَمْتَه، وَلَا طِفْلاً صَغِيراً إِلَّا هَدَيْتَهُ وَرَبَّيْتَه، وَلَا مَرْيضاً مُؤْمِناً إِلَّا شَفَيْتَه وَعَافَيْتَه.

اللَّهُمَّ انْصُرِ الْإِسلامَ وَالمَسلِمِين، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلوبِهِمْ، وَاجْمَعْ شَمْلَهُمْ، ووَحِّدْ صَفَّهُمْ، وأَعْلِ رَايَتَهُمْ، وَأَيِّدْهُمْ بِنَصْرِكَ، وَأَنْزِلْ عَلِيْهِمُ السَّكِينَةَ، وَأَثِبْهُمْ فَتْحاً قَرِيباً يَا أَرْحَمَ الرَّاحمين.

اللَّهُمَّ وَأَهْلِكِ الْكَفَرَةَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَالْملَاحِدَةَ والْمُعَانِدينَ، والْمُخَرِّبِينَ لِدينِكَ، وَالْمُتَقَطِّعِينَ فِي سَبِيْلِك، والْمُحَارِبِينَ لِأهلِ بَيتِ نَبِيِّك، أَيْنَمَا كَانَ كَائِنُهُمْ، واكْفِنَا شَرَّهُمْ وَأَذِيَّتَهُم كَيفَ شِئْتَ وَأَنَّى شِئْتَ يَا ذَا الْقُوَّةِ الْمَتين، وَآخِرُ دَعْوَانا أَنِ الحمدُ لِلهِ رَبِّ العالمين.

عِبادَ اللّه:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النّحل٩٠].

أول جمعة في شهر رمضان

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لِلهِ الجوادِ الكريمِ، ذي الجُودِ والإحسانِ العظيمِ، نَحمدُه على نِعَمِه الظّاهِرةِ والْخَفِيَّة، وَنَشْكُرُه عَلى مَا أَسْبَغَ عَلَينا مِن آلَائِه، وَعَلَى نِعَمِة هذا الشهرِ الْمُبَارَكِ، ومَا خَصَّنَا بِه مِن الْفَضْلِ العظيمِ، والإِحْسَان الجسيمِ.

وَنَشْهَدُ أَلَّا إِلَه إِلَّا اللهُ المَلِكُ الحقُّ الْمُبِين، الّذِي لا يُحْصِيْ نَعْمَائَهُ الْعَادُّون، ولا يُؤَدِّيْ حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُون.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا وَرَسولَنا الْمُصْطَفى مُحَمَّدُ بنُ عبدِ الله صَلواتُ اللهِ عَليهِ وَعَلَى آلِه، ذَو القلبِ العطوفِ وصَاحِبُ القلبِ الرحيم، الباذِلُ نفسَه في مرضاتِ رَبِّ الْعَالَمين، والْمُؤْثِرُ مَصلَحَةَ الأَمةِ والدِّينِ عَلى مصلَحتِه الخَاصَّةِ، أفضلُ الأنبياءِ وخَاتَمُهُم، وأَشرفُ الرُّسلِ وقَائِدُهم، وهو الصادقُ الأَمينُ، مَا تَرك أَمْراً يُقَرِّبُنَا إِلى الْجَنَّةِ إِلَّا وَدَلَّنْا عَليه، وَلا أَمْراً فِيه هَلاكُنَا إِلَّا حَذَّرَنا مِنه، وَخَوَّفَنا الوقوعَ فيه، وَصَفَهُ اللهُ بِالْحريصِ عَلينا، الْمُشْفِقِ لِحالِنا بِقولِه عزَّ مِنْ قائِل: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ كَانَ جُلُّ هَمِّهِ صَلاحَ الأُمةِ وَهدايَتَها، وكان حَرْيصاً أَنْ تُصبِحَ أُمَّتَه مِنْ أَكْثرِ الْأُمَمِ أَعْمَالاً، وَأَعْلاها شَأناً، وأَوْفَرَها حَظّاً مِن الطّاعةِ والْعِبادةِ، وَلكِنَّ أَعْمَارَهم قصيرةٌ، وأجسادَهم هَزِيلةٌ، وقِواهُم ضَعيفَةٌ، بينَمَا الأممُ السابقةُ أَطولَ منهم أَعْماراً، وَأَكْبَرُ أَجْسَاداً، وأَقْوَى بُنْيَاناً، فَكيفَ لِأُمَّةِ مُحَمّدٍ ﷺ الضّعيفةِ الْأَبْدَانِ، الْقَصيرةِ الأعمارِ أَنْ تُنَافِسَ الأُمَمَ فِي مِضْمَارِ الْطَّاعَةِ، وَهي عَلى هَذِه الْصِّفَةِ مِنَ الْتَفَاوتِ الكبيرِ بَينها وبَينَ سَائِرِ الْأُممَ، فَكَانَ مِنْ هِبَةِ اللهِ أَنْ جَعَلَ لَها الحسنةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِها، والسَّيئةَ بِمثْلِها، وَزَادَنَا اللهُ بَرَكَةً

بِفَضْلِ نَبيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ بِأَنْ مَنَّ عَلَينا بِشهرِ رَمَضانَ، واخْتَصَّنَا بِه دُونَ سَائِرِ المللِ وَالْأَدْيَانِ، وَجَعَلَهُ سَيِّدَ الْشُّهُورِ، وضَاعَفَ فِيهِ الْأَجْرَ والْثَّوَابَ، وَأَجْزَلَ فِيهِ الْخَيرَ، وَزَادَنَا بَرَكَةً أَنْ سَهَّلَ لَنَا سَبِيْلَ الْطَّاعَةِ؛ إِذْ كَفَانَا فِيهِ غِوايةَ الْشَّيَاطِينِ، وَوَكَّلَ بِها مَلَائِكَةً تَحْبِسُها مِنْ أَوَّلِ الشَّهرِ إِلىٰ أَخِرِه، حَتَّى لَا تُلْهِيَ النّاسَ وَتَشْغَلَهم عَن الطّاعةِ، فَأَيُّ أُمَّةٍ من الأُمَمِ السَّابِقةِ قَدْ حَبَسَ اللهُ عَنْها الشَّيَاطِينَ غَيْرَ أُمّةِ مُحَمّدٍ ﷺ، إِنَّ هَذا لَهو الفضلُ الكبيرُ، ولَمْ يَرْضَ تَعَالَىٰ بِهَذِه المَكْرُماتِ حَتىٰ عَمَّ خَلْقَه بِواسِعِ رَحْمتِه فِي هذا الشهرِ، وَسَمَّاه شَهْرَ الرَّحْمَةِ والغفرانِ، فَفَتَحَ بابَ الْعَفْوِ والصّفْحِ وَالْقَبولِ، لِكلِّ مَن أَحَبَّ أَنْ يَرْجِعَ وَيَتُوبَ، فَأَرْسلَ مُنَادِياً يُنَادِي مِنْ أَوَّلِ لَيلَةٍ فِي هَذا الشَّهرِ مِن غُروبِ الشَّمْسِ إِلىٰ طلوعِ الْفَجْرِ: ((يا باغيَ الخيرِ هلمَّ، ويا باغيَ الشرِّ أقصر، هل مِنْ داعٍ فيجابَ دعاؤه، هل مِنْ مستغفرٍ فيغفرَ له، هل مِنْ تائبٍ فيتابَ عليه و هل مِنْ سائلٍ فيعطى سؤلَه))، فَهل بَعْدَ هذا مِنْ فَضْلٍ، وهَل مِن نِعْمَةٍ أَعظمُ مِن هذه النعمةِ؟!

عِبادَ اللّه:

إِنَّ مِن تَمامِ نِعمَةِ اللهِ عَلى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنْ ضَاعفَ فِي هَذا الشَّهْرِ الثَّوابَ، حَتىٰ جَعَلَ الْحَسَنةَ فِيه بِسَبْعِينَ حَسَنَةً، والصلاةَ بسبعين صلاةً، والتَّسْبيحةَ بِسَبْعِينَ تَسبيحةً، والصَدَقةَ بسبعين صدقةً، فَعلَىٰ هَذا تَكُونُ عِبادةُ الْيَومِ الواحدِ فِي هَذا الشَّهرِ تَعْدِلُ عِبَادَةَ سَبْعِيْنَ يَوْماً فِي غَيْرِه.

هَذا مَعَ مَا تَوَّجَ اللهُ بِه هَذَا الشَّهرَ مِن الْكَرَامةِ، وَأَكْمَلَ بِه النِّعْمَةَ، وَأَتَمَّ بِه الْفَضْلَ، بِما مَنَحَنَا بِه مِن فَضْلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ القدرِ ليلةُ القدر خيرٌ مِنْ أَلفِ شهر! مَا بَالُكَ يَا عَبْدَ اللهِ بِلَيْلَةٍ مِن غُروبِ الشَّمْسِ إِلَىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ، تَعْدِلُ وَحْدَهَا بِثَوابِ أَلْفِ شَهْرٍ، بَل وَأَفْضَلُ مِن ذلك؟ أَيْ مَا يُقَارِبُ عَمَلَ ثَلَاثَةٍ وَثَمَانينَ سَنَةٍ تَنَالُ ثَوابَهَا فِي ليلةٍ واحدةٍ، وَأَنتَ فِي مَسْجِدِك، وفِي أَتَمِّ

نِعمةٍ وَعَافِية، إِنَّ هَذا لَهو الْفَضْلُ الكبيرُ، الَّذِي سَوْفَ يُسأَلُ عَنْه كُلُّ مُقَصِّرٍ: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثُر].

عِبادَ اللّه:

لِمَاذَا التَّقْصيرُ والغَفْلَةُ؟ إِنَّ الْعُمْرَ يَمُرُّ، والأَيامَ تَنْقَضِي، وَهَا نَحْنُ نُودِّعُ أَيَّامَه يوْمَاً بَعْدَ يومٍ، والنَّاسُ أَشْتَاتَاً كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَلْهُو، هَذا مَشْغُولٌ بِالْحَلَقَاتِ، وهذَا مَشْغُولٌ بِالضَّحِكِ والْمُلْهِياتِ، وذَلِك فِي مَجَالِسِ الْقَاتِ، وهَذَا ضَائِعٌ فِي الْأَسْوَاقِ مَشْغُولٌ بِنَفَقَةِ الْعيدِ وَكِسْوَتِه، أَوْ عَلى اللَّهوِ والعصيانِ، وَالقَليلُ الْعَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ التالون لِلقرآنِ، فَاللهُ الْمُسْتَعَانُ، ونَعوذُ بِه مِن الخَيبةِ والخُذْلانِ.

عِبادَ اللّه:

شَهرُ رَمضانَ هُو شَهرُ القرآنِ ﴿الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة١٨٥]، فِي هذا الشهرِ نَزلَ القُرآنُ، وَيَحِقُّ لَنَا أَنْ نَحْتَفِلَ بِهذه الذِّكْرَى العظيمةِ والشعيرةِ الْمُبَارَكةِ، الّتي هِي نُزولُ القرآنِ، وَبِهذه الْمُنَاسَبَةِ يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نُحْيِيَ تِلكَ الْمُناسبةَ بِتلاوةِ الْقرآنِ، وأنْ نَسْتَنَّ بِسُنَّةِ رَسولِ الله ﷺ فِي الْمُدَارَسَةِ لَه، وَعَرْضِه وَتِلَاوَتِه عَلَى أَيْدِي الْقُرَّاءِ وَالْمَشَائِخِ والْحُفَّاظِ، اقتدَاءً بِالنَّبي الْهَادِي فَقَدْ كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وآله يُدَارِسُ جِبريلَ عليه السلام القرآنَ، ويَعْرِضُهُ عَلَيهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ كُلِّ عَامٍ.

وَهَذا الشَّهرُ هو مِن أَعظمِ شعائرِ اللهِ التي أَمَرَ بِتَعْظِيمِها، وَتَعْظِيمُه يَكونُ بِمُراعاةِ حُرْمَةِ هذا الشهرِ، وعِمارَتِه بِالطَّاعَةِ، أَمَّا الَّذِي يَعُدُّ نَفْسَهُ مِن الصّائِمين وهو يَقْطَعُ يَومَهُ بِسَماعِ الْغِنَاء، وبِكَلَامِ السُّوءِ. والسِّبابِ، والشَّتْم، والتَّعَدِّي عَلى أَعْرَاضِ الْمُسلِمين، والنّظَرِ إِلى الْمُحَرَّمَاتِ، والتَّمادِي فِي الْباطِلِ، ثُمَّ يَخْتِمُ يومَه بِالإِفْطَارِ قبل دُخُولِ وَقتِ الْمَغربِ بِدَقَائِقَ، وَيَتَعَجَّلُ الْأكلَ قَبلَ أَنْ يَتَحَقَّقَ مِن دُخولِ الّليل كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّلَيْلِ﴾، فَهَذَا مِمّن يَهدِمُ شَعائِرَ الله، وهَذا قِمَّةُ الْاستهزاءِ والاسْتِخْفَافِ بِحُرْمَةِ هَذا الشَّهْرِ، فَأَيُّ صَومٍ يَدْعِيهِ

هَؤلاءِ، وَأيُّ مَذْهَبٍ يَنْتَسِبُون إِليه، وَهَلْ هذه الأَعْمَالُ تَعَدُّ تَعْظِيْمَاً لِحُرْمَة هَذا الشَّهرِ أم هَدْماً لَه؟.

عِبادَ اللّه:

إَنَّ الصَّوْمَ لَيسَ مِن الأَكلِ والشُّربِ فَقَطْ، بَل إِنَّه صومٌ لِكُلِّ الْجَوارِحِ والأَعضاءِ، إِنَّه صومُ اللّسانِ، وصومُ الأُذنِ، وصومُ العينِ، إِن الصَّائِمَ هُو الّذِي لا يَرْفُثُ ولا يَفْسُقُ ولا يُخَالِطُ الْحَرامَ، أمَّا مَنْ يُسَلِّطُ لِسانَه وعينَه وأُذُنَه فِي الْحَرَامِ فَليس لِلّه في صومهِ مِن حاجةٍ كَمَا قال ﷺ فيما رُوِيَ عنهُ: ((مَنْ لم يَدَعْ قولَ الزورِ والعملَ بِهِ والجهلَ، فليسَ للهِ حاجةٌ في أنْ يَدَعَ طعامَهُ وشرابَهُ))، وكَمْ مِن صَائِمٍ لَيسَ لَهُ مِنْ صِيَامِه إِلَّا الجُوعُ والظَّمأ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلنَا مِمن يُعطُونَ هذا الشهرَ حَقَّه، وَيُعظِّمُونَه كَمَا أَرَادَ اللهُ فَيقُومونَ الليلَ بِالصَّلاةِ والتَّضَرُّعِ والتَّسْبيحِ وَيَصومُون النَّهارَ بِكفِّ الجوارحِ عن المَعَاصِيْ ونَسْأَلُه التوفيقَ، وأَنْ يَجْعَلنَا مِن الْمَقْبُولِينَ، إِنَّه وَليُّ ذَلِك، وهُو حَسْبُنا وَنِعْمَ الْوكيلُ.. أَقولُ مَا تَسْمَعونَ وَاسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظيمَ الجليلَ لِي وَلَكُمْ مِن كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغفِرُوه إِنَّه هو الغفوُر الرحيم.

أَعوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيطَانِ الَّرجِيم

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِىَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّه بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللَّه عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة١٨٥].

أول جمعة في شهر رمضان

الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لِلهِ الذي هَدَانا لِلإِسْلامِ، وَجَعَلَنَا مِن أُمَّةِ مُحَمَّدٍ خَيرِ الْأَنامِ، وَبَيَّنَ لَنَا الحلالَ والحرامَ.

ونَشْهدُ أَلَّا إِلهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، الكريمُ المنانُ، صَاحِبُ الفضلِ والإحسانِ.

وَنَشْهدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسولُه، الأَمينُ المبعوثُ رحمةً لِلعالَمين، وَحُجَّةً عَلى الظَّالِمينَ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَا مَن حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ، لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَدُنه وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمنين الذين يَعْمَلُونَ الصالحاتِ أَنَّ لَهُم أَجْراً حَسَناً مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً.

فَصَلواتُ اللَهِ عليه وَعَلَى آلِه الطَّاهِرينَ دائماً أَبَداً مِن يَومِنا هَذا إِلى يوم الدين وَسَلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

يَقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر٢٩-٣٠].

عبادَ الله:

أينَ المُرابِحُونَ مع الله؟ أَينَ الْمُشْتَاقُون لِلنَّعيمِ والجَنَّةِ؟ أينَ المُسارِعُون في الخيراتِ وهم لها سَابقون؟، هَذه أسواقُ الجنةِ قد فَتَحتْ أَبوابَها تُنادي عُشَّاقَها مِن الْمُؤمِنين، هذا سوقُ الربحِ والتجارةِ التي لا تَبور، اليومُ يومُ الحصادِ لِمَن أَرَادَ إِعدادَ الزادِ لِيومِ المعادِ، هَذا هُو شهرُ رَمضانَ الَّذي وَهَبَه اللهُ لِهَذه الأُمةِ رَحمةً بِنَبِيّهَا، هَذه مِنَّةُ اللهِ

وَهَدِيَّتُه التي اخْتَصَّ بِها هَذِه الأمةَ دونَ سائرِ الأممِ، هذا موسمُ تُجَّارِ الآخرةِ، والمُرابِحين مَع اللهِ، هذه فرصةُ المُفْلِسِينَ المُقَصِّرِينَ الذين أَثْقَلَتْ ظهورَهم الخَطايا والذنوبُ، وَفَنِيتْ أَعمارُهم فِي اللَّهوِ وَاللّعِبِ، هَذا وَقْتُهم لِيُعَوِّضُوا مَا فَاتَ مِن أَعْمَارِهم، هذا موسمُ الحَصادِ لِمنْ أَرَادَ تَحْصِيلَ الزَّادِ لِيوم المعاد.

عِبادَ اللّه:

اللهَ.. اللهَ فِي عَطِيّةِ اللهِ، اللهَ .. اللهَ فِي شهرِ رمضانَ.

إِيّاكُم والتَّكاسُل، إِيّاكُم والتَّقْصِير، فَواللهِ لَو يعلمُ الناسُ ما في هذا الشهرِ من الفضلِ لَتَمَنَّوا أَنْ تَكونَ السَّنةُ كُلُّها رمضانَ، روى الإمامُ زيدٌ عن آبائه عليهم السلام أن عليًّا عليه السلام قال: (لما كان أول ليلةٍ من شهر رمضان قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ((أيها الناس، إن الله قد كفاكم عدوكم من الجن، ووعدكم الإجابة، وقال:﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر٦٠]، ألا وقد وكلَ اللهُ بكلِّ شيطانٍ مريدٍ سبعةَ أملاك، فليس بمحلولٍ حتى ينقضي شهرُ رمضانَ، ألا وأبوابُ السماءِ مفتحةٌ مِن أولِ ليلةٍ منه إلى آخرِ ليلةٍ، ألا وإن الدعاءَ فيه متقبلٌ)).

عِبادَ اللّه:

أينَ نحنُ مِمّن عَرفَ فَضْلَ هذا الشهرِ، وقَدَّرَهُ حَقَّ قَدْرِه، أين الذين كَانُوا يَفْرَحُون بِمَقْدِمِه، وَيَعُدُّونَ لَه العُدَّةَ قَبْلَ مَجِيْئِهِ بِستِّةِ أشهرٍ ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس٥٨]، فَإِذَا أَتَاهُم أَحْسَنُوا اسْتِقْبَالَهُ وَأَعْطَوه مِن التَّعظِيم مَا يَسْتَحِقُّه، وَقَطَعُوا لَيْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالدُّعَاءِ وَتِلاوةِ القرآنِ، وَقَطَعُوا نَهَارَهُ بِالصّومِ والتّسْبيحِ والاستغفارِ، وَزِيَارةِ الْأَقاربِ والأرحامِ، وَلَمْ يُفَرِّطُوا في ساعةٍ مِن سَاعاتِه، مِن ابْتِدائِه إِلى وقتِ فَنائِه.

فَإِذا فَارَقَهُم وَانْصَرَمَتْ أَيَّامُه، وَوَلَّى زَمَانُه، بَكَوهُ بُكَاءَ مَنْ عَزَّ فِرَاقُه، وَأَوْحَشَ انْصِرافُه، يَتَحسَّرونَ عَلى ذَهابِه، وَفَواتِ خَيرِهِ وَثَوابِه، مُدَّةَ سِتةِ أشهرٍ، وَهُم عَلَيهِ يَنْدُبُونَ وَيَأْسَفُونَ.

عِبادَ اللّه:

يَحِقُّ لِمَنَ عَرفَ فَضْلَ هَذا الشَّهرِ وَذَاقَ حَلاوَتَهُ، أَنْ يَبْكِيَ عَلَى فِرَاقِه دَماً، وَحُقَّ لِمَن كَانَ هَمُّه الآخرةَ وَكَسْبَ الثوابِ، أَنْ لا يُفَرِّطَ فِي لَحْظَةٍ مِن لَحَظَاتِه بِغَيرِ عَمَلٍ وَعِبَادَةٍ، فَإِنَّ أَمْرَ هذا الشَّهرِ عَظيمٌ، وَخَيرَه كَثيرٌ، فَهو وَإِنْ كَانَ شَهْراً كَسَائِرِ الشُّهورِ، إِلَّا أَنَّهُ فِي الْوَاقعِ دَهرٌ فِي شَهْر، إنه عِبارةٌ عَنْ أَكثرَ مِن ثمانين عَامَاً مِن الزَّمانِ، مَطْوِيَّةٍ فِي ثَلاثينَ يَوْماً، إنه وَمَع قِصَرِ أَيَّامِه يُعَدُّ بِعِبَادَةِ عَشَراتِ السِّنِين، يَهبُها اللهُ لِمَنْ صَامَ نَهارَه، وقَامَ لَيلَه، فَضْلٌ مِنَ اللهِ وَنَعْمَةٌ، وَخَيْرٌ مِن اللهِ وَرَحْمَة، ذَلك فَضْلُ الله ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝٧٣ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [آل عِمران٧٣-٧٤].

إِنَّه هِبَةُ اللهِ وَهَدِيَّتُه الْغَالِيَةُ، فَالْوَيْلُ لِمَنْ اسْتَخَفَّ بِهَا وَلَمْ يَقْبَلْها، الويلُ لِمنْ رَدَّها، الوَيلُ لِمَنْ أَعْرَضَ عَنْها اسْتِخْفَافَاً.

وَكَيفَ يَلِيقُ بِمُؤمنٍ أَنْ يُفَرِّطَ فِي هِبَةِ اللهِ، وَهَدِيّتِهِ الّتي يُعَدُّ اليومُ الواحدُ فيها خَيْراً مِن سبعينَ يَوماً في غيرِه، هَذا فِي سَائِرِ أَيَّامِه، فَمَا بَالُكَ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ التي تُسَاوِي وَحْدَهَا ثلاثة وثمانين سَنَةً، ومَا بَالُك بِآخِرِ ليلةٍ مِنه الَّتِي هِيَ لَيْلَةُ الْجَائِزَةِ، والتي يَسْتَلِمُ فِيها الصَّائِمُونَ القَائِمون أُجَرَةَ صَوْمِهم وَعِبَادَتِهم، حَقًّا لِمَنْ يَعيشُ لِرِضَاء اللهِ وَمَن عَرَفَ فَضْلَ هذَا الشَّهرِ، وفَضْلَ لَيلَةِ الْقدرِ، أنْ يَقْطَعَ الَّليَالِيَ وَلَوْ وَاقِفاً عَلَى قَدَمَيْه، أَوْ جَاثِياً عَلى رُكْبَتَيهِ رَغْبَةً فِي نَيلِ الثّوابِ مِن اللهِ، وَنيلِ الجَائِزَةِ والعِتْقِ مِن النَّار.. لا يُمْكِنُ لِأيِّ امْرِيءٍ كَائِناً مَنْ كَانَ أَنْ يُفَرِّطَ فِي هَذِه اللَّيالِي المُبَاركةِ، إِلَّا إِذَا كَان -والعياذُ بِاللهِ- قَدْ حُرِمَ فَضْلَ اللهِ، وَسُلِبَ تَوفيقَه، واسْتَوجَبَ الطَّرْدَ والحِرْمَان.

مَعْشَرَ الصائمين:

إِذا كَان اللهُ قَدْ سَهَّلَ لَنَا سُبُلَ الطّاعةِ، وسَهَّلَ لَنَا طريقَ التَّوبَةِ والإِنَابةِ، وفَتَحَ

أَبوابَ السَّماءِ لإِجَابةِ الدُّعاءِ، وَأَغْلَقَ أَبوابَ النَّارِ، وَقَيَّدَ فِي هذَا الشَّهرِ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ، فَكَيفَ نَرضَى أَنْ يَخْرُجَ عَنّا هذا الشهرُ ولم نَتُبْ فيه؟!! ولَمْ نَخْشَعْ قُلُوبُنا، وتُكَفَّرْ سَيِّئاتُنا؟! فَهلْ بَعدَ هَذَا إلَّا الْخسرانُ والبوارُ؟ إذا لَمْ يَتوفَّقِ العَاصِي فِي هذهِ الأَيامِ، ويَرْجِعْ إِلىٰ رَبِّهِ مَعَ تَيْسِيرِ أَسْبَابِ التَّوبَةِ، فَمَتَىٰ سَيَتُوبُ ومَتَىٰ سَيَرجِع؟! مَنْ لَمْ يُقبَلْ في هذا الشَّهرِ فَمَتَىٰ يَطْمَعُ في القَبولِ؟

هَل سَيتُوبُ بَعْدَ أَنْ تَتَفَلَّتِ الشَّيَاطِينُ مِن قُيُودِها؟ أَمْ بَعدَ أَنْ تُفَتَّحَ أَبوابُ النِّيرانِ بِالْغَضَبِ؟ أَمْ بَعدَ أَنْ تُغْلَقَ أَبوابُ السَّماءِ وَيُحْجَبَ الدعاءِ؟

أَبْعَدَ اللهُ مَنْ أَبْعَد، أَبْعَدَ اللهُ مَنْ أَبْعَدَ.

رُوي من طريق الهادي عن عليٍّ عليه السلام أنه قال: صَعَدَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم ذَاتَ يَومٍ المنبَرَ فَقَال: ((يا أيُّها النَّاسُ، إِنَّ جبريلَ أَتَانِي فَاسْتَقْبَلَنِي وقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْ: آمِين، فَقُلْتُ: آمِينْ)) فَأَيُّ فَضْلٍ يَرْتَجِيهِ الْعَاصِي بَعدَ دَعْوَةِ أَفْضَلِ الملائِكةِ، وَتَأْمِينِ أَفْضَلِ البَشَرِيَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم.

عباد الله:

لقد مضتْ أيامٌ مِنْ هذا الشهرِ، فما الذي عملناه؟ وما الذي كسبناه؟.

مَنِ الذي يدعو اللهَ ما دامتْ أبوابُ السماءِ مُفتحةً والدعاءُ مقبولًا؟ من الذي يَعدُّ مع كلِّ إفطارٍ دعوةً تنفعُهُ في يومٍ تَزِلُّ فيه الأقدامُ؟ تصديقاً لما أخبرَ وبشَّرَ بِهِ الصادقُ الأمينُ القائلُ صلى الله عليه وآله وسلم: ((إِنَّ لِكُلِّ صَائِمٍ دَعوةً، فَإِذَا هُو أَرَادَ أَنْ يُفطِرَ فَلْيَقُلْ عِندَ أَوَّلِ لُقْمَةٍ: يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ اغْفِرْ لي))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لِلصَّائِمِ عِندَ فِطْرِهِ دَعْوةٌ لا تُرَدُّ))، ولا ينسى الدعاء الذي كان يقوله النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه الإمام الهادي عليه السلام عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((اللهمَّ لكَ صُمْنا، وعلىٰ رزقِكَ أفطرْنا فتَقَبَّلَهُ مِنَّا)).

عِبادَ اللهِ:

إِلَىٰ مَتىٰ الغفلةُ والإعراضُ، وَعَلَىٰ مَن نَضْحَكُ، إِلىٰ متىٰ التسويفُ والتَّهاونُ،

لِمَاذَا نُمَاطِلُ فِي التَّوبة؟ لِمَاذَا نُرَاوِغُ وَنُمَاكِرُ، ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آلِ عِمران٥٤].

تُرَىٰ مَتَى سَنَفِيقُ، وَمَتَى سَنَسْتَيْقِظُ؟ وَفِينَا مَنْ وَلَّى عُمُرُه، وَاحْدَوْدَبَ ظَهْرُه، وهُو لَا يَحفظُ صَلَاتَهُ وَمَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْه، وَلَا يُحْسِنُ مِن كِتَابِ اللهِ وَلا سُورَةً، تُرَىٰ مَتى سَيَتَعَلَّمُ الذينَ يُكَسِّرُونَ القُرْآنَ، وَيُحَرِّفُونَ الآياتِ؟ هَل بَعدَ انْقِضَاءِ أَعْمَارِهم، وَقَبْضِ أَرْوَاحِهِم؟ حِيْنَ يَرْونَ الْعَذَابَ، وَيَوَدُّون أنْ يَعودُوا إِلىٰ الدُّنيا لِيَتَعَلَّمُوا وَيُحْسِنُوا ويُصْلِحُوا؟ يومَ يَقُولُون رَبَّنا أَرْجِعْنَا نَعْمَلَ صَالِحَاً إِنَّا مُوقِنُون، أمْ بَينَ ضِيقِ القبورِ وَغُمَّةِ التُّرَابِ.

عِبادَ اللّه:

نَحمدُ اللهَ الْعَظِيمَ عَلَىٰ حُسْنِ التَّوفِيقِ فَمَا هُنَاكَ مِن بَلَدٍ إِلَّا وَفِيهِ مَنْ يُعَلِّمُ أَهلَها وَيُرْشِدُهُم، وقَدْ بَذَلُوا أَنْفُسَهُم لِخِدْمَةِ النَّاسِ، وَتَعْلِيمِهم أُمورَ دينِهم، فَلَا حُجَّةَ وَلَا عُذْرَ لِمَنْ أَعْرَضَ، فَقَدْ بَلَغَتِ الحجةُ، واللهُ عَلَىٰ كَلِّ شَيْءٍ شَهِيد.

فَاللهَ اللهَ فِي الْمُعَاوَنَةِ والتَّنَاصُحِ عَلَىٰ مَا فِيهِ الْخَيْرُ والصَّلاحُ، وَالْغَايةُ الجنّةُ لَنَا وَلَكُم -إنْ شاء اللهُ- نَسْأَلُ اللهَ أنْ يَجْمَعَ شَمْلَنَا، وَيَلُمَّ شَعْثَنا وأنْ يُصْلِحَ الضَّالَّ فِينا، وَأَنْ يَهْدِيَ الْعَاصين لِمَا فيه صَلاحُهم وَرُشْدُهم، إِنَّه قَرِيبٌ مُجيب.

وَأَكْثِرُوا فِي هَذا اليوم وَأَمْثَالِهِ مِن الصَّلاةِ وَالسَّلام عَلَىٰ نَبينا الكريم امْتِثَالَاً لِأَمْرِ اللهِ القَائِلِ:﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب٥٦].

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَىٰ عَبْدِك وَنَبِيِّكَ وَخِيرَتِك مِن خَلْقِكَ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ الله بنِ عبد المطلبِ بنِ هاشم، وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّم عَلَىٰ أَخِيهِ وابنِ عَمِّهِ وَوَصِيه مِن بعدِه علي بن أبي طالب.

وَعَلَىٰ زَوَجتِهِ الحوراءِ سَيِّدةِ النِّساءِ، وَخَامِسةِ أَهْلِ الكساءِ فَاطمةَ البتولِ الزَّهراء، وَعلىٰ وَلَدَيهما الإِمَامَينِ الأَعْظَمَينِ أبي مُحَمَّدٍ الحسنِ، وَأبي عبدِ الله

الحسين.

وصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى إِمَامِنا الْولي بنِ الولي الإِمامِ زَيدِ بنِ عَلِي، وعلى إِمامِ اليمن الْمُحْيِي لِما ماتَ مِن الْفَرائضِ والسُّننِ، الهادِي إِلى الحقِّ القويمِ يَحْيَى بنِ الحُسَينِ بنِ الْقَاسمِ بنِ إِبراهيم، وعلى سائرِ أَهلِ بَيْتِ نَبِيّك الْمُطَهّرين، دُعَاةً منهم ومقتصدين.

وارْضَ اللَّهُمَّ عن صحابةِ نبيِّكِ الراشدين من المهاجرين والأنصارِ والتابعين لهم بإحسانٍ من يومِنا هذا إلى يومِ الدين، وارْضَ عَنَّا مَعهم بِفضلِك وجَودِك يا كَريم.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ التَّوفِيْقَ وَالسَّدَادَ وَالْعَونَ عَلَى حُسْنِ صُحْبَةِ شَهْرِنا هذا.

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى قِيَامِ لَيلِهِ وصيامِ نهارِه، وَحُسنِ الطَّاعةِ لَك فيه أَبداً مَا أَبْقَيْتَنا.

وَاخْتِمْ لَنَا فِيهِ بِالْحَسَنَاتِ، وَبِجَائِزَةِ الْعِتْقِ مِن النَّارِ، بِرحمتِك يَا عزيزُ يا غَفَّار، وَآخِرُ دَعْوَانا أَنِ الْحمدُ لِله رَبِّ العالمين.

عِبادَ الله:

﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النّحل٩٠]، فَاذْكُروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يَذْكُرْكُم، واشْكُرُوه عَلَى نِعَمِه يَزِدْكُم، وَلَذِكْرُ اللهِ أكبرُ، واللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُون.

في الذكر

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذَّاكِرِ لِمَنْ ذَكَرَه، والشَّاكِرِ لِمَنْ شَكَرَه، المعروفِ بِالإِحْسانِ، والْمَحْمُودِ بِكُلِّ لِسانٍ، الَّذِي كَرَّمَ الْإِنْسَانَ وَفَضَّله عَلَىٰ كَثِيرٍ مِن خَلْقِه، وَأَمْهَلَ مَن جَحَدَه وَكَفَره ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۝١٧ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۝١٩ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ [سورة عَبَسَ].

وَأَشْهَدُ أَلّا إِلَه إِلَّا اللهُ وحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه القائلُ ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة١٥٢].

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه وَرَسُولُه، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَه عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلوْ كَرِه المشركون، فَقامَ بِأَمْرِه، وَبَلَّغَ مَا أُنْزِلَ إِليه مِن رَبِّهِ حَتىٰ أَتَاهُ اليقينُ، فَصَلواتُ اللهِ وسَلامُه عليه، وعَلىٰ آلِه الْهُداةِ الْمَيَامِين، مِن يَومِنا هذا إِلىٰ يومِ الدين.

أَمَّا بَعْدُ

عِبادَ اللّه:

اتَّقُوا اللهَ رَبَّكم، وَتَقَرَّبُوا إليهِ بِصَالِحِ الْأَعمالِ، وَاسْتَكْثِرُوا مِن الخيرِ في كُلِّ وَقْتٍ وَحينٍ، واعْلَمُوا رَحِمَكُم اللهُ بِأَنَّ المؤمنَ الحقَّ هُو مَنْ تَرْبِطُه بِاللهِ رَوابِطُ قَوِيَّةٌ مَتينةٌ رَاسِخةٌ قَوْلاً وَعَمَلاً.

فَهُو فِي كُلِّ سَاعةٍ مِن سَاعَاتِه مَع اللهِ، وَفِي طَاعتهِ ذَاكِراً لَه فِي كُلِّ حَالٍ، لا يَغْفُلُ عَنْهُ وَلَا يَنْسَاه.

فَلا تَرىٰ لِسَانَه إِلَّا ذَاكِراً، وَلا قَلْبَهُ إِلَّا شَاكِراً، وَهذِه هِي سِمَةُ المؤمنين، ومَطلَبُ الْمُحبِّينَ لِلهِ ورَسُولِهِ ﷺ، أَلْسَنَتُهُم بِذكرِ اللهِ لَهِجةٌ، وَقلوبُهم بِحبِّهِ

مُتيمةٌ، يَسْعونَ دَائِماً لِلاسْتِكْثَارِ مِن الخيرِ، وَالتَّزَوُّدِ مِن الْأَجْرِ وَالثَّوابِ اسْتِعْدَاداً لِلسَّفَرِ البَعِيدِ، وَالرِّحْلَةِ الطَّوِيْلَةِ، وَانْطِلَاقاً مِن قَولِه تَعالىٰ فِي الحديثِ القدسي: ((عَبْدِي اذْكُرْنِي فِي الرَّخَاءِ أَذْكُرْكَ فِي الشِّدَّةِ))، فَذِكرُ اللهِ عِبادَةٌ، بَل إِنَّه مِنْ أَعْظَمِ العِبَادَاتِ الْمُقَرِّبَةِ إِلىٰ اللهِ، وَمَع أنّها مِن أَفْضَلِ الطاعاتِ وَأَجَلِّها قَدْراً؛ فَإِنها مِن أَسْهَلِ العبَادَاتِ وَأَيْسَرِها فَلا تُكَلِّفُ المؤْمِنَ جُهْداً عِند القيامِ بِها، ولَا تَأْخُذُ مِنه وَقْتاً، وَلا تُكَلِّفُه مَالاً، وَلَا تُنَقِّصُ عَلَىٰ الْعَامِلِ عَمَلَه، إِنّها عَبادَةٌ سَهلةٌ وَأَجْرُها عَظِيْمٌ، بِإِمْكانِ كُلِّ مُؤْمِنٍ أَن يُمارِسَها فِي عَمَلِه، وَمَزْرَعَتِه وَفي سَفَرِه، وَعَلَىٰ فِراشِه، وَقَبْلَ نَومِه، وَفِي أَيِّ زَمانٍ وَمَكانٍ، بِلا جُهْدٍ وَلا مَشَقَّةٍ، فَهي عِبادةٌ مَخصُوصَةٌ بِالقلْبِ والِّلسَانِ، ولا دَخْلَ لِبَقِيَّةِ الْجَوَارِحِ فيها.

عِبادَ اللّه:

إِنَّ اللهَ بِفَضْلِه وَكَرَمِه قَدْ يَسَّرَ هَذِه العبادَةَ، وَتَفَضَّلَ بِهذِه الطّاعَةِ عَلَىٰ عِبادِه، عَلَىٰ حَدٍّ سَواء، الكبيرِ والصَّغيرِ والأُمّيِّ وَالْمُتَعَلمِ والرّجلِ والمرأةِ.

حَتىٰ المرِيضُ والعَاجِزُ بِاسْتِطَاعَتِه ذكرُ اللهِ بِقلبِه وَلِسانِه، كُلٌّ إِنْسَانٍ مَهْمَا بَلَغَ عَجْزُه، ومَهْمَا بَلَغَ جَهْلُهُ قَادِرٌ عَلىٰ أَنْ يُسبِّحَ اللهَ وَيَحْمَدَهُ وَبِإِمْكانِهِ أَنْ يُكَبِّرَ وَيُهَلِّلَ وَيَسْتَغْفِرَ اللهَ.

عِبادَ اللّه:

لَا أحدَ يُعجِزُه أَنْ يُرَدّدَ عَشراتِ المراتِ سُبحان اللهِ، أَوْ أَسْتَغفِرُ اللهَ، أولا إِلَه إلا اللهُ التي تَعْدِلُ الدّنْيَا وَمَا فِيها.

بَل إِنّه لَا مَانِعَ فِي الشَّرِيعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، مِن الدُّعَاءِ وَالتَّسْبِيْحِ وَالاسْتغفارِ، وَغَيرِ ذلِك مِن الأذكارِ، في حَقِّ الْحَائِضِ والنُّفَسَاءِ وَالْجُنُبِ، بَل لَقَدْ نَدَبَ الشَّرْعُ الحائضَ وَنحوَهَا، أَنْ تَتَعَاهَدَ نَفْسَها بِالنَّظَافَةِ، وَتُواظِبَ علىٰ الذّكرِ، وَخَاصَةً فِي أَوقاتِ صَلَواتِها، إِلَّا القرآنْ، فَإنه يَحْرُمُ عليها وَعَلَىٰ الْجُنُبِ قِراءتُه وَلَمْسُه، وَلو بَعضَ آية إِجلالاً لِحُرْمتِه، وَامْتِثَالاً لِقوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة٧٩].

عِبادَ اللّه:

إِنَّ الذِّكرَ لِلهِ عِبَادَةٌ يُحِبُّها اللهُ، وَيُحبُّ الذَّاكِرِينَ لَه، وَيُثِيبُهُم عَلَيْها أَجْراً عظيماً، وَيَجْزِي الذَّاكِرِينَ أَفْضَلَ الثّوَابِ وَالْعَطَاء. وذِكْرُ اللهِ عَزّ وَجَلّ عِبَادَةٌ فِي كُلِّ زَمانٍ وَمَكان وَعَلى كُلِّ حَالٍ، سَواءٌ أَكَانَ الذَّاكِرُ طَاهِراً أَوْ غَيرَ طَاهِرٍ، مُتَوَضِّيَاً أَوْلاً، كَبِيراً أَوْ صَغِيراً، فِي المسْجِدِ، أَوْ فِي السُّوقِ، فِي الْعَمَلِ أَوْ فِي البَيْتِ.

وَلَكِنْ وَمَعَ يُسْرِ وَسُهُولَةِ الذِّكرِ، فَإِنَّ هُناكَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَا يُقَدِّرونَ قِيْمَةَ الذِّكْرِ الذي هُو عِنْدَ اللهِ أَفْضَلُ مِن إِنفَاقِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَكُلِّ مَا فِي الأرضِ، ولِعَظَمَةِ الذكرِ وَفَضْلِهِ؛ فَإِنّ اللهَ تعالى يَنْدُبُنَا إِليه، وَيَحُثُّنَا عَلَيه، وَمَع ذَلِك فَإِنَّه تعالى لا يَرضَى مِنَّا بِالذكرِ القليلِ، بلْ إِنه عَزَّ وجل لَم يُثْنِ إِلَّا على الْمُكثِرين مِن الذكرِ، وَعَلَى الْمُدَاوِمينَ عَليه والْمُلازِمينَ له، وَلِذا نَرى بِأَنَّ الله تَعَالَى لَمْ يَذْكُرْه في القرآنِ إِلّا وَقَرَنَه بِالْكَثْرةِ كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب٣٥] ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [آلِ عمران٤١] وغيرَها من الآيات.

عِبادَ اللّه:

لا يَكفِي أَنْ تَقولَ مَرةً: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَوْ الْحَمْدُ لِلهِ، أَوْ سُبْحَانَ اللهِ، ثُمّ تَزْعمُ بِأَنك قَدْ ذَكرتَ اللهَ كَثِيراً لِأَنَّ المرَّةَ وَالْخَمْسَ وَالْعَشْرَ لَيْسَتْ بِالكثيرِ؛ فَالذِّكْرُ عِبادَةٌ لَيسَ لها حَدٌّ مُعينٌ ولا مُنْتَهى، والمطلوبُ هو الإكثارُ منها.

عِبادَ اللّه:

أَتَعلمونَ لِماذا أَشترطَ اللهُ الإكثارَ مِن ذكرِه، وَلَمْ يَرْضَ مِنَّا بِالقليل؟ الجوابُ: لِأَنَّ الذكرَ ضِدُّ النسيانِ، والذي لا يَذكرُ اللهَ في أَكثرِ أحوالِه يُعَدُّ نَاسياً لِله، وَغَافِلاً عَن مولاهُ، وَلا يَلِيقُ بِمؤمنٍ يَدينُ للهِ بِالْعبودِيّةِ، أن يَغْفَلَ عَنه أوْ يَتَنَاسَاهُ، بَلْ إِنَّ حَقيقةَ التَّقوى أَنْ يُشْكَرَ اللهُ فَلا يُكْفَر، وَأَنْ يُذْكَرَ فَلا يُنْسَى، وأَنْ يُطَاعَ فَلا يُعْصَى.

عِبادَ اللّه:

لقدْ كانَ أنبياءُ اللهِ من أشدِّ النّاسِ مُلازَمةً للذِّكرِ، ومُدَاوَمةً عليه؛ فَهَذا رسولُ اللهِ ﷺ يَسْتَغفر اللهَ فِي اليومِ والليلةِ أكثرَ مِن سَبعينَ مرةً، وَأيضاً كَانَ نَبِيُّ اللهِ موسى عليه السلام يَسْأَلُ مِن اللهِ أنْ يهبَ لَه أَخاً يُعِينُه عَلَى ذِكرِ اللهِ وتَسْبيحِه، وعلى الإكثارِ من ذلك، كَما قال الله تعالى حاكياً عنه: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي ۝٢٩ هَارُونَ أَخِي ۝٣٠ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ۝٣٢ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً ۝٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً﴾ وَكذا رُوي عَن بعضِ الصَّالِحِين أنَّه كانَ يُسَبِّحُ اللهَ في اليومِ مئةَ ألفِ مرةٍ، بَلْ لَقدْ كَانُوا يَعُدُّونَ نِسيانَ اللهِ - ولو ساعةً واحدةً - جريمةً وَذنْباً يَسْتَوجِبُ التوبةَ والاستغفارَ.

فَعنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه كانَ إذا خرجَ من الحمَّامِ قال: ((غفرانك)) فَهُو يَستَغْفِرُ اللهَ تعالى على دقائقَ مَضَتْ عَلَيه دُون ذِكْرِ اللهِ، وفِي قِصَّةِ يوُسُفَ عليه السلام وَمُدَّةِ بَقَائِهِ فِي السِّجْنِ لِعدّةِ سَنواتٍ مَا رُوِي أَنَّه كَانَ بِسَبَبِ نِسْيَانِه لِذِكرِ الله كَما قِيل، قال تعالى: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ فهذا هُو حَالُ الأنبياءِ والصَّالِحِينَ فِي عَدِم رِضَاهُم بِالذِّكرِ القليلِ، تَرَاهُم لا يَغْتَفِرُونَ لِأنْفُسِهم النِّسيانَ والانْشغالَ عنه، مهما كانتِ الظروفُ، وَإليك مَوقِفُ نَبِيِّ اللهِ أيوبَ عليه السلام الَّذي صَبَرَ على أَلَمِ المرضِ وَالبلاءِ حَتَّى بَلَغَ به المرضُ طَرَفَ لِسَانِه، فَلَمَّا عَلِمَ بِأنه سَيُصْبِحُ عَاجِزاً عَن ذِكرِ اللهِ ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فقال الله: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ وهذا نَبيُّ اللهِ إدريسُ عليه السلام كَانَ يَخْصِفُ بِيَدِه، وَيَعْمَلُ طُوْلَ نَهَارِه، وَمَا أَدْخَلَ الإِبْرَةَ وَلَا أَخْرَجَهَا إِلّا عَلَى ذِكرِ اللهِ، فَإِذا نَسِيَ، نَقَصَ ما خَصَفَه، وعَادَ مِن حَيْثُ بَدَأَ، لِيذكُرَ اللهَ وَيَغِيظَ الشَّيطَان.

وَكَانَ يَصْعَدُ له مِن العملِ والثَّوابِ مَا لا يُحْصِيهِ إِلَّا اللهُ، وَذَلِك بِسَببِ الذّكرِ وَمُدَاوَمَتُه عَلَيهِ. وكذلك يروى في الاعتبارِ أن الإمامَ زينَ العابدين كان إذا خطى

خطوةً لم يذكرِ اللهَ فيها عادَ إليها.

عِبادَ اللّه:

إِنَّ الإِقْلَالَ مِن الذِّكرِ صِفَةٌ مِن صِفَاتِ النِّفَاقِ، وَخَصْلَةٌ مِن خِصَالِ الْمُنَافِقِين، الَّذين إِذَا قَامُوا إِلىٰ الصَّلاةِ فَعَلَىٰ كَسَلٍ، وَإِنْ أَنْفَقوا فَعَلَىٰ كَرْهٍ، وإِذَا ذَكَرُوا اللهَ ذَكرُوه قَلِيلاً، كَما أَخْبَرَ اللهُ عن حالِهم ذَلك بِقوله: ﴿وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلَاةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّه إِلَّا قَلِيلاً﴾ فالْمُنَافِقونَ كَانوا يَذكُرون اللهَ، ولَكِنْ قَلِيلاً، وفِي أَوْقَاتٍ مَحْدُودَةٍ.

عِبادَ اللّه:

إِذا كَان الإِقْلَالُ مِن الذِّكرِ صِفَةً مِن صِفَاتِ النِّفَاقِ -وَالْعياذُ بِالله- فَما حَالُ الذِين لا يَذكرونَ اللهَ عَلَىٰ الإِطلاقِ، وَلا يَعرِفُونَ فِي أَعْمَارِهم سَاعةً قَضَوهَا فِي ذِكرِ اللهِ، وَلَمْ يَقوُمُوا لَيلَةً يُنَاجُونَ فِيها مَوْلَاهم، إِنَّ هَذا لَهُو الخسرانُ الْمُبين، وَمُنْتَهى التَّقْصِيْرِ والتّفريطِ فِي طاعةِ الله- والْعياذُ بالله.

مَعَاشِرَ المؤْمِنينَ:

اعْلَمُوا أَنَّهُ لا فَلَاحَ وَلَا فَوزَ ولا نَجاحَ إِلَّا بِذكرِ اللهِ، ولَن يَسْتَقيمَ عَبدٌ عَلَىٰ طَاعةِ اللهِ وَيَنْتهيَ عنِ الْمُحرماتِ إِلَّا بِذكرِ الله. كَما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي إِنَّ لِلصَّلاةِ دَوراً كَبيراً فِي النَّهيِ عن الْفَحشَاءِ والمنكرِ، وَلَكِنَّ ذكرَ الله أكبرُ، وَأَقْوَىٰ تَأثيراً فِي النَّهي عن الْمُنكراتِ والفواحشِ.

وَيَقولُ عَزَّ مِنْ قَائلٍ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾.

فَالتَّأَسِّي بِرسولِ الله ﷺ هُو مِن نَصِيبِ من استوفىٰ خصلتين مِن الْمُؤمنين، هُما الرَّجاء لِلهِ واليوم الآخر، والذكر للهِ كَثِيراً، أَعُوذُ بِاللهِ مِن الشَّيطانِ

الرَّجيم ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ * إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَاكُمْ بِما فيه من الآياتِ والذِّكرِ الْحكيمِ، أَنه تعالىٰ جوادٌ مَلِكٌ بَرٌّ رَؤوفٌ رَحيمٌ، فَاسْتَغْفِرُوه إِنهُ هُو الْغَفُور الرَّحيم.

في الذكر

الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الَّذِي ذِكْرُه شَرَفٌ لِلذَّاكِرِين، وَشُكرُه فَوزٌ لِلشَّاكرين، نَحْمَدُه عَلَى كُلِّ حَالٍ وَنَشْكُرُه بِالْغُدُوِّ والآصَالِ، وَنَسْأَلُه الْعَونَ عَلى طَاعَتِهِ.

وَنَشْهَدُ أَلَّا إِلَه إِلَّا اللهُ وَلِيُّ الشَّاكِرين، وَمُثِيبُ الذاكرين.

وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً عَبْدُه وَرَسُوْلُه الْخَاتمُ لِمَا سَبَقَ، وَالْفَاتِحُ لِمَا انْغَلَقَ، صَلَواتُ اللهِ عَلَيهِ وَعَلَى آلِه الأخيارِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيْماً كَثِيراً، القائل فيما رواه أبو طالب في الأمالي: ((سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إله إلا الله، واللهُ أكبرُ هنَّ الباقياتُ الصالحاتُ، وهنَّ كنزٌ من كنوزِ الجنة))

أمَّا بعد:

عِبادَ اللّهِ:

إِنَّ أكثرَ النَّاسِ فَوْزَاً وَأَكْثَرَهم سَعَادَةً هُم الَّذِين يُلَازِمُونَ عَلَى الذِّكْرِ وَيُحَافِظُونَ عَلَيهِ فِي كُلِّ أَحْوَالِهم، فِي طَرِيْقِهم لِلْعَمَلِ، وَفِيْ طَرِيقِ السَّفرِ، وَحَتَّى فِيْ الْأَسْوَاقِ، وَعِنْدَما يَأْوُوْنَ إِلى فِرَاشِهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّه قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران١٩١]، لَا يُعْذَرُ امْرِؤٌ فِيْ غَفْلَتِهِ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، وَلَا عُذْرَ لَهُ فِي النِّسْيانِ لَه، وَلَا تُغْنِيْ طَاعَةٌ مَهْمَا كَانَتْ عَنْ الذِّكْرِ، ولَا يَقومُ مَقامَه شَيْءٌ، فَالْمُجَاهِدُونَ – وَهُمْ فِي سَاحةِ الِمَعْرَكةِ يُواجِهُونَ الْعَدُوَّ– مُطَالَبُوْنَ بِذكرِ اللهِ كَمَا قَال تَعالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللَّه كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾ [الأنفال٤٥]، فَلَمْ يَعْفِهِمُ اللهُ عَن الذِّكرِ حَتَّى وَهم فِي أَشَدِّ الْمَواقِف، وِأَصْعَبِ الظُّرُوفِ مِنْ قِتالٍ وَنَحْوِه، بَلْ قَد جَعَلَ الذِّكرَ سَبَبًا لِلفلاح والنصر.

وَحَتَّى بَعدَ كُلِّ عِبادةٍ وَفَرِيضةٍ نَحنُ مُطَالَبُونَ بِالذِّكرِ، فَمَنْ أَتَمَّ صَلَاتَه فَلْيَقْعُدْ

لِذكرِ اللهِ، وَالدُّعاءِ؛ لِقوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ۝٨﴾[الشرح] ، وَلِقَولِه تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُواْ اللَّه قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ [سورة النساء(١٠٣)] ، وقوله ﷺ: ((مَنْ قَعَدَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ الْفَجْرَ يَذكرُ اللهَ إِلى أنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ كَانَ لَه كَحَاجٍّ بَيْتِ الله)).

وَكَذَا بَعْدَ الحَجِّ، وَحَالَ قَضَاءِ المنَاسِكِ يَأَمُرُنَا اللهُ بِالذِّكْرِ لَه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللَّه عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة١٩٨]، ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللَّه كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً﴾ [البقرة٢٠٠]. وَأَيْضاً فِيْ يَومِ الجُمُعَةِ نَحْنُ مُطَالَبُونَ بِذِكْرِ اللهِ، وَخَاصَّةً بَعْدَ الصَّلاةِ، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة١٠]، فَقَدْ جَعَلَ اللهُ السَّبَبَ فِي الْفَلَاحِ هُو فِي الإِكثارِ مِن ذِكْرِه.

عِبادَ اللهِ:

ومن فوائد الذكر حفظ النفس من المصائب، فبالإسناد الصحيح عن زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام أن النبي ﷺ قال: ((من قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله في اليوم مائة مرة دفع الله عنه سبعين نوعًا من البلاء أدناها القتل)).

إِنَّ الْحَيَاةَ الْحَقِيْقِيَّةَ هِيَ حَيَاةُ الْقَلْبِ، وَلَا حَيَاةَ لِلْقَلبِ إِلَّا بِذِكْرِ اللهِ؛ وَلِهَذا يَقُولُ النَّبيُّ ﷺ: ((مثلُ الذي يذكرُ ربَّهُ والذي لا يذكُرُهُ مثل الحيِّ والميتِ)).

فَهَلْ تَرْضَى -عَبْدَ اللهِ- أَنْ تَكُونَ فِي زُمْرَةِ الأَمْوَاتِ بِسَبَبِ الْغَفْلَةِ عَنْ ذِكْرِ اللهِ؟

أَيْنَ الْمُتَضَايِقُونَ مِن الْحَياةِ؟ أَيْنَ الشَّاكُوْنَ مِن عُقُوقِ أَبْنَائِهم؟ أَيْنَ أَصْحَابُ الْأَمْراضِ النَّفْسِيةِ وَالْعَصَبِيّةِ.

أَيْنَ مَرْضَى الْقُلُوبِ، وَالّذِينَ يُعَانُونَ مِن الْقَلَقِ وَالْاكْتِئَابِ، وَالْهَمِّ وَالْغَمِّ؟

أَتَعلَمونَ مَا سَببُ كُلِّ ذلك؟ السَّببُ هُو البُعْدُ وَالْغَفْلَةُ عَنْ ذِكرِ اللهِ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً﴾ [طه١٢٤]. نعم، هكذا تكون الحالُ فَالذَّاكِرُ لِلهِ جَلِيْسُه الملائِكةُ، وَيَعِيشُ فِي رَاحةِ بَالٍ، وَطَمَأنِينَةِ قَلْبٍ، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرَّعد٢٨].

وَأَمَّا الْغَافِلُ عَنْ رَبِّهِ، والنَّاسِيْ لَه فُجُلَسَاؤُه الشَّيَاطينُ، وَيَعِيشُ فِي ضَيقٍ وَضَنكٍ كَما صَوَّرَ اللهُ حَالَه بِقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف٣٦].

عِبَادَ اللّه:

إِنَّ اللَهَ فِي كِتَابِه يُحَذِّرُنا مِن الْغَفْلَةِ عَنْ ذِكرِه، وَأَنْ تُلْهِيَنا زَهرةُ الدُّنيَا عَنْهُ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون٩]، فَمَنْ أَلْهَاهُ مَالُه أَوْ وَلَدُه عَن ذِكرِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبيناً.

فَاللَهُ سُبْحَانَه وَتَعَالَى يُعَامِلُ عَبْدَه بِجِنْسِ عَمَلِه، فَمَنْ ذَكَرَ اللَهَ ذَكَرَهُ اللهُ، وَمَنْ نَسِيَ اللهَ نَسِيَهُ اللهُ، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة١٥٢]، ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة٦٧].

وفي الحديث القدسي: ((إذا ذَكَرني عَبدِي في نفسِهِ ذَكَرْتُهُ في نفسي، وما ذَكَرني في مَلَإٍ إلَّا ذَكَرْتُهُ في مَلإٍ خيرٍ مِن ملائِهِ)).

عِبَادَ اللّه:

المؤْمِنُ الحقُّ هُو مَنْ سَمِعَ فَوَعَى، وَعَمِلَ بِمَا سَمِعَ وَانْتَفَعَ بِالذِّكْرَى، أَمَّا مَنْ يَحْضُرُ إِلَى الْمَسجدِ بِجَسَدِه وَقَلْبُه غَافِلٌ، وَيَخْرُجُ كَمَا دَخَل، فَلَا خَيْرَ فِيه

عِبادَ الله:

نَحْنُ بِحَاجةٍ أَنْ نَفْهَمَ مَا يُلْقَى عَلَى مَسَامِعِنَا، وَمَا يَقُوْلُه لَنا الْوَاعِظُونَ، وَنُجَاهِدَ أَنْفُسَنَا بِالْعَمَلِ بِمَا سَمِعْنَاه كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً * وَإِذاً لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾

وَمَوْضُوعُنا اليومَ هُو فِي الذِّكْرِ وَهُوَ سَهْلٌ وَيَسِيْر، فَلْنُحَاوِلْ أَنْ نَبْدَأَ مِن الْآنَ، وأنْ نُنَظِّمَ لَنَا أَوْقَاتاً لِذِكْرِ الله بَدَلاً مِن ضَيَاعِ الْعُمُرِ فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَالْخَوْضِ فِي مَا لَا طَائِلَ مِنْ وَرَائِهِ وَلا نَفْعَ، نحنُ فِي غِنًى عَنْ الْحَدِيثِ فِي مَا لا يَعْنِيْنَا قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ وَلسْنَا بِحَاجَةٍ إلى مَجَالِسِ الْقِيلِ وَالْقَالِ الّتِيْ لَا نَخْرُجُ مِنها إِلَّا بِأَحْمَالٍ من الذُّنُوبِ كَمَا وَرَدَ فِي الأثر: أنه ما جَلَسَ قَومٌ في مجلسٍ لم يُذكرْ فيهِ اللهُ إلا قاموا كأنما قاموا من على جيفةِ حمارٍ، فَكَمْ مِنْ مَجْلِسٍ نَقْضِيْ فِيه السَّاعاتِ الطَّوِيْلَةَ، ولا نَسْمَعُ فِيهِ ذِكْراً لِلهِ وَلَا تُرَدَّدُ فِيهِ صَلاةٌ واحدةٌ عَلى النَّبيِّ ﷺ، وَقَدْ قَالَ ﷺ: ((مَا مِن ساعةٍ تمرُّ على ابنِ آدمَ لم يَذْكُرِ اللهَ فيها إلا نَدِمَ عليها)).

عباد الله:

لَمْ يَتْرُكْ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئاً مِنْ أَوْقَاتِنا إِلَّا وَخَصَّ لَهُ ذِكْراً، وَبَيَّنَ لَنَا فيه طَاعَةً فَجَعَل لِلنَّوْمِ دُعَاءً، وَلِلصَّبَاحِ دُعَاءً، وَعِنْدَ الْوُضُوءِ دُعاءً، وَعِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ، وعند الخروجِ منه، وَبَعدَ الصَّلاةِ، وَفِي السَّفَرِ دُعَاءً، وَعِنْدَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَحَتَّى عِنْدَ دُخُولِ الْحَمَّامِ والخُرُوجِ منه، وَعِنْدَ لَبسِ الثِّيابِ، وَعِنْدَ رُؤْيةِ البَرْقِ والرَّعدِ، وَحِينَ الْمَطَرِ. فَمَعَ كُلِّ شَيءٍ ذِكْرٌ، وَكُلُّ شَيءٍ وَلَه دُعَاءٌ، لَكنَّ المُصِيبةَ أَنَّنَا لَا نَعِي وَلَا نَفْهَمُ، وَإِنْ فَهِمْنَا لَا نَعْمَلُ وَنَبْخَلُ أَنْ نَشْتَرِيَ وَلَو كِتاباً صَغيراً يَحوِي بَعضَ هَذِه الأَذكارِ والأورادِ، فمن ذلك على سبيل المثال: كتاب السفينة المنجية، وكتاب تحفة الأبرار، وغيرهما مما جمعه الأئمة والأفاضل

من أهل المذهب الشريف. فمن أراد الآخرة فعليه أن يسعى لها سعيها ولا يكل ذلك إلى الأماني ويريد الجنة ولكن بلا تَعبٍ وبلا عناءٍ وبدون مُقابلٍ:

تَرجُو النّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَها إِنَّ السَّفِيْنَةَ لا تَجْرِي عَلَى الْيَبسِ

عِبادَ اللّه:

إِنَّ لِكلِّ شيءٍ ذِكْراً كما بَيَّنَّا، وَمِن الأذكارِ أَنْ تُسَمِّيَ اللَّهَ فِي بِدءِ كُلِّ فِعلٍ، وَتَحمَدَهُ بَعد الانتهاءِ مِنه، وإِذا رَأيتَ ما يُعْجِبُك فَقل: «سُبْحانَ اللهِ»، وإِذا نَظَرْتَ ما تَطْمَعُ فِيه فَقلْ: «مَا شَاءَ اللهُ»، وإِذا رَأَيتَ مَا أفزعَك فَقل: «أَعوذُ بِاللهِ»، وإِنْ وَاجَهَكَ مَا تَخافُه فَقلْ: «حَسبِيَ اللهُ»، وَإِنْ وَقَعَ مَا تَكرَهُهُ فَقلْ: «إِنَّا لِلهِ وإِنَّا إِليهِ رَاجِعون»، وَإِنْ أَذْنَبتَ فَقلْ: «أَسْتَغْفِرُ اللهَ» وَإِن جَاءْتَكَ نِعمةٌ فَاشْكُرِ اللهَ.

عَبدَ اللّه:

حَاوِلْ أَن تُعَوِّدَ نَفْسَكَ عَلَى ذِكْرِ اللهِ، وَعَلى الكَلَامِ الطَّيِّبِ عِوَضاً عَنِ الشَّتمِ والسِّبَابِ والْخَوْضِ فِي الباطلِ والسياسات والهتك لأعراض الناس، لعَلَّ قُلوبَنا تَلينُ بِذِكْرِ اللهِ، وتَمْتَلِئُ حَياتُنا بِالخيرِ والْبَرَكةِ، وَيُطْرَدُ الشَّيطانُ مِنْ أَوْسَاطِنا، فَمَا مِن بَيتٍ يُذْكَرُ فِيهِ اللهُ إِلَّا تَنكَّبَتْه الشَّياطينُ وَحَلَّتْهُ الْمَلائِكةُ، وَمَا مِنْ بَيْتٍ لا يُذكرُ فِيهِ اللهُ، ولا يُقْرَأُ فِيهِ القرآنُ إِلَّا هَجَرتْهُ الملائكةُ، وَاسْتَوْطَنَتْهُ الشَّيَاطِينُ.

عِبادَ اللّهِ:

لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلا وُسْعَها فَالذي لَا يَحْفَظُ الأَذْكَارَ، وَيَعْجَزُ عَن إِدْرَاكِهَا فَعَلَى أَقَلِّ الأَحْوالِ يَحرِصُ عَلَى كَثْرةِ التَّسْبِيحِ وَالتَّكبيرِ وَالْحمدِ والشُّكرِ لِلهِ.

وَعَليهَ بِالاستغفارِ والصلاةِ عَلَى النّبيِّ وآلِهِ، ولَكنْ لَيسَ مَرَّةً وَلا مَرَّتينِ، بلْ يُكْثِرُ مِن ذلكَ بِقدرِ جُهدِه، وَلو إِلى الْأَلفِ، وَكُلُّ ذلك بِحسَابْ، وَكذلك لِنَحرِصَ عَلَى الرَّواتِبِ، الدُّعاءُ بعدَ كلِّ صلاةٍ، وَلو بِقراءةِ آيةِ الكُرسِي، فَفي

الأثرِ قال لعلي: اقرأ في دبرِ كلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ آيةَ الْكُرسي، فإنه لا يحافظُ عليها إلا نبيٌّ أو صديقٌ أو شهيدٌ.

وَعَلَى كُلِّ مُؤمنٍ أَنْ يُلزِمَ نَفْسَه بِقراءَةِ جُزءٍ من القرآنِ كُلَّ يَومٍ أوْ حِزبٍ أو نِصفِ حزبٍ، ولَو صَفْحةً واحدةً على أَقلِّ تَحْديدٍ، وَذَلكَ أضعفُ الإيمان.

عِبادَ اللّه:

إِنَّكُم فِي يَومِ عيدٍ مَجيدٍ فَضَّلَه اللهُ عَلى سَائِرِ الْأَيَّام، وَضَاعَفَ فِيه الأَجْرَ والثوابَ، فَأَكْثِرُوا فِيهِ مِن الذّكرِ والطَّاعَاتِ، وَمنَ الصَّلاةِ عَلى النَّبِي وَعَلَى آلِهِ. اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ على عبدِك ونَبيِّك وخِيْرَتِكَ مِن خَلقِكَ أبي الطَّيِّبِ والطَّاهرِ والقاسمِ محمدِ بنِ عبدِ الله بنِ عبدِالمُطَّلِبِ بنِ هَاشمٍ، وصلِّ اللهمَّ وسلِّمْ عَلَى أخيهِ وابنِ عمِّهِ وبابِ مدينةِ عِلْمِهِ مولانا أميرِ المُؤمنين الإمامِ عليِّ بنِ أبي طَالبٍ، وعَلَى زوجتِهِ الحوراءِ فَاطِمةَ البتولِ الزهراءِ، وَعلى وَلَديهما الإمَامينِ الأَعظمينِ أبي مُحمدٍ الحسنِ وأبي عبدِ اللهِ الحُسينِ، وصلِّ اللَّهم وسلِّم عَلَى مولانا الإمامِ زيدِ بنِ علي، وعلى الإمامِ الهادي إلى الحقِّ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ بنِ إبراهيمَ، وعلى مَنْ بَيْنَنَا وبَينَهُم مِن الأئمةِ الهادين، وارْضَ اللهمَّ عن الصحابةِ الأخيارِ مِنْ المهاجرين والأنصارِ والتَّابعين لَهُم بِإحسانٍ إلى يومِ الدين، وارْضَ عَنَّا مَعهُم بِفَضْلِك وَمَنِّكَ يا كريمُ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنا شُكرَ نِعمتِك، وأَنْزِلْ عَلينا رَحمتَك، وارْزقْنا قُلوباً شاكرةً، وأَلْسِنةً ذاكرةً، اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكرِك وشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ، واجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِين.

اللَّهُمَّ انْصُرِ الإسلامَ والمسلمينَ، واجْمَعْ شَمْلَهم، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبِهم، وَأَثْبِهم فَتحاً قريباً، اللَّهُمَّ وَأَهْلِكِ الكفرةَ وَالمعانِدِين، وَالْمُفَرِّقِين بينَ المسلمين، والصَّادِّينَ عن ذِكرِك، وَالْمُخَرِّبينَ لِدينِك وَالمعادِينَ لِأولِيائِك أَينَمَا كَانوا. اللَّهُمَّ فَرِّق جَمْعَهُمْ وَشَتِّتْ شَمْلَهُمْ، وَأَنْزِل عَلَيهم بَأْسَكَ الذي لَا يُرَدُّ عن القومِ الظَّالِمين، اللَّهُمَّ اكْفِنا شَرَّهُم وَضُرَّهم وَأَذَاهم كَيفَ شِئتَ وَأَنَّى شِئتَ يَا ذا الْقُوَّةِ

المتين، اللَّهُمَّ اكْفِنا الْفِتَنَ مَا ظَهرَ مِنها ومَا بَطنَ، وَقِنَا شَرَّها وضُرَّها يَا قَوِيُّ يَا عزيزُ، يَا ذا القوةِ المتين، وَآخِرُ دَعْوانا أَنِ الحمدُ لِلهِ رَبِّ العالمين.

عِبادَ اللّه:

﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

فَاذْكُروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يَذْكُرْكُم، وَاشْكُرُوه عَلَى نِعمِه يَزدْكُم، وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِن الصَّلاةَ تَنْهَى عَن الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكرِ، ولَذِكْرُ اللهِ أكبرُ، واللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُون.

في العشر الأواخر لشهر رمضان

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لِلهِ الْمُتَفَضِّلِ بِالإحسانِ، الكريمِ المَنَّانِ، الْمُنْعِمِ عَلَى الْمُحْسِنِينَ بِالعطايا، والْغَافِرِ لِلْمُسِيئِين الْخَطَايا، نَحمدُه أَنْ هَدَانَا لِحَمْدِه، واخْتَصَّنَا بِمِنَّتِهِ، وَنشْكُرُه عَلَى فَواضِلِ إِنْعَامِه، وَتَوالِي آلَائِه.

ونَشْهدُ أَلَّا إِلَه إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَه.

وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه وَرَسُولُه، وَخِيرَتُه مِن خلْقِه، أَرْسلَهُ رَحمةً لِلعالَمِين، وحُجَّةً عَلَى الظَّالِمينَ؛ لِئَلَّا يَكونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كثيراً.

وَبعدُ ..

عِبادَ اللّه:

هَذا هُو شَهرُ رَمضانَ، شَهْرُ الرّحمةِ والرِّضوانِ، قَد فَاضَ خَيرُه فِي البلادِ، وَعَمَّ فَضْلُه عَلَى الْعِبَادِ، إِنَّه شَهْرُ اللهِ الْمُعَظَّمِ، وَمِيْعَادُه الْمُكرَّمِ، سُوقُ المتَزَوِّدِينَ لِيومِ الْمَعَادِ، وَمَتْجرِ الْمُرَابِحين لِيوم يَقِلُّ فِيهِ الزادُ.

هُنَا التّجارةُ الرَّابِحةُ الّتي لَا تَبورُ، هنا عُدَّةُ الْمُتَزَوِّدِينَ، وَمتاعُ الْمُسَافِرِينَ إِلَى يومِ الدّين.

عِبَادَ اللّه:

إِنَّ لِكُلِّ تِجارةٍ سُوقاً وَمَوْسِماً، وَلِكُلِّ سِلعةٍ زَبَائِنُها فِي هَذه الحياةِ، وفِي كُلِّ تجارةٍ رِبحٌ أَوْ خَسارَةٌ، وَكُلُّ تِجارةٍ وَلَها رَأْسُ مالٍ.

وَلكنَّ الأمرَ في رمضانَ لَه شَأنٌ آخر، فَتِجَارَتُه عَظِيْمَةٌ رَأْسُ مَالِها النِّيةُ الصَّالحةُ، والقولُ الطيبُ، والفعلُ الحسنُ، وتِجَارتُه رَابِحةٌ لا تَبورُ، وسِلعتُه نَافِقَةٌ لَا تَكْسُدُ، وَلا تُرَدُّ.

كُلُّ شَيْءٍ فِي سُوقِ اللهِ الْأَكبرِ مَقْبولٌ، وَكُلُّ مُتَاجِرٍ فِيه رَابحٌ لا يَخْسَرُ وَلا يَبورُ، وَبِأَغْلَى الْأَسْعَارِ وَأَرْفَعِ الْأَثْمانِ، مَهْمَا قَلَّتِ البِضاعةُ، وَمَهْمَا صَغُرتِ السِّلْعَةُ، فَهي عِنْدَ اللهِ مَقْبُولَةٌ لا تُرَدّ.

بَلْ يُضاعِفُها اللهُ تعالى إِلى سَبْعِينَ ضِعْفًا مِن فَضْلِهِ الْواسعِ؛ إِنَّه جَوادٌ كريمٌ ﴿إِنَّ اللَّه لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾ [النساء٤٠].

إِنَّه مَوسمٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَنَا، وَأَيَّامُهُ عَمَّا قَليلٍ مُوَلّيةٌ، وَنحنُ فِي هَرَجٍ ومَرَجٍ لاهُونَ تَائِهون.

فَمَن هُو الّذي أَغْتَنم الْفُرصَةَ، ورَابحَ فِي هذا السوقِ؟ مَن الَّذِي شَحَذ قِوَاه وَشَمَّرَ سَاعِدَ الجِدِّ فِي كَسْبِ الزَّادِ، وَالتّزَوُّدِ لِيومِ المعاد.

عِبادَ اللّه:

إِنَّ الحسنَةَ الآنَ بِسَبعينَ، والصلاةَ بِسَبعينَ، والصَّدقَةَ بِسَبعينَ، ويُوشِكُ أَنْ يَرحلَ هذا الشهرُ عَنَّا، فَتَذْهَبُ مَعه أَسْعارُه، وتَهبِطُ الأثمانُ، وتَقِلُّ الأُجورُ، ثُمّ نَتَحَسَّرُ حِينَ لا يَنفعُ التَّحَسُّرُ ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة٤٨].

عِبادَ اللّه:

الغَنيُّ يُمْكنُهُ أَنْ يُتاجِرَ فِي هَذا الشهرِ بِمَالِه، والْفَقِيرُ يُمكنُه أَنْ يُتاجِرَ بِلِسانِه وَيدِه، حَتّى المرأةُ والصّبيُّ والجاهلُ والْمُتَعلِّمُ والْأَعْمَى وَالْأَصّمُ وَالْأَبْكَمُ لَهُمْ تِجَارَةٌ أَيضاً فِي هذا الشهرِ، فَفَضْلُه يَعُمُّ كُلَّ طَوَائِفِ الْأُمةِ وشَرائِحِها، إِنّه ليسَ حَكْراً على الْأَغنياءِ بِأَموالِهم فَقَطْ، وَلَا عَلَى الْعُلَمَاءِ وَالْمُتعلِّمين بِعلْمِهم، بَل إِنَّ اللهَ قَدْ نَشَرَهُ لِيَعُمَّ فَضْلُه كُلَّ فردٍ، وَيَصِلَ نَفعُهُ إِلى كُلِّ دَارٍ، فَمَا هُنَاك مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ فِيهِ كَسْبٌ ونَصِيبٌ، إِنَّ الْغَنِي يُمْكِنُه أَنْ يَتَصَدَّقَ بِمَالِه، فَيُطْعِمُ هَذا، وَيُعِينُ هذا، ويُفْرِحُ ذَاكَ، وَيَكْسُو عَارِياً، وَيُفَطِّرُ صَائِماً، وَيُداوِي مَرِيضاً.

وَالْمُتَعَلِّمُ يُمْكِنهُ أَنْ يَقْرأَ وَيُعَلِّمَ النَّاسَ، وَيَتعلَّمَ وَيُرشِدَ الجاهلَ، وَيَعِظَ الْغَافِلَ، وَيَنْصَح، ويَأمُرَ بِالمعروفِ، وَيَنْهَى عَن الْمُنكرِ.

وَأَمَّا الْفَقِيْرُ الجاهلُ الّذِي لَا مَالَ لَهُ، فَيَتَصَدَّقَ بِه، وَلا عِلْمَ لَه فَيُنفقَ مِنه، ولا يَعرفُ القِرَاءَةَ فَيَقْرَأَ القرآنَ، فَيُمكِنُه أَنَّه يُتَاجِرُ مَع اللهِ بِقِرَاءَةِ قِصَارِ السُّوَرِ مِن كِتابِ اللهِ، وَبِالاسْتِغْفَارِ وَالتَّسْبِيحِ، وحَمدِ الله والصلاةِ عَلَى رَسُولِ الله وعَلَى آلِه، فَعَلى مَن لَا يُحسنُ القراءَةَ وَلَا يَمْلِكُ الْمَالَ أَنْ يُلازِمَ ذِكرَ اللهِ بِقلبِهِ وَلِسَانِهِ، لِيُؤتيَه اللهُ أَفْضَلَ الثوابِ، واللهُ وَاسِعُ العطاءِ .

عِبادَ اللّه:

لَقدْ بَقِيَ مِن الخَيرِ الْكَثيرُ والكثيرُ، فَرسولُ اللهِ ﷺ يَقولُ فِيما يُرْوَى عنه ((اتّقوا النَّارَ ولو بِشِقِّ تَمْرةٍ)) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبة.

وَيقول: ((مَنْ فَطَّرَ صَائِماً كان له مثل أجره)).

إِن الأمرَ يَسيرٌ وَأَهْونُ مِمَّا تَتَصَورون، إِنَّ لِكلِّ سِلْعةٍ ثَمناً، وَوَراءَ كُلِّ سَعْيٍ رِبْحا فِي هَذا الشّهرِ، وَبِوسعِ الجميعِ أنْ يَجْلِبُوا أَعظَمَ التجارةِ، وَأَوفَرِ الأجرِ والثوابِ بِأقلِّ الجُهد.

فَفِيما يُروى عنه ﷺ أنه قال: ((تَبَسُّمُكَ في وجهِ أخيكَ صَدَقَةٌ، والكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ، وإفراغُكَ مِن إنائِكَ في إناءِ أخيكَ لك صدقةٌ))، بَلْ الكلمةُ الطَّيبةُ أفضلُ عندَ اللهِ مِنْ صدقاتِ الْمُتكَبِّرينَ الذين يُنْفِقُونَها رِيَاءً وَسُمْعَةً وَيُتْبِعُونَها بِالْمَنِّ وَالْأَذَى.

عَبدَ اللّه:

قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذىً﴾.

إِنَّكَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ تُتاجرَ مع اللهِ، وَتُسابِقَ فِي طَاعةِ اللهِ بكلِّ جَارِحَةٍ فِيك، بل بِكُلِّ حَركةٍ وَسَكْنَةٍ، الْمُهِمُّ هُو وُجودُ النّيةِ الصّادِقَةِ، والرّغْبَةِ فِي كَسبِ الثوابِ، فَمَنْ قَصَدَ وَجهَ اللهِ فَلَن يَعْدَمَ خَيراً، وَطُرُقُ الخيرِ كثيرةٌ، مِنها: زيارةُ الأرحامِ،

وَعِيادَةُ الْمَرْضَى، وَالتَّفْرِيجُ عن المَهْمُومِ، وَإِدخَالُ السّرورِ عليه، وَإِفْشاءُ السّلامِ، وَتَنْظِيفُ المسَاجِدِ وَتَطْيِيبُها، وغيرُ ذلك من الأعمالِ.

عِبادَ اللّه:-

إِنَّ الأَبْكَمَ الأَعْمَى يُمْكِنُه أَنْ يُتاجرَ بِسَمْعِه وَأُذُنَيْهِ.

يُمكِنُه أَنْ يَسْتَمعَ القرآنَ يُمكنُه أَنْ يُصْغِيَ لِلنُّصْحِ وَالوعْظِ، فَيكونُ أَجرُه كالقارِئِ، واللهُ ذو الفضلِ العظيم.

حَتَّى بِالنَّظرِ يُمْكِنُ لِلمَرْءِ أَنْ يُتاجِرَ مَعَ اللهِ، ويَكْسبَ الثَّوابَ

فَقَدْ رُوي عنه ﷺ أنه قال: ((النظرُ في المصحفِ عبادةٌ)) فَإِذَا كَانَ مجردُ النّظَرِ عبادةً، فَمَا بَالُكَ بِالقِراءَةِ وَالتَّأَمُّلِ وَالتَّدبُّرِ.

عِبادَ اللّه:

كُلُّ حَرَكَةٍ وَسَكْنَةٍ في شَهْرِ رَمَضَانَ لا تَخْلُو مِن الْأَجْرِ وَالثَّوابِ مَا دَامَتْ النّيّةُ الصّادقةُ مَعها، فإذا ثَبَتْ بِأنَّ فِي السَّمعِ والنّظرِ ثوابٌ، فَمَا بَالُك بِاللِّسانِ الّذِي عليه مَدارُ القراءةِ والذّكرِ والتّسبيحِ والتّهليلِ وَالتَّكْبِيرِ، وَالّذِي هو مِنْ أَهَمِّ وَسَائلِ العبادةِ، وَمِنهُ تَكونُ أَعظمُ تِجارةٍ، وَأَوفرُ حظٍّ لِمنْ أَحْسَنَ اسْتِخْدَامَه، وَسَخَّرَهُ فِي خِدمةِ اللهِ وطاعتِهِ، فَما أَيْسَرَها مِنْ أُمورٍ، وَمَا أَعْظَمَها مِنْ أُجُورٍ، لِمنِ اغْتَنَمَ الْفُرصَةَ وَأَحكمَ التَّدْبيرَ.

أَمَّا مَنْ سَخّرَ سَمْعَه لِلْغِنَاءِ، وَمَدَّ بَصَرَه إِلى النِّسَاءِ، ومُرَاقَبَةِ الحلقاتِ والأفلامِ والمسلسلاتِ، وَأَعْمَلَ لِسانَه بِالغيبَةِ وَالنّميمَةِ، وَهْتكِ أَعرَاضِ الْمُؤْمِنِينَ، فَليسَ لِلهِ مِن حَاجَةٍ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَه.

عِبادَ اللّه:

مَا زالَ فِي الوقتِ بَقيةٌ، وَمَا زَالتِ السوقُ قَائِمةً، والسِّلْعةُ مَعروضَةً فِي سُوقِ الْمَزَادِ، والثَّمَنُ الجنةُ، فَهَل مِن مُنافِسٍ؟ هلْ مِن مُسابقٍ؟ هَلْ مِن مُسارِعٍ فِي الخيراتِ، وَنيلِ أَعْلَى الدّرَجَات؟﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾.

إِنّ اللهَ قَدْ أَتَمَّ النِّعمةَ، وأَكمَلَ الْحُجّةَ عَلَى كُلِّ فَردٍ، والْويلُ لِمنْ أَتَى رَبَّهُ بِيدٍ خَاليةٍ مِن الخيرِ، وَقَلبٍ خَالٍ مِن الإيمانِ، وَصَحَائِفَ بَيضَاءَ بِلا عَملٍ وَلا ثَوابٍ، وقد يَسَّرَ اللهُ له سُبُلَ الخيرِ والثَّوابِ، لِيَتَزَوَّدَ به لِيومِ فَقْرِهِ وَحَاجَتِهِ.

تَــزَوَّدْ مِــن حَياتِــكَ لِلْمَعَــادِيْ ... وَقُــمْ وَاجْمَــعْ لَهَــا مِــنْ خَــيرِ زَادِ
وَلا تَــرْكَنْ إِلَى الــدُّنْيَا كَثِــيْراً ... فَــإِنَّ المَــالَ يُجْمَــعُ لِلنَّفَــادِ
أَتَــرْضَى أَنْ تَكُــونَ رَفِيــقَ قَــوْمٍ ... لَهُــمْ زَادٌ وَأَنْــتَ بِغَــيْرِ زَادِ

عَبْدَ اللّه:

لَقَد يَسَّرَ اللهُ فِي هَذا الشَّهرِ سُبَلَ الخيرِ، وجَعلَهَا فِي مُتَنَاوَلِ كُلِّ يَدٍ، وَبِمقْدُورِ كُلِّ فَردٍ كَائِناً مَنْ كَان، أَنْ يَنَالَهَا، وَيَفوزَ بِالثوابِ بالسمعِ والنظرِ واللسانِ، وَكَذا غيرُها مِن الجوارحِ يُمكنُ كَسبُ الأجرِ والثّوابِ بِها كذلك، فَالْأيدِي مَثلاً لَمْ تُخْلَق لِتَكُدَّ فِي الدنيا فَحَسْبُ بل لِلآخِرةِ فِيها نَصيبٌ وَكَسْبٌ، فَما الْتَقَى مُؤمِنَانِ فَتَصَافَحَا إِلَّا كَانَا كاليدَين تَغْسِلُ إِحدَاهُمَا الأُخْرَى، قال ﷺ فيما رواه أبو طالب: ((إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله واستغفراه غفر لهما))، وقال ﷺ: ((من مشى في حاجة أخيه المؤمن فبالغ فيها قضيت أم لم تقضَ كتبت له عبادة سنة)) وقد ورد عنه ﷺ: ((أنا وكافل اليتيم كهاتين)).

واليدُ مِنْ أَعظمِ الجوارحِ في كسبِ الخيرِ، وَمِثْلُها القدمُ فَإنها وَسيلةٌ تُعينُ عَلَى الطَّاعَةِ وَفِعْلِ الخيرِ، فَما نَقَلَ العبدُ قَدَمَهُ وَلَا رَفَعَهَا ذَاهِباً فِي حاجةِ مؤمنٍ، أَوْ زائراً لِرحمٍ أو أخٍ مؤمنٍ، أَوْ خَارِجاً إِلَى بيتٍ مِن بُيوتِ اللهِ- إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوةٍ حسنةً، وَذَلكَ فضلُ اللهِ يُؤتيهِ مِن يَشاءُ.

هَذَا كُلُّه فِي الأعضاءِ الظَّاهِرةِ، التي وَعدَ اللهُ عليها الأَجرَ والثوابَ، فَمَا بَالُك بِغيرِها، مَا بَالُك بِعملِ العقلِ في التَّدَبُّرِ، مَا بَالُك بِالقلبِ وَأَثَرِهِ في الخشوعِ، بَلْ مَا بَالُك بالتنفس الذي هو الشهيق والزفير، ذلك الهواءُ الذي يَخرجُ مِن

صدرك، فَإِنَّ اللهَ قَدْ وَعدَ عليه بِالثَّوابِ فِي هَذا الشَّهرِ خاصةً، وهذا مِن تمامِ نِعمةِ اللهِ على خَلقِهِ، في هذا الشهرِ المُبارِكِ، مع أَنّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَتَنَفَّسُ بِغَيْرِ إِرَادَةٍ، ولَوْلَاهُ لَمَاتَ وَهَلَكَ.

نَعمْ، فقد رُوِيَ عَنِ النبيِّ ﷺ أنه قال: ((نَفَسُ الصائم تسبيح)).

سُبحانَ اللهِ حَتَّى النَّفَسُ تسبيحٌ!! حَتى النَّفَسُ، ذَلك الهواءُ الذي تَتَنَفَّسُهُ تَقْدِرُ أَنْ تُتَاجِرَ فِيه، وَتَربحَ في هذا الشهرِ.

بَلْ حَتَّى النومُ، الذي يُعدُّ غَفْلَةً فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ، فَلَهُ فِي شَهرِ رَمضانَ مِيْزةٌ وَسِمَةٌ خَاصةٌ، فَقَدْ رُوِيَ عَنِ النبي ﷺ أَنَّه قال: ((نومُ الصائمِ عبادةٌ، ونَفَسُه تسبيحٌ)).

نَعَمْ، لَقدْ أَصْبَحَ النومُ عِبادةً فِي هذه الأيامِ، مَا دَامَ يَقْصُدُ بِه صَاحبُه العونَ عَلَى قِيامِ اللَّيْلِ، أَوْ أَنْ يَكُفَّ نَفْسَه عَن أَذِيَّةِ الآخَرِين، فَهو بِهذا الْقَصْدِ وَنَحوِهِ عِبَادَةٌ، وَلَكنْ بِشَرطِ أَلَّا يُخِلَّ بِواجِبٍ، أو يُنَقِّصَ مِن مَسْنُونٍ، كَأنْ تَفُوتُه الجماعاتُ.

عِبادَ اللّه:

هلْ بعدَ هذا مِن فَضْلٍ، هَل بَعدَ هذا مِن حُجَّةٍ أَوْ عُذْرٍ لِمَنْ أَتَى رَبَّه مُقَصِّراً مُفْلِساً صِفْرَ الْيَدَيْنِ لَا يَمْلِكُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئاً ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القرآنِ العظيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُم بِما فِيهِ مِن الآياتِ والذِّكرِ الحكيمِ، إِنه تَعالى جوادٌ مَلِكٌ بَرٌّ رَؤوفٌ رحيم.

فاسْتَغْفِرُوه إِنه هو الغفورُ الرحيم.

في العشر الأواخر لشهر رمضان

الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لِلهِ رَبِّ العالمينَ، الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، الواحدِ الأحدِ، الجوادِ الكريمِ، الحنَّانِ المنَّانِ، الملكِ العظيمِ، الواهبِ المُعْطِيْ، السَّمِيعِ الْعَلِيمِ، نَحْمَدُه عَلَى سَوابِغِ نَعْمَائِهِ، وَتَرَادُفِ آلَآئِهِ، وَنَسْأَلُهُ الْهِدَايَةَ وَالتَّوْفِيقَ، والعونَ والتَّسْدِيدَ

وَأشهدُ أَلَّا إلهَ إِلَّا اللهُ، فَالِقُ النُّورِ والإصباحِ، وجَعَلَ الَّليلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ والقمرَ حُسْبانا، ذَلك تَقْدِيرُ العزيزِ العليمِ، غافِرِ الذّنبِ وقَابِلِ التَّوبِ شَديدِ العقابِ ذي الطَّولِ، لَا إِلَه إِلَّا هُو إِليهِ المصيرُ.

وَأَشْهدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه وَرَسُولُه، المُنَزَّلُ عليه قَولهُ تعالىٰ: ﴿فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ صَلَّى اللهُ عليه وَعَلَى أَهلِ بيتِه الطَّاهِرينَ مِن يَومِنا هَذا إلىٰ يومِ الدين.

أمَّا بَعْد:

عِبادَ اللّه:

إِنَّ الدُّنْيَا مِيرَاثُ الْآخِرَة، فَمَا زَرَعَهُ فِيها العبدُ مِن خَيرٍ أَوْ شَرٍّ حَصَدَهُ فِي الآخِرةِ، ولقيَ ثَمَرَةَ سَعْيِهِ وَ تَعَبِهِ ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾.

إِنَّ اللهَ لَمْ يَجْعلِ الثوابَ والأجرَ حَكْراً عَلَى الْأَغْنِياءِ وَالْمُتَعَلِّمِينَ، وَإِنْ كَانَ لَهُمْ فِيهِ فَضْلُ زِيادَةٍ، فَالصَّدقةُ مَثلاً لَم تُقْصَرْ عَلَى الأغنياءِ وأَصْحَابِ الْأَمْوَالِ، بَلْ رَبَّمَا كَانتْ لِلفُقَرَاءِ أعمالٌ وَأَقْوَالٌ تَعْدِلُ أَضْعَافَ مَا يَهبُهُ الأغنياءُ، وَتَكونُ عِندَ اللهِ أَرْضَى مِن صَدَقةِ الذَّهَبِ والمالِ، كما قال تعالىٰ: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ

يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّه غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ وقال ﷺ: ((نِعمتِ العطيةُ ونِعمتِ الهديةُ: كلمةٌ تسمعُها فتنطوي عليها ثم تَحمِلُها إلى أخٍ لك مسلم تُعَلِّمُها إياهُ تَعْدِلُ عبادةَ سنةٍ)) فَعَلَيْنَا بِالْمُسَارَعَةِ فِي طَلَبِ الْخَيْرِ وَكَسْبِ الثَّوَابِ، كُلٌّ بِقَدْرِ وُسْعِهِ وَطَاقَتِه.

فَهذَا شَهرُ رَمَضَانَ قَدْ ذَهَبَ أَكْثَرُهُ، وَآخِرُه أَفْضلُ مِن أَوَّلِه، خِتَامُهُ مِسْكٌ، وفي ذلك فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ، فِيهِ قَامَ رَسولُ اللهِ ﷺ فِي أولِ لَيْلَةٍ مِن العشرِ الأواخرِ وشَمَّرَ وَشَدَّ مِئْزَرَهُ، وَاعْتَزَلَ نِسَاءَهُ، وَتَفَرَّغَ لِلصِّيامِ وَالْقِيَامِ، وَالصَّلاةِ وَقِرَاءَةِ القرآنِ، وَهو المعروفُ بِالْفَضلِ وَالْخَيرِ، وقَدْ غُفِرَ له مَا تَقَدَّم مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَكيفَ بِنَا وَنَحنُ أَحوجُ مَا نَكونُ إِلى حسنةٍ تُقَرِّبُنا مِن الْجَنّةِ.

عِبادَ اللّه:

فِي هذه الّلياليِ تُلْتَمَسُ لَيْلَةُ القدرِ، الّتي هي خَيرٌ من أَلفِ شَهرٍ، في هذه الّلياليِ تُفَكُّ الرّقابُ، وَتُعتَقُ النُّفُوسُ مِن أليمِ العذابِ، فَاسْأَلُوا اللهَ فِكَاكَ رِقَابِكُم، وَخَلاصَ أَنْفُسِكُمْ، فَكَمْ مِن عَبدٍ قَدْ أَقْتَرَفَ مِن كَبَائِرِ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ مَا اسْتَوجَبَ بِه غَضَبُ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَكَمْ مِن عَاصٍ لِلهِ قَدْ أَعَدَّ لِنَفْسِهِ مَقْعَداً مِن النَّار، وهُو لَا يَعْلَمُ، وجَعَلَ نَفْسَهُ فِي سِجِّينٍ، وَهو على ظَهرِ الدُّنيا يَسْرَحُ وَيَمْرَحُ وَيَلْهُو وَيَلْعَبُ، لَا عِلَمْ لَه، وَلَيْسَ بَيْنَه وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا خُرُوجُ رُوحِه

أتضحكُ أيها العاصي وتلهو ... ونار الله توقدُ للعصاةِ
أتضحكُ يا سفيهُ ولستَ تدري ... بأيٍّ بشارةٍ يأتيكَ آتي

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً﴾ ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾

عِبادَ اللّه:

إِنَّ لِهذا الشهرِ الْمُباركِ، وهذه اللَّيالِي العظيمةِ مِنَ الفَضلِ والْخَيْرِ مَا لا يُدْرَكُ

حَدُّه، وَلا يُحْصَى عَدُّهُ، وَيَكفيهِ مِنَ الفضلِ أَنَّ العاقِلَ اللبيبَ إِذَا شَمَّرَ بِجدٍّ ونَشَاطٍ، يَسْتَطيعُ أَنْ يُطَهِّرَ فِيها نَفْسَه، وَيَمْحُوَ مَا سَلَفَ مِن ذُنوبِه وَآثَامِهِ، وَلا يَخْرُجُ عَنه هذا الشهرُ إِلَّا وَهو كَيومِ وَلَدتْهُ أمُّه، بَلْ إِنَّه قَدْ يُعَوِّضُ مَا فَاتَهَ، ويَسْتَدْرِكُ مَا مَضَى مِن عُمُرِه، فَيُبَدِّلُ تِلك السيئاتِ بِأضْعافِها مِن الحسناتِ كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾، وَيَكْفيهِ ثوابُ لَيلةِ القدرِ، التي هِي خيرٌ مِن أَلفِ شهرٍ، أَعْظَمُ ثَواباً مِن ثلاثةٍ وثمانينَ سنةً يَنَالُها فِي لَيلةٍ واحدةٍ، مِنْ غُروبِ الشَّمْسِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ.

أَلَا وَأَكْثِرُوا فِي هذا اليومِ وَأَمْثَالِه مِن الصَّلاةِ والسَّلام عَلَى سَيدِنا محمدٍ وَآلِهِ، امْتِثَالاً لِأمْرِ اللهِ القائِلِ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾

اَللَّهُمَّ فَصلِّ وَسَلِّمْ على سيدنا أبي الطيبِ والطاهرِ والقاسمِ محمدِ بنِ عبدِ الله بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ، وَصلِّ اَللَّهُمَّ على أخيهِ وَوَصَيِّهِ وبَابِ مدينةِ علمِهِ إِمامِ المشَارِقِ والْمَغَارِبِ أميرِ المؤمنين عليِّ بنِ أبي طالبٍ، وعَلَى سَكنِهِ الحوراءِ فِلْذَةِ كبدِ الْمُصْطَفَى فَاطمةَ البتولِ الزهراءِ، وعَلى ولديهما الإِمامَينِ الأَعظمَينِ، قَاما أَوْ قَعَدا الحسنِ والحسينِ، وصَلِّ اَللَّهُمَّ عَلَى الامامِ الوَلي بنِ الوَلي صاحبِ النَّهجِ الْجَلِي الإِمامِ زيدِ بنِ عَلِيٍّ، وَصَلِّ اللهم عَلَى إِمَامِ اليمنِ الْمُحيي لِمَا مَاتَ مِن الفرائضِ والسُّنَنِ، الإِمامِ الهادي إِلى الحقِّ القويمِ يَحْيَى بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ بنِ إِبراهيمَ، وَعَلى مَنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مِن الأَئِمَّةِ الهادِينَ، وارْضَ اَللَّهُمَّ عَنِ الصَّحَابَةِ الأَخْيارِ والتَّابِعينَ لَهُمْ بِإحسانٍ إِلى يومِ الدِّينِ، وعَنَّا مَعَهُم بِفضْلِكَ وَمَنِّكَ يَا كَرِيمُ.

اَللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ عِتْقَ رِقَابِنَا مِن النَّارِ، وَغُفرانَ ذُنوبِنَا فِي هذا الشَّهرِ الكريمِ، اَللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ، وَمُلَازَمَةِ أَوْرَادِهِ، وَاجْعَلْنا مِن الفائِزينَ، اَللَّهُمَّ أَنْصُرِ الإِسلامَ والمسلمِينَ، واخْذُلِ الكَفَرةَ وَالْمُلْحِدينَ، واكْفِنا شَرَّ كُلِّ ذِي شَرّ،

وَشَرَّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِناصِيتِها، يَا قَوِيُّ يَا عَزِيزُ يَا جَبَّارُ يَا مُنْتَقِمُ، وَآخِرُ دَعَوانا أَنِ الحمدُ لِلهِ رَبِّ العالمِينَ.

عِبادَ اللّه:

﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

عيد الفطر

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ.

الحمدُ لِلهِ وَلِيِّ الحمدِ، وَصَاحِبِ الحمدِ، نَحْمَدُه بِما حَمِدَه الْحَامِدُون مِن خَلْقِهِ، وَبِما حَمِدَه الذَّاكِرونَ مِن جِنِّهِ وَإِنْسِهِ، وَبِمَا حَمِدَ بِه نَفْسَه، وَبِما هُو أَهْلُه، حَمْداً يَرضَى بِه عَنَّا وَيَتَقَبَّلُهُ مِنَّا، وَنَشْكُرُهُ عَلَى سَوابِغِ نَعْمَائِهِ، وَتَرَادُفِ آلائِهِ، وَنُؤْمِنُ بِهِ أَوّلاً بَادِياً وَنَسْتَهْدِيهِ قَرِيْباً هَادِياً.

وَنَشهدُ أَلَّا إِلَه إِلَّا هُو حَيٌّ قَيّومٌ، لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ.

وَنَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبدُه وَرَسُولُه وَخِيْرَتُهُ مِن خَلْقِهِ، بَلَّغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ وَنَصَحَ الْأُمَّةَ وَكَشَفَ اللهُ بِه الْغُمَّةَ، فَصَلَوَاتُ اللهِ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ الْهُدَاةِ الميامين، مِن يومِنا هذا إِلى يومِ الدين

أَمَّا بَعدُ:

عِبادَ اللّهِ:

نَحمدُ اللهَ تَعالَى عَلَى مَا حَبَانَا مِن فَضْلِهِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْنَا مِنْ نِعَمِه، وَنَحْمَدُه عَلَى نِعْمةِ شَهْرِ رَمَضَانَ، شَهْرِ القيامِ، وَشَهْرِ الصِّيامِ، شَهرِ الطَّهُورِ وَشَهرِ الرَّحْمةِ والرضوانِ، نَحمَدُه عَلَى أَنْ وَفَّقَنَا لِصِيَامِهِ، وَأَعَانَنَا عَلى قِيَامِه، وَنَسْتَغْفِرُه مِنَ الْخَطَأ وَالزَّلَلِ، فِي القولِ والعملِ، ومِنَ التَّفْرِيطِ فِي طَاعَتِهِ، والتَّقْصِيرِ فِي مَرْضَاتِهِ.

عِبادَ اللّه:-

مَا أَسْرَعَ السَّاعاتِ وَتَقَلُّبَ اللّيَالِي والأيامِ، وَمَا أَشْبَهَ الليلةَ بِالْبارِحَة، فَهذَا شَهرٌ مَرَّ وَانْقَضَى، وَتَقَوَّضَتْ خِيَامُه، وَطُوِيَتْ أَعْلَامُه، وَانْقَضَتْ أَيامُه، وَرَحلَ

عَنَّا حَامِلاً مَعَهُ الخيرَ وَالبركاتِ، رَحلَ سَيّدُ الشُّهورِ، وَانْطَوتْ مَعهُ مَلامحُ الخيرِ والبُشُورِ، رَحَلَ عَنَّا ضَيفاً عَزِيزاً، العيونُ عليه بَاكيةٌ، والقلوبُ عليه مَحزُونةٌ، أَوْحَشَنَا فِراقُهُ، وَآلَمَنا انْصِرَافُه، وَنَحنُ مُوَدِّعُوهُ وَدَاعَ مَنْ عَزَّ فِراقُه عَلَيْنا، وَغَمَّنَا وَأَوْحَشَنَا أُنْصِرَافُه عَنَّا.

فَنَحْنُ قَائِلونَ:

السَّلامُ عَلَيْكَ مِنَّا يَا شَهرَ اللهِ الْأَكْبَرِ، ويا عِيدَ أَوْلِيائِه، السَّلامُ عَليكَ أَكرَمَ مصحوبٍ مِنَ الأوقاتِ، ويَا خَيْرَ شَهرٍ فِي الأَيامِ والسَّاعاتِ.

السَّلامُ عليكَ مِن شَهرٍ رَقّتْ فِيه القلوبُ، وَقَلَّتْ فيه الذنوبُ، السَّلامُ عليك مِن ناصرٍ أَعانَ عَلَى الشَّيطانِ، وَصاحبٍ سَهَّل طُرُقَ الإِحسانِ.

السَّلامُ عليك مِن ضَيفٍ جَلَّ قَدْرُه مَوْجُوداً، وَأَفْجَعَ رَحِيلُه مَفْقُوداً، آنَسَنا إِقبالُه، وَأَبْكانا وَداعُه.

السَّلامُ عَليك مَا كانَ أَطوَلَكَ عَلَى الْمُجْرِمِينَ، وَأَهْيَبَكَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلامُ عَلَيكَ كَمَا وَفَدتَّ عَلَيْنا بِالبركاتِ، وَغَسَلْتَ عَنَّا دَنَسَ الخطِيئاتِ، السَّلامُ عليك وعَلَى فَضلِك الذي حُرِمْنَاه، وَعَلَى فَيضٍ مِن بَرَكَاتِكَ سُلْبْنَاه.

نَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ بِجودِهِ وكَرَمِهِ أَنْ يَجْبُرَ مُصيبَتَنا فِي شَهرِنا، وأَنْ يُبَارِكَ لَنَا فِي يومِ عِيدِنا وَفِطْرِنَا، وَأَنْ يَجْعَلَه مِنْ خَيرِ يومٍ مَرَّ عَلينا، وأَنْ يُعَظِّمَ أَجْرَنا فِي شَهرِنا، وإِنَّا لله وإِنَّا إِليه رَاجعون.

عِبادَ اللّهِ:

هَذا هو يَومُ عيدِكُم، ويَومُ فِطرِكُم، ويَومُ فَرْحَتِكُم وَبَهجَتِكُم، هَذا عِيدُ الْفَائِزِيْنَ بِرِضْوَانِ اللهِ، هَذا عِيدُ مَنْ صَدرَ فِي حَقِّهِ حُكْمُ الْبَرَاءَةِ وَالْعِتْقِ مِن النارِ مِنْ مَحْكَمَةِ الْعَدْلِ الْكُبْرَى.

فَهَنِيْئاً ثُمَّ هَنِيْئاً لِمَنْ نَالَ الرِّضْوَانَ، وَكُتِبَ فِي دِيوانِ أَصْحَابِ الجِنَانِ، ونَالَ الْجَائِزَةَ مِن الرحمنِ.

فَهَنِيْئاً لِلصَّائِمِينَ الْقَائِمينَ، بِذَلِكَ الْفوزِ العظيمِ، هَنِيئاً لِمنْ شَمَّرَ سَواعِدَهُ، وَأَعْطَى شَهرَ اللهِ حَقَّهُ، فَشَحَنَهُ بِالطَّاعَاتِ وَالْأَذكَارِ، وَقَامَ فِي ظُلَمِ اللَّيَالِي يُنَادِيَ فِي ظُلُماتِ الأسحارِ، يَسْأَلُ مِنَ اللهِ فِكَاكَ رَقَبَتِه مِن النَّارِ.

عِبادَ اللّهِ:

لَقَدْ مَنّ اللهُ عَلَيْنَا بِمِنَّةٍ عَظِيمَةٍ، وَهِبَةٍ جَسِيمَةٍ، وَعَطايَا كَرِيمَةٍ اغْتَنَم فَضْلَهَا الصَّالِحُونَ، وَخَسِرَ ثَوَابَها الْمُبْعَدُون الْمُقَصِّرُون، وَلكِن مَا فَاتَ فَاتَ، وَلَا عِوضَ إِلّا بِما هُو آتٍ.

فَمنْ نَالَ الرِّضَى فَلَهُ الرِّضَى، ويَسألُ مِن اللهِ السَّدادَ والْقبولَ، ومَنْ قَصَّرَ وَفرَّطَ فَلْيُعَوِّضْ خَسَارَتَه بِما هو آتٍ، فَبَابُ التَّوبَةِ مَا زَالَ مَفْتُوحاً عَلى مِصْرَاعَيهِ، وَنِدَاءُ اللهِ مَا زَالَ يَتَرَدَّدُ فِي الْكَونِ صَدَاه ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٥٣ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾

مَا زَال بِوُسْعِ الْمُقَصِّرِ أَنْ يُعَوِّضَ خَسَارَتَهُ، وَيَتَدَارَكَ نَفْسَهُ بِالتَّوبةِ والإِنَابةِ، فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُ التَّوبَةَ عَنْ عِبادِه وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ.

مَعاشِرَ الْمُؤْمِنِينَ:

إِذَا كُنَّا قَدْ قَصَّرْنَا فِي شَهرِ رَمضانَ، وَرَأَيْنَا نَدَامَةَ التَّفْرِيطِ، فَلْنَتَذَكَّرْ نَدَامَةَ يَومِ الحسابِ، الَّذِي لا يَنْفَعُ فِيهِ نَدَمٌ وَلَا حَسْرَةٌ، يَومَ تُطْوَى الأَعمالُ، وَتُغلقُ أَبوابُ التَّوبةِ، فَلا نَدَامَةَ تَنْفعُ، وَلَا شَفِيعَ يَشْفَعُ، وَلَا نَاصِرَ يَدْفَعُ.

أَمَّا الْآنَ فَمَا زِلْنَا فِي دَارِ الخيارِ، وَ فِي دَارِ التَّزَوُّدِ والاعْتَذارِ، التوبةُ مَقْبُولَةٌ، وَالإِنَابةُ مَقْبُولَةٌ، فَيا مَنْ ضَيَّعَ شَهْرَ رَمَضَانَ فِي اللَّهْوِ وَالتَّرفِ، وفَاتَتْهُ فُرصَةٌ هِي أَغْلَى مِن الدّنْيَا وَمَا فِيْها.

فُتِّحَتْ له أَبوابُ السَّماءِ بِإجابَةِ الدُّعَاءِ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، وَاخْتَارَ الغِنَاءَ، وَفُتِحَتْ أَبوابُ الرَّحَماتِ فَعزَفَ عَنْها، وعَكَفَ طُولَ لَيلِهِ عَلى السَّمَرِ وَالْحَلَقَاتِ.

نَادَتْهُ الْمَلائِكةُ وَدَعَاهُ دَاعِي الحقِّ فَخَرَجَ مِن بُيوتِ اللهِ لِيَعْمُرَ الْأَسْوَاقَ، وَنَسِيَ نِدَاءَ رَبِّهِ، وَاشْتَغَلَ بِاللَّهْوِ مَعَ الْخَلْقِ.

إِنَّها خَسَارَةٌ مَا أَعْظَمَهَا، وَجُرْحٌ لِا يَنْدَمِلُ، وَكَسرٌ لَا يَجْبُرُ، وَهذهِ هِي الْحَقِيْقَةُ، ومَعَ مَرَارَتِها فَبَابُ الرُّجُوعِ غَيرُ مُغْلَقٍ فِي وَجْهِ أَحَدٍ، ولَكِن على كُلِّ مَنْ قَصَّرَ وَعَلى كُلِّ مَنْ فَاتَتْهُ ضِيَافَةُ اللهِ الكُبْرَى أَلَّا يَيْأَسَ مِنْ رَوْحِ اللهِ، إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَومُ الْكَافِرين.

وَلِكنْ بِشَرِطِ التَّوبَةِ وَالنَّدَم، وَالرُّجُوعِ وَالاستغفارِ، فَالرَّحْمَةُ لَمْ تُغْلَقْ أَبْوابُها بِغُرُوبِ شَمْسِ رَمَضَانَ، وَلَنْ تُغْلَقَ فِي وَجْهِ مَنْ رَجعَ إِلى رَبِّه حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِها.

وَلكنّ اللهَ لا يَمُدُّ يَدَ الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ إِلَّا لِمَنْ يَسْعَى إِلَيْها وَيَطْلُبُها، وَلَا يَهَبُ رَحْمَتَهُ إِلَّا لِمنْ يُجْهِدُ نَفْسَه فِي طَلَبِها.

تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هَذا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيْعُ

لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لَأَطَعْتَهُ ... إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيْعُ

أَمَّا الْمُبْعَدُون الَّذِين فَاتَهم ذلِكَ الشَّهرُ العَظيمُ فَلمْ يَغْتَنِمُوه، وَالْمُقَصِّرُون الَّذِين عُرِضَتْ عَلَيهِم التِّجَارَةُ الرَّابِحَةُ الّتِيْ لَا تَبُورُ، فَأعرضوا عنها بِالْغَفْلَةِ وَاللَّهْوِ بِتجَارَةِ الدُّنيا الْفَانِيةِ، فَخَسِرُوا وَلَمْ يَرْبَحُوا، ثُمَّ أَتَى يَومُ الْجَائِزَةِ فَأَتَوا فِيهِ وَأَرَادُوه، وَتَرَكُوا كُلَّ عَمَلٍ يَشغَلُهُم عَنه، وَلَبِسُوا الْجَدِيدَ وَحَضَرُوا، يُرِيدُون الْفَوزَ بِجائِزَةِ شَهرٍ أَهْمَلُوهُ وَأَضَاعُوه، أُولَئِكَ لَيْسَ عِيْدُهم بِعِيدٍ، وَلَا فَرَحُهُم فِيهِ إِلَّا كَفَرحِ الْأَطْفَالِ بِالثَّوبِ الجَدِيدِ ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة٨٢].

تَرجُو النّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَها ... إِنَّ السَّفِيْنَةَ لا تَجْرِي عَلَى الْيَبسِ

عِبَادَ اللّه:

إِيَّاكُم وِالْكَسلَ عن الطَّاعةِ، إِيَّاكُم وَالتَّقْصِيرَ فِي العِبَادَةِ، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ

لِعبَادَتِهِ حَداً مَحْدُوْداً، وَوَقْتاً مَعْلُوْماً لَا يُطَاعُ إِلَّا فِيه، بَلْ طَاعَةُ اللهِ وَعِبادَتُهُ مُقَلَّدَةٌ بِها أَعْنَاقُنَا مُدَّةَ أَعْمَارِنا، وَفِي كُلِّ مَكانٍ وَزَمَانٍ، فَشَهْرُ شَوّالٍ لَيسَ إِيْذَاناً بِانْتِهاءِ العِبَادَةِ لِلهِ، وَلَا غُرُوباً لِشَمْسِ الْخَوْفِ وَالْخَشْيَةِ، فَإِلى كُلِّ مَنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ فِي رَمَضَانَ، وَنَال مِنَ اللهِ الْفَوزَ وَالْغُفْرَانَ، إِيَّاكَ وَالْعُجْبَ، إِيَّاكَ وَالْاتِّكَالَ عَلَى عَمَلِ رَمضانَ، وَحَذَارِي مِنَ التّقْصِيْرِ فِيْمَا بَعْدَه مِنَ الشُّهُورِ.

وَكَمَا قِيلَ: بِئْسَ الْقَوْمُ قَوْماً لَا يَعْرِفُونَ اللَهَ إِلَّا فِي رَمَضَانَ، فَإِنَّ رَبَّ رَمضانَ هُوَ رَبُّ شَوَّالٍ وَشَعبانَ وصَفَرٍ وجُمَادَى، فَمَنْ تَهَاوَنَ بِأَوَامِرِ اللهِ وَقَصَّرَ فِي طَاعَتِهِ، وَقَطَعَ فُروضَ الصَّلاةِ، وَأَنْكَبَّ عَلَى الْمَعَاصِيْ، وَالْغِنَاءِ وَالْفُجُورِ وَهَتْكِ الْحُرُمَاتِ، فَإِنَّه بِفِعْلِهِ هَذا يُمْكِنُ أَنْ يَهدِمَ مَا قَدْ بَنَاهُ فِي مِآتِ السِّنِين فِي سَاعَةٍ واحِدة ويُحْبِطُ كلَّ أعمالِهِ في طَرْفَةِ عينٍ، ويَقْلِبُ على نفسِهِ حُكمَ العتقِ حكماً بالخلود في النار، وذلك قول الله: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾ [الفرقان٢٣].

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد٢٨].

عِبَادَ اللّه:

إِنَّ انْتِهاءَ شَهْرِ رَمَضَانَ لَيسَ نِهايةً لِلطَّاعةِ والعِبادَةِ، وَإِنَّما هُو بِدَايَةُ حَياةٍ جَدِيْدَةٍ طَيّبةٍ، بِدَايةُ عُمُرٍ جَدِيدٍ لِمَنْ طَهَّرَهُ اللهُ مِنَ الخَطَايَا وَالذّنُوبِ، فَعَاد كَيومِ وَلَدتْهُ أُمُّهُ ذَلك لِمَن ﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [النازعات٤٠]، فَهَنِيْئاً لَهُ الْيَومَ بِجَائِزةِ رَبِّهِ، وَمُبَارَكٌ يومُ عِيْدِهِ وَفِطْرِهِ، وَلْيَحْرِصْ عَلَى حِرَاسَةِ عَملِهِ مِنَ الْمُحْبِطَاتِ فِي بَقِيَّةِ عَامِهِ، وَلْيُحَافِظْ عَلَى هَذه النّتيجةِ إِلى أَنْ يَلْقَى اللهَ.

عِبادَ اللّه:

إِذَا كَانَ هُنَاكَ مِنْ يَجْهَلُ شَهرَ رَمضانَ وَحُرْمَتَهُ، فَلا يَفُوْتَهُ أَنْ يَعْرِفَ مَفهومَ الْعِيدِ وَقَدْرِهِ، وَلْيَعلَمْ أَنَّ هَذَا اليومَ لَمْ يُسَمَّى عِيْداً لِأَنَّنَا تَحَرَّرْنَا فِيهِ مِنَ رِقِّ

الْعُبُودِيةِ، أَوْ أَنّ الصِّيَامَ وَالْقِيَامَ كَانَا قَيْدَين فَتَحَرَّرْنَا مِنْهُما، أَوْ أَنَّنَا نَحْتفِلُ بِخَلَاصِنَا مِنْ سِجْنِ الْمَسَاجِدِ، وَمِنْ آلَامِ الْجُوعِ وَالظَّمَأِ.

وَأَيْضاً لَيْسَ الْعِيْدُ فَرْحَةً بِعِيدِ مِيْلَادِ قَائِدٍ، وَلَا عِيدِ تَحْرِيرِ وَطَنٍ، وَلَا عِيدِ اسْتِقْلَالِ دَوْلَةٍ، نَلْهُو فِيهِ وَنَلْعَبُ، وَنَنْكَبُّ عَلَى الْمَلَذَّاتِ وَالْمُحَرَّمَاتِ، بِالرَّقْصِ وَالْغِنَاءِ وَمَزَامِيرِ الشَّيْطَانِ، والْعُقُوقِ وَالْعِصْيَانِ، بَلْ إِنَّه أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ ذَلك، فَهُوَ عِيدُ تَحْرِيرِ نَفْسٍ مِنْ نَّارٍ تَلَظَّى، وَعَذَابٍ سَرْمَدِيٍّ، فَإِيّانَا وَقَلْبِ الْمَوازِيْنِ، وَتَغْيِيرِ الْمَفَاهِيْمِ فَلَا نَتَّخِذُ هَذا اليومَ يَوْماً تُطْوَى فِيهِ صَفَحَاتُ الطَّاعةِ، وَتُفَتّحُ فِيهِ صَفحاتُ العِصْيَانِ.

فَالْوَيلُ لِمَن تَلَطَّخَتْ يَداهُ فِي هَذا اليومِ وَغَيرِهِ بِالْإِثمِ وَالْعِصْيَانِ، وَمُصَافَحَةِ غَيْرِ مَحَارِمِهِ مِنْ النِّسَاءِ، أَوْ يُدَنِّسَ نَفْسَهُ بِالْقَبَائِحِ وَالآثَامِ.

عِبادَ اللّه:

هَذا اليومُ يَومُ شَعِيرَةٍ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّتِي أَمَرَ بِتَعْظِيْمِها ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج٣٢]، فَمَنْ يُجَابِهُ اللهَ بِالْعصيانِ بَعْدَ شَهْرِ الرَّحْمَةِ وَالْغُفرانِ، فَقَدْ بَارَزَ اللَهَ بِالعَدَاوةِ، وَأَقْحَمَ نَفْسَهُ فِي حَرْبٍ مَعَ اللهِ وَرَسُولِه، ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [الحج٣٠].

فَلْنُعَظِّمْ هذا اليومَ وَأَمْثَالَهُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَالتِّجَارةِ الرَّابِحَةِ.

وَلْنُكْثِرْ مِنَ الدُّعَاءِ وَالصَّلَاةِ، وَالتَّهْلِيْلِ وَالتَّكْبِيرِ، وَالشُّكْرِ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى نِعَمِهِ وَآلَائِه، بِصلَةِ الأَرْحَام، وَزِيَارَةِ الْأَقَارِبِ وَالْجِيْرَانِ، وَمُوَاسَاةِ الضّعَفَاءِ وَالْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَام، وَبَثِّ الْأُلْفَةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِصْلَاحِ ذَاتِ البَيْنِ، وَمُعَاوَنَةِ الضَّعِيفِ، وَإِدْرَاكِ اللّهْيفِ، وَإِدْخَالِ الْفَرْحَةِ إِلَى قُلُوبِ الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَالْبَائِسِيْنَ وَالْمَحْرُومِينَ.

عِبادَ اللّه:

إِذَا كُنْتُمْ تَضْحَكُوْنَ وَتَمْرَحُونَ، فَهُنَاكَ الْمَرْضَى وَالْعَجَزَةُ وَالْمُعَاقُونَ، الذِينَ أَقْعَدَهُمْ الْكِبَرُ وَأَنْهَكَهُمُ الْمَرَضُ، يَتَمَرَّغُوْنَ فِي الْغُرَفِ الْمُظْلِمَةِ عَلَى ظُهُورِهِم

مُسَنَّدِيْنَ، يَعْتَصِرُ الْأَلَمُ نُفُوسَهُمْ، وَالْحُزْنُ قُلُوبَهم.

يَسْكُبُونَ الْعَبَرَاتِ عَلَى الْخُدُوْدِ، لَمْ يَعْرِفُوا لِلرَّاحَةِ طَعْماً، وَلَمْ يَسْتَلِذُّوا فِي مَضَاجِعِهِم بِنَوْمٍ، يَحْتَاجُونَ لِمَنْ يُوَاسِيْهِم وَيُعْزِّيهِمْ، وَيَرسُمُ عَلَى تِلكَ الْوُجُوهِ الشَّاحِبَةِ وَالشِّفَاهِ الذَّابِلَةِ ابْتِسَامَةَ الْعِيدِ وَفَرْحَتَهُ، بِزِيَارَةٍ تُدْخِلُ عَلَيهِمَا الْأُنْسَ وَالْبَهْجَةَ وَالْغِبْطَةَ وَالسُّرُوْرَ.

وَإِذَا كُنَّا بِينَ أَطْفَالِنَا وَأَهْلِينَا فِي أَتَمِّ الْبَهْجَةِ وَالسُّرُوْرِ، فِي كَامِلِ الزِّيْنَةِ وَالْكسْوَةِ الْفَاخِرَةِ، فَلْنَتَذَكَّرْ أُسَرًا وَعَوَائِلَ بَيْنَ أَظْهُرِنا تَمْلَأُ قُلُوْبَهم الْحَسْرَةُ وَالْأَسَى، لَا يَجِدُونَ مَا يَسُدُّوْنَ بِهِ جُوْعَهُمْ، فَضْلاً عَنِ الْكِسْوَةِ وَجَعَالَةِ الْعِيْدِ، الَّتِيْ طَالَمَا حَلمُوا بِها فَحُرِمُوهَا، وَلَبِسُوا الْبَالِيَ وَالْمَغْسُولَ؛ لِشِدَّةِ فَقْرِهِم وَحَاجَتِهم، وَمِنْهُم الَّذِينَ لَا يَجِدُون الْمَأوَى وَالْمَسْكَنَ، بَلْ يَنَامُونَ فِي الْخَلَاءِ، يَفْتَرِشُونَ الْأَرْضَ وَيَلْتَحِفُوْنَ السَّمَاءَ، فَلَا بَيْتَ يَأْوِيْهِمْ، وَلَا سَقْفَ يَحْمِيْهِمْ، وَلَا فِراشَ وَلَا دِفْأ، وَمِنْهُمْ الْيَتِيْمُ الَّذِي فَقِدَ وَالِدَيْهِ، وَفَقِدَ الْعَطْفَ وَالْحَنَانَ.

فَمِنْ شَعَائِرِ هَذا الْعِيدِ أَنْ نَمُدَّ يَدَ الْعَوْنِ لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينِ مِنَ النَّاسِ؛ لِنَمْسَحَ عَلَى تِلْك الْقُلوبِ الْبَائِسَةِ، مَسْحَةَ عَطْفٍ وَحَنَانٍ، تَسْكُنُ بِهَا الْقُلُوبُ، وَتُجْلا بِها الْأَحْزانُ، وَلْنَتَذَكَّرْ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّه وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً﴾ [النِّساء٩]، وَمَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ الْقِيَامَةِ.

وَلْنَكُنْ مِمَّنْ قَال اللهُ فِيهم: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّه يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عِمران١٣٤].

بَارَكَ اللهُ لِيْ وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيْمِ، وَنَفَعَنِيْ وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيْمِ، إِنَّه تَعَالَى جَوَادٌ مَلِكٌ رَؤُوْفٌ رَحِيْم، فَاسْتَغْفِرُوه؛ إِنَّه هُو الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكبَرُ، اللهُ أكبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ.

عيد الفطر

الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لِلهِ الرّحمنِ الرَّحِيمِ، الوَاحِدِ الْأَحَدِ الْمَلِكِ الدَّيَّانِ، ذِي الجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَالْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ، وَالْعِزَّةِ الَّتِي لا تُرَامُ .

وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَه إِلَّا اللهُ، مَانِحُ الْخَيرِ وَمُعْطِيهِ، وَصَانِعُ الإِحسانِ وَمُبْتَدِيه، هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَه إِلَّا هُو فَاعْبُدُوه مُخْلِصِينَ لَه الدِّينَ وَلَو كَرِهَ الْكَافِرُون.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَه عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُون، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ الطَّاهِرِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، عِبادَ اللّهِ:

إِنّ الْعِيدَ الْأَكْبَرَ فِي الْإِسْلامِ هُو أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَتُطِيعَه، لَا أَنْ تُنَظِّفَ ثِيابَكَ وَجَسَدَكَ فَقَطْ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ تُنَظِّفَ قَلْبَكَ مِن الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ، وَمِنَ الْحَسَدِ وَالْحِقْدِ وَالْغِلِّ وَالنِّفَاقِ. الْعِيدُ أَنْ تُنَظِّفَ مَبْدَأَكَ، وَأَنْ تُطَهِّرَ مَسْعَاكَ حَتَّى لَا يَصْدُرَ مِنْكَ إِلَّا مَا فِيهِ نَفْعٌ لِلإِسْلَامِ وَأَهْلِه.

فَرُبَّ مُطَهِّرٍ لِثِيَابِهِ، مُنَظِّفٍ لِبَدَنِه وَهُو مُدَنِّسٌ لِبَاطِنِه، قَدْ أَصْبَحَ قَلْبُه جِيْفَةً بِالذُّنُوبِ، نَتِناً من المعاصي، تَفُوْحُ مِنْهُ رَوَائِحُ الْأَحْقَادِ وَالْأَضْغَانِ وَالنِّفَاقِ.

عَبْدَ اللّهِ:

إِنَّ الْحَيَاةَ بَذْلٌ وَعَطَاءٌ، جِهادٌ وَكِفاحٌ، لا رَاحَةَ لِلمُؤْمِنِ فِيها إِلَّا بِالسَّعْيِ فِي طَاعةِ اللهِ ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس٩٨]، فَلَا بُدَّ مِن جِهادِ النَّفْسِ حَتَّى تُوَاظِبَ عَلَىٰ فَرَائِضِ اللهِ، وَتَقُوْمَ بِمَا أَمَرَ اللهُ، وَتَسْتَقِيْمَ عَلَىٰ طَاعَتِهِ، فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ.

عِبادَ اللّه:

اللهَ اللهَ في الصلاةِ أُوْصِيكُم وَنَفْسِيَ بِالصَّلاةَ، فَإِنَّ الصّلاةَ عِمَادُ دِينِكُمْ وَرَأْسُ يَقِينِكُم، فَمَنْ ضَيَّعَهَا ضَيَّعَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللهُ، وَأَوَّلُ مَا يُسْأَلُ ابْنُ آدَمَ عَنْ الصّلاةِ، إِنْ جَاءَ بِها تَامّةً وإِلَّا زُجَّ بِهِ في النَّارِ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الْمَقْبُولِينَ فِي هَذَا الْيَومِ، وَمَنْ أَهْلِ الْجَوَائِزِ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِ اللهِ، فَفِيْمَا يُرْوَى عَن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه أَنَّهُ قَالَ: ((إذا كانَ ليلةُ القدرِ نَزَلَ جبريلُ في كوكبةٍ من الملائكةِ عليهمُ السَّلامُ يُصَلُّونَ على كُلِّ قائمٍ أَو قاعدٍ يذكرُ اللهَ تعالى، فإذا كان يومُ عيدِهِمْ باهى اللهُ بهمُ الملائكةَ، فقالَ: يا ملائكتِي، ما جزاءُ أجيرٍ وفَّى عملَهُ؟ قالوا: ربَّنَا جزاؤُهُ أنْ يُوفَّى أَجْرَهُ، قال: يا ملائكتِي، عِبادِيْ وإِمائي قَضَوْا فَريضَتَهمْ عليهِم، ثُمَّ خَرَجوا يَعُجُّونَ بِالدعاءِ وعُلُوِّ عِزَّتِيْ وَجَلالي لَأَجَيبَنَّهُم، فيقولَ: ارجعوا فَقَدْ غفرتُ لَكُمْ وبَدَّلتُ سيئاتِكُم حسناتٍ، فَرجَعُوا مغفوراً لهم)).

فَيَالهُ مِنْ فَوزٍ مَا أَعْظَمَهُ، وَرَبٍّ رَحِيمٍ مَا أَكْرَمَهُ.

عِبادَ اللّه:

يَقُوْلُ الْمُصْطَفَى صَلَواتُ اللهِ عَلَيهِ وَعَلَى آلِه: ((صيامُ الرَّجُلِ مُعَلَّقٌ بين السماءِ والأرضِ حتى يُعطِي صدقةَ الفطرِ)). نَعَمْ يَا عِبَادَ اللهِ، الْفِطْرَةُ زَكَاةُ النَّفْسِ، فَكَمَا أَنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ عَلَيْنَا الزَّكَاةَ فِي الْأَمْوَالِ، فَقَدْ أَوْجَبَ عَلَيْنَا كَذَلِكَ تَزْكِيَةَ الْأَبْدَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فَمَنْ قَصَّرَ فِي الْفِطْرَةِ فَقَدْ قَصَّرَ فِي تَطْهِيرِ نَفْسِهِ وَعَمَلِهِ، يَقُولُ الرَّسُولُ: ﷺ في حديث: ((الفطرةُ لازمةٌ واجبةٌ على كُلِّ مُسْلمٍ وفِي ذِمَّتِهِ عَنْهُ وَعَنْ مَنْ تَلْزَمُهُ نفقتُهُ من أَهلِهِ وأَولادِهِ كِبَاراً وَصِغَاراً، وهيَ صاعٌ مِنْ حبٍّ أَو تَمْرٍ أَو زَبيبٍ أَو مِنْ أَيِّ قوتٍ))، وَالْبَعْضُ مِنَ الْعُلَمَاءِ يُوجِبُ أَنْ يَكونَ مِن حَبٍّ أَوْ نَحْوِهِ، وَلَا يُجِيزُ إِخْرَاجَ النُّقُودِ وَالْقِيْمَةِ بَدَلاً عَنْهَا إِلَّا أَنْ لّا يَجِدَ ذلك في ملكه فَلَا بَأْسَ.

وَبَعْضُ العُلَمَاءِ يَرَى بِأَنَّ، الْحَبَّ وَنَحْوَهُ أَفْضَلُ؛ وَذَلِك لِأَنَّهَا فِطْرَةُ إِطْعَامٍ، وَلَا يُخْرِجُ إِلَّا مَا كَانَ طَعَامَاً.

عِبادَ اللّهِ:

أَكْثِرُوا مِنْ ذِكرِ اللهِ وَشُكرِهِ فِي هَذَا اليومِ الْمُبَارِكِ، وَأَكْثِرُوا فِيهِ مِن الدُّعاءِ، فَإِنَّ الدُّعاءَ فِيهِ مَقْبُولٌ، وإِنَّ الْمَلائِكةَ تُؤَمِّنُ عَلَى دُعَائِكُمْ، وَمَا مِنْ عبدٍ سأَلَ اللهَ فِي هَذَا اليومِ شَيْئاً إِلّا قَبِلَ اللهُ دعائَهُ، مَالَمْ يَكُنْ قَطيعَةَ رَحِمٍ، أَوْ مِمَّا لا يرضاهُ اللهُ، وأَكْثِرُوا فِي هذا اليومِ منَ الصلاةِ عَلَى نَبِيِّكُمُ الكريمِ فإنَّ في الصلاةِ عَلَيهِ أَجْراً عظيماً، وَمَا مِنْ عَبْدٍ صَلَّى عليهِ صَلَاةً وَاحدةً إِلَّا صَلَّى اللهُ عَلَيهِ بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَمَحَى عنهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَأَثْبَتَ له عَشْرَ دَرَجَاتٍ.

أَلَا وإنّ فِي الصلاةِ عَليهِ بَرَكَةً تُفْتَحُ بِها أَبْوابُ السماءِ، وَيُقْبَلُ بِها الدعاءُ، اللهمَّ فَاجْعَلْ أَفْضَلَ صَلَواتِكَ وَنَوَامِيَ بَركاتِكَ وَأَتَمَّ رَحَمَاتِكَ عَلَى عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَخِيْرَتِكَ من خَلْقِكَ أَبي الطيبِ والطاهرِ والقاسمِ محمدِ بْنِ عبدِ اللهِ بْنِ عبدِ الْمُطَّلِبْ بنِ هَاشمٍ.

وَصَلِّ اللهمَّ عَلَى أَخِيهِ وَوصيِّهِ مِنْ بَعْدِهِ أَميرِ المؤمنينَ وَيَعْسُوبِ المتقينَ مولانا الإمامِ عليِّ بْنِ أَبْي طَالبٍ، وَعَلى زَوْجَتِهِ الحَوْرَاءِ فاطمةَ البتولِ الزهراءِ، وَعَلى وَلديْهما الإمامينِ الْأَعظمينِ أَبيْ مُحمدٍ الحسنِ، وَأَبيْ عبدِ اللهِ الحُسينِ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى الْإِمامِ الوليِّ بْنِ الوليِّ أَميرِ الْمُؤْمنينَ زيدِ بْنِ عَلَي، وَعَلى الهاديْ إِلى الحقِّ القويمِ يَحْيَى بْنِ الحسين بْنِ القَاسمِ بْنِ إِبْرَاهيمَ، وَعَلى مَنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُم من الأئمةِ الْهَادينَ دُعاةً منهمْ وَمُقْتَصِدِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَن أَصحابِ نَبِيِّكَ الراشدينَ من المهاجرين والأنصارِ، وَارْضَ عَنّا مَعَهُمْ بِفَضْلِكَ وَمَنِّكَ يا كريمُ.

اللَّهُمَّ ارحمْنا يا رحيمُ واغفرْ لنا يَا خَيْرَ الغافِرينَ، واعْتِقْ رِقَابَنَا مِنْ النَّارِ وَقِنَا شرَّ الأَشرارِ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنّا صِيَامَنَا وَقِيامَنا وَكُلَّ مَا تَقَرَّبْنَا بِهِ إِلَيْكَ وَاجْعَلْهُ خَالِصَاً لِوجْهِكَ الكريمِ.

اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا زَلّاتِنَا، وَتَجَاوَزْ عَنْ خَطِيْئَاتِنَا وَاقْبَلْ تَوْبَتَنَا، اَللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ من التَّقصيرِ فِي حقِّ هذا الشَّهرِ، وَنَتُوبُ إِليكَ من التفريطِ فِيهِ.

اَللَّهُمَّ اَجْبُرْ مصيبتَنَا فِي شَهْرِنَا وَعَوِّضْنَا عَنْ خَسَارَتِنَا فيهِ، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّميعُ العليمُ، وَتُبْ عَلينَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوابُ الرَّحيمُ، واغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قديرٌ.

اَللَّهُمَّ انْصُرِ الإِسْلامَ والْمُسْلمينَ، وأعِزَّ الدينَ وَأَلِّفْ بينَ قلوبِ الْمُؤمنينَ، وَأَهلِكِ الْكَفَرَةَ وَالْمُلحدينَ واليهودَ والنصارىٰ والْمُشْركينَ وَدَمِّرْ أَعداءَ الدينِ واجعلْهُمْ غَنِيمةً لِلْمُسْلمينَ

وَآخِرُ دَعوانَا أنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ.

عِبادَ اللّهِ:

﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فْاذكرُوا اللهَ العظيمَ الجليلَ يَذْكُرْكُمْ واشكرُوهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكبرُ واللهُ يعلمُ مَا تَصْنَعُونَ.

اللهُ أَكبرُ، اللهُ أَكبرُ، اللهُ أَكبرُ، اللهُ أَكبرُ، اللهُ أَكبرُ، اللهُ أَكبرُ، اللهُ أَكبرُ.

عيد الأضحى

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، أحمدُهُ تعالى على ما مَنَّ بِهِ علينا من النعم العظام، وتفضل به علينا من الإنعام، والحمد لله على ما هدانا وأولانا وأحل لنا من بهيمة الأنعام.

ونشهد ألَّا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريك له ولا مثيل، ولا كفؤ له ولا نظير، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وأشهد أن سيدَنا ونبيئنا محمدٌ عبدُ الله ورسولُه الصادقُ الأمينُ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين من يومنا هذا إلى يوم الدين.

أما بعد:

السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ

مبارك لكم هذا اليوم العظيم

وعيدٌ سعيد، وكل عام وأنتم بألف خير

أعاده الله علينا وعليكم بالخير والبركة والأمن والأمان.

أيها الإخوة المؤمنون:

هذا اليوم هو يوم من أيام الله جعله يوم عيدٍ وفرحٍ ومسرَّةٍ لعباده؛ ليسعدوا ويفرحوا، ولتتم البهجة والسرور، فقد جعل أيامه أيام أكل وشرب، وحرم فيه الصوم وشرع فيه الترفيه عن النفس والأهل والأبناء والترويح عنهم والإفضال عليهم بالمال والطعام والشراب حتى ينعموا ويفرحوا

ويحمدوا الله على نعمته وفضله ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴿٥٨﴾﴾ [يونس].

وليس معنى هذا أن نلهو ونلعب كما نحب بالمعازف والمزامير والرقص والغناء ، فهذا حرام نهى الله عنه.

فالعيد شعيرةٌ من شعائر الله التي أمر أن تُعَظَّمَ وتُقَدَّسَ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴿٣٢﴾﴾ [الحج]، والعاصي لله في هذا اليوم ليس ممن يعظم شعائر الله، بل ممن يهدمها ويستخف بها.

أيها الإخوة المؤمنون:

العيد ليس أن نلبس فاخر الثياب ، ونتباهى بالجمال والشباب، ولا أن ننهمك في الشهوات ونغفل عن الغاية الحقيقية للعيد والحكمة من ورائه.

فهناك أناس لا علم لهم بشرائع الله ولا بشعائر الإسلام، ولا يعرفون من العيد إلا الكسوةَ والسلامَ، وذبحَ الأنعامِ، وأكلَ الطعامِ، همهم أن يفرغ الخطيب من الكلام لينطلق كُلٌّ إلى هدفه دون فَهْمٍ لمعنى العيد ولا إدراك لغايته وما أراد الله من ورائه، فتراه يغفل عن ذكر الله، ويلهو مختالاً في زينته، ينظر الحرام، ويسمع اللهو والغناء ، ويصافح الأجنبيات ، ولهذا أحببنا التنبيه على ذلك.

فالله عز وجل شرع لنا الأعيادَ عَطِيَّةً منه تعالى ومكافأةً على إتمامِ فريضة وأداءِ واجب.

فعيد الفطر هو عيد يفرح به مَنْ أَتَمَّ فرضَ الصومِ وأدى واجبَه فخرج منه مغفوراً له كيوم وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وعيدُ الأضحى يأتي بعد أداء فريضة الحج الأكبر والفوز بالربح الأوفر كما قال ﷺ: ((مَنْ حَجَّ وَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)).

عبادَ الله:

هذا اليوم العظيم وما قبله وما بعده من الأيام وإن كانت أيام فرحٍ وأعيادٍ وأكلٍ وشربٍ- فهي أيضاً أيامُ ذكرٍ وشكرٍ، أيامُ طاعةٍ وعبادةٍ، أيامُ تهليلٍ وتكبيرٍ، يقول النبي ﷺ: ((مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيْهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ)).

فهذا اليوم هو من الأيام المعلومات التي أقسم الله بها في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الفجر]، فهذا اليوم هو وما بعده الأيامُ المعدودات التي هي أيام التشريق.

وفي هذا اليوم وما قبله قال عز من قائل: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج٢٨]، وأراد بالأيام المعلومات أيام العشر من ذي الحجة.

وفي هذا اليوم وما بعده قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة٢٠٣]، وهذه الأيام هي أيام التشريق، وهي خمسة أيام أولها يوم عرفة ويوم العيد، وثلاث بعد العيد.

ففي هذه الأيام شُرِعَ الذكر لله تعالى والإكثار منه، فلا ينبغي الغفلة عن ذكر الله فيها فإنها أيام عظيمة وفضلها كبير والذكر فيها مشروع، ولا سيما في أدبار الصلوات.

ففيما يروى بعد كل صلاة هو: «اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ لا اله إلا الله، و اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ ولله الحمد، والحمد لله على ما هدانا وأولانا وأحل لنا من بهيمة الأنعام».

وهذا الذكر مشروع من فجر يوم عرفة إلى بعد عصر آخر أيام التشريق، هكذا روي عن النبي ﷺ وعن أهل بيته الطاهرين.

فينبغي ملازمة هذا الذكر بعد كل صلاة مفروضة ثلاث مرات وبعد كل

نافلة مرة واحدة، وهو بعد الفروض سنة مؤكدة وبعد النوافل نافلة، ومن نسي ذلك بعد الصلاة قضاه في أي وقت من أيام التشريق.

وعلينا أن نُعَلِّمَ هذا الذكر أهلَنا وأولادنا، لنكون وإياهم من الذاكرين لله، ولا نكون من الغافلين، فلا ينسينا فرحُنا بالعيد شكرَ اللهِ والثناءَ عليه بذكره على ما هدانا وأولانا وأحل لنا من بهيمة الأنعام، كما قال تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة].

فالله تعالى أراد منا في هذا اليوم أن نذكرَ نعمتَه ونشكرَ فضلَهُ، ونحمده ونحسن الثناء عليه، كما قال عز من قائل: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف].

أيها الإخوة المؤمنون،

أنتم الآن عائدون لذبح أضحياتكم ونحر قرابينكم، وهذه هي شعيرةٌ من شعائر الدين، ونسكٌ من المناسك التي ينبغي فهمها على حقيقتها، وأداؤها كما أمر الله تعالى؛ ولهذا أحببنا أن نُعَرِّج وإياكم على ذكر طرف من أحكام الأضاحي وما شرع فيها.

وأول ما يجب معرفته أن يعلم المضحي بأن هذه الأضحية هي سنة وليست بواجبة علينا، هذا مذهبنا.

وهي شعيرة من شعائر الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴿٣٦﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴿٣٧﴾﴾ [الحج].

وأن الله شرعها قربة خالصة لوجهه ، فقال : لن ينال اللهَ لحومُ هذه الأضاحي

ولكن يناله الإخلاص فيها، وأن يكون القصد بها وجه الله وحده.

فلا يكن القصد منها هو اللحم والأكل فقط ، فلو لم يقصد القربة والسنة لم تجزه، ولو اشترك اثنان في أضحية وقصد أحدُهما السنةَ وقصد الآخرُ اللحمَ لم تجز أضحية؛ لأن الأضحية لا تتبعض.

فكما أن الله شرع لكل صائمٍ إخراجَ الفطرة في عيد الفطر طهارةً لنفسهِ، وكل من قصر في إخراج فطرته فقد قصر في تطهير نفسه- فكذا شرع الله في عيد الأضحى التضحيةَ بقرابين الذبائح، يقول النبي ﷺ فيما بلغنا عنه: ((ما عَمِلَ ابنُ آدم يَومَ النَّحْرِ عَمَلاً أَحَبَّ إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هِرَاقَةِ دَمٍ، وإنه ليأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها وإن الدم ليقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع على الأرض، فطيبوا بها نفساً)).

والأضحية هي سنة على كل مكلف بالغ عاقل ذكراً كان أو أنثى، غنياً كان أو فقيراً، ولا شيء على الصغير ولا المجنون.

فعل هذا فإن الرجل ينوي بأضحيته عن نفسه وزوجته وأبنائه البالغين فقط، ويكفي منهم أن يأذنوا له بالذبح عنهم، فلو ذبح الرجل عنه وعن أبنائه الصغار لم تجزه؛ لعدم الشرعية في حقهم ، والأضحية لا تتبعض.

والأضحية تكون من الغنم أو من البقر أو من الإبل، فالشاة تجزئ عن ثلاثة، والبقرة تجزئ عن سبعة ، والجمل يجزئ عن عشرة، هذه هي السنة لمن أراد أن يتسنن.

ويلزم في الأضحية أن تكون قد بلغت سن الأضحية، وسن الأضحية في الغنم سنة كاملة، والمعز سنتان، وكذا البقر لا يجزئ منها إلا ذات عامين لا دون ذلك، وأما الإبل فإنه لا يجزئ منها إلا ذو خمسة أعوام كاملة، فهذا هو شرط صحة الأضحية.

وقد يقول القائل إن ما كبر من الأضاحي لا يطيب أكلها.

فنقول له: ليس المهم هو الأكل واللحم حتى نبحث عما تشتهيه الأنفس، بل القصد هو التقرب إلى الله بما شرعه علينا.

ومن شروط الأضحية أن تكون صحيحة سليمة من كل علة وعيبٍ يُنَقِّصُ قيمتَها ويشِيْنُ صورَتَها، فلا تجزئ المريضة ولا العمياء، ولا العوراء البين عورها، ولا مقطوعة الأذن، ولا المثقوبة، ولا المشقوقة، ولا مقطوعة الذنب، ولا مكسورة القرن من أسفله مما فيه حياة.

فهذه الأضحية وإن كان عيبها لا يؤثر في طيب لحمها فلا تجزئ ؛ لأنها قربان إلى الله ، ومن حق القربان أن يكون من أطيب وأفضل وأجود ما يكون، سليماً من العيوب والنقائص.

وأما وقت الذبح فإنه يكون من بعد صلاة العيد إلى ثالث العيد، ولا يصح الذبح قبل الصلاة لقوله ﷺ: ((مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا هَذِهِ –يعني العيد– وَنَسَكَ نُسُكَنَا فقد أصاب سُنَّتَنَا، وَمَنْ نَسَكَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَتِلْكَ شَاةُ لَحْمٍ)).

أيها الإخوة المؤمنون

تكلمنا فيما سبق على جانب من صفات الأضحية، والآن نتعرف وإياكم على كيفية الذبح والنية وما يندب في ذلك.

فمن أراد أن يذبح أضحيته فعليه أن يباشر ذلك بنفسه فإن كان لا يقدر على ذلك فيندب له أن يحضر وقت الذبح وليشهد ذبيحته ، كما أمر النبي ﷺ ابنته فاطمة عليها السلام بذلك حيث قال: ((يا فاطمة، قومي إلى أضحيتك فاشهديها، فإن لك بكل قطرة من دمها ما سلف من ذنوبك)).

فإن كان هو الذابح فلينو عند الذبح أن هذه الأضحية هي عنه وعمن يشاركه، وإن كان الذي سيذبح الضحية هو غير المضحي فعليه أن ينوي عند

[توكيله بالذبح] أو عند الذبح أنها أضحية ، وإذا كان الذابح مستأجراً فلتكن أجرته من غير الأضحية فلا يعطى الجزار شيئاً من جلدها ولا رأسها ولا لحمها أجرة على الذبح ولا يبع شيئاً منها لا جلدها ولا لحمها ، بل يتصدق به إن شاء.

والمندوب للمضحي أن يأكل من أضحيته ويطعم غيره وليتصدق منها بما شاء كما ندبنا الله تعالى بقوله: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ [الحج٣٦]، وقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴿٢٨﴾﴾ [الحج].

ومن أراد الذبح فليحد شفرته وليضجع ذبيحته مستقبلاً بها القبلة ويقول: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين».

ثم يقول: « بسم الله الله أكبر، اللهم منك ولك تقبل مني ومن أهلي هذا القربان »، وإن كنتَ تذبح عن غيرك فقل: « اللهم منك ولك تقبل من فلان، وتذكر اسمه.

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله العظيم الجليل من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴿٣﴾﴾.

اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ.

عيد الأضحى

الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الذي ذكرُهُ شرفٌ للذاكرين، وطاعتُه نجاةٌ للمطيعين، وشكرُه فوزٌ للشاكرين، نحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ونشهد أن لا إله ولا معبود بحق سواه ، تعالىٰ عما يقوله الجاهلون علواً كبيراً، ونشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله وأمينه وخليله ، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله الطاهرين من يومنا هذا إلىٰ يوم الدين، أما بعد:

أيها الإخوة المؤمنون:

اجتمعنا هاهنا وإياكم كما أمرنا الله ورسوله لحكمة أرادها الله تعالىٰ لتتآلف القلوب وتستأنس النفوس وتزول الوحشة ؛ لأن في الاجتماع أُنساً وألفة ، وفي الافتراق جفاءً ووحشة، فاجتماعنا في صلواتنا وجُمَعِنَا وجماعاتنا وأعيادنا وأفراحنا فيه وُحْدَةٌ ولُحْمَةٌ وترابط كأننا جسد واحد، كما أن في التزاور والتواصل والتجمعات في الأعياد والأعراس والمناسبات تقويةً لِأَوَاصِرِ المحبة والأُلْفَةِ والإخاء ، يقول الرسول ﷺ: ((لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ وَتَوَاصَلُوا وَتَبَاذَلُوا)).

فنحن في هذا المقام المبارك، وفي هذا اليوم العظيم، لا تكمل فرحتنا ولا يتم سرورنا إلا بالتصافي والتسامح والعفو، والتراحم والتآلف، ونبذ الفُرْقَةِ والعِدَاءِ والقطيعة.

فلا يكفي أن تجتمعَ الأجساد وتلتحم والقلوبُ متنافرة متباعدة، لا معنىٰ لاجتماع الأجساد إن كانت القلوب مفترقة، ولا قيمة للسلام إن لم يكن بمحبة

ووئام، ولا معنى للمصافحة إن لم تكن النفوس متسامحة.

لا فائدة في المصافحة والوجوه كالحة، ولا معنى للمزاورة والقلوب متنافرة، يقول الرسول ﷺ: ((لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ))، ويقول في حق المعتذر: ((من لم يقبل العذرَ من محق أو مبطل لا ورد علي الحوض)).

فالعيد أيها الإخوة، مناسبة عظيمة للعفو والتصالح، فعلينا أيها الإخوة، قبل أن نطهر ظواهرنا وننظف ثيابنا ونطيبها أن نطهر بواطننا من الأحقاد والضغائن، وأن تَطِيبَ نفوسنا ونتجاوز عمن أساء إليها، فمن عفا وأصلح فأجره على الله، ولتتصافح قلوبنا قبل أن تتصافح أيدينا ، ولتبتسم ضمائرنا قبل أن تبتسم شفاهنا، ولتتجاوز عن بعضنا ليتجاوز الله عنا.

فعن النبي ﷺ: ((إِنَّ أَفْضَلَكُمْ إِيمَاناً أَحْسَنُكُمْ أَخْلاقاً؛ الْمُوَطِّئُونَ أَكْنَافاً، الوَاصِلُونَ لأَرْحَامِهِمْ، البَاذِلُونَ لِمَعْرُوفِهِمْ، الكَافُّونَ لأَذَاهُمْ، العَافُونَ بَعْدَ قُدْرَةٍ)).

فاليوم يوم عفو ورحمة أراد الله فيه أن نسعد ونبتهج ونتناسى ما بيننا من خلافات ، ونتواصل ونتباذل ونتزاور ، ونعطف على الضعفاء والفقراء والمحتاجين ، وأن نتعاهد جيراننا بالإفضال والعطية ، ونصل أرحامنا بالبر والصلة ، ونحسن إليهم وبخاصة النساء والأطفال ، فهم وصية الله ورسوله إلينا، فمن زار رحمه فَلْيَجُدْ عليه بالعطية ، وليصله بالهدية ولا يبخل ، فكثير من الأرحام لا زال حقهم في أعناقنا فإن أعطينا فذلك من ميراثهم عندنا .

ألا وإن خير الصدقة ما كانت على الأقارب والأرحام كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة٢١٥]، فمن لم يستطع فبالكلمة الطيبة والقول الحسن والتواصل والتزاور، فإن صلة الرحم كما ورد عن النبي ﷺ تزيدُ المالَ وتطيلُ العمرَ وتزيدُ في الأجل وتبارك في الرزق.

وعلى المؤمن في مثل هذا اليوم ألا ينسى أقاربه من الموتى فهم في أحوج ما يكون إلى الصلة والصدقة والزيارة والدعاء لهم والقراءة إلى أرواحهم، فإن المرء قد يقطع الرحم ولو بعد موتها وإن كان يصلها في حال الحياة قال الهادي عليه السلام في الأحكام: بَلَغَنَا عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: ((إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ بَاراً بِوَالِدَيْهِ فِي حَيَاتِهِمَا، فَيَمُوتَانِ فَلاَ يَسْتَغْفِرُ لَهُمَا، فَيَكْتُبُهُ اللَّهُ عَاقًّا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ عَاقًّا بِهِمَا فِي حَيَاتِهِمَا، فَيَمُوتَانِ فَيَسْتَغْفِرُ لَهُمَا، فَيَكْتُبُهُ اللَّهُ بَارًّا)).

أيها الإخوة المؤمنون

في مثل هذا اليوم يصل الناس قرابتهم ويزورون أرحامهم وهذا من أعظم القربات والطاعات عند الله، ولكن ليحذر المؤمن أن يخلط طاعة الله بمعصيته، وأن يلوث يده بالإثم والنظر إلى ما حرم الله، فإياكم والنظر إلى غير المحارم، وإياكم ومصافحة غير الأرحام، والخلوة مع غير المحارم، فإن ذلك من كبائر الآثام والفعل الحرام، ولا يغرنك قول من يقول: الأهم النية وصفاء السريرة وطهارة النفس فهذه مواعظ شيطانية فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان أطهر الناس قلباً وأعفهم نفساً وأبعدهم عن الحرام، ومع ذلك فإنه لم يرو عنه أنه صافح امرأة قط، ولا وضع يدَه في يد امرأة حتى مات.

وإذا جاءته النساء يبايعنه وضع بينه وبينهن حبلاً أو عصا يمسك بطرفه وتمسك المرأةُ بالطرف الآخر، أو يضع يدَه في ماء ثم يضعن أيديهن فيه ويبايعنه كذلك، فليست قلوبُنا أطهرَ من قلبه، ولا نياتُنا أصفى من نيته، فلا تغرنا مواعظ الشيطان والجهال.

هذا، ولنكثر في هذا اليوم وأمثاله من الصلاة والسلام على نبينا محمد وآله، اللهم اجعل شرائفَ صلواتِك ونوامي بركاتك على البشير النذير والسراج المنير أبي الطيب والطاهر والقاسم، محمدِ بنِ عبدِالله بنِ عبدِالمطلب بنِ هاشم، وعلى

أخيه ووصيِّه ليث الله الغالب أشجعِ طاعنٍ وضارب أميرِ المؤمنين عليٍّ بنِ أبي طالب، وعلى زوجته الحوراء فاطمةَ البتولِ الزهراء، وعلى ولديهما ريحانتي الرسول وسبطيه أبي محمدٍ الحسن وأبي عبدِالله الحسين، وعلى أهلِ بيتِ نبيك أجمعين.

وَارْضَ اللهم عن الصحابة الأخيار من المهاجرين والأنصار، وعنا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم.....

اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ.

الابتلاء

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الحمد لله الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك٢]، نحمدُهُ على ما أعطى وَمَنَعَ، وَلَهُ الحمدُ في السراءِ والضراءِ وعلى النعمةِ والبلاءِ.

وَنَشْهَدُ أَلّا إلهَ إلّا اللهُ العليمُ الخبيرُ، والمدبرُ لكلِّ صَغِيرٍ وكبيرٍ.

وَنشهدُ أَنَّ مُحَمَّداً عبدُهُ ورسولُهُ الخاتِمُ لِمَا سَبَقَ والفاتحُ لِمَا انْغَلَقَ ﷺ فِي كُلِّ وَقْتٍ وأَوَانٍ.

أمَّا بعدُ عِبادَ اللّهِ:

إِنَّ مِنْ حَقَائِقِ الإِيمانِ بِاللهِ التَّسْليمَ لِأَمْرِهِ، والخضوعَ لِحِكْمَتِهِ، والرضا بِكُلِّ مَا جَاءَنَا مِنْ قِبَلِهِ عزَّ وَجَلَّ بِلَا تَضَجُّرٍ ولَا تَأَفُّفٍ مَهْمَا كَانَتِ النتائجُ، فَالْمُؤمِنُ هوَ مَنْ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى قَبُولِ كُلِّ ما جاءَهُ مِنَ اللهِ فِي سَرَّاءَ أَوْ رَخَاءٍ بِنَفْسٍ راضيةٍ مُطْمَئِنَّةٍ.

فَمَنْ رَضِيَ فَلهُ الرِّضَا، ومَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ، فهؤلاءِ الْمُؤمنونَ حقاً الذينَ رضيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عنهُ.

رَضوا بِاللهِ وَسَلّمُوا لهُ مَقَالِيدَ أمورِهِمْ وتَوَكَّلُوا عليهِ فِي جميعِ أَحوالِهِمْ فَرَضِيَ اللهُ عَنْهُم وَجَزَاهُمْ بِمَا صبرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً اِبتلاهُمْ اللهُ فِي أَنْفُسِهِمْ وَبِالنَّقْصِ فِي ثِمَارِهِمْ فَرَضَخُوا لِحُكْمِهِ وَلَمْ يُصِبْهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ بَلْ قَالوْا إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعونَ أُولئِكَ أَصحابُ الجنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، فَهَلْ رَضِينَا عبادَ اللهِ بِما قَدَّرَهُ اللهُ وقَضَاهُ علينَا؟ هَلْ صَبَرْنَا واحْتَسَبْنَا عِندَ اللهِ الأَجْرَ والثوابَ عَلَى مَا أُخِذ مِنْ أَيْدِيْنَا كَما صَبَرَ أَولئِكَ السَّابِقونَ الأَوّلونَ الذينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوْا عَنْه؟

أَخَذَ اللهُ أبناءَهُمْ وأَحِبَّاءَهُمْ فَصبرُوا واحتسبُوا وَقَالوْا إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة١٥٧]، سَلبَ اللهُ أَمْوَالَهُمْ وَأَمْلَاكَهُمْ فَرَضُوْا بِحُكْمِ اللهِ فِيْهِمْ وَصَبرُوا صَبراً جَميلاً وقالوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

عِبادَ اللّهِ:

يَجِبُ أَنْ نَعِيَ وَنَفْهَمَ بِأَنَّنا عبيدٌ لِلهِ وَأَنَّ كُلَّ مَا بِأَيْدِيْنَا هُوَ مِلْكٌ لِلهِ وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا مَا أَعْطَانَا اللهُ وَيَجِبُ أَنْ نُؤْمِنَ بِأَنَّنَا تَحتَ إِرَادَةِ رَبٍّ رَحِيْمٍ يَتَصَرَّفُ فِينَا كَيفَ يشاءُ، وَأَنَّ كُلَّ أَفْعَالِهِ -تعالى- أَفْعَالُ حِكْمَةٍ لا ظُلْمَ فِيهَا وَلَا هَضْمَ، أَرَادَ اللهُ مِنْ وَرَائِهَا أَنْ يُؤَدِّبَنَا على تقصيرِنا ولنعتبرَ ونذكرَ مصيرَنا، ولنرضى ونصبرَ فيُثيبنا، ولنتوبَ فيغفرَ ذنوبَنا، وإذا لم نكن مِن التائبين فهو تعجيلُ عقوبةٍ، ولغيرنا عبرةٌ وموعظةٌ، وَهُوَ الْعَالِمُ بِمَا يُصْلِحُنَا والخبيرُ بِمَا فِيهِ نَفْعُنَا وَضُرُّنَا، وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ.

عِبادَ اللّهِ:

إِنَّ مَا نَرَاهُ مِنَ البلاءِ فِيْ هَذِهِ الدُّنْيَا مِثْلَ الموتِ وَشِحَّةِ المَاءِ والْمَرضِ والْبَرْدِ وَالْغَيْثِ والصقيع وَمَا نَسْمَعُ عَنْهُ مِنْ زِلَازِلَ وَبَرَاكِينَ وَفَيَضَاناتٍ كُلُّ ذَلِكَ فِي ظَاهِرِهِ شَرٌّ وَضَرَرٌ وَلَكِنَّهُ فِي وَاقعِ الْأَمْرِ خَيرٌ وَنِعْمَةٌ نَحْنُ نَجْهَلُهَا، فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئَاً وَهُوَ خَيرٌ لَكُمْ.

لِأَنَّ اللهَ حَكِيْمٌ رَحِيْمٌ بِعِبَادِهِ يُرِيدُ لَهُمْ الخيرَ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِهِمْ منْ أَنْفُسِهِمْ وَكَمَا قَال تَعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة١٨٥].

وَقَدْ أَبَانَ اللهُ تَعَالَى لَنَا وَجْهَ الْحِكْمَةِ فِي بَعْضِ أَفْعَالِهِ كَمَا فِيْ قِصَّةِ مُوْسَى والْخِضرِ عليهما السلام حِينَ خَرَقَ السَّفِينَةَ وَقَتَلَ الغُلامَ وَبَنَى الجدارَ والتيْ اِسْتَنْكَرَها مُوْسى عليه السلام لَمَّا رَأَى فِي ظَاهِرِهَا مِنَ الشَّرِّ، فَلَمَّا أَعْلَمَهُ الْخَضِرُ عليه السلام بِبَوَاطِنِهَا وما اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ حِكْمَةٍ - عَلِمَ أَنَّهَا كُلَّهَا خَيْرٌ، وَأَنَّ الخَضِرَ قَدْ أَحْسَنَ فِي فِعْلِهِ، وَلَمْ يُسِيءْ.

روي أن رجلًا له عدةُ بناتٍ رُزِقَ بنتًا فنظر جعفرُ الصادق التغيرَ في وجهِه

فقالَ: يا عبد الله، كنتَ تريدُ ولدًا؟، قال: أجل، قال: لو أنَّ اللهَ أوحى إليك هل يختارُ لكَ أم تختارُ أنتَ لنفسِكَ ماذا تقولُ؟ قال: يختارُ اللهُ لي، قال: فقد اختارَ، قال الرجلُ: وأنا رضيتُ.

عِبادَ اللّهِ:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ [النساء١٤٧]، ما المصلحةُ العائدةُ مِنْ إِهْلَاكِ الْحَرثِ والنَّسْل؟.

إِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِه، وَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ أَنْ يَظْلِمَ الناسَ شَيْئاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس٤٤].

وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنَ الْابْتِلَاءِ والاخْتِبَارِ؛ لِيَمِيْزَ اللهُ الْخَبيثَ مِنَ الطَيِّبِ كَمَا قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران١٧٩]، فَاللهُ -تَعَالَى- لا يَقْبَلُ إِيْمَانَ الْمَرْءِ بِمُجَرَّدِ قَوْلِهِ بِلِسَانِهِ إِنَّهُ قَدْ آمَنَ، بَلْ لابُدَّ مِنْ تَمْحِيصِهِ لِيُظْهَرَ عَلَى حَقِيقَةِ أَمْرِهِ؛ لأن الله لا يعاقب على علمه، وَالْبَلاءُ هُوَ الْمِعيارُ الذيْ يُعْرَفُ بِهِ صادقُ الإِيْمانِ مِن كَاذِبِهِ، كَمَا قَالَ تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء٣٥]. والبَلاءُ وَالشِّدَّةُ هُمَا الغِرْبَالُ والْمِعْيَارُ الذيْ يُعْرَفُ بِهِ الْمُؤمنونَ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْأِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوساً﴾ وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْأِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ فَعَلَى الْمُؤْمنِ أَنْ يُوطِّنَ نَفْسَهُ عَلَى قَبُولِ كُلِّ مَا جَاءَهُ مِن رَبِّهِ مَهْمَا كَانَ، وَعَليهِ أَنْ يَتَحَلَّى بِالصَبْرِ والرِضَا وَيَحْتَسِبَ مِنَ اللهِ الأَجْرَ والثوابَ، ففيْ الصبرِ أَعظمُ الأَجرِ فَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ عِبادةٍ أَجْراً مَعْلُوماً وَثَواباً مُقَدَّراً إلا الصبر فَإِنَّ الصَابِرَ يُوَفَّى أجرَهُ بغيرِ حسابٍ كما قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر١٠]، وما أصابَ المؤمنَ من مصيبةٍ ولا مَسَّهُ مِن بلاءٍ إلا جعلَ اللهُ له أجرًا على صَبرِهِ ورضاه، حتى الشوكة يُشَاكها، وإنَّ اللهَ ليُسَلِطُ على عبدِهِ المؤمن البلوى تِلْوَ البلوى حتى يمشي على ظهرِ الأرضِ وليسَ عليهِ خطيئةٌ، فأيُّ فضل أعظمُ من هذا أنْ يكفِّرَ اللهُ عنكَ الذنوبَ ويمحوَ الخطايا بمَضَارٍّ عاجلةٍ وابتلاءاتٍ في المالِ أو النفسِ، فيكفيكَ اللهُ نِقَمَ يومِ القيامةِ وبلاءَ النارِ، وأيُّ نعمةٍ أعظمُ مِن أن يأتيَ الخلقُ يومَ القيامةِ للحسابِ والجزاءِ فيدعى بالعلماءِ فيُنْصَبونَ للحسابِ ويؤتى بالشهداءِ فيُوقَفُونَ للحسابِ، ثم يؤتى بأهلِ البلوى والذين مَسَّهُمُ الضُّرُّ فصبروا واحتسبوا فَلا يُنْصَبُ لهم ميزانٌ، بل يقال لهم: ادخلوا الجنةَ بسلامٍ ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد٢٣-٢٤] ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر١٠].

عِبادَ اللهِ:

هَلْ يَعْلَمُ أَهْلُ البلاءِ الذين يتذمَّرونَ مِنْ حِكْمَةِ اللهِ عليهم ويرُدُّونَ قَضاءَ اللهِ بِالشَّكْوى وَالبُكاءِ وَعَدَمِ الرِّضَا أَلَا يَعْلَمونَ بِأَنَّهُمْ يُحْرِمُونَ أَنفُسَهُمُ الثوابَ وَيَلْحَقُهُمُ الإِثمُ بِذَلِكَ وَلو أَنَّهُم صَبَرُوا لَكَانَ خَيْراً لَهُم.

﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة١٧٧]، فَالْمَرَضُ وَالْبَلاءُ إِنَّمَا هُو مَطْهَرةٌ لِلذُّنوبِ الصغائر وَكَفَّارةٌ لِلخطايا وإنها لَتَحُتُّ الْخَطَايا كما يَحُتُّ الشِّتَاءُ أَوْرَاقَ الشَّجرِ، هَلْ يعلمُ أَهلُ البَلْوَى بِأَنَّ الْمُؤْمِنين كانوا يَعُدُّونَ البَلاءَ نِعمَةً، وَالْمَرضَ رحمةً وَأَنَّهُم كَانُوا يَفْرَحُونَ بِالعِلَّةِ فَرَحَهُمْ بِالعافيةِ، بَلْ إِنَّ بَعْضَهُم لَيَحْزَنُ وَيَخَافُ إِذَا مَرَّ عَليهِ العامُ وَلَمْ يُصِبْهُ مَرَضٌ وَلَا بَلاءٌ.

نعم أخي المؤمن كلُّ ذلك الأجر على الصبرِ وتكفيرِ الصغائرِ والعظة والعبرة إذا كان المبتلى مؤمنًا مجتنبًا للكبائرِ، وإلا فلا حظَّ له إن كان فاجرًا إلا تعجيل عقوبة أو لعله يتذكر أو يخشى.

عِبادَ اللّهِ:

إِنَّ الْبَلْوَى وسامُ أهلِ التَّقْوَى وَتَاجُ الْمُؤْمنينَ الْمُوحِّدِين وَمَا مِن نَبِيٍّ وَلا رَسُولٍ إِلَّا وَأَصَابَهُ البَلاءُ فلِماذا الحزنُ والجَزَعُ وَلِمَاذا الخوفُ وَالْهَلعُ؟ لِماذا التَّشَاكِي وَالتَّبَاكِي عَلَى نفسٍ قَبِضَها اللهُ إِليه، أَو مالٍ أَهلكَهُ اللهُ بِالبَرَدِ أو الضَّرَب أليسَ اللهُ هُوَ الذي أعطاهُ وَهُوَ الذي أَخَذَه، فَلِمَاذا الحزنُ عَلَى وديعةٍ أَوْدَعَنا اللهُ إياها ثم اْستَرَدَّهَا مِنَّا، فَلْنَحْذَرْ أَنْ نكونَ مِمَّنْ قَالَ اللهُ فيهم: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ﴾ [هود٩]، فَقَدْ سمَّى اللهُ تَعَالَى مَنْ هذا حَالُهُ بِالْجَاحِدِ الْكَفُورِ الذي يُنْكِرُ نِعْمَةَ اللهِ.

عِبادَ اللّهِ:

مَا فَاتَ فَاتَ وَلَا حُزْنَ عَلَى فَائتٍ، وَلْنَعْلَمْ بِأَنَّ الحُزْنَ لا يَرُدُّ مَفْقُوداً ولا يُحْيِيْ هَالِكَاً فَمَنْ صَبَرَ وَشَكَرَ عَوَّضَهُ اللهُ خَيْراً مِمَّا فَقَدَهُ، واللهُ ذو الفضلِ العظيم وَمَنْ عَبَسَ وَبَسَرَ وَتَوَلَّى واسْتَكْبرَ أَلحَقَهُ اللهُ بِما فاتَ عليه وَكَانَ عاقبةُ أمْرِه خُسراً، قال أميرُ المؤمنين عليه السلام: (جمعَ اللهُ الزهدَ في هذه الآية: أعوذُ بِاللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيم ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد٢٢-٢٣].

بَارِكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرآنِ الْعظيمِ وَنَفَعَني وَإِيَّاكُم بِمَا فِيهِ مِنَ الآياتِ والذِّكْرِ الحكيمِ إِنَّهُ تَعَالَى جَوادٌ مَلِكٌ بَرٌّ رؤوفٌ رحيمٌ فَاْسْتَغْفِروهُ إِنهُ هُوَ الغفورُ الرحيمُ.

الابتلاء

الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ البَاسِطِ عَلَى الخَلْقِ فَضْلَهُ وَالنَّاشِرِ بَينَ العِبادِ عَدْلَهُ، نَحْمَدُهُ عَلَى حُزْنِ الأَمرِ وَسَهلِهِ، وَنستعينُهُ فِي امْتِثَالِ أَمْرِهِ وَنهيِهِ،

وَنَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ الْمُنَزَّهُ عَنْ صِفَاتِ النُّقصانِ، والْمُتَعَالِي عَنْ مُشَابَهَةِ الإِنسانِ، لَا يَحْوِيهِ مَكانٌ وَلَا يُرَى بِالعَيَانِ،

وَنشهدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسولُهُ الصادِقُ الأَمينُ الباذِلُ نفسَهُ فِي خِدمةِ الدِّينِ وَإِرْسَاءِ قَوَاعِدِ اليقينِ صَلَواتُ اللهِ عليهِ دَائِمَاً أَبَداً مِنْ يَومِنا هَذَا إِلَى يَومِ الدين وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أَمَّا بعدُ عِبادَ اللهِ:

إِنَّ البلاءَ والاخْتِبَارَ ليسَ بِالأَمرِ الْمُسْتَغْرَبِ، بَلْ إِنَّهُ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الحياةِ وَلأَجْلِهِ خَلَقَ اللهُ الدُّنيا، سُنَّةَ اللهِ فِي الذينَ خَلَوا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْديلاً يَقُوْلُ الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة٢١٤].

واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى إِذا ابْتَلانا فَمُرَادُهُ بِذلكَ أَنْ يؤدبنا ويربينا وأن يعرضَنا على الثوابِ الجزيلِ إذا صبرنا، وعلى تكفيرِ الصغائر إذا تُبنا، ويعوضَنا ما فاتَ، ويكرمنا بما هو آتٍ، لكي نستقيم على درب الفضيلة والصلاح، فَاللهُ يَبْتَلِي الْمُؤْمنَ لِيعلمَ صِدْقَ إِيمانِهِ واقعًا ظاهرًا، وعَلَى قدرِ الإِيمانِ يكونُ الْبَلوَى وَالْاختبارُ، فَالْأَنْبياءُ هُمْ أَكثرُ النَّاسِ بلاءً وَيَليهِمُ الْأَوصِياءُ ثُمَّ الأئِمَّةُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، والْمُتَدَبِّرُ لِآياتِ اللهِ وَما حَوَتْ فِي مَضامِينِها مِنْ قِصَصٍ عَنْ أَحْوَالِ

الأنبياءِ والرُّسُلِ وَمَا أَصابَهُم مِنَ البَلاءِ ومَا تَحَمّلُوا مِنَ الْعَنَاءِ رَغْمَ مَكَانَتِهم عِندَ اللهِ وَعُلُوِّ شَأْنِهِم يَعْلَمُ بِأَنَّ البَلاءَ والْمَصائِبَ لَيسَتْ شَرّاً مَحضًا عَلَى كُلِّ حالٍ بَلْ إِنَّ لِلهِ مِنْ وَرَائِها غايةً عظيمةً.

عِبـادَ اللّهِ:

إِنَّ لَنَا فِي أَولياءِ اللهِ وأَصفيائِهِ وَمَا حَكَاهُ اللهُ لَنَا من سِيَرِهِمْ فِي القُرآنِ الكريمِ أَعظمَ أُسوةٍ وَخَيرَ قُدْوَةٍ وَلَنا فِيهِم عَزاءٌ وسُلْوَةٌ عَلَى مَا فَاتَنَا فِي هذه الدنيا وَعَلى مَا أَصابنا من الضُّرِّ وَالبَلاءِ، فَإِلى كُلِّ قلبٍ ضَريرٍ وَعَظْمٍ كسيرٍ وَإِلى كُلِّ نفسٍ ضَعِيفَةٍ قَدْ مَلِكَهَا الخوفُ والْهَلَعُ، مِنْ أَجْلِ دُنيا حقيرةٍ ذَهَبَتْ، أو نفسٍ قَبِضَها اللهُ، أَو متاعٍ أَصابهُ اللهُ مِن عندِهِ، إليهم جَميعاً أُهدِيْ هَذِه القطراتِ الندية والبَلْسَمَ الشافِيَ لِكُلِّ عِلَّةٍ وَبليةٍ مِن قصصِ الأَنبياءِ والصالحين وأخبارِهِمْ وَمَا لا قِبَلَ لَهُ مِن العَناءِ والشِّدَّةِ وَمَا ذَاقُوه مِن مَرَارةِ البلاءِ والذي لا يُساوي بلائُنَا عنده شَيْئاً يُذْكَرُ، وَلْنَتَعَلَّمْ مِن سِيَرِهِم كَيفَ كانَ تَلَقِّيهم هَذا البلاءَ، وَهَل جزِعوا وَفَزِعوا هل خَرجوا مِنْ حَولِ اللهِ وَقُوَّتِهِ، وَضَعْفِ يَقِينِهِم باللهِ، هل صَرَخوا وَنَاحُوا وَحَثَوُ التُّرابَ على رُؤوسِهِمْ وَنَادوا بِالْوَيلِ وَالثُّبورِ وَعَظَائِمِ الأَمورِ، أَمْ تَلَقَّوا ما آتاهُمُ اللهُ بِقلوبٍ صابرةٍ ونفوسٍ راضيةٍ مَرْضيَّةٍ مُطْمَئِنَّةٍ، وَلِسَانُ حَالِهِمْ: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عِمران١٧٣]، و﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة١٥٦] ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عِمران١٤٦] ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عِمران١٤٧-١٤٨].

عِبـادَ اللّهِ:

سَنَذْكُرُ مَا تَيَسَّرَ مِنْ أَخْبَارِهم وَمَا حَكَى القُرآنُ الحكيمُ مِنْ أَحْوَالِهِمْ، فَإِنَّ فِي قَصَصِهِمْ لَعِبرةً، وَعَسَى أَنْ يَكونَ بِها عزاءٌ لِمَنْ مَسَّهُ بُؤسٌ أَو ضَرَّاءُ، وَجَبْرٌ لِمَنْ

لَحِقَهُ البَلاءُ، وَلَعَلَّ فِي قَصَصِهِمْ مَا يُثَبِّتُ القلوبَ وَيُقَوِّي العقائِدَ وَيُرَسِّخُ قَواعِدَ اليقينِ، فَإِلى قَبَسٍ مِنْ نُورِ النُّبُوَّةِ وَإِلى فَيْضٍ مِن غَيْضٍ وقطرةٍ مِن مَطَرةٍ من قَصَصِ أُولي العزمِ مِنَ الرسلِ إِلى إِبراهيمَ الخليلِ وَأَبي الأَنْبِياء عليهمُ السلام الذِي ضربَ اللهُ بِهِ المَثَلَ، وَجَعَلَ مِنهُ أُنْمُوْذَجَاً فَريداً يُحْتَذَى بِهِ وَيُقْتَدَى فقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة٤]، نَشَأَ إِبْراهيمُ عليه السلام فِي مُجْتَمَعٍ كافرٍ ضالٍّ يُقَدِّسُ الأَوثانَ وَيَعْبُدُ الأَحْجارَ وَالْأَصنامَ، وَيُقَدِّمُ لَهَا الذَّبَائحَ والقَرابينَ، مُجْتَمَع ليْسَ فِيهِ مَنْ يُوحِّدُ اللهَ أَوْ يَأْمُرُ بِمَعْروفٍ أَوْ يَنْهَى عن مُنْكَرٍ، وَقَفَ إبراهيمُ عليه السلام وَهو يَومَ ذاك يافعٌ يَتَأَمَّلُ وَيُفَكِّرُ فِي هذهِ الجُهَالاتِ، وَفِي هؤَلاءِ البشرِ الَّذِين يَخْدُمونَ أَصْنَامَاً مِنْ حَجَرٍ لا تَضُرُّ ولا تنفعُ.

تَأَمَّلَ عليه السلام فِي كُلِّ شَيءٍ حَوْلَهُ وأَدارَ فِكْرَهُ فِي الوجودِ، تارةً يتأملُ فِي السماءِ الواسعةِ، وَتَارَةً يُفَكِّرُ فِي الأَرْضِ وَمَا عَلَيها، حَتَّى وَصَلَ إِلى الحقيقةِ وهداهُ اللهُ إِلى الحقِّ واليقينِ، وَعَرَفَ رَبَّهُ الواحدَ الأَحَدَ الذي يَحُقُّ لَه أَن يُعْبَدَ قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنفال٥٧]، فَمَا كَانَ مِنْهُ عليه السلام إِلَّا أَنْ صَدَعَ بِكَلِمَةِ الحقِّ وَأَعلنَ الوَحْدَانيَّةَ لِلهِ، وَخَرَجَ إِلى قَوْمِهِ يَعِظُهُم وَيُذَكِّرُهُم بِاللهِ، لَمْ يَخَفْ كثْرَتَهُمْ وَلَمْ يَمْنَعْهُ من نُصْحِهِم خَوْفُ بَطْشِهِم، لَقَدْ وَقَفَ عليه السلام وَحِيداً بينَ عَالَمٍ كُلُّهُ كَافِرٌ بِاللهِ مُنْكِرٌ لِوحْدَانِيَّتِهِ، وَقَفَ لَهُم بِالْمِرْصادِ، وَقَفَ فِي وَجهِ النُّمرُودِ وَقَومِهِ يَعِظُهُمْ وَيُذَكِّرُهُم وَيُبيِّنُ لَهُمْ طَريقَ الحقِّ بِكُلِّ مَا أُوْتِيَ مِنْ قُوَّةٍ، وَقَومُهُ عَنْه يَصُدُّونَ وَمِنْهُ يَسخرونَ، فَلَمَّا أَيِسَ من إِجَابتهم بعدَ إِبْلاغِ الحُجَّةِ بِاللسانِ والدليلِ والبُرهانِ، قرَّرَ أَن يُنكِرَ المُنْكَرَ بِيَدِهِ وَأَنْ يُحَطِّمَ تِلكَ الأَوثَانَ التي تُعْبَدُ مِن دونِ اللهِ فقال لهم: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء٥٧]، قَالَها فِي تَحَدٍّ بِلَا خَوفٍ وَلَا فزعٍ وَهُو يَعْلَمُ عَاقِبَةَ أَمْرِهِ، وَلَكِنَّ ثِقَتَهُ بِاللهِ كَانَتْ أَعْظَمَ مِنْ أَن يَهَابَ أَحَداً إِلّا اللهَ فَدَخلَ عَلَى الْأَصَنَامَ على حِيْنِ غَفْلَةٍ وَحَطَّمَهَا ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلَّا كَبِيراً لَهُمْ

لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء٥٨]، فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى آلِهَتِهِم ووجدوا ما حلَّ بِهَا ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا﴾ [الأنبياء٥٩]، فَرد عليهم بعضُهم ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتىً يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ [الأنبياء٦١]، فَحَضَرَ إِبْرَاهيمُ عليه السلام وَجَادَلَهُمْ وَوَعَظَهُمْ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ فَأَبوا إِلّا كُفُوراً، وَقَامَتْ فِي وَجهِ إِبْرَاهيمَ الْحُجَّةُ عَلَى أَنَّهُ الذي كَسَّرَ الأَصْنَامَ فَحَكَمُوا عَلَيه بِالإِعْدامِ حَرْقًا جزاءً لِمَا اقْتَرفَ مِنْ جُرْمٍ، وَلِيكُونَ عِبرةً لِغَيرِه ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء٦٨]، كَانَتِ الْبَلْوَى عَلَى إبراهيمَ عظيمةً مِنْ حيثُ أَنَّهُمْ لَمْ يقبلوا بإحراقِهِ بأَيِّ نَارٍ مَعَ أَنَّ مَوْقِدَاً من النَّارِ يَكْفِي لِأَنْ يُعَذَّبُ بِهِ، وَأَنَّ تَنَّوراً مُلْتَهِبَةً لَكَفِيلَةٌ بِإخمادِ أَنْفَاسِهِ، وَلَكِنَّهُم أَبَوا إِلَّا أنْ يَجْعَلوا مِن هَلَاكِ إبراهيمَ عليه السلام عِبرةً وَأَنْ تَعْظُمَ بَلِيتُهُ ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ [الصَّافات٩٧].

فبَنَوا لهُ سُدًّا طُولُهُ سُتُّونَ ذِراعاً في أَسفلِ جبلٍ شَاهقٍ ثم نادى مُنادِي الملِكِ أَيها الناسُ اْحتَطِبُوا لِإبراهيمَ وَلَا يَتَخَلَّفَنَّ مِنْكُم صَغيرٌ ولا كبيرٌ فَمَنْ تَخَلَّفَ أُلْقِيَ فِي تِلكَ النَّارِ فَهَرَعَ النَّاسُ عَنْ بكرةِ أَبيهم رِجَالاً ونساءً شيُوخاً وَأَطْفَالاً يَجْمَعُونَ الحطبَ لِإحْرَاقِ إبراهيمَ عليه السلام مُدَّةَ أَرْبعينَ لَيلةً وَهُمْ يَحْتَطِبُون حتى إِذَا كَادَ الحطبُ يُساوي رَأْسَ الجدارِ الذي طُوْلُهُ سِتون ذِراعاً، سَدُّوا الأَبوابَ وأضرموا فيها النارَ، فَاشْتَبَّ الحريقُ وارتفعَ الدُّخَانُ وَاعْتَلى اللَّهَبُ حتى إِنَّ الطيرَ فِي السماءِ إِذا مرَّ عليها أَحرقَهُ لهبُها، فعندَ ذَلِكَ اشتدَّ حرُّها وعظُمَ أَمْرُها فقرَّبوا إِبراهيم عليه السلام ليُلْقُوهُ فِيها فلم يُطيقوا الاقترابَ منها، فما كانَ منهم إلا أَن فكَّرُوا في حيلةٍ كيف يُلقُون بِهِ فيها فبَنوا بجانِبِها بُرْجاً شامِخاً وَجَعلوا عليه منجنِيقاً لِيَقْذِفَ بِإبراهيمَ إِلى قَلْبِ النَّارِ، ثُمَّ رفعوا إبراهيمَ عليه السلام إِلى رأسِ البُرجِ فَمَدَّ بَصَرَهُ وَعَايَنَ مَا أَعَدُّوا له مِنَ البلاءِ فِي تِلكَ النارِ الْمُلْتَهَبَةِ التي مَلأَ دُخانُهَا الهواءَ وملأَ حرُّها وَلَهَبُها تِلكَ الأَرْجاءِ، مَوْقِفٌ مهيبٌ وبلاءٌ عَصِيبٌ فَتَى في السادِسَةِ عشَرَ مِنْ

عُمُرِهِ يَقِفُ مكتوفَ الأَيدي أَمامَ نارٍ بِشَدَّةِ حرِّها وَعِظَمِها تَكفيْ لِإحراقِ أُمَّةٍ بِأسْرِهَا، عُمْقُها سُتُّونَ ذِراعاً فَمَا بَالُك بِطُوْلِها وَعَرْضِها، وَالنَّاسُ حولَهُ يَنْظرونَ مصيرَهُ، وَمَا هِيَ إِلّا دقائقُ معدودةٌ وَيُؤْمَرُ بِإلقائِهِ فيها، إِنّ هذا لَهُوَ البلاءُ العظيمُ، وهذا هُوَ الاخْتِبَارُ وَالْامْتِحانُ الصعبُ، وَقَفَ عليه السلام يَتَلَفَّتُ فَلا يَرَى إلّا ناراً يتلظى لَهَبُها ويَشْتَدُّ حَرُّها، وقوماً قَدْ تَجَمَّعُوا مِن حَوْلِهِ تَغْلِي قُلوبُهم حِقْداً وَغَيْظاً عليهِ لا وُجُودَ للرَّحْمَةِ فِي قُلوبِهِمْ وَلَا مَكَانَ لِلشَّفَقَةِ فِي نُفُوسِهِم ليسَ فِيْهِمْ مَنْ يَنْصُرُه أَو يُنْقِذُهُ من تِلكَ النارِ، حَتّى أَهلُهُ وأقارُبُه قَدّمُوهُ قُرْبَاناً لِلْأَصنامِ وحَكَمُوا عَليهِ بِالإِعْدَامِ، وَلَكِنَّ إِبراهيمَ عليه السلام كانَ أَقْوى مِنْ أَنْ يَتَسَلَّلَ إِلى قَلْبِهِ جَزَعٌ أَوْ خَوْفٌ، أَوْ لَا يَنْتَظِرُ مَعُونةً مِنْ أَحدٍ لَقَدْ كانَ وَاثِقاً بِاللهِ مُوْقِناً بِاللهِ، وَمَنْ كَانَ اللهُ عَوْنَهُ فَهُوَ حَسْبُه.

فَلَمّا عَايَنَ عليه السلام هذا الْمَوقِفَ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلى السَّماءِ وهوَ يَقُولُ: ((حَسْبيَ اللهُ وَنِعْمَ الوكيلُ))، عِنْدَهَا ضَجَّتِ الأَمْلاكُ فِي السَّماءِ وَأَشْفَقَتْ عَليهِ الأَرضُ والسماءُ فَنَادَتِ الأَرْضُ وَالسَّماءُ وَالجِبالُ والْمَلائِكةُ رَبَّنَا عَبْدُكَ إِبْراهِيْمُ يحْتَرِقُ فِيْكَ فَأْذَنْ لَنَا فِي نُصْرَتِهِ، فَقَالَ -جَلَّ جَلَالُهُ-: أَنَا أَعْلَمُ بِهِ، وَإِنْ دَعَاكُمْ فَأَغِيْثُوهُ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ أَنْ يَسْتَنْجِدَ ذَلِكَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ بِغَيْرِ رَبِّهِ! وَهَيْهَاتَ أَنْ يَطْلُبَ العونَ مِنْ غَيرِهِ! لَقَدْ قَالَ كَلِمَتُه الفَاصِلَةَ حَسْبِيَ اللهُ لا غَيْرَهُ، يَكْفِيْنِيْ رَبِّيْ لا سِوَاهُ.

عِنْدَ ذَلِكَ قَذَفُوْا بِإِبَراهِيْمَ عليه السلام فِيْ النَّارِ فَاسْتَقْبَلَهُ جِبْرَائِيْلُ عليه السلام فِيْ الهَواءِ فَقَالَ: يا إِبْرَاهِيْمُ، أَلَكَ حَاجَةٌ؟ فَقَالَ عليه السلام لِجبرَائِيلَ: أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا، فَقَالَ جِبْرَائِيلُ عليه السلام: إِذَنْ فَاسْأَلْ رَبَّكَ، فَقَالَ إِبْرَاهِيْمُ عليه السلام: ((حَسْبِيْ مِنْ سُؤَالِيْ عِلْمُهُ بِحَالِيْ)) هُوَ أَعْلَمُ بِيْ وَأَدْرَى بِحَالِي وَهَذا يُغْنِيْ عَنْ سُؤَالِيْ فَقَالَ تعالى: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء٦٩]، وَهَكذَا تَلَقَّتِ النَّارُ الْمُلتهبةُ نَبِيَّ اللهَ عليه السلام كَمَا تَتَلَقَّى الْأُمُّ وَلَيْدَهَا وَلَمْ يَمَسَّهُ مِنْ لَهَبِهَا إِلّا ما أَحْرَقَ القُيُودَ وَفَكَّ عَنْهُ الأَغْلَالَ.

﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء٧٠-٧١]. نَعَمْ لَقَدْ نَجَا إِبْراهيمُ عليه السلام مِنَ النَّارِ وَنَجَحَ فِي الِامْتحانِ وَفَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بسببِ صَبْرِهِ وَتَسْليمِهِ أَمْرَهُ إِلى اللهِ.

عِبادَ اللّهِ:

لَقَدْ مَرَّتْ بِنَبيِّ اللهِ إِبْراهيمَ ﷺ ابتلاءاتٌ وَاخْتِبَارَاتٌ كَثِيْرةٌ، فَفِيْما يُرْوَى أَنَّهُ كَانَتْ لهُ زَوْجَةٌ اسْمُها هاجَرُ كانَ يُحِبُّهَا، وسَأَلَ اللهَ أَنْ يَهَبَ لَهُ وَلَداً فَرَزَقَهُ اللهُ مِنْهَا إِسْمَاعِيْلَ، فَفَرِحَ بِهِ أَشَدَّ الفَرَحِ، وَلَكِنَّ الفَرْحَةَ لَمْ تَدُمْ فَقَدْ أَمَرَهُ اللهُ تعالى أَنْ يُهَاجِرَ بِزَوْجَتِهِ وطِفْلِهِ الصغيرِ فَسَافَرَ مُمْتَثِلاً أَمْرَ رَبِّهِ حتى وَصَلَ إِلى مَكَّةَ وَهِيَ يومَئِذٍ أَرْضٌ جَرْدَاءُ لَا مَاءَ فِيها وَلَا كلأٌ، أرضٌ مُوحِشةٌ لَيسَ فِيها أَنِيْسٌ وَلَا جَلِيْسٌ إِلَّا الْوُحُوشَ والهوامَّ، فَأَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَتْرُكَهُمَا فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ وَيَذْهَبَ، أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يُفارِقَ أَحِبَّتَهُ وَفِلْذَةَ كَبِدِهِ بِوَادٍ غيرِ ذِيْ زَرْعٍ، وَشِعْبٍ لَا يوجدُ بِهِ قُطرةُ مَاءٍ، فَامْتَثَلَ إِبْراهِيْمُ لِأَمْرِ رَبِّهِ وَأَعْطَى زَوْجَتَهُ هَاجَرَ قِرْبَةً مِنْ ماءٍ وجِرَاباً بِهِ تَمْرٌ ثُمَّ تَرَكَهُمَا وَمَضَى مُسْتَسْلِماً لِأَمْرِ رَبَّهُ مُخَالِفَاً هَوَى نَفْسِهِ.

فَنَادَتْهُ زَوْجَتُهُ: لِمَنْ تَتْرُكُنَا يَا إِبْرَاهِيْمُ؟ فَلَمْ يُجِبْهَا ثُمَّ نَادَتْهُ ثَانِيَةً فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِما، فَقَالَتْ لَهُ: اللهُ أَمَرَكَ بِهذَا، قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَتْ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِ رَبِّهَا: إِذَنْ فَلَنْ يُضَيِّعَنَا اللهُ. فَتَأَمَّلُوا -عِبادَ اللهِ- البلاءَ والامتحانَ، لَقَدِ ابْتَلى اللهُ إِبْراهيمَ بِأَنْ يَتْرُكَ زَوْجَتَهُ وَطِفْلَهُ الرَّضيعَ أَحَبَّ النَّاسِ إِلى قَلْبِهِ فِي أَرْضٍ مَكَّةَ فِي ذَلِكَ الواديْ اليابِسِ الذيْ لَا ماءَ فِيهِ وَلَا طَعَامَ وَلَا غَريبَ وَلَا قَريبَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلى فِلَسْطِينَ، امتحنَهُ اللهُ بِأَنْ يَتْرُكَ أَمَةً ضَعِيفةً فِي تِلكَ البلادِ البعيدةِ واللَّياليْ الْمُوحِشَةِ بِلا بَيْتٍ يُؤْوِيْهِمْ، وَلَا حَارِسٍ يَحْمِيْهِمْ، وَلَا طَعَامٍ يَكْفِيْهِمْ- فَامْتَثَلَ أَمرَ اللهِ طَائِعاً وَرَضَخَ لإرادةِ اللهِ بِلَا تَبَرُّمٍ وَلَا جَزَعٍ، وَوَلَّى وَجْهَهُ جِهَةَ فِلَسْطِينَ حتَّى تَوَارى عَنْهُمَا وَلِسَانُهُ يَلْهَجُ بِالدُّعاءِ ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ

يَشْكُرُونَ * رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾ [إبراهيم٣٧-٣٨]، أَي: مَا نُخْفِيهِ من وَجْدِ الفِراقِ، وَمَا نُعْلِنُهُ لَكَ مِنَ التَّسْلِيمِ وَالرِّضَا وَالْقَبُولَ. فَهَلْ بَعْدَ هَذَا من بلاءٍ؟ إِنَّ مَوْتَ الْأَهْلِ وَالْخِلَّانِ أَهَوَنُ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ أَنْ يَتْرُكَهُمْ فِيْ أَرْضٍ جَرْدَاءَ بِلَا طَعَامٍ وَلَا مَاءٍ، وَلَكِنَّ إِيمَانَهُمْ بِاللهِ وَثِقَتَهُمْ بِهِ جَعَلَهُمْ يَرْضَخُونَ لِأَمْرِهِ وَيُذْعِنُونَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللهُ، وَجَزَاءً عَلَى صَبْرِهِمْ وَتَقَبُّلِهِمْ لِبَلَائِهِ فَجَّرَ اللهُ لَهُمَا مَاءَ زَمْزَمَ، وَوَفَدَتْ عَلَيْهِمُ القَبَائِلُ وَشَارَكَتْهُمْ فِيْ المَاءِ، وَشَارَكُوهَا فِيْ الطَّعَامِ وَبَنُوا الْمَسَاكِنَ وانْتَعَشَتِ الحياةُ واسْتَأْنَسُوا وَذَهَبَ عَنْهُمْ مَا بِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ، وَعَاشُوا فِيْ خَيرِ حالٍ، فَلَمَّا بَلَغَ إِسْمَاعِيلُ عليه السلام السعيَ أَوْحَى اللهُ لِنَبِيِّهِ إِبْراهيمَ عليه السلام بِأَنْ يَذْبَحَهُ، وَهُنَا عمَّتِ البلْوَى آلَ إِبْراهِيْمَ وَكَانَ هَذَا امتحاناً لإِبراهِيْمَ وَهَاجَرَ وإِسماعيلَ جَميعاً عليهم السلام، فَتَأَمَّلُوا عِبادَ اللهِ كيفَ كانَ مَوْقِفُهُمْ مِن هَذا الْإِمتحانِ العصيبِ، فَفِيْمَا يُرْوَى بِأَنَّ إبراهِيْمَ عليه السلام لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَذْبَحَ إِسْمَاعِيْلَ قَالَ لَهُ وَهُوَ يومَئِذٍ صَبِيٌّ صغيرٌ: انْطَلِقْ بِنَا فَنُقَرِّبُ قُرْبَانَاً إِلَى اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ، أَي: اذْهَبْ بِنَا لِنَذْبَحَ ذِبْحَاً نَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَأَخَذَ إِبْراهيمُ سِكِّيْنَاً وَحَبْلاً ثُم انْطَلَقَا حتَّى وَصَلا بَينَ الْجِبَالِ فِي منى فَقَالَ الغلامُ لِأَبِيهِ: يَا أَبَتِيْ أَيْنَ قُرْبَانُكَ؟ أَيْ: أَينَ الذَّبيحةُ الّتِي تُرِيدُ أَنْ تَتَقَرَّبَ إِلَى اللهِ بِهَا فـ ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [الصَّافات١٠٢]، هُنا وَمَا أَدْرَاكَ مَا هُنَا، هُنَا تُسْكَبُ العَبَرَاتُ، هُنَا تَذْهَلُ الأَلْبَابَ، وَتَشْخَصُ الْأَبْصَارُ، وَتَحْتَارُ الأَفكارُ، حِوَارٌ بَيْنَ أَبِي الأَنْبِيَاءِ وَخَلِيلِ الرحمنِ، شَيْخٌ طَاعِنٌ فِي السِّنِّ قَدْ مَلأَ الوقارُ رَأْسَهُ وعَارِضَيْهِ وَبَيْنَ فَتَىً يَافِعٍ أَمْثَالُهُ مِنْ أَبْنَائِنا يَتَبَوَّلُونَ فِي ثيابِهِمْ، قَالَ تعالى: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ أَي أَنَّ اللهَ قَدْ أَمَرَنِي بِذَبْحِكَ فَمَا جَوَابُكَ؟ ما رأيُك وما ردُّك عَلَى هذِه البلوى؟

قَالَ الغُلامُ -واْسْمَعُوا مَا قَالَ-: يا أَبتي افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ، افْعَلْ مَا أُوحِيَ إِليكَ مِن ربِّكَ سَتَجِدُنِيْ إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ عَلَى هَذَا البلاءِ، لم يَبْكِ وَلَمْ يَجْزَعْ وَلَمْ يَهْرُبْ، وَلَمْ يَفْزَعْ، بَلْ قَالَ: يَا أَبَتِيْ، اشدُدْ رِباطِي كَيْ لَا أَضْطَرِبَ، واْكفُفْ عَنِّيْ

ثَيَابَكَ حَتَّى لا يَنْضَحَ عَلَيْكَ مِن دَمِي فَتَرَاهُ أُمِّيْ فَتَحْزنَ، وأَسْرِعْ فِي إمرارِ السِّكِّين على حَلْقِيْ لِيَكُونَ أَهْوَنَ لِلْمُوتِ عَلَيَّ، يَا أَبتي، كُبَّنِيْ عَلَى وَجْهِيْ حَتَّى لَا تَرَاني فَتَأْخُذَكَ الشَّفَقَةُ عَلَيَّ، فَإِذَا أَتَيْتَ أُمِّي فَاقْرَأ عَلَيهَا السَّلامَ مِنِّيْ، فَمَا كَانَ من إبراهيمَ عليه السلام بعدَ أَنْ سَمِعَ هَذَا مِن وَلَدِهِ إِلَّا أَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَضَمَّهُ إِليهِ وَهُو يُقَبِّلُهُ وَيَبْكِي وَيَقولُ: نِعْمَ الْعَوْنُ أَنْتَ يَا بُنَيَّ عَلى أَمرِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ، ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِيْنِ﴾ أَيْ: لَمَّا اسْتَسْلَمَا وَانْقَادَا لِتَنْفِيذِ أَمْرِ اللهِ نَادَاهُ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصَّافات١٠٤-١٠٧]، وَنَجَّا اللهُ إِسْمَاعِيلَ وَنَجَحَ في الامتحانِ إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي المحسنين.

عِبادَ اللّهِ:

هَذَا هُوَ البَلاءُ وَهَذا هُو الْاِمْتحانُ الْمُبِينُ، أَمَّا مَا يَلْحَقُنَا مِنَ البلاءِ فَلَا يُسَاوِي فِي جَنبِ بَلاءِ الأَنبياءِ شَيْئاً، فَهَلْ آنَ الأَوَانُ لِأَنْ نَرْضَى بِمَا قَسَمَهُ اللهُ لَنَا وَأَنْ نُذْعِنَ بِالرِّضَى وَالقَبُولِ لِمَا اخْتَارَهُ اللهُ وَبِمَا حَكَمَ بِهِ عَدْلاً وَارْتَضَاهُ.

عِبادَ اللّهِ:

لَقَدْ حَوَى القُرآنُ مِن صُوَرِ البَلاءِ وقَصَصِ الأَنْبِيَاءِ الكَثِيرَ، الكثيرَ الَّتِيْ لا يَتَّسِعُ المقامُ لِذِكْرِهَا، فَقَدْ بِيْعَ يوُسُفُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ، وَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ، وَعَمِيَ يَعْقُوبُ، وَنُشِرَ بِالْمِنْشَارِ زَكَرِيَّاءُ، وَذُبِحَ السَّيِّدُ الْحَصُورُ يَحْيَى، وَمَكَرَ اليَهُودُ بِعِيْسَى، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ. وَبِهَذِهِ السِّيرةِ وَعَلَى تِلكَ الطَّرِيقَةِ كَانَتْ حياةُ أَهلِ البيتِ عليهم السلام، إِنَّ فِي قَصَصِهِمْ لَعِبْرَةً لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيْدٌ.

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى النَبِيِّ الخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، وَالْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ، أَبِي الطَّيِّبِ وَالطَّاهِرِ وَالْقَاسِمِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى أَخيه وَابْنِ عَمِّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَلَى زَوْجَتِهِ

الْحَوْرَاءِ فَاطِمَةَ الْبَتُوْلِ الزَّهْرَاءِ، وَعَلَى وَلَدَيْهِما الإِمَامَيْنِ الأَعْظَمَيْنِ أَبِيْ مُحَمَّدٍ الحَسَنِ وَأَبِيْ عبْدِ اللهِ الْحُسَينِ، وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى الوَلِيِّ ٱبنِ الوَلِيِّ مَوْلَانَا الإِمَامِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ وَعَلَى الهادِي إِلَى الْحَقِّ القَوِيْمِ يَحْيَى بْنِ الحُسَيْنِ بْنِ القَاسِمِ بْنِ إِبْرَاهِيْمَ، وَعَلَى مَنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مِنَ الأَئِمَّةِ الهَادِين، وَٱرْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الصَّحَابَةِ الأَخيارِ مِنَ المهاجرين والأنصارِ وَالتَّابِعِيْنَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ وَعَنَّا مَعَهُمْ بِفَضْلِكَ وَمَنِّكَ يَا كَرِيْمُ، اللَّهُمْ انْصُرِ الإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِيْنَ وَٱجْمَعْ كَلِمَةَ عِبَادِكَ الْمُؤْمنينَ وَأَهْلِكَ الْكَفَرَةَ وَالْمُلحِدِينَ وَأَهْلِكْ مَنْ فِيْ هَلَاكِهِ صَلَاحٌ لِلْإِسلامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَاختمْ لَنَا بِالحُسْنَى ووفِّقْنَا لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى يا أَرحمَ الرَّاحِمِين.

عِبادَ اللّهِ:

﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، فَاذْكُروا اللهَ العَظِيْمَ الجليلَ يَذْكُرْكُمْ واشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ وَلَذِكْرُ اللهِ أكبرُ واللهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُوْنَ.

حقائق الدارين

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لِلهِ الذي عَمَّتْ نِعْمَتُهُ فَعَمَّ وُجوبُ شُكْرِها، وَجَلَّتْ عَظَمَتُهُ فَعَمَّ وُجُوبُ الخُضُوعِ لِعَالِيْ قَدْرِها، وَبَهَرَتْ حِكْمَتُهُ فَوَجَبَ اعتِقَادُ حُسْنِ نَهيها وأمرِها، فكم مِن مُعتَرِفٍ بِلِسانِ الحالِ وَالمَقَالِ، ومُقِرٍّ بِلِسَانِ الحالِ وَإِن أَنْكَرَ بِلِسَانِ الجِدَالِ، وَسُبْحَانَ اللهِ عَالِمِ الغَيبِ والشَّهَادَةِ الكبيرِ الْمُتَعَالِ، الذي دَلَّ العُقُولَ في بَدِيْعِ صُنْعَتِهِ عَلَى عَظيمِ عِلمِهِ وَباهِرِ حِكْمَتِهِ فِي جَمِيعِ الأَقوالِ والأَفعالِ.

وأَشْهَدُ أَنَ لَّا إِلهَ إِلَّا اللهُ إقراراً بِوَحْدَانِيَّتِهِ حميداً مَجِيْدَاً، وإيماناً بِأَنَّ اللهَ لا إلهَ إِلَّا هو قَائِماً بِالقِسْطِ في بريته، عزيزاً حكيماً.

وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أرسله بِالهُدَى وَدِينِ الحقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شهيداً ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسُفُ١٠٨].

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُصْطَفَاهُ مِن بَرِيَّتِهِ أَبي القَاسِمِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ وَتَحَنَّنَ وَتَرَحَّمَ، وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ جَعَلَهُمْ أَمَاناً لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الضَّلالِ واْصْطَفاهُم، وَأَوْرَثَهُمُ الكِتابَ وعَلَّمَهُمُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ.

هُمُ النجومُ لكلِّ مَن رامَ الهدى ... وهُمُ الرجومُ لكلِّ مَن لم يهتدِ

والقومُ والقرآن فاعرفْ قَدْرَهم ... ثِقْلان للثقلينِ نصُّ محمدِ

أمَّا بعدُ عِبادَ اللهِ:

إنَّ الحياةَ الدُّنيا مَزْرَعَةُ الآخِرةِ، يَجْنِي مِنْهَا الْمُؤْمِنُونَ ثِمَارَ تَعَبِهِمْ فِي أُخْرَاهُم، وَيَحْمَدُوْنَ رَبَّهُمْ عَلَى مَا أَوْلَاهُمْ مِنَ الْعَوْنِ عَلَى ذَلِكَ، فَعِندَ الصَّباحِ يَحْمَدُ القومُ السُّرَى.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر٧٤].

فَالْعَاقِلُ هُوَ مَنِ اْغتَنَمَ فُرْصَةَ البقاءِ في الدُّنيا وَاسْتَغَلَّ مُدَّةَ إِقَامَتِهِ فِي التَّزَوُّدِ لِغَدِهِ، وَإِعْدَادِ الزادِ ليومِ المَعَادِ.

فَالعُمْرُ قَصِيرٌ محدودٌ، وَلَهُ أَجَلٌ مَعْدُودٌ ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس٤٩]، إِنَّها مُهْلَةٌ يسِيرَةٌ خَوَّلَنَا اللهُ إِيَّاها لِغَايةٍ عَظِيْمَةٍ وَهِيَ الْجَنَّةُ.

فَالدُّنيا لَيْسَتْ مَقْصُودَةً بِذَاتِها وَلكِنَّها وُصْلَةٌ إِلى غَيرِها ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت٦٤].

فَعَلَيْنَا بِالتَزَوُّدِ وَالْعَمَلِ لِلْغَدِ الْقَرِيبِ الموعودِ؛ امْتِثَالاً لِأَمْرِ اللهِ القائلِ:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر١٩]، وَقَوْلِهِ عَزَّ مِن قَائِلٍ: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة١٩٧].

عِبادَ اللهِ:

مَاذَا أَعْدَدْنَا لِلْيَومِ الآخِرِ مِنَ العَمَلِ، وَمَا الذي قَدَّمْنَاهُ مِنَ الطَّاعَةِ، فَإِنَّ العُمْرَ تُطْوَى مِنْهُ كُلَّ يومٍ صَفْحَةٌ، وتُقْطَعُ نَحْوَ الموتِ كُلَّ يَومٍ مَرْحَلَةٌ؟

فَالعُمْرُ صَحَائِفُ لِلْأَعمالِ، وَالْعَمَلُ هُوَ بِنَاءٌ لِلنَّفْسِ،

فَإِنْ بَنَاهَا بِخَيرٍ طَابَ مَسْكَنُه وَإِنْ بَنَاهَا بِشَرٍّ خَابَ بَانِيْهَا

عَبْدَ اللهِ، مَاذا أَعْدَدتَّ لِلسَّفَرِ الطّويلِ والرِّحْلَةِ البعيدةِ مِنْ زَادٍ، وَمَا الذي تَأَهَّبْتَ بِهِ لِيومِ الرَّحيلِ مِنَ المَتَاعِ.

فَالسَّفَرُ إِلى اليومِ الآخِرِ طَوِيلٌ وَشَاق، مِقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ.

سَفَرٌ هُوَ أَطوَلُ الأَسفارِ بُعداً وَمَشَقَّةً، وطريقةٌ مُنْقَطِعةٌ، فَلَا رَجْعَةَ وَلَا تَذْكِرَةَ

وَلَا عَوْدَةَ، وَالْإِنْسَان يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعُدَّ العُدَّةَ لِذلِكَ اليوم؛ لِيَتَّقِيَ شَرَّهُ وَشِدَّتَهُ، فَكَمَا أَنَّنَا نَعُدُّ لِلظُّلْمَةِ الضِّيَاءَ وَلَلْبَرْدِ الدِّفَاءَ، وَلِلْحَرَّ الظِّلَّ- فماذا أَعدَدْنَا لِلنَّارِ مِنْ وقايةٍ، وماذا أعدَدْنا لِظُلْمَةِ القبرِ وَوَحْشَتِهِ، مَاذَا أَعْدَدنا لِيوم الحَشْرِ وَشِدَّتِهِ؟ يَقولُ النبيُّ ﷺ فِي إحْدَى مَوَاعِظِهِ: ((يَا قَيْسُ، إِنَّ مَعَ العِزِّ ذُلًّا، وَإِنَّ مَعَ الْحَيَاةِ مَوْتاً، وَإِنَّ مَعَ الدُّنْيَا آخِرَةً، وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً، وَإِنَّ لِكُلِّ حَسَنَةٍ ثَوَاباً، وَلِكُلِّ سَيِّئَةٍ عِقَاباً، وَإِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَاباً، إِنَّهُ لَا بُدَّ لَكَ -يَا قَيْسُ- مِنْ قَرِينٍ يُدْفَنُ مَعَكَ وَهُوَ حَيٌّ، وَتُدْفَنُ مَعَهُ وَأَنْتَ مَيِّتٌ، فَإِنْ كَانَ كَرِيماً أَكْرَمَكَ، وَإِنْ كَانَ لَئِيماً أَسْلَمَكَ، ثُمَّ لَا يُحْشَرُ إِلاَّ مَعَكَ، وَلَا تُبْعَثُ إِلاَّ مَعَهُ، وَلَا تُسْأَلُ إِلاَّ عَنْهُ، فَلَا تَجْعَلْهُ إِلاَّ صَالِحاً، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ صَالِحاً لَمْ تَأْنَسْ إِلاَّ بِهِ، وَإِنْ كَانَ فَاحِشاً لم تَسْتَوْحِشْ إِلاَّ مِنْهُ، وَهُوَ فِعْلُكَ)).

عِبادَ اللّهِ:

إِنَّ الْعُمْرَ فُرْصَةٌ قَصِيرَةٌ لا تُعَوَّضُ، فلا تَفُتْنَا هَذِهِ الفُرصةُ فَتَتَحَسَّرَ عَلَيها حِينَ لَا يَنْفَعُ نَدَمٌ وَلَا حَسرَةٌ، كما قَالَ تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٥٥ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ [الزمر٥٦].

إِنَّ الْعُقَلاءَ هُمْ مَنْ وَظَّفُوا حَيَاتَهُم كُلَّهَا لِلهِ، وَفِي طَاعةِ الله، وَلَمْ يَنْشَغِلُوا عَنِ الآجلِ بِالْعَاجِلِ، وَلَمْ يُؤْثِرُوا الفانيةَ على الباقيةِ، بَلْ سَخَّرُوا كُلَّ طَاقَاتِهِمْ لِلْعَمَلِ وَالْعِبَادَةِ بِلا كَسَلٍ وَلَا مَلَلٍ، ثُمَّ إِنَّهُم لَمْ يكتفُوا بِعَمَلِ النَّهَارِ، بَلْ قَطَعُوا الليالِيَ فِي العِبَادَةِ وَهَجَرُوا لَذِيذَ الْمَنَام.

﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذَّاريات١٨]، ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦﴾ [السّجدة١٦]، هَمُّهُمْ كُلُّه كَسْبُ الزَّادِ، والتَّزَوُّدُ لِذَلِكَ السَفَرِ

البعيدِ، وَتَرَاهُم كُلَّمَا زَادُوا فِي العِبَادَةِ وَالطَّاعةِ، كُلَّمَا زَادَ خوفُهُمْ وَفَزَعُهُم، وَاسْتَقَلُّوا فِي أَعْيُنِهِم مَا قدَّموهُ مِنَ الطَّاعَةِ، فَهُمْ كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِقَولِهِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون٦١].

فها هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الذي غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ كَانَ يَقومُ أَكثرَ اللّيلِ يُصَلِّي، وَيَدْعُو حَتَّى تَوَرَّمَتْ قدماه مِنَ القِيَامِ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيهِ ﴿طَٰهَٰ ۝١ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾[سورة طه(٣)]

وَهَا هُو الإِمَامُ عَلِيٌّ عليه السلام مَعَ كَثْرَةِ عِبَادَاتِهِ وَطَاعتِهِ وسابِقَتِهِ فِي الإِسْلامِ يَقُولُ كما أَخْبَرَ عَنْهُ ضِرارٌ بِقَولِهِ: (فَأَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَأيتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ وَقَد أَرْخَى الليلُ سُدُولَهَ وَغَارَتْ نُجُومُهُ، مُمَثِّلاً فِي محْرَابِهِ، قَابِضاً عَلَى لِحْيَتِهِ، يَتَمَلْمَلُ تَمَلْمُلَ السَّلِيمِ، وَيَبْكِي بُكَاءَ الحَزِينِ، وَكأَنِّي أَسْمَعُهُ الآنَ وهو يقولُ: يا رَبَّنَا يَا رَبَّنَا، يتضرعُ إِليهِ، ثُمَّ يَقولُ لِلدُّنْيَا: إِلَيَّ تَعَرَّضْتِ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتِ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، غُرِّي غَيْرِي، لا حانَ حِينُكِ فَقَدْ بِتْتُكِ ثَلاثاً، وَعُمُرُكِ قَصيرٌ، وَعَيْشُكِ حَقيرٌ، وَخَطَرُكِ كَثِيرٌ، آهِ آهٍ مِن قِلَّةِ الزَّادِ، وَبُعْدِ السَّفَرِ، وَوُحْشَةِ الطَّرِيق)، وَهَا هُوَ بَعْدَ ثَلاثَةِ أَيامٍ طَوَاهَا مَعَ أَهلِ بَيْتِهِ صَائِمينَ عَلَى المَاءِ بَعدَ أَن قَدَّموا كُلَّ مَا لَدَيْهِم مِنَ الطَّعَامِ صَدَقَةً وَأَمْسَوا جائِعينَ، ثُمَّ ماذَا قالوا بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾ [سورة الدهر(١٠)] لَمْ يَتبَاهَوا بِعَمَلِهِم وَلَمْ يَعْجَبُوا بِصَنِيعِهِم، بل ما زالوا خائفين أَلَّا يُتْقَبَّلَ منهم.

وَهَا هُوَ زَيْنُ العابِدِيْنَ وَسَيِّدُ السَّاجِدِيْنَ عَلِيُّ بْنُ الحُسَينِ عليه السلام أَعْبَدَ أَهلِ زَمَانِهِ، وَأَوْرَعَهُم وَأَكْثَرَهُم بُكَاءً وَخَوْفاً مِنَ اللهِ، وَالَّذِي كانَ يُصَلِّي فِي يَومِهِ وَلَيْلَتِهِ أَلْفَ رَكْعَةٍ.

وَكَانَ يَعُولُ مَا يُقَارِبُ مِائةَ أُسْرَةٍ مِنْ أُسَرِ الْمَدينةِ، وَيُنْفِقُ عَلَيهِمْ سِرّاً وَهُمْ لا يَعْلَمُونَ، فعلى الرُّغمِ مِنْ كُلِّ هَذِهِ الْعِبَاداتِ، وأَعْمالِ الْخَيرِ الَّتِي يُقَدِّمُها زَاداً لِيومِ

حَاجَتِهِ، ومتاعاً لِذلِكَ السَّفَر البعيدِ، إِلَّا أَنَّهُ مَا زَالَ فِي نَظَرِهِ قليلاً فِي جَنْبِ اليومِ الآخِرِ، وَكَمَا قد أُثِرَ عَنْه:

سَـفَرِي بَعيـدٌ وَزَادي لـن يُبَلِّغَنِـي ... وَقُـوَّتِي ضَـعُفَتْ والمـوتُ يَطْلُبُنِـي
وَأَخْرَجُوني مِـنَ الـدُّنْيا فَـوَا أَسَـفَا ... عَـلَى رَحيـلٍ بِـلا زادٍ يُبَلِّغُنِـي

فَانظُرْ عَبْدَ اللّه: لِهذا الحِرْصِ الْبَالِغِ فِي كَسْبِ الزَّادِ عِنْدَ مَنْ هُمْ أَعْبَدُ النَّاسِ، وَأَكْثَرُهُمْ طَاعَةً لِلهِ، وَقُرْبَاً مِنْهُ، وانْظُرْ لِحَالِنَا -نَحنُ الْمُقَصِّرينَ الْمُفَرِّطينَ وَغَفْلَتِنَا، كَيْفَ نَرجُو الجَنَّةَ بِالتَّمَنِّي. ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِءٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ [المعارج٣٨]، كلا، إن هذا لبعيد.

تَرْجُوْ النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْـلُكْ مَسَـالِكَهَا ... إِنَّ السَّـفِيْنَةَ لَا تَجْـرِيْ عَـلَى اليَـبَسِ

فَيَا ضَعِيفَ الْعَزْمِ، وَيَا دَنِيءَ الهِمَّةِ، أَيْنَ أَنْتَ؟! مَاذَا قَدَّمْتَ؟ وَمَا الَّذِي أَعْدَدْتَ؟ إِنَّ الموتَ يَطْلُبُنَا، وَالعُمْرُ يُطْوى سَرِيعاً مِنْ بَينِ أَيْدِيْنَا.

﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عِمران١٣٣].

تنبـه وَيْـكَ مِـن سِـنةِ التجـافي ... ولا تغفـلْ فقـد جـاءَ النـذيرُ
وشَـمِّرْ للترحـلِ باجتهـادٍ ... فقـد قـربَ الترحـلُ والمسـيرُ

يقولُ الرَّسولُ ﷺ: ((لَوْ لَمْ يَعْمَلْ أَحَدُكُمْ إِلَّا لِسَاعَةِ المَوَتِ لَكَانَ حَقِيْقَاً بِالْعَمَلِ)). وَرَوَى البَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ أَنَّ النَبِيَّ ﷺ أَبْصَرَ جَمَاعَةً يَحْفُرُونَ قَبْراً فَبكى حَتَّى بَلَّ الثَّرى بِدُمُوعِهِ، وَقَالَ: ((إِخْواني لِمِثْلِ هَذَا فَأَعُدُّوْا)). وَقَولُهُ ﷺ: ((أَدِيمُوا ذِكْرَ هَاذمِ اللذاتِ)) قالوا: وما هاذمُ اللذاتِ يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: ((الموتُ، فإن مَن أكثرَ من ذكرِ الموتِ سلا عن الشهواتِ، ومَن سلا عن الشهواتِ هانتْ عليه المصيباتُ، ومَن هانتْ عليه المصيباتُ سارعَ إلى الخيراتِ)) أخرجه في المختار من طريق الإمام زيد بن علي عليه السلام. فَذِكْرُ الْمَوْتِ يَجْلُو عَنِ القُلُوبِ القَسْوَةَ وَالْغَفْلَةَ

عَنِ الآخِرَةِ، وَمَن لَّمْ يَلِنْ قَلْبُهُ لِلِّذكْرِ فَلْيَخَفْ قَولَهُ تَعَالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الروم٢٢]

عِبادَ اللّهِ:

إِنَّ لِكُلِّ جَمْعٍ فُرْقَةً، وَلِكُلِّ نَعِيمٍ انقطاعاً

إِذا تَـــمَّ شيءٌ بَـــدَا نَقْصُـــهُ تَرَقَّـــبْ زَوَالاً إِذا قِيْـــلَ: تَـــمَّ

بَيْنَمَا الْمَوْلُودُ يُوْلَدُ وَيَفْرَحُ بِهِ أَهْلُهُ وَيُؤَذَّنُ فِي أُذُنِهِ، إِذَا بِهِ بَعْدَ زَمَنٍ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ يُحْمَلُ لَيُصَلَّى عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ لَمْ يَفْرَحْ مَعَ مَنْ فَرِح، وَلَمْ يَضْحَكْ مَعَ مَنْ ضَحِك، وَلَمْ يَعِشْ بَيْنَ الأَحْيَاءِ، وَكَأَنَّ حَيَاتَهُ ما بَيْنَ أَذَانٍ وَصَلاةٍ، فَلَا إِلَه إِلَّا اللهُ مَا أَقْصَرَهَا مِنْ حَيَاةٍ.

أَذَانُ المَـــرْءِ فِيْ اذْنِ الطِّفْـــلِ يَـــأْتِيْ وَتَـــأْخِيْرُ الصَّـــلاةِ إِلىٰ الْمَمَـــاتِ

دَلِيْـــلٌ أَنَّ مَحْيَـــاهُ يَسِـــيْرٌ كَمَـــا بَـــيْنَ الأَذَانِ إِلىٰ الصَّـــلاةِ

بينَمَا الطَبِيْبُ يُعالِجُ فَإِذَا بِهِ يُصَابُ بِنَفْسِ الْمَرَضِ، فَلا طِبُّهُ نَفَعَهُ، وَلَا دَوَاؤُهُ رَفَعَهُ، وإِذَا بِهِ يَلْقَى مَا لَقِيَ غَيْرُهُ عَلَى يَدَيْهِ

مَالِ الطَبِيبِ يَمـوتُ بِالـدَّاءِ الَّـذِيْ قَدْ كَانَ يُـبْرِئُ مِثْلَـهُ فِيْمَـا مَضَـى

مـاتَ الْمُـدَاوِيْ والْمُـدَاوَى والَّـذِيْ جَلَبَ الدواءَ وَبَاعَهُ وَمَـنِ اْشْـتَرَى

ابنُ آدَمَ لَيْسَ إِلَّا كَقِطْعَةٍ مِنَ الثَّلجِ تَذُوبُ مَعَ حَرِّ الشَّمْسِ قَلِيْلاً قليلاً حتى تَتَلاشَى وَتَذْهَبَ كَأَن لَّمْ تَكُنْ، وَهَكَذَا عُمرُ الإِنسانِ.

يَصِيرُ المرءُ يَوماً جَسَداً مَا فِيهِ روح نُحْ عَلَى نَفْسِكَ يَا مِسْكِينُ إِنْ كُنْتَ تَنُـوح

لَسْتَ بِالباقي وإِنْ عُمِّرْتَ مَا عُمِّرَ نُوح

فَانْتَبِهْ مِنْ رَقْدَةِ الغفلةِ فَالعُمرُ قَصِـير وَاطَّرِحْ سَوْفَ وَحَتَّى فَهُمَا دَاءٌ دخِير

وَاتَّـــقِ اللهَ وَقَصِّـــرْ أَمَـــلاً لَـــيْسَ فِي الـــدُّنْيَا خُلُـــوْدٌ لِلْمَـــلا

هكـذا الْمَـوتُ لَنَـا بِالْمَرْصَـدِ إن تركنـا اليـومَ فَاجَـأَ فِي غَـدِ

الموتُ بابٌ وَكُلُّ النَّاسِ سَيَدْخُلُونَ مِن هَذَا البَابِ، وَمَا مِن بَابٍ إِلَّا وَبَعْدَهُ دارٌ:

لَا دَارَ للمَرءِ بعـدَ المـوتِ يَسْـكُنُهَا إِلّا التِـيْ كَـانَ قَبْـلَ المَـوتِ بَانِيْهَـا
فَـإِن بَنَاهـا بِخَـيرٍ طَـابَ مَسْـكَنُهَا وَإِنْ بَنَاهـا بِشَـرٍّ خَـابَ بَانِيْهَا

كتـب المـوت عـلى الخلـق فكـم فَلّ من جـيش وأفنـى من دول
أَيْـنَ نُمـرُودُ وَكَنْعَـانُ وَمَـنْ مَـلِكَ الأَرْضَ وَوَلَّى وَعَـزَل
أَيْـنَ مَـنْ شَـادُوا وَسَـادُوا وَبَنَـوْا هَلَـكَ الكُـلُّ وَلَمْ تُغْـنِ الحِيَـل
أَيْـنَ أَهْـلُ الحَـقِّ أَرْبَـابُ الحِجَـى أَيْنَ أَهـلُ العِلـمِ والقـومُ الأُوَلَ
سَيُعِيْـدُ اللهُ كُـلاًّ مِنْهُـمُ وَسَيَجْـزِي فَاعِـلاً مَا قَـدْ فَعَـل

عَبْدَ اللهِ:

هَلْ شَاهَدتَّ مُحْتَضَراً فِي شِدَّةِ سَكَرَاتِهِ وَنَزَعَاتِهِ؟

هَلْ تَأَمَّلْتَ صُوْرَتَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ؟ هَلْ تَذَكَّرْتَ أَنَّكَ صَائِرٌ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنْ آلامِ الموتِ وَكُرُبَاتِهِ؟ هَلْ أَنْتَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِذَلِكَ اللِّقَاءِ العَظِيمِ؟ فَيَا لِذَلِكَ الموقف ما أعظمَهُ، ويا لذلك اليوم ما أفخمَهُ وأجسمَهُ!!

يَوْمُ الرَّحِيلِ مِن دَارِ الدُّنْيَا لِدَارِ القَرَارِ وَالدَّوَامِ الأَبَدِيِّ الَّذِي لا انْقِطَاعَ لَهُ وَلَا نِهَايَةَ، حِيْنَ تُؤَذِّنُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ بِمَوعِدِ المُغَادَرَةِ وَحُلُولِ زَمَنِ الإِقلاعِ وَابْتِدَاءِ الرَّحلةِ الطَّويلةَ.

يَـا نَفْـسُ قَـدْ أَزِفَ الرَّحِيْـلُ وَأَظَلَّـكِ الخَطْـبُ الجَلِيْـلُ
فَتَأَهَّبِـي يَـا نَفْـسُ لَا يَلعـبْ بـكِ الأَمـلُ الطَّويـلُ
فَلَتَنْـزِلَنَّ بِمَنْـزِلٍ يَنْسَـى الخَلِيـلَ بـه الخَلِيـلُ
وَلَيَرْكَـبَنَّ عَلَيْـكِ مِـن الثَّـرَى حِمْـلٌ ثَقِيـلُ
قُـرِنَ الفَنَـاءُ بِنَـا فَمَـا يَبْقَـى العزيـزُ ولا الـذليلُ

عِبادَ اللّهِ:

إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَنْتُمْ فِيْهَا دَارٌ سَتُفَارِقُكُم، وَتُفَارِقُوْنَهَا، الْمُهِمُّ أَنَّها دارٌ لَا تَصْلُحُ لِلحياةِ الأَبدِيةِ، وَلَكِنَّ الدَّارَ الآخِرةَ هيَ الحيوانُ لَوْ كَانُوا يعلمون، فَاكتَسِبُوا فِي الدُّنْيا أَعْمَالَ الآخِرَةِ، وَكُونوا مِن أَبناءِ الآخرةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنيا.

تَجْـرِيْ بِنَـا الـدُّنيَا عَـلَى سَـفَرٍ ... كَمَـا تَجْـرِيْ عَلَيـهِ سَـفَيْنَةُ المَـلَّاحِ
تَجْـرِيْ بِنَـا فِي لُـجِّ بَحـرٍ مَالَـهُ ... مِـنْ سَـاحِلٍ أَبـداً ولا ضَحْضَـاحِ
فَاقْضُـوا مـآرِبِكُمْ عُجَـالَى إِنَّهـا ... أَعْمَارُكُـمْ سـفرٌ مِـن الأَسـفارِ

مَا أَعظمَ حياةَ أَبناءِ الآخرةِ فِي هَذِه الدُّنْيَا؛ إِذْ يَعِيْشُونَ بِطَاقَةٍ إِيمانيةٍ هَائِلةٍ عَرَفَتْ حَقَائقَ الدَّارينِ، فآثرُوا الحياةَ البَاقِيةَ عَلَى الفَانِيةِ، وَالْعِيشَةَ الهَنِيَّةَ الدَّائِمةَ عَلَى الحياةِ الزَائِلةِ، فَأَنْفسُهُم عاليةٌ، وَأَعِينُهُمْ بَاكيةٌ، وَقلوبُهُمْ صافيةٌ، غَذَّوا أَجْسَامَهُمْ بِمَا يَسّرَ اللهُ لَهُمْ مِنَ الأَرزاقِ، وَاهْتَمُّوا بِغِذَاءِ أَرواحِهِمْ بالذكرِ وَالقُرآنِ والاستغفارِ، وَكُلِّ عِبَادةٍ وَطَاعةٍ، حَتَّى تَجَلَّتْ لَهُم الآياتُ فِي الآفاقِ فَلَا يُعَظِّمُونَ عَلَى ذِكرِ رَبِّهِمْ شَيئاً.

وَلنَا فِيْ قَصَصِهِمْ عِبْرةٌ وَذِكْرى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيْد، فَإِنَّ هَذهِ الدُّنْيَا لَا قِيمةَ لَهَا عِندَ اللهِ كَمَا قَالَ الْمُصْطَفَى ﷺ: ((لوْ كَانتِ الدُّنْيَا تَعدِلُ عِنْدَ اللّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِراً مِنْهَا شَرْبَة)).

وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللهِ شَيْئاً لَمَا مَكَّنَ اللهُ مِنْ رَأْسِ نَبِيِّهِ يَحْيَى عليه السلام لِيكونَ هَدَيةً تُهْدَى لِبَغِيَّةٍ مِنْ بَغَايَا بَنِيْ إِسْرائِيلَ، وَلَمَا تَرَكَ ابنَ نبيِّهِ الحسينَ بنَ عَلِيٍّ يَموتُ عَطَشاً عَلَى ضِفَافِ نَهْرِ الْفُراتِ، وَهُوَ مِنْ أَعظمِ النَّاسِ عندَ اللهِ قَدْراً وَفَضْلاً، مِنَ الَّذِينَ عَرَفوا اللهَ وَقَدَّرُوُه حَقَّ قَدْرِهِ، فَبَاعُوا أَنْفسَهُمْ رَخِيْصَةً فِي حُبِّهِ.

رُوِيَ أَنَّ يَحيَى بنَ زَكَرِيَّا عليه السلام كانَ أَصغرَ الأَنْبِياءِ سِنّاً آتاهُ اللهُ الحكمَ صَبِيّاً، إِجابةً لنِدَاءِ عَبْدِهِ زَكَرِيَّا، كانَ يخرجُ إِلَى بيتِ الْمَقدِسِ فَيَرى عُلَماءَ بني إِسْرَائِيلَ وَهُمْ يَلْبَسُونَ الْمَدَارِعَ مِنَ الصُّوفِ، وَيَتَعَبَّدُونَ اللهَ ويَذكُرُونَهُ، فَأُعْجِبَ بِفِعْلِهِمْ،

وأَحَسَّ بِعَظَمَةِ القُرْبِ مِنَ اللهِ، فَذَهَبَ إِلَى أُمِّهِ وَأَمَرَهَا أَنْ تَصْنَعَ لَهُ مِدْرَعَةً مِنَ الصُّوفِ وبُرْنُساً مِنَ الشَّعَرِ، فَقَالَتْ لَهُ انْتَظِرْ حَتَّى يَأْتِيَ أَبُوكَ وَنُخْبِرَهُ، فَلَمَّا جَاءَ زَكَرِيَّا عليه السلام أَعْلَمَتْهُ بِالْأَمْرِ، فَقَالَ لِوَلَدِهِ يَحْيَى: أَيْ بُنَيَّ إِنَّكَ لَا تَزَالُ صَغِيْراً عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ يَحْيَى عليه السلام: وَهَلْ يُفَرِّقُ الموتُ بَيْنَ الصِّغَارِ والكِبَارِ؟ فَقَالَ زَكَرِيَّا لِأُمِّ يَحْيَى: اصْنَعِيْ لَهُ مَا أَرَادَ، وَلَمَّا صَنَعَتْ لَهُ أُمُّهُ مِدْرَعَةً وَبِرنْساً لَبِسَهَا يَحْيَى عليه السلام، وَخَرَجَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَظَلَّ يَعْبُدُ اللهَ دُوْنَ تَوَقُّفٍ أَوْ مَلَلٍ، بَلْ أَقْبَلَ بِشَوقٍ ولَهْفٍ عَلَى عِبادةِ اللهِ حَتَّى أَثَّرَتْ الْمَدْرَعَةُ فِي جِسْمِهِ النَّاعِمِ الصغيرِ، فَنَظَرَ يَوْمَاً إِلَى جَسَدِهِ وَقَدْ نَحِلَ، وَقَد أَثَّرَتِ المِدْرَعَةُ فِي لَحْمِهِ فَأَحَسَّ بِالأَلَمِ ثُمَّ بَكَى بُكاءً شَدِيْدَاً، وَبينما هُوَ كَذلِكَ إِذْ بِرَبِّ العِزَّةِ يُوحِيْ إِلَيْهِ قَائِلاً: (يَا يَحيَى، أَتَبْكِي لِأَنَّ مَدْرَعَةً مِنَ الصُّوفِ قَدْ أَثَّرَتْ فِي جِلْدِكَ!! يَا يَحْيَى، وَعِزَّتِي وَجَلالي لو اطَّلَعْتَ عَلَى النَّارِ اطِّلاعةً وَاحِدةً لَتَدَرَّعْتَ بِالحَدِيْدِ).

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ ظَلَّ يَعْبُدُ اللهَ بَاكِياً خَائِفاً مِنَ النَّارِ حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ، فَبَلَغَ خَوفَهُ مِنَ النَّارِ أَنَّ أَبَاهُ زَكَرِيَّا عليه السلام كانَ إِذَاْ أَرَادَ أَنْ يَعِظَ بَنِيْ إِسْرَائِيلَ وَيُذَكِّرَهُمْ بِالنَّارِ يَنْظُرُ يَمِيْناً وَشِمَالاً مُتَلَفِّتاً هَلْ يَرَى ابْنَهُ يَحْيَى بَيْنَهُمْ، فَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمْ لَمْ يَذْكُرِ النَّارَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ ذَكَرَ النَّارِ، وَفِي مَرَّةٍ من المرَّاتِ نَظَرَ زَكَرِيَّا فَلَمْ يَجِدْ ابنَهُ يَحْيَى بَيْنَهُمْ فَقَامَ فِيهِمْ خَطِيْباً، وَذَكَرَ النَّارَ، فدَخَل يَحْيَى عليه السلام مُتَوَشِّحاً رِدَاءَهُ لِئَلّا يُرَى، فَكَانَ مِمّا قَالَ زَكَرِيّا عليه السلام: (يَا بَنِي إِسْرَائِيْلَ اذْكُروا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ واخشَوا عذابَهُ ونَارَهُ فَإِنَّ فِي النَّارِ وَادياً يُقَالُ لَهُ (الغَضْبَانُ)، وَفِي ذَلِكَ الوادي جَبَلٌ يُقَالُ لَهُ (السَّكْرانُ) بَعيدُ القَعْرِ قَعْرُهُ مِائةَ عَامٍ، وَفِي ذَلِكَ الجبلِ جُبٌّ عَظِيمٌ فِيهِ تَوَابِيْتُ من نارٍ فِي تِلْكَ التَّوَابِيْتَ سَلاسِلُ مِنْ نَارٍ، وَأَغلالٌ مِنَ النَّارِ أَعَدَّها اللهُ لِلْعَاصِينَ)، فَلمّا سَمِعَ يَحْيَى ذَلِكَ خَرَجَ تَائِهاً مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ يَطْلبُ الْفَيَافِي وَالقفارَ، وَهُوَ يُنَادِيْ: يَا وَيْلَاهُ من الغَضْبَانِ، يَا وَيْلَاهُ من الْغَضْبَانِ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى غَدِيرِ مَاءٍ، فَوَضَعَ رِجْلَيْهِ بَيْنَ الماءِ حَتَّى بَلَغَ رُكْبَتِيْهِ، وَأَخَذَ يَبْكِيْ وَأَهْلُهُ

يَبْحَثُونَ عَنْهُ حَتَّى وَجَدوهُ فِي ذَلِكَ المكانِ وَهُوَ يَبْكِي وَيَقُولُ: (إِلَهِي لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَعْرِفَ مكاني عِندَك).

فَيَا اللهُ مَا أَعظمَ تِلْكَ العلاقَةَ الوَطِيْدَةَ بَينَ هذا الطفلِ الصغيرِ وَرَبِّهِ وَمَا كُلُّ ذَلِكَ الخوفِ الذيْ مَلأَ قَلْبَهُ وَطَيَّرَ لُبَّهُ وَاسْتَحْوَذَ عَلَى جَوارحِهِ، يَا لَيْتَنَا نَعْرِفُ اللهَ بَعضَ معرفةِ أُوْلَئِكَ الصَّالِحِينَ لِنَذُوقَ لَذَّةَ المُنَاجَاةِ لِلهِ وَمَحَبَّتِه.

عِبادَ الله:

قَارِنُوا بَيْنَ ذَلِكَ الْخَوفِ الذِيْ قَطَعَ نِيَاطَ قُلوبِ الْمُقَرَّبِينَ، وَبَينَ هَذِهِ القَسْوةِ التي رَانَتْ عَلَى قُلوبِنَا، فَصَمَّتْ لَهَا المَسَامِعُ، وَجَفَّتْ مِنْها المَدَامِعُ.

لِمَ كُلُّ هَذِهِ الغَفْلَةِ؟ لِمَ هَذَا البعدُ عَنِ اللهِ والنسيانُ لِلْيَومِ الآخرِ؟ الذي حَرَمَ الصَّالِحِينَ لَذَّةَ الْعَيْشِ وَالْمَنَام.

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة].

إِنَّ لِلـــهِ عِبَـــادَاً فُطَنَـــا ... طَلَّقُـوا الـدُّنيا وَخـافُوا الفِتَنَـا
فكَّـروا فِيْهـا فَلَمّـا عَلِمُـوا ... أَنَّهـا لَيْسَـتْ لحـيٍّ وَطَنَـا
حَسِـبُوها لُجَّـةً وَاتَّخَـذوا ... صَـالِحَ الأَعـمالِ فيهـا سُـفُنَا

واعلموا أنه لا ينتفعُ بالدينِ، ولا يفوزُ باليقين، ولا يكونَ من الصادقين إلا الخاشعين الخاشين الوجلين، اقرأوا قولَ اللهِ: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾﴾ ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾ ومَن لم يخفْ لم ينتفعْ.

بَارِكَ اللهُ لِيْ وَلكُم فِي القُرآنِ العظيمِ وَنَفَعَنِيْ وَإِيَّاكُم بِمَا فِيهِ مِنَ الآياتِ والذِّكرِ الحكيمِ إِنَّهُ تَعَالَى جَوَادٌ مَلِكٌ بَرٌّ رَؤوفٌ رَحِيْمٌ، فَاسْتَغْفِرُوه إِنَّهُ هُوَ الغفورُ الرحيمُ.

حقائق الدارين

الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لِلهِ الّذِيْ تَفَرَّدَ بِالبَقَاءِ والدَّوَامِ، وحَكَمَ عَلَىٰ عِبَادِهِ بِالفَنَاءِ وَالإِعدامِ، الحمدُ لِلهِ الَّذِيْ جَعَلَ الَّليلَ والنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً.

وَأَشْهدُ أَلَّا إِلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لَا شَرِيْكَ لهُ المُلكُ القدوسُ العزيزُ الحكيمُ، غافرُ الذنبِ، وَقَابلُ التَّوبِ شَديدُ العِقَابِ ذِيْ الطَّوْلِ، لَا إِلهَ إِلّا هوَ العزيزُ الحكيمُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ ورسولُهُ الهادِيْ إِلَىٰ سَواءِ السَّبيلِ، مَنْ أَنارَ اللهُ بِحُجَجِهِ الْعُقُولَ، وَارتَفَعَتْ بِهِ أَعْلامُ الهُدىٰ والنُّورِ- صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَىٰ آلِهِ الْكِرامِ - مِنْ يومِنا هَذَا إِلَىٰ يَومِ الزِّحَامِ.

أَمَّا بَعدُ عِبادَ اللّهِ:

علينَا بِالتَّشْمِيرِ فِي طَاعةِ اللهِ، والمُسَارعةِ فِي جَمْعِ الزَّادِ، وَالتَّزوُّدِ لِيومِ المعادِ ولنُسَابِقْ مَعَ أُولَئِكَ الْأَبْرَارَ فِي مِضْمَارِ الطَّاعَةِ، فَهَا هُوَ مُحمدُ بنُ عبدِ اللهِ ﷺ، يقومُ الَّليلَ مُتَهَجِّداً، وَيَبْكِيْ بُكَاءً شَديداً حَتَّى يَبْتَلَّ حجرُهُ دمُوعاً، فَرَأهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ أَوْ أَزْوَاجِهِ، فَخَاطَبَهُ قَائِلاً: أَيْ مُحَمَّدُ، مَا يُبْكِيكَ وَأَنتَ الَّذِيْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ من ذَنبِكَ وَمَا تَأخَرَ.

فأَجَابَهُ المُصْطَفَىٰ ﷺ بِقَولِهِ: ((أَفَلَا أَكُونُ عَبْدَاً شَكُوراً)). وَرُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَكَىٰ بُكَاءً شَديدَاً، وَخَرَجَ إِلَىٰ قَوْمِهِ يَقُولُ: ((واللهِ لو تَعْلَمونَ مَا أَعْلمُ لضَحِكْتُمْ قَليلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيْراً ولما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعبات تجأرون إلى الله، ولحثيتم على رؤوسكم التراب)).

يَـا مَـنْ يُعَـانِقُ دُنْيَـا لَا بَقَـاءَ لَهَـا ... يُمْسِـيْ ويُصْـبِحُ فِيْ دُنْيَـاهُ سَـفَّارَا

هَـلّا تَرَكْـتَ لِـذِيْ الـدُّنْيَا مُعَانَقَـةً ... حَتَّـىٰ تُعَـانِقَ فِيْ الفِـرْدَوْسِ أَبْكَـارَاً

إِنْ كُنْتَ تَبْغِي جِنَانَ الخُلْدِ تَـدْخُلُهَا فَيَنْبَغِـي لَـكَ أَلَّا تَـأمنَ النَّـارَ

فَهؤلاءِ أَهلُ الدَّرَجَات عِندَ اللهِ، ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء٤٩]، وعَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ النَّارِ خَائِفون، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون٦١].

حَكَى طَاوُوسُ اليَمَانيُّ صَاحِبُ الإِمامِ زينِ العابدينَ السَجَّادِ عليه السلام قَالَ: رَأَيتُ زينَ الْعَابِدِينَ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ مِنَ العشاءِ إِلَى السَّحَرِ، وَلَمَّا جَاءَ السّحرُ نَظَرَ زينُ العابدينَ، وَتَلَفَّتَ يَمِيْناً وَيَسَاراً، فَلَمْ يرَ أَحداً، وَكُنتُ أَرْقُبُهُ، فَإِذَا بِهِ يَرْفَعُ يَدَيهِ إِلَى السَّماءِ، وَيُنَاجِيْ رَبَّهُ قَائِلاً: (إِلَهِيْ، غَارَتْ نُجومُ سَمَاوَاتِكَ، وَهَجَعَتْ عُيونُ أَنَامِكَ، وأَبوابُكَ مُفَتَّحَةٌ للسَّائِلينَ، وَقَدْ جِئْتُ إِليكَ لِتَغْفِرَ لِيْ، وَتَرحمَنَي، وَتُرِيَنِي وَجْهَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم فِي عَرَصَةِ القيامةِ)، ثُمَّ بكى وَرَفَعَ رَأسَهُ مَرَّةً أُخْرَى وَقَالَ: (إِلهِي، وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ ما عَصَيتُكَ جَاهِلاً بِعُقُوبَتِكَ، وَلَا أَنَا بِكَ شَاكٌّ، وَلَا لِعِقَابِكَ مَتَعَرِّضٌ، وَلَا لِنَكَالِكَ جَاهِلٌ، وَلَكنْ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي وأَعَانَنِي عَلَى ذَلِكَ سِتْرُكَ الْمَرخِي عَليّ).

يَا اللهُ!! زَينُ العابدينَ يَعُدُّ نَفْسَهُ عَاصِياً، تُرَى بِماذا؟ هَلْ لِأَنَّهُ زَينُ العابدينَ، الذِيْ قَالَ فِيهِ جَدُّهُ صلى الله عليه وآله وسلم: ((يُحْشَرُ النَّاسُ يومَ القيامةِ فَيَقُومُ مُنادٍ يُنَادِيْ لِيَقُمْ سَيِّدُ العابدينَ، فَيَخْرُجُ مِنْ بَيْنِهِمْ وَهُوَ يَتَخَطَّى الرقابَ))؟ أَمْ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فِي الليلِ والنهارِ، يُطِيلُ الركوعَ والسُجودَ حَتَّى انْخَرَمَتْ أُنفُهُ، وَأصبحَتْ جَبْهَتُهُ كَثَفْنَةِ الْبعيرِ؟ أَمْ يَرى نَفْسَهُ عَاصِياً لِأَنَّهُ كَانَ كثيرُ التَّهَجُّدِ وَالصَّلاةِ؟ فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ له فِي وَادِيْ أُمِّهِ فَاطِمَةَ عليها السلام بِفَدَكَ حَوَالَيْ خَمْسُمَائَةَ نَخْلَةٍ كَانَ يَركعُ عِندَ كُلِّ نَخْلَةٍ رَكْعَتينِ، فَلَا يَأْتِيْ آخِرُ الَّليْلِ إِلَّا وَهُوَ عِنْدَ آخرِهَا، وَمَعَ ذَلِكَ نَرَاهُ يَبْكِيْ وَهُوَ رُبَّمَا يُصَلِّيْ أَلْفَ رَكعةٍ فِي اليومِ والليلةِ، أم هَلْ يَرى نَفْسَهُ عَاصِياً لِإِطْعَامِهِ الْفُقَراءَ وَالْمَسَاكينَ.

فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ رِئِيَ عَلَى كَتِفِهِ الشَّرِيفِ عِنْدَ مَوْتِهِ آثارُ الحِبالِ الّتِي كانَ يَشُدُّهَا عَلَى ظَهْرِهِ فِي غَلَسِ اللَّيَالِيْ، يَحْمِلُ الطعامَ إِلَى الأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ. حيثُ كَانَ يَعولُ حَوَالِيْ مِائةَ أُسرةٍ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ هُوَ الْقَائِلُ قَوْلَهُ الْمَشهورَ فِي صَحيفَتِهِ: (يَا إِلهِي، لَوْ بَكَيْتُ إِلَيْكَ حَتَّى تَسْقُطَ أَشْفَارُ عَيْنَيَّ، وَانْتَحَبْتُ حَتَّى يَنْقَطِعَ صَوْتِي، وَقُمْتُ لَكَ حَتَّى تَتَنَشَّرَ قَدَمَايَ، وَرَكَعْتُ لَكَ حَتَّى يَنْخَلِعَ صُلْبِي، وَسَجَدْتُ لَكَ حَتَّى تَتَفَقَّأَ حَدَقَتَايَ، وَأَكَلْتُ تُرَابَ الأرض طُولَ عُمْرِي، وَشَرِبْتُ مَاءَ الرَّمَادِ آخِرَ دَهْرِي وَذَكَرْتُكَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ حَتَّى يَكِلَّ لِسَانِي ثُمَّ لَمْ أَرْفَعْ طَرْفِي إِلَى آفَاقِ السَّمَاءِ اسْتِحْيَاءً مِنْكَ مَا اسْتَوْجَبْتُ بِذَلِكَ مَحْوَ سَيِّئَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ سَيِّئَاتِي).

عِبادَ اللّهِ، كُلُّ ذَلِكَ مُقَابِلَ مَحْوِ سَيِّئَةٍ فَضْلاً عَنْ كِتَابَةِ حَسَنَةٍ.

فَهَذِه بَعضُ عِبَادَاتِهِ، يَقولُ طاوُوسُ مُكَمِّلاً بقيةَ حِكَايَتِهِ عَنْ زينِ العابدينَ: ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مَرَّةً أُخرى، وَقَالَ: فَالآنَ يَا إِلَهِيْ مِنْ عَذَابِكَ مَنْ يَسْتَنْقِذُني؟ وَبِحبلِ مَنْ أَلُوذُ إِنْ قطعتَ حَبْلَكَ عَني؟ إِلهِيْ إِذَا جَاءَ يومُ القيامةِ، فَكَيفَ يَكونُ وقُوفِي بَينَ يَديْكَ غَداً؟ حِينَ يُقَالُ لِلْمُثْقِلِينَ جُوزُوا وللمُخِفِّينَ حُطُّوا، إِلهي...هَلْ أَجُوزُ مَعَ الْمُثْقِلِينَ أَمْ أَحُطُّ مَعَ الْمُخِفِّينَ؟

يا اللهُ، زينُ العابدينَ لَا يَدرِيْ أَينَ يَذهبُ؟ أَنْشَدَ صَلَواتُ الله عَليهِ قائِلا:

تُعَذِّبُنِيْ بِالنَّارِ يَا غَايَةَ الْمُنَى ... فَأينَ رَجَائِيْ مِنكَ أَينَ مَحَبَّتِيْ

أَتيتُ بِأَعمالٍ قِباحٍ زَرِيةٍ ... وَمَا فِي الْوَرَى خَلْقٍ جَنَى كَجِنَايَتِيْ

وَبَكى بُكَاءً يَقْطَعُ الْأَفْئِدَةَ، وَيُمَزِّقُ القلوبَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مَرَّةً أُخْرَى، وَقَالَ: (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ تُعْصَى وَكَأَنَّكَ لا تَرَى، وتَغْفِرُ وكَأَنَّكَ لَمْ تُعْصَ، تَتَوَدَّدُ إِلى عِبَادِكَ بِحُسْنِ صَنِيْعِكَ إِلَيْهِمْ وَكَأَنَّكَ الْمُحْتَاجُ إِلَيهِمْ، وَأَنتَ -يَا سَيِّدِي- الْغَنِيُّ عَنْهُمْ) ثُمَّ جَثَا عَلَى رُكبَتَيْهِ يَبْكِيْ بُكاءً مُرّاً.

يَقولُ طاوُوسُ: فَدَنَوتُ مِنْهُ، وَرَفَعْتُ رَأسَهُ وَوَضَعْتُهُ عَلَى رُكْبَتَيَّ، وَبَكَيتُ مَعَهُ رضي الله عنه حَتَّى نَزَلَتْ دُموعِيْ، فَسَالَتْ عَلَى خَدِّهِ الشَّرِيفِ فَانْتَبَهَ إِليّ قَائِلاً:

(مَنِ الَّذِيْ شَغَلَنِي عَنِ ذِكْرِ رَبِّيْ)، قُلتُ: أَنا طاوُوسُ يَا ابنَ رسولِ اللهِ، مَالَكَ يا ابنَ رسولِ اللهِ؟ كَيفَ بِنَا نَحنُ؟ مَا كُلُّ هَذَا الجَزَعِ وَالفَزَعِ؟ وَنَحنُ الَّذِينَ يَجِبُ أَنْ نَفْعَلَ مِثْلَكَ، نَحنُ الْمُقَصِّرونَ الْمُذْنِبُونَ!! أَمّا أَنْتَ فَأَبُوكَ عليٌّ ﷺ وَجَدُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمُّكَ فَاطِمةُ الزَّهراءُ، فَالْتَفتَ إِلَيَّ وَقَالَ: (يَا طَاوُوسُ، دَعْ عَنْكَ حَدِيْثَ أَبِي وَأُمِّي وَجَدِّي، خَلَقَ اللهُ الجَنَّةَ لِمَنْ أَطَاعَهُ وَأَحْسَنَ وَلَوْ كَانَ عَبْدَاً حَبَشِيَّاً، وخَلَقَ اللُه النَّارَ لِمَنْ عَصَاهُ وَإِنْ كَانَ سَيِّدَاً قُرَشِيَّاً، فَدَعْ عَنْكَ حَديثَ أَبِيْ وَأُمِّي وجَدّي، يا طاوُوسُ، أوَمَا سَمِعْتَ قَولَ اللهِ تعالىٰ: ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ﴾ [المؤمنون١٠١] وذَلكَ عِندَ أَوَّلِ مَوقِفِ الحَشْرَ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَكونُ الْمَعْرِفَةُ والْمُسَائَلةُ.

عِبادَ اللّه:

إِنَّهُ زَينُ العَابِدِينَ، فَرْعٌ مِنْ شَجَرَةِ النُّبوَّةِ، وَمَنْ يُشَابِهْ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ، ذُرِّيَّة بعضُها مِنْ بَعْضٍ، نَشَأَ علىٰ الْعِفَّةِ والطَّاعَةِ وَالعِبَادَةِ، في كِبَرِهِ وَعُرِفَ عَنْهُ ذَلكَ فِيْ صِغَرِهِ.

فَمِمَّا رُوِيَ فِيْ ذَلِكَ أَنَّ بُهْلولاً قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا ذَاتَ يَومٍ فِيْ بَعْضِ شَوارِعِ البَصرةِ وَإِذَا بِصِبْيَانٍ يَلْعَبُونَ بِالجوْزِ وَالّلوْزِ، وَإِذَا أَنا بِصَبِيٍّ يَنْظُرُ إِلِيهِمْ وَيَبْكِيْ.

فَقُلْتُ: هَذَا صَبِيٌّ يَتَحَسَّرُ عَلَىٰ مَا فِيْ أَيدِيْ الصبيانِ، وَلَا شَيءَ مَعَهُ يَلْعَبُ بِهِ.

فَقُلْتُ لَهُ: أَيْ بُنَيَّ: مَا يُبْكِيْكَ؟ أَشْتَرِيْ لَكَ من الجوْزِ والّلوزِ مَا تَلْعَبُ بِهِ مَعَ الصبيانِ؟

فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَيّ وَقَالَ: يَا بُهْلولُ أَوَ لِلَّعِبِ خُلِقْنَا؟

فَقُلْتُ: أَيْ بُنَيَّ: فَلِمَاذَا خُلِقْنَا؟

قَالَ: لِلعلمِ وَالعبادةِ، قُلْتُ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا بَارَكَ اللهُ فِيْكَ؟

لَقَدْ أَخَذَتْ بُهلولَ الدّهْشَةُ مِنْ أَمرِهِ، فَهوَ يُخَاطِبُ صَبِيًّا صَغِيْراً وكلامُهُ كلامُ عاقلٍ كبيرٍ، مَا هَذَا المنْطِقُ؟ مَا هَذهِ الإِجَابَاتُ؟ مِنْ أَيْنَ لَهُ كُلُّ هَذهِ الحكمةِ؟ يَتَسَائلُ بهلولُ في عجبٍ!

مِنْ أَينَ لَكَ هَذَا بَارِكَ اللهُ فِيكَ؟

قَالَ الغُلامُ: من قولِهِ تَعَالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [المؤمنون٥٦] ومن قوله ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون١١٥].

قُلْتُ: أَيْ بُنَيَّ، بَارِكَ اللهُ فِيْكَ، أَرَاكَ حَلِيْمَاً فَعِظْنِيْ وَأَوْجِزْ. فأنشأَ يقولُ:

أَرىٰ الدُّنيا تَجَهَّزُ بِانطِلاقِ ... مُشَمِّرَةً عَلىٰ قَدَمٍ وسَاقِ

فَمَا الدُّنْيا بِبَاقيةٍ لِحَيٍّ ... وَلَا حَيٌّ عَلَى الدُّنيا بِبَاقِ

كَأَنَّ الموتَ والْحَدَثَانَ فِيْها ... إِلىٰ نفسِ الفَتَىٰ فَرَسَا سباقِ

فَيا مغرورُ بِالدُّنْيَا رُوَيْداً ... وَمِنْها خُذْ لِنَفْسِكَ بِالوثاقِ

ثُمَّ رَمَقَ بِعَيْنَيه إِلىٰ السَّمَاءِ، وَأَشَارَ إِلَيْهَا بِكَفَّيْهِ وَدموعُهُ تَنْحدرُ عَلَىٰ خَدَّيهِ، وأَنشأَ يقول:

يَا مَنْ إِليهِ الْمُبْتَهَل، يا مَنْ عَليهِ الْمُتَّكَل، يَا مَنْ إِذا مَا أَمَّلَهُ الآمِلُ لَمْ يُخْطِهِ الْأَمَلُ.

قَالَ بُهلولُ: فَلَمَّا أَتَمَّ الصَّبِيُّ كَلَامَهُ خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيهِ، فَرَفَعتُ رَأسَهُ إِلَىٰ حِجْرِيْ وَنَقَضَتْ التُّرَابَ عَنْ وَجْهِهِ بِكُمِيْ، فَلَمَّا أَفَاقَ قُلتَ لَهُ: أَيْ بُنَيَّ مَا نَزَلَ بِكَ، وَأَنْتَ صَبِيٌّ صَغِيرٌ لَمْ يُكْتَبْ عَلَيكَ ذُنُوبٌ؟.

قَالَ: إِليكَ عَنِّيَ يا بِهلولُ، إِنِّيْ رَأَيتُ وَالِدَتِيْ تُوقِدُ النَّارَ بِالحَطَبِ الكبارِ فَلَمْ تَتقد لها إِلَّا بالصِغَارِ، وَأَنَا أَخشىٰ أَنْ أَكُونَ من صِغَارِ حَطَب جَهَنَّمَ.

قالَ بهلولُ: فلمّا فَرغَ مِنْ كَلَامِهِ، وَقَعْتُ مَغْشِيّاً عليَّ.

ثُمَّ انصرفَ الصَبيُّ وَخَلَّانِيْ -أَيْ: تَرَكَنِيْ- فَلَمَّا أَفَقْتُ نَظَرْتُ إِلَىٰ الصِبْيَانِ فَلَمْ أَرَهُ مَعَهُمْ، فقلتُ لَهُمْ: مَنْ يَكُوْنُ ذَلكَ الغلامُ؟ قالوا: أَوَمَا عَرَفْتَهُ؟، قُلْتُ: لَا. قالوا: ذَلِكَ عليُّ بنُ الحسينِ.

فَقَالَ بهلولُ: عَجِبْتُ أَنْ تَكونَ هذهِ الثَّمَرَةُ إِلّا مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ، إِنَّهُ سَلِيْلُ النُّبوَّةِ، وابنُ رسولِ اللهِ، ذُرِّيَّة بعضُها مِنْ بَعْضٍ.

إِنَّهُمْ أَهْلُ البيتِ الذينَ طَهَّرَهُمُ اللهُ مِنَ الرِّجْسِ، وجَعَلَهُمْ قُدْوَةً للخلقِ، وقادةً لِلْأُمَّةِ.

عِبادَ اللّهِ:

والآنَ أَيْنَ مَوْقِفُنَا؟ أَيْنَ مَكَانُنَا؟ كَيفَ مَصيرُنَا؟ لَا تَبْكُوا، بَلِ ابْكُوا وَلَكِنِ اعْلموا أَنَّ البُكَاءَ وَحْدَهُ لَا يَكْفِيْ، بَلْ لابُدَّ مِنَ الخوفِ مِنَ اللهِ فَهُوَ رَأْسُ التَّقْوَى كَمَا قَالَ تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عِمران١٠٢] والتَّقْوى كَمَا قَالَ الإِمَامُ عليٌّ عليه السلام: (هِيَ الخوفُ مِنَ الجَلِيْلِ، والعملُ بالتنزيلِ، والتجهزُ ليومِ الرحيلِ)، وَهَذهِ الكلمةُ مِنْهُ صلى الله عليه وآله وسلم مِنْ جَوَامِعِ الكَلِمِ، تَحْتَاجُ وَحْدَهَا إِلى خُطْبَةٍ كَامِلَةٍ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَنْفَعَنَا بِمَا سَمِعْنَا، وأَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الْعَامِلِينَ بِهِ، وَالْمُتَّعِظِينَ الْمُسْتَمِعِينَ القولَ الْمُتَّبِعِينَ أَحْسَنَهُ، آمِيْن يا رَبَّ العالمينَ.

عِبادَ اللّهِ:

أَكْثِرُوا فِي هذا اليومِ وَأَمْثَالِهِ مِنَ الصَّلاةِ والسَّلامِ عَلَى نَبِيِّكُمُ الكريمِ وَعَلَى آلِهِ؛ امْتِثَالاً لِأَمرِ اللهِ القائِلِ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ [الأحزاب٥٦].

اللَّهُمَّ فَاجْعَلْ أَزْكَى صَلَوَاتِكَ، وأَنْمَى بَرَكَاتِكَ عَلَى حَبِيْبِكَ الْمَأمونِ، وَخَازِنِ عِلْمِكَ المكنونِ، وَشَفيعِكَ يومَ الدينِ، قائِدِ الخيرِ، وَمفتاحِ البركةِ، الخاتمِ لِمَا سَبَقَ، وَالفاتحِ لما انْغَلَقَ، والمُعلنِ الحقَّ بِالحقِّ، الدافعِ صَوْلاتِ الأَضَالِيلِ، والدَّامِغِ جَيْشَاتِ الأَبَاطِيلِ، كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ، مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِكَ، غَيرَ ناكلٍ عَنْ قَدَمٍ، وَلَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ، حَتَّى أَوْرَى قبسَ القابِسِ، وأَنَارَ ظُلَمَ الطَّرِيقِ لِلْحَابِسِ، وَهُدِيَتْ بِهِ الْأُمَّةُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الفِتَنِ وَالآثَامِ، وَأَنَارَتْ نَيِّرَاتُ الأَحْكامِ، وَارتفعتِ الأعلامُ، اللَّهُمَّ فَأَعْلِ عَلَى بِنَاءِ البَانِينَ بِناءَهُ، وأَكْمِلْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ ورِضْوَانَهُ، وَارْفَعْ بِمَا كَدَحَ فِيكَ إِلى الدَّرَجَةِ العُلْيَا مِنْ جَنَّتِكَ مَنْزِلَتَهُ، حَتَّى

لَا يُسَاوَىٰ فِي مَنْزِلَةٍ، وَلا يُكَافَأُ فِي مِرْتِبَةٍ، وابْعَثْهُ اللَّهُمَّ المقامَ المحمودَ، وَأَعْطِهِ الحوضَ المورودَ، وآتِهِ الوسيلةَ والفضيلةَ، والشَّرَفَ الأَعْلَىٰ، وَالدَّرَجَةَ الْعَالِيَةَ الرَّفِيعةَ فِي الجَنَّةِ، وَشَفِّعْهُ فِي أُمَّتِهِ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ، وأَوْرِدْنَا حوضَهُ، وَاسقِنَا بِكأَسِهِ شَرْبةً هَنِيْئَةً لَا نَظْمَأُ بعدَها أَبداً.

اللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَىٰ أَخِيهِ وَوَصِيِّهِ، وَخَلِيفَتِهِ مِنْ بَعْدِهِ وَنَجِيِّهِ، الأنزعِ الْبَطِينِ، بَدْرِ بَدْرٍ وَحُنَيْنٍ، الفَادِيْ بِنَفْسِهِ سَيِّدَ الْكَونَيْنِ، يَعْسُوبِ الدّينِ، وَتاجِ الْمُوحِدِينَ، أَمِيرِ الْمُؤْمنينَ، وَسيِّدِ الوصيينَ، أَشْجَعِ طاعنٍ وَضَاربٍ، إِمامِ المشارقِ والمغاربِ عليِّ بْنِ أَبِيْ طالبٍ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَىٰ زَوْجَتِهِ الحوراءِ، فِلْذَةِ كَبِدِ الْمُصْطَفىٰ، وخَامِسَةِ أَهلِ الكساءِ، وَسَيِّدَةِ النِّسَاءِ، فَاطمةَ البتولِ الزَّهراءِ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَىٰ وَلَدَيْهِما الْأَعْظَمَيْنِ، القمرينِ النيِّرينِ، أَبِيْ مُحَمَّدٍ الحسنِ وَأَبِيْ عبدِ اللهِ الحسينِ، وعلىٰ إِمَامِ مَذْهبِنَا الْجَلِي، الولي بنِ الولي، مولانا الإمامِ زيدِ بنِ عليٍّ، وَعَلَىٰ إِمَامِ اليمنِ الْمَيْمونِ، مُؤَلِّفِ الأَحكامِ والْمُنتخَبِ وَالفنونِ، الهاديْ إِلىٰ الحَقِّ القويمِ، والداعيْ إِلىٰ الصراطِ الْمُستقيمِ، [يَحْيَىٰ بنِ الحُسينِ بْنِ القاسمِ بنِ إبراهيمَ]، وَعَلَىٰ إِمامِ العصرِ، أَميرِ الْمُؤْمنينَ [مَجْدِ الدينِ]، وعَلَىٰ مَنْ تَوَسَّطَ بَيْنَنَا وبَيْنَهُمْ من الأَئِمَّةِ الهادينَ، دُعَاةً مِنْهُمْ وَمُقْتَصِدِينَ.

وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ الصحابةِ الأَخْيَارِ مِنَ المهاجرين والأنصارِ، وعلىٰ التابعينَ لَهُمْ بِإِحسانٍ إِلىٰ يومِ الدِّينِ، وعَنَّا مَعَهُم بِفَضْلِكَ وَمَنِّكَ يا كريمُ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغيثَ، وَأَمِنَّا مِنَ الخوفِ، وَانْشُرْ عَلينَا مِنْ رَحْمتِكَ، ولا تَجْعَلْنَا مِنْ القَانِطِينَ، وَلَا مِنْ رَحْمَتِكَ آيسينَ، وَلَا تُؤاخِذْنَا بِالسنينِ، ولا بِمَا فَعَلَهُ السُّفَهَاءُ مِنَّا يَا رَبَّ العالمينَ.

اللَّهُمَّ انْصُرِ الإِسلامَ والْمُسلمينَ، وَاخْذُلْ أَعْدائَكَ أَعداءَ الدِّينِ.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحمدُ لِلهِ رَبِّ العالَمينَ.

عِبادَ اللّهِ:

﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، فَاذْكُرُوا اللهَ العَظيمَ الجليلَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ واللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

الإيمان بالغيب

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لِلهِ الَّذِي يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصدورُ، نَحْمَدُهُ عَلَى حِلمِهِ بَعدَ عِلْمِهِ، ونَشْكرُهُ عَلَى سَوابِغِ نِعَمِهِ وَنُؤمِنُ بِهِ أَوّلاً بادياً، وَنَسْتَهْدِيْهِ قَريباً هَادياً، ونَسْتَعِيْنُهُ فِي جَمِيعِ أَحوَالِنَا وَهَوَ خَيْرُ مُسْتَعانٍ عَلَى أمورِنَا فِي دُنْيَانَا وَالدِّينِ.

ونَشْهدُ أَلَّا إِلَه إِلّا اللهُ عَالِمُ الغَيبِ والشَّهادةِ الكبيرُ المُتْعَالِ.

ونَشهدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ وَرَسُولُهُ وصَفْوتُهُ مِنْ خَلْقِهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وَعَلَى آلِهِ الولاةِ سُفُنِ النَّجَاةِ وَسَلَّمَ تَسْليماً كَثيراً.

أمّا بَعْدُ عِبادَ اللّهِ:

أَرَى الليالِيَ وَالْأَيَّامَ يَتَعاقبانِ سِراعاً، يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيْدٍ، وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعيدٍ، وَالْأَعمارَ تُطْوَى، وَالْأَيَّامَ تَمُرُّ والآجالَ تَقْتَرِبُ، وَالنَّاسُ فِيْ غَفْلَةٍ سَاهُونَ.

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء٢]. نَعَمْ، لاهيةً ساهيةً، وَلِأَمْرِ رَبِّهَا مُتَنَاسِيَةٌ، هَكَذَا حَالُ أَكثرِ النَّاسِ فِي هذِهِ الحياةِ، أَشْبَهُ مَا يَكونونَ بِالْبَهَائِمِ إلا أَنَّهُمْ يَنْطِقُونَ، تَرى الواحِدَ مِنْهُم أَكْبَرُ هَمِّهِ هُوَ فِيْ قُوْتِهِ وقاتِهِ وَإِشْبَاعِ مَلَذَّاتِهِ وضَيَاعِ أَوقاتِهِ، يَعيشُ لِيَأْكُلَ ويَأْكُلُ لِيَعِيْشَ.

أَلْهَاهُ العاجلُ عَنِ الآجلِ واشْتَغَلَ بِالدُّنْيَا عَنِ الأُخْرَى وآثَرَ الفانيةَ عَلَى الباقيةِ وخَسِرَ البيعَ ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات٣٩].

اطْمَأَنَّ بالنعيمِ الزائلِ وَنَسِيَ الموتَ وَكَرِهَ لِقَاءَ اللهِ فَكَرِهَ اللهُ لقائَهُ وكانَت عَاقِبَتَهُ النَّارُ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

أَكْثَرُ النَّاسِ في هذا الزَّمانِ هَدَفُهُمْ جَمْعُ المالِ ويَسْعَونَ وراءَ الشُّهرَةِ وَحُبِّ الجاهِ، يأكلونَ التُراثَ أَكْلاً لَمًّا، وَيُحِبُّونَ المالَ حُبًّا جَمًّا، هَمُّهُمُ الدُّنْيَا ﴿إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً﴾ [الإنسان٢٧]، أَلْهَاهُمُ التَّكاثُرُ عَنِ المَقَابِرِ وَاليَومِ الآخِرِ ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى١٧].

قَلِيْلٌ مِنَ النَّاسِ هَدَفُهُمُ الجَنَّةُ، وغَايَتُهُمُ النَّعيمُ والخلودُ الدائمُ الذيْ قَالَ اللهُ فِيهِ ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت٦٤] هناك في الجنة محل الكرامة ومقعد الصدق قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر٥٥] وقال تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [الضحى٤].

عَبدَ اللهِ:

اعْمَلْ وَجِدَّ واجْتَهِدْ مِنْ أَجْلِ الحصولِ عَلَى مَقْعَدٍ بَيْنَ رِيَاضِها، وَأَتْعِبْ نفسَكَ مِنْ أَجْلِ تَحْصِيلِ ثَمَنِهَا فَإِنَّها غَالِيَةٌ جِدًّ غَالِيةٍ.

عِبادَ اللهِ:

إِنَّ مِنَ العجيبِ أَنْ يُتْعِبَ الإِنسانُ نَفْسَهُ فِيْ بِنَاءِ هذهِ الدُّنْيَا وَعِمَارتِها، وجَمْعِ حُطَامِهَا والمُقَاتَلَةِ عَلَى شِبْرِ أَرْضٍ فِيها، أَوْ قِطْعَةِ حَطَبٍ مِنْها وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّها فَانِيَةٌ، وَأَنَّهُ عَمَّا قَليلٍ عَنْهَا رَاحِلٌ، ويَغْفَلُ عَنِ الجَنَّةِ الدّائِمِ نعيمُهَا، والخلودِ الأَبَديِّ بَيْنَ الدُّرِ وَالمِسْكِ، والقُصورِ الشَّاهِقَةِ، وَالأَشْجَارِ الباسِقَةِ والأَنْهَارِ الجاريةِ والحورِ الحِسانِ والجواريْ وَالغِلمانِ، يَترُكُهَا كُلَّهَا مُقَابِلَ دُنْيَا حَقِيْرةٍ لا بَقَاءَ لَهَا، وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا أَنهُ يُقِرُّ وَيَعْتَرِفُ بِأَنهُ إِنَّمَا خُلِقَ لِلْجَنَّةِ وأَنهُ مُطَالَبٌ بِالعملِ لَهَا، والمُسَابَقَةِ فِي طَلَبِها، وَأَنَّها أَوْلَى وَأَحَقُّ بِأَنْ يَتْعَبَ من أَجْلِهَا وأَنْ يُنَافِسَ مَعَ المُتَنَافِسِينَ لِنَيْلِهَا ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين٢٦]، ويُسارِعَ مَعَ مَنْ سَارَعَ لِلْحُصولِ عَلَيْها امْتِثَالاً لِأَمرِ اللهِ القائلِ: ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ

وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عِمران١٣٣].

وَلَكِنَّهُ عَلَى الْعَكْسِ يُجْهِدُ نَفْسَهُ فِي الكَدِّ والتَّعَبِ فِي هذِهِ الدُّنْيَا الْمَقْسُومِ رِزْقُهَا والْمُقَدَّرِ فِيْهَا أَقْـوَاتُها

وَيُطْمِعُ نَفَسَهُ بِالجَنَّةِ، لا بِالعملِ والتَّفَانِي، بَلْ بِالأَملِ والتّمَنِّي، وَنَسِيَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ [المعارج٣٨] حَتَّى الَّذِي لَا يُصَلِّيْ وَلَا يصومُ، يَقطعُ بِاليقينِ أَنْ اللهَ لَنْ يُحَبِّبَهُ منها. اعْجَبْ ومِنْ حَقِّكَ أَنْ تَعْجَبَ مِنْ رَجُلٍ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِالْعَمَلِ، ويَطلُبُ الجَنَّةَ بِالأَملِ،! فَهَلَّا أَوْكَلَ رِزْقَهُ فِيْ الدُّنيا لِلْأَمَلِ، وطَلَبَ الآخِرَةَ بِالطَّاعَةِ والعملِ، كَمَا أَرَادَ اللهُ مِنْهُ ذَلِكَ، أَلَا يَقْرأُ هَذَا قَولَ اللهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً﴾ [الإسراء١٩].

عِبادَ اللهِ:

إِنَّ سَبَبَ إِقْبَالِ النّاسِ عَلَى الدُّنْيَا وْعُزُوْفَهُمْ عَنِ الآخرةِ والْمُسَابَقَةِ فِي طَلَبِهَا: هو ضَعْفُ الإِيمانِ، وقِلَّةُ التَّصْديقِ بِوَعْدِ اللهِ.

السَبَبُ هُوَ فِيْ عَدَمِ اليقينِ بِالجَنَّةِ، فَالنَّاسُ اليومَ لا يُؤْمِنونَ إِلّا بِالمَحْسُوسِ الْمُدْرَكِ الَّذِي يُشَاهِدُونَهُ بِأُمِّ أَعْيُنِهِمْ.

وَأَمَّا مَا غَابَ عَنْ أَبْصَارِهِمْ وَاحتَجبَ بِحُجُبِ الغَيبِ فَالْمُؤْمِنونَ بِهِ نَفَرٌ يَسيرٌ والمُصَدِّقونَ بِهِ قليلٌ، وَقَلِيْلٌ مَا هُمْ ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة١٤] ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسُفُ١٠٣].

النَّاسُ اليومَ بِحَاجَةٍ لِأَنْ يَمُوتُوا ثُمَّ يُعرَضُوا عَلَى الجَنَّةِ وَالنَّارِ لَيرَوْهَا عَياناً، ثُمَّ يَعودُوا إِلَى الدُّنيا لِيَعْمَلُوا، فَلَعَلَّ ذَلِكَ يَنْفَعُهُمْ وَيُصَدِّقُوا بِوَعْدِ رَبِّهِمْ ويَنْزَجِرُوا بِوعيدِهِ وَيَخَافوا عذابَهُ.

وَلَكِنْ قَدْ لا يُجْدِيْ ذَلِكَ فِي أَنْفُسِهِمْ شَيْئاً وَلَا يَنْفَعُ فِي زِيَادَةِ إِيْمَانِهِمْ، وَرُبَّمَا عَادُوا فِي بَاطِلِهِمْ وَتَمَادَوا فِي غَيِّهِمِ وَكَذَّبُوا أَعْيُنَهُمْ فِيْمَا رَأَوْا وَلَمْ يَتَّعِظُوا بِمَا شَاهَدُوهُ.

كَمَا قَالَ تعالى فِيْ أَهْلِ النَّارِ: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ مَعَ أَنَّهُمْ قَدْ رَأَوُا النَّارَ وذَاقُوا أَليمَ العذابِ ولَكِنْ زِيَادَةُ ضَلَالِهِمْ وَغَيِّهِمْ غَلَبَ يَقِيْنَهُمْ وعَادُوا فِي بَاطِلِهِمْ وَجَّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ.

عِبادَ اللّهِ:

كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ نَسُوا جَنَّةً عَرْضُهَا السَّمواتُ والأرضُ وَنَعِيماً لَا يَبْلَى ومُلْكاً لا يَفْنَى، بَلْ إِنَّهُمْ يَسْتَكْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مُجَرَّدَ التَّفَكُّرِ فِي نَعِيمِهَا الدَّائِمِ وحَياتِها الخَالدةِ، بَيْنَ حُورِهَا وَقُصُورِهَا وأَنْهَارِهَا وأَطْيَارِهَا وَمَا أَعَدَّ اللهُ فِيها من الطيباتِ مِمَّا يَبْهَرُ الْأَلْبَابَ وَتَذْهَلُ لَهُ العقولُ، وَتَراهُ يَسْتَكْثِرُ أَنْ يُفَكِّرَ فِي المستقبلِ المنظورِ والحياةِ الخالدةِ والمَوعِدِ الحقِّ والحقيقَةِ التيْ لا مَفَرَّ مِنْها، وَيَرْضَى بِأنْ يَقْطَعَ عُمُرَهُ بِالتَّخَيُّلاتِ الكَاذِبَةِ وَالْأَحْلامِ البَاطِلَةِ فَتَراهُ يَسْرَحُ بِخَيَالِهِ، كَيْفَ يَبْنِيْ البُيُوتَ؟ وَيَشْتَرِيْ السَيَّارَاتِ؟ ويَزرعُ الْأَرَاضِيْ؟ وَيَتَزَوَّجُ الحسانَ؟ يَقْطَعُ السَّاعَاتِ الطَّوِيلَةَ ويَسْهَرُ الليالِيَ فِيْ الأَوْهَامِ والخَيَالاتِ الْكَاذِبَةِ الّتِيْ لَا يَجْنِيْ مِنْ وَرَائِهَا إِلَّا الْخُسْرانَ والبوارَ والهَمَّ وَالقَلَقَ، وَرُبَّمَا الإِثْمَ، وَيَتْرُكُ التَفَكُّرَ فِيْ نَعِيمِ الجَنَّةِ الذي هُوَ حقيقةٌ، وَالّتِيْ أَمَرَهُ اللهُ بِالتَّفَكُّرِ فِيها لِيُطْمِعَ نَفْسَهُ وَيُشَوِّقُها بِمَا أَعَدَّهُ اللهُ.

بَلْ إِنَّ تفكرَهُ فِي الجَنَّةِ حينما يَسْرَحُ بَيْنَ أَشْجَارِهَا وَثِمارِهَا، وَفِي قُصورِها وَحُورِهَا وَمَا أَعَدَّ اللهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِيْهَا، عِبادةٌ وَطَاعةٌ لِلهِ، يَجْنِيْ مِنْ وَرَائِهَا أَعْظَمَ الأَجْرِ وَالثَّوابِ، والذي يَفُوقُ فِيْ ثَوابِهِ ثَوابَ الْمُتنفِّلِ بِالصَّلاةِ لِمَا وَرَدَ فِيْ الْحَدِيْثِ مِنَ أَنَّ ((تَفَكُّرِ سَاعةٍ فِيْ الآخِرَةِ خَيرٌ مِنْ عِبَادةِ أَلْفِ سَنَةٍ)). هَذَا كُلُّهُ وَهُوَ بَيْنَ فِرَاشِهِ بِلا تَعَبٍ وَلَا عَنَاءٍ، فَلْنَتَبَصَّرْ عِبادَ اللهِ بما فِيهِ مَصْلَحَتُنَا.

وَلا تَكُنْ من الَّذينَ يَسْتَبْدِلُونَ الَّذِيْ هُوَ أَدْنَى بِالَّذِيْ هُوَ خَيْرٌ.

عِبادَ اللّهِ:

مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ، وَمَا أَشْبَهَ الْمُؤْثِرِينَ الدنيا عَلَى الآخِرَةِ بِقَومِ مُوسَى عليه السلام مَعَ قَارُونَ الذيْ أَطْغَاهُ غِنَاهُ وَأَغْوَاهُ غرورُهُ وَأَعْمَاهُ.

عِنْدَمَا خَرَجَ عَلَى قومِهِ فِيْ زِيْنَتِهِ: ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص٧٩].

تَرَكُوا مُوْسَى عليه السلام وَنَسُوا الْجَنَّةَ الَّتِيْ وَعَدَهُمْ إِيَّاهَا، وَالْتَهَوْا بِمَا رَأَوْا فِيْ الْعَاجِلِ مِنْ مُلْكِ قَارُونَ، وَبَهَرَتْهُمْ زَخَارِفُ الدُّنْيَا وَبَهَارِجُهَا الزَّائِفةُ، فَرَدَّ عَلَيْهُمْ إِخْوَانُهم الَّذِينَ يُرِيدونَ اللهَ وَالدَّارَ الآخِرةَ كَمَا حَكَىَ تعالىٰ عَنْهُم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص٨٠].

فَلَمَّا خَسَفَ اللهُ بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ، اِنْتَبَهُوْا مِنْ غَفْلَتِهِمْ ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص٨٢].

أَيْ أَنَّهُمْ بِمُجَرَّدِ التَّمَنِّيْ لِلدُّنْيَا وَإِيثَارِهَا عَلَى الآخِرةِ قَدْ اسْتَوجَبُوا الخسفَ مَعَ قَارُونَ إِلَّا أَنَّ اللهَ لَطَفَ بِهِمْ وَعَفَا عَنْهُمْ، ثُمَّ خَتَمَ اللهُ القِصَّةَ بِآيةٍ عظيمةٍ تُبَيِّنُ مَنْ هُوَ الَّذِيْ يَسْتَحِقُّ الجَنَّةَ وَالدَّارَ الآخِرَةَ بِقَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص٨٣].

وهُنَاكَ قِصَّةٌ أُخرىٰ وَقَعَتْ فِيْ زَمنِ النَّبِيْ صلى الله عليه وآله وسلم مَعَ ضِعَافِ الإِيْمَانِ الَّذِينَ يَنْخَدِعُونَ بِالدُّنْيَا وزُخْرُفِهَا وَيُؤْثِرُونَهَا عَلَى الآخرةِ إِذْ كَانَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَجْلِسُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ يَعِظُهُمْ وَيُذَكِّرُهُمْ فَإِذَا رَأَوْا لَهْواً أَوْ تِجَارَةً خَرَجوا مِنْ عِنْدِهِ وتَرَكُوهُ، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة١١].

فَقَدَ رُوِيَ بِأَنَّ قَافِلَةً جَاءَتْ مُحَمَّلَةً بِالتِّجَارَةِ وَقَتَ خُطْبَةِ الجُمُعَةَ فَخَرَجَ النَّاسُ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - وَهُوَ يَخْطُبُ فِيهِمْ خُطْبَةَ الجُمُعَةِ وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلّا نَفَرٌ قَلِيْلٌ فَأَخْبَرَهُمْ النَبيُّ - صَلَّى اللهُ عَليهِ وآلَهُ - أَنَّهم لَوْ خَرَجُوا جَمِيْعاً لاضْطَرَمَ عَليهِمُ الواديْ نَاراً جَزَاءً لِإِيْثَارِهِمُ الْبَاقِيَةَ عَلَى الفانيةِ وَإِيثَارِهِمُ الَّلهوَ وَالتِّجَارَةَ عَلَى ذِكْرِ اللهِ.

عِبادَ اللّهِ:

أَلَمْ يَأْنِ لَنَا الإِيْمَانُ بِالغيبِ وَالتَّصْدِيقُ بِمَا جَاءَ بِهِ القُرآنُ وَبِمَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ عَنْ رَبِّهِم، أَمْ أَنَّنَا مِنَ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلوبِهِمْ؟ كُلُّ النَّاسِ يَزْعُمُونَ بِأَنَّهُمْ مُصَدِّقُونَ بِالْغَيْبِ وَأَنَّهُمْ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَمرِ رَبِّهِمْ، وَلَكنْ لِمَاذَا لَا يُؤَثِّرُ فِينَا ذَلِكَ العِلمُ وَلَا يُغَيِّرُ مِنْ مُعَامَلاتِنَا، مَا هُوَ السَّبَبُ فِيْ أَنَّنَا نَعْمَلُ بِخِلَافِ عِلْمِنَا، نُقِرُّ بِالْجَنَّةِ وَنُصَدِّقُ بِنَعِيْمِهَا، وَنُقِرُّ بِالنَّارِ ونُصَدِّقُ بِجَحِيْمِهَا، ثُمَّ نَرَى مَنْ يَتْرُكُ الطَّاعةَ وَالعِبَادةَ لِلهِ وَيُفَرِّطُ فِيْهَا مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهَا طَرِيقُ الرَّحْمَةِ وَمُفْتَاحُ الرِّضْوَانِ، ويَسْلُكُ طَرِيْقَ الْمَعَاصِيْ الَّتِيْ تُؤَدِّيْ بِهِ إِلَى النَّارِ، ويَقْطَعُ الصَّلاةَ وَيُفْطِرُ رَمَضَانَ، وَهُوَ يَعْلَمُ بِأَنَّ عَاقِبَةَ ذَلِكَ النَّارُ والخلودُ فِيْ الْعَذَابِ، فَهَلْ يُسَمَّى هَذَا عَاقِلاً؟ وَهَلْ يَصِحُّ الْقَولُ بِأَنَّ هَذَا فِعْلُ مُؤْمِنٍ مُصَدِّقٍ بِوَعْدِ اللهِ وَوَعيدِهِ؟ إِنَ هَذَا لَعَمْرِيْ هُوَ التناقضُ بَلْ هُوَ عَيْنُ الكَذِبِ ومَحْضُ النِّفَاقِ وَالْخِداعِ.

وَمَنْ كَانَ هَذَا حَالَهُ فهُوَ مِنْ دِيْنِهِ فِيْ شَكٍّ وَمَا زَالَ فِيْ رَيْبٍ مِنَ الْغَيْبِ، وَلَا يَزَالُ عَلَى بُعْدِ مَرَاحِلَ من اليقينِ والتصديقِ الجازمِ وَالإِيمانِ الحقِّ، وَمَعَ ذَلِكَ يُوهِمُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ مِنَ الْمُصَدِّقِينَ ويَخْدَعُ ضَمِيرَهُ بِأَنَّهُ مِنَ الْمُوقِنِينَ.

عِبادَ اللّهِ:

إِنّ الْمُصَدِّقَ بِالْخَطَرِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقْدُمَ عَلَيهِ، أَوْ يُغَامِرَ فِيْهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ فِيهِ مَضَرَّتَهُ وهَلَاكَهُ، إِلّا أَنْ يَكونَ جَاهِلاً أَو مَجْنوناً.

فَلَوْ أَحْضَرْنَا لِرَجُلٍ طَعَامَاً أَوْ شَرَاباً وأَخبَرْنَاهُ بِأَنَّ فِيهِ سُمّاً وَأَنَّهُ سَيَضُرُّهُ. هَلْ

يَا تُرَىٰ، هَلْ سَيُصَدِّقُ وَيَترُكُ الأَكْلَ وَالشُّرْبَ؟ أَمْ أَنَّهُ سَوْفَ يَرْتَكِبُ حَمَاقَتَهُ وَيُقْدِمُ عَلَىٰ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَلَا يَعْبَأُ بِكَلَامِنَا وَنُصْحِنَا؟

الوَاقِعُ إِنَّهُ سَوْفَ يَتَجَنَّبُ الأَكْلَ وَيَمْتَنِعُ عَنِ الشُّرْبِ، ويَصْبِرُ لِلْجُوعِ ويَتَحَمَّلُ الظَمَأَ مِنْ أَجْلِ سَلَامَتِهِ وَحِفَاظاً عَلَىٰ صِحَّتِهِ.

فَلِمَاذَا امْتَنَعَ عَنِ الطَّعَامِ الَّذِيْ يَخَافُ مَضَرَّتَهُ، وَلَمْ يَمْتَنِعْ هُنَاكَ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ الَّتِي تُؤَدِّيْ بِهِ فِي النِّهَايَةِ إِلَىٰ النَّارِ وَالْخُلودِ فِيْ الْعَذَابِ؟ لِمَاذَا يَتَجَنَّبُ مَضَرَّةَ الدُّنْيَا وَلَا يُبَالِي بِمَضَرَّةِ الآخِرَةِ؟

السَّبَبُ وَاضِحٌ لِأَنَّهُ صَدَّقَ وَأَيْقَنَ بِالْمَضَرَّةِ الْعَاجِلَةِ فِيْ الدُّنْيَا، وأَمَّا مَضَرَّةُ النَّارِ فِيْ الآخِرَةِ فَمَا زَالَ مِنْهَا فِيْ شَكٍّ وَعِلْمُهُ بِهَا عَلَىٰ غَيرِ يَقِيْنٍ.

﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم٧].

بَارَكَ اللهُ لِيْ وَلَكُمْ فِيْ القرآنِ العظيمِ وَنَفَعَنِيْ وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيْهِ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحكيمِ إِنَّهُ تعالىٰ جَوادٌ مَلِكٌ بَرٌّ رَؤُوفٌ رَحِيْمٌ فَاستغفروهُ إِنَّهُ هُوَ الغفورُ الرحيمُ.

الإيمان بالغيب

الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، نَحْمَدُهُ جَلَّ جَلَالُهُ بِمَا حَمِدَ بِهِ نَفْسَهُ وَبِمَا هُوَ أَهْلُهُ، حَمْداً لا يُحْصَى بِعَدٍّ، وَلَا يُحْصَرُ بِحَدٍّ، حَتَّى يَرْضَى وَبَعْدَ الرِّضَى.

وَنَشْهَدُ أَلَّا إِلهَ إِلَّا اللهُ الْمَلِكُ الحقُّ الْمُبِيْنُ.

وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ الصَّادِقُ الأَمِينُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ الْأَنْجَبِيْنَ وَسَلَّمَ تَسْلِيْماً كَثِيراً، وَبَعْدُ:

عِبادَ اللّه:

الإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ سَيَظَلُّ يَجْرِيْ وَيَسْعَى وَرَاءَ هَذِهِ الدُّنْيَا وَيُسَابِقُ لِنَيْلِهَا وَجَمْعِ حُطَامِهَا بِكُلِّ مَا أُوْتِيَ مِنْ قُوَّةٍ بِلا تَعَبٍ وَلَا كَلَلٍ وَلَا مَلَلٍ.

لَنْ يُثْنِيْهِ عَن رَغْبَتِهِ ضَعْفٌ وَلَا عَجْزٌ وَلَا كِبَرٌ، مَهْمَا طَالَ عُمُرُهُ وَانْحَنَى ظَهْرُهُ، وَضَعُفَ بَصَرُهُ وَهَزُلَ جِسْمُهُ، وَوَهَنَ عَزْمُهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَزِيدُهُ إِلَّا إِصْرَاراً وَحُبّاً لَهَا وَشَغَفاً بِهَا وَطَمَعاً فِيْهَا، مِصْدَاقاً لِحَدِيثِ الرَّسُولِ ﷺ الذي رواه أبو طالب: ((يهرمُ ابنُ آدَمَ وتَشبّ معه اثنتان: الحِرصُ على المال وَالحرصُ على العمرِ)) وَلِذَا نَجِدُ الشَّائِبَ عَلَى ضَعْفِهِ وَكِبَرِ سِنِّهِ يَعْمَلُ فِيْ الدُّنْيَا عَمَلَ الشَّابِ القَوِيِّ وَيَحْرِصُ عَلَيْهَا حِرْصَ الْمُخَلَّدِيْنَ فِيْهَا، لِمَاذَا؟؟

لِأَنَّ لَهُ هَدَفاً وَلَهُ أَطْمَاعٌ وَآمَالٌ، وَفِيْ قَلْبِهِ حُبٌّ لِلدُّنْيا يُوَقِّدُ حَمَاسَهُ فَلَا يَدَعُهُ يَهْدَأُ أَوْ يَسْتَرِيْحُ، حَتَّى لَوْ أَرَادَ أَنْ يَرْتَاحَ فَإِنَّ حُبَّهُ وَطَمَعَهُ فِيْهَا سَيُوْقِفُهُ مِن فِرَاشِهِ وَيُوقِظُهُ مِنْ مَنَامِهِ، وَلَكِنَّهُ عَلَى العَكْسِ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ إِذَا ذَهَبَ لِلْعِبَادَةِ أَوْ حَضَرَ وَقْتُ الصَّلاةِ فَإِنَّهُ يَذْهَبُ عَلَى كُرْهٍ مِنْهُ مُتَثَاقِلاً كَسُوْلاً، لِمَاذَا؟ أَيْنَ ذَهَبَ ذَلِكَ النَّشَاطُ وَالقُوَّةُ؟ وَالْعَمَلُ الدَّؤُوْبُ فِي الدُّنْيَا مِنَ اللَّيْلِ إِلَى اللَّيْلِ؟ وَلَا يُوْقِفُهُ إِلَّا الظَّلَامُ يَعْمَلُ فِيْهَا بِجِدٍّ وَنَشَاطٍ وَرَغْبَةٍ؟؟

أَمَّا الطَّاعةُ وَلِدَقَائِقَ مَعْدُوْدَةٍ يَرَاهَا ثَقِيْلَةً، إِنْ صَلَّى فَعَلَى كَسَلٍ، وَإِنْ صَامَ فَعَلَى كُرْهٍ مِن نَفْسِهِ، وَإِنْ جَلَسَ لِلْوَعْظِ فَعَلَى مَلَلٍ وَتَضَجُّرٍ.

كُلُّ عِبَادَاتِهِ لَا يُؤَدِّيْهَا إِلَّا بَعْدَ مُجَاهَدَةٍ وَتَعَبٍ وَإِكْرَاهٍ لِنَفْسِهِ، بِلَا رَغْبَةٍ وَلَا نَشَاطٍ، لِمَاذَا؟؟

السَّبَبُ وَاضِحٌ أَنَّهُ يَرَى أَنَّهُ مَجْبُوْرٌ عَلَى الطَّاعَةِ وَمُلْزَمٌ بِأَدَائِهَا، لَيْسَ لَهُ مِنْ وَرَائِهَا هَدَفٌ وَلَا غَايَةٌ إِلَّا الامْتِثَالَ لِأَمْرِ اللهِ فَقَطْ، فَهُوَ يُصَلِّي لِأَنَّ الصَّلاةَ وَاجِبَةٌ، وَيَصُومُ لِأَنَّ الصَّوْمَ فَرِيْضَةٌ، لَا يَحُسُّ بِأَنَّ الْعَمَلَ هَذَا لِأَجْلِ الجَنَّةِ، وَلَا يَتَذَكَّرُ بِأَنَّ هُنَاكَ نَعِيْمَاً وَسَعَادَةً وَحَيَاةً خَالِدَةً خَيراً مِنَ الدُّنْيَا، لِيَطْمَعَ فِيْهَا وَيُحِبُّهَا وَيَعْمَلَ مِنْ أَجْلِ الحُصُولِ عَلَيْهَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۝٧ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل]، فَتَأَمَّلْ فِيْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ وَقَوْلِهِ فِيْ الْبَخِيْلِ: ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ فَالتَّصْدِيْقُ هُنَا مَطْلُوبٌ بَلْ هُوَ أَسَاسُ قَبُولِ العَمَلِ.

عِبادَ اللّه:

فِيْ الدُّنْيَا لَنَا آمَالٌ وَأَهْدَافٌ هِيَ الَّتِيْ تُشَجِّعُنَا عَلَى الْعَمَلِ بِجِدٍّ وَرَغْبَةٍ دُوْنَ تَعَبٍ، أَمَّا العِبَادَةُ فَأَكْبَرُ هَمِّنَا أَنْ نُؤَدِّيَهَا لِأَنَّهَا وَاجِبَةٌ، نَعْمَلُهَا لِأَنَّ اللهَ قَدْ أَمَرَنَا بِهَا لَا غَيْرُ، نُؤَدِّيْهَا وَكَأَنَّهَا لِلهِ وَكَأَنَّ اللهَ بِحَاجَةٍ إِلَيْهَا وَكَأَنَّهُ الْمُسْتَفِيْدُ مِنْهَا.

وَلَا نَحُسُّ بِأَنَّهَا لَنَا وَأَنَّنَا نَحْنُ الَّذِيْنَ بِحَاجةٍ إِلَيْهَا وَأَنَّهَا ثَمَنُ الجَنَّةِ وَمَهْرُ الْحُورِ الحِسَانِ وَأُجْرَةُ الغِلْمَانِ، وَقِيْمَةُ الأَنْهَارِ وَالثِّمَارِ وَالقُصُورِ وَغَيْرِهَا مِنَ النَّعِيْمِ، يَقولُ الرسولُ ﷺ: ((يَا بنَ مَسْعودٍ، مَنْ اشْتَاقَ إِلَى الجَنَّةِ سَلِيَ عَنِ الشَّهْوَاتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ رَجَعَ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ، ومَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا هَانَتْ عَلَيه المُصيبَاتِ، وَمَنْ تَرَقَّبَ الْمَوْتَ سَارَعَ إِلَى الخيراتِ)).

عِبادَ اللّهِ:

لَا بُدَّ لَنَا أَنْ نُقَوِّيَ إِيمَانَنَا بِالْغَيْبِ وَأَنْ نَبْحَثَ عَمّا يُرَسِّخُ اليَقِينَ فِي قُلُوبِنَا.

فَالإِيْمَانُ بِالْغَيْبِ هُوَ أَعظمُ وَسيلةٍ تُقَرِّبُنَا إِلَى اللهِ، وَتَزْرَعُ فِيْ نفُوسِنَا الرَّغْبَةَ والنشاطَ فِيْ فِعْلِ الطَّاعَةِ والحُبِّ لَهَا وَالْمُسَارَعَةِ إِلَيْهَا دُونَ تَعَبٍ أَوْ مَلَلٍ.

وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتعَالَى قَدْ بَيَّنَ لَنَا مَنْ هُمُ الْمُتَّقونَ وأبَانَ لَنَا حَقِيْقَتَهُمْ فِيْ أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرةَ حَيْثُ قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم: الم ۝١ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة]، ثُمَّ بَيَّنَ مَنْ هُمُ الْمُتَّقُونَ بِقَولِهِ: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾[سورة البقرة].

فَأَوَّلُ مَرَاتِبِ التَّقْوَى هُوَ الإِيْمَانُ بِالْغَيبِ، التَصْدِيقُ بِكُلِّ مَا غَابَ عَنْ أَبْصَارُنَا مِنَ الْمُغَيَّبَاتِ مِنْ مَلَائِكةٍ وَجَنَّةٍ وَنَارٍ وَحِسَابٍ وَجَزاءٍ، فَهَذِهِ أَوَّلُ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿**وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾ [البقرة٤] أَيْ أَنَّ إِيْمَانَهُمْ صَادِرٌ عَنْ يَقِينٍ بِالجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَهُمْ عَلَى إِيمانٍ صَادِقٍ لَا شَكَّ وَلَا رَيْبَ فِيْهِ وَلِأَهمِّيةِ هَذِهِ الصفةِ فَقَدْ ابْتَدأَ اللهُ وَصْفَ الْمُتَّقِينَ بِالإِيمانِ بِالْغَيْبِ وخَتَمَ وَصْفَهُمْ بِالْمُوقِنينَ بِالْآخرةِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ فِيْ حَقِّ مَنِ اتَّصَفَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ: ﴿**أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [البقرة٥] أَيْ: الْفَائِزُونَ النَّاجِحُونَ.

عِبادَ اللّهِ:

لَقَدْ وَرَدَ فِيْ الأَثَرِ عَنِ الإمامِ علي عليه السلام ما معناه بِأَنَّ الْعِبَادَةَ ثَلاثَةُ أَنْوَاعٍ أَيْ أَنَّ الَّذِينَ يَعْبُدونَ اللهَ عَلَى ثَلاثَةِ أَصْنَافٍ:

صِنْفٍ يَعْبُدونَ اللهَ خَوْفاً مِنَ النَّارِ، وهي عبادة العبيد.

وَصِنْفٍ يَعْبُدونَ اللهَ طَمَعاً فِيْ الجَنَّةِ، وهي عبادة التجار.

وَصِنْفٍ يَعْبُدونَ اللهَ حَياءً مِنْهُ وَتَعْظِيماً لهُ وجدوه أهلا، وهم الأحرار.

فَمِنْ أَيِّ الْأَصْنَافِ نَحْنُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنونَ؟ وَمَا هُوَ الْهَدَفُ الَّذِيْ يُحَفِّزُنَا عَلَى الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ؟

هَلْ الْخَوْفُ مِنَ النَّارِ هُوَ الذِيْ يَسُوقُنَا لِلطَّاعَةِ؟

أَمِ الطَّمَعُ فِيْ الْجَنَّةِ هُوَ مَنْ يَقُودُنَا لِلطَّاعَةِ؟

أَمْ الحياءُ مِنَ اللهِ وَاسْتِشْعَارُ عَظَمَتِهِ سُبْحَانَهُ، هُوَ الَّذِيْ يَدْفَعُنَا لِطَاعَتِهِ؟ وَالانْتِهاءِ عن نَواهِيهِ؟

مَعَ الْأَسَفِ الشَّدِيد أنَّ أَكْثَرَ العُبَّادِ لِلهِ وَالْمُؤدِّينَ لِفُرُوضِهِ لَا يَحُسُّونَ بِشَيءٍ مِنْ تِلْكَ الْمَراتِبِ الْغَيْبِيَّةِ، مَعَ أَنَّهُم يُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ ويُزَكُّونَ ولَكِنْ لَا وجودَ لِلْخَوفِ فِيْ قُلُوبِهِم، وَلَا مَكَانَ لِلطَّمَعِ فِيْ نُفُوسِهِمْ، وَلَا يُكِنُّونَ لِلهِ مَا يَسْتَحِقُّهُ من الحياءِ وَالقَدَاسَةِ وَالجَلالِ.

فَمَاذَا نُسَمِّيْ أَمْثَالَ هَؤَلَاءِ؟ وَمَا هُوَ نَوْعُ الْعِبَادَةِ الَّتِيْ يُؤَدُّونَها؟

عِبادَ اللّهِ:

إِنَّ مِثْلَ هَؤلَاءِ النَّاسِ لَيْسَتْ عِبَادَتُهُم إِلَّا مُجَرَدَ عَادَةٍ وطَبِيْعَةٍ اعْتَادُوا عَلَيْهَا مُنْذُ الصِّغَرِ، واسْتَمَرُّوا عَلَيْهَا دُونَ فَهْمٍ أَوْ إِدْرَاكٍ حَقِيْقِيٍّ لِغَايَتِهَا وَالْهدفِ مِنْ وَرَائِها، وَالسَّبَبُ وَرَاءَ ذَلِكَ هُوَ ضَعْفُ الْإِيْمَانِ بِالْغَيْبِ وَقِلَّةِ التَّصْدِيقِ.

وَمِثْلُ هَؤلَاءِ قَدْ يَكونونَ عُرْضَةً لِلتَّقْصِيرِ، وتَقَعُ مِنْهُمْ أَخطاءٌ فِيْ حَقِّ اللهِ وَتَفْرِيطٌ فِيْ جَنْبِهِ تعالى فَهُمْ يُمَارِسُونَ الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ مَعَ الْمُجْتَمَعِ بِلا وَعْيٍ أَوْ تَركيزٍ عَلَى أَهميَتِهَا، وَلِذَا فَإِنَّهُمْ إِذَا خَالَطُوا مَنْ يُصَلِّيْ صَلَّوْا مَعَهُ وَإِنْ خَالَطُوا مَنْ يَقْطَعُهَا قَطَعُوهَا، وَهَكَذَا حَالُهُمْ يَتَكَيَّفُونَ مَعَ النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِمْ وَيَتَأَثَّرُونَ بِالْمُجْتَمَعِ الَّذِيْ يَعِيْشُونَ فِيهِ فَهُمْ مُرْتَبِطُونَ بِالْعَالَمِ المَادِّيِّ الْمَحْسوسِ، وَصِلَتُهُمْ بِالعالَمِ العِلويِّ وَالْغَيبِ الْمُطلَقِ شِبْهُ مُنقطعةٍ.

فَتَرَاهُمْ يَخْلُطُونَ الْحَابِلَ بِالنَّابِلِ، وَالطَّاعَةَ بِالْمَعْصِيةِ، يُصَلُّونَ وَيُذْنِبُونَ، وَيَقْرَؤُونَ الْقُرآنَ وَيُغَنُّونَ، وَيَذكرونَ اللهَ وَيَشْتِمُونَ النَّاسَ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَيَغشُّونَ، وَيُحسنونَ وَيُسِيئونَ، ويَصومونَ وَيَسْكرونَ، فَلِمَاذَا يَخْلطُ هؤلاءِ وَأَمْثَالُهم الخبيثَ بِالطَّيبِ؟

لِمَاذَا؟ الْجَوابُ وَاضِحٌ؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ فَإِيْمَانُهُ بِالغَيْبِ وَتَصْديقُهُ بِهِ ضَعِيْفٌ، فَلَمْ يُؤَدِّي الصَّلاةَ وَغَيرَها من العِبَادَاتِ عَلَى الوجهِ الَّذِيْ أَرَادَهُ اللهُ وَلِذَا لَمْ تَنْهَهُ الصَّلاةُ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَلَا يُوجَدُ فِيْ قَلْبِهِ مَا يَمْنَعُهُ من المعاصي ويُوقِفُهُ عِندَ حَدِّهِ. ؛؛ فَلا خَوفُ النَّارِ يَمْنَعُهُ مِنَ الْمَعَاصِيْ، وَلَا طَمَعُ الجَنَّةِ يَحُضُّهُ عَلَى مُلَازَمَةِ الطَّاعَةِ وَلَا هُوَ مِمَّنْ يَسْتَحِيْ مِنَ اللهِ ويُعَظِّمُهُ ويُجِلُّهُ فَيُقْلِعُ عَنْ عِصْيَانِهِ حَياءً مِنْهُ، وَالْحَلُّ الْأَمْثَلُ أَنْ يَبْحَثَ هَؤَلَاءِ عَمَّا يُقَوِّيْ إِيْمَانُهُمْ بِالغَيْبِ وَعَلَيهِمْ أَنْ يَقْرؤُوا وَيَتَعَلَّمُوا وَيُلَازِمُوا التَّفَكُّرَ فِيْ النَّارِ وَعَذابِها وَبِمَا أَعَدَّ اللهُ للعُصَاةِ فِيْهَا، حَتَّى يَحْصُلَ الْخَوْفُ مِنْهَا فَيَرْتَدِعُوا عَنْ فِعْلِ الْقَبَائِحِ وَالْمُنْكَراتِ، وَنَصِيْحَةً أُخرَى عَلَيْنَا أَنْ نَقْرَأَ عَنِ الجَنَّةِ وَعَنِ النَّعِيْمِ الدَّائِمِ وَالخُلُوْدِ الأَبَدِيِّ، وَمَا أَعَدَّهُ اللهُ لِأَوْلِيَائِه مِنَ الجَزَاءِ فَلَعَلَّ الْقُلُوْبَ أَنْ تَطْمَعَ وَتَرْغَبَ فِي وَعْدِ اللهِ وَتُبَادِرَ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَتُقْلِعَ عَنِ الذُّنُوبَ وَتُؤْمِنَ بِمَا غَيَّبَهُ اللهُ فِيْ الدُّنْيَا عَنْ أَنْظَارِنَا لِيَدَّخِرَهُ لَنَا فِيْ الآخِرَةِ، نَسْأَلُ اللهَ الثَّبَاتَ وَالسَّدَادَ وَالتَّوْفِيْقَ وَالرَّشَادَ إِنَّهُ خَيْرُ مَسْؤُوْلٍ وَأَعْظَمُ مَأْمُولٍ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيْلُ.

عِبادَ اللّهِ:

إِنَّ يَوْمَكُمْ هَذَا يَوْمٌ مُبَارَكٌ مَيْمُونٌ فَأَكْثِرُوا فِيهِ مِنَ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالصَّلاةِ عَلَى نَبِيِّكُمُ الكَرِيْمِ امْتِثَالاً لِأَمْرِ اللهِ القَائِلِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾

وَقَالَ ﷺ: ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَمَحَى عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ وَأَثْبَتَ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَاسْتَبَقَ الْمَلَكَانِ الْمُوَكَّلَانِ بِهِ أَيُّهُمَا يُبَلِّغُ رُوْحِيْ مِنْهُ السَّلامَ)).

اَللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكَ وَتَرَحَّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ الأَمِيْنَ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِيْنَ، وَصَلِّ اَللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى أَخِيْهِ وَابْنَ عَمِّهِ وَبَابِ مَدِيْنَةِ عِلْمِهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِيْ طَالِبٍ.

وَصَلِّ اَللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى زَوْجَتِهِ الْحَوْرَاءَ فَاطِمَةَ الْبَتُوْلِ الزَّهْرَاءِ.

وَصَلِّ اَللَّهُمَّ عَلَى وَلَدَيْهِمَا الإِمَامَيْنِ الأَعْظَمَيْنِ أَبِيْ مُحَمَّدٍ الحَسَنِ، وَأَبِيْ عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنِ.

وَعَلَى مَوْلَانا الْوَلِيِّ بنِ الوَلِيِّ الإِمَامِ زَيْدِ بنِ عَلِيّ، وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى الإِمَامِ الهَادِي إِلَى الحَقِّ القَوِيْمِ يَحْيَى بنِ الحُسَيْنِ بْنِ القَاسِمِ بْنِ إِبْرَاهِيْمَ.

وَعَلَى سَائِرِ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكَ الْمُطَهَّرِيْنَ دُعَاةً مِنْهُم وَمُقْتَصِدِينَ.

وَارْضَ اَللَّهُمَّ عَنِ الصَّحَابَةِ الْأَخْيَارِ مِنَ المهاجرين والأنصارِ، وَالتَّابِعِيْنَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَتَابِعِي التَّابِعِينَ مِنْ يَوْمِنَا هَذَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَارْضَ عَنَّا مَعَهُمْ بِفَضْلِكَ وَمَنِّكَ يَا كَرِيْمُ.

اَللَّهُمَّ انْصُرِ الإِسْلامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَذِلَّ الشِّرْكَ وَالْمُشْرِكِيْنَ، اَللَّهُمَّ أَلِّفَ بَيْنَ قُلُوبِ عِبَادِكَ وَاجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ وَوَحِّدْ صَفَّهُمْ وَقَوِّ ضَعْفَهُمْ وَأَنْزِلِ السَّكِيْنَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثِبْهُمْ فَتْحاً قَرِيْباً.

اَللَّهُمَّ وَاخْذُلِ الْكَفَرَةَ وَالْمُعَانِدِيْنَ وَالْيَهُوْدَ وَالنَّصَارَى وَالصَّادِّينَ عَنْ ذِكْرِكَ وَالْمُخَرِّبِيْنَ لِدِيْنِكَ وَالْمُتَقَطِّعِيْنَ فِيْ سَبِيْلِكَ وَالْمُعَادِيْنَ لِأَوْلِيَائِكَ أَيْنَمَا كَانَ كَائِنُهُمْ. اَللَّهُمَّ فَرِّقْ جَمْعَهُمْ وَشَتِّتْ شَمْلَهُمْ وَاقْطَعْ دَابِرَهُمْ وَانْكُسْ كِبْرَتَهُمْ وَاجْعَلْ تَدْمِيْرَهُمْ فِي تَدْبِيرِهِمْ وَجَنِّبِ الْمُؤْمِنِيْنَ شَرَّهُمْ وَضَرَّهُمْ وَأَذَاهُمْ كَيْفَ شِئْتَ وَأَنَّى شِئْتَ يَا عَزِيزُ يَا مُنْتَقِمُ.

اَللَّهُمَّ ارْزُقْنَا إِيْمَاناً صَادِقاً يُبَاشِرُ قُلُوْبَنَا، وَيَقِيْناً صَادِقاً لَيْسَ بَعْدَهُ شَكٌّ، اَللَّهُمَّ ارْزُقْنَا حُبَّك وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنَا إِلَيْكَ.

إِلهَ الحَقِّ وَالخَلْقِ آمِيْنَ رَبَّ الْعَالَمِيْنَ وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

عباد الله:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ الْجَلِيلَ يَذْكُرْكُم واشكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ، ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.

الاستعداد لليوم الآخر

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لِلهِ القَائِمِ بِنَفْسِهِ، الْواحِدِ العظيمِ فِيْ جَلالِهِ وَقُدسِهِ، الْعَلِيمِ بِأَحْوَالِ جِنِّهِ وَإِنسِهِ، وَمَنْ يُؤمِنْ بِاللهِ العَظِيْم وَيَعْمَلْ صَالحاً يُدْخِلْهُ دَارَ كَرَامَتِهِ، وأُنْسِه، وَمَنْ أَعْرَضَ وَآثَرَ الْحَياةَ الدُّنيا، يُدْخِلْهُ دَارَ نقمتِهِ وحبسِهِ، ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴿٣٧﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴿٣٨﴾﴾.

نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَهُوَ الْجَوادُ الكَرِيمُ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ الْمُتَفَضِّلُ الْعَظِيْم.

وَأَشْهَدُ أَنَّ لَّا إِلهَ إِلَّا اللّهُ العَلِيُّ الْكَرِيْمُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ لَيْسَ الأَسَفُ عَلَى دُنْيَا آخِرُهَا الفَوَاتُ وَالْعَدَمُ، وَلَا عَلَى سُرُوْرٍ نَهَايَتُهَا التَّحَوُّلُ، وَالشَّتَاتُ، وَالنِّقَمُ، وَلَا عَلَى حُطَامِ الدُّنْيَا الفَانِيَةِ، الدُّنْيَا الزَّائِلَةِ، الدُّنْيَا الغَرَّارَةِ، الَّتِي أَصْبَحْنَا فِيْهَا مُنْهَمِكِيْنَ، وَبِلَذَّاتِهَا مَغْرُوْرِيْنَ، الَّتِيْ يَصِفُهَا سَيِّدُ الوَصِيِّيْنَ، وَإِمَامُ الزَّاهِدِيْنَ، عَلِيُّ بنُ أَبِيْ طَالِبٍ سَلَامُ اللهِ عَلَيهِ وَرِضْوَانُهُ، يُصَوِّرُهَا لَنَا بِتِلْكَ الصُّوْرَةِ الْوَاضِحَةِ، وَبِذَلِكَ الوَصْفِ الَّذِيْ تَسْتَحِقُّهُ الدُّنيا، حِيْنَمَا يَقُوْلُ سَلَامُ اللهِ عَلَيْهِ وَرِضْوَانُهُ: ((مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ، فِي حَلالِهَا حِسَابٌ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ، مَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ، وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ))..

وَيَصِفُها اللهُ لَنَا بِأَنَّها دَارُ لَعِبٍ وَلَهْوٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

وَإِنَّمَا الْأَسَفُ عَلَى قُلُوبٍ ضَرَبَتْ عَلَيْهَا الْغَفْلَةُ خَيَامَهَا، وَعَلَى نُفُوسٍ اسْتَحْكَمَتْ فِيْهَا الشَّهَوَاتُ وَأَعْلَنَتْ دَوَامَهَا، وَعَلَى عُقُوْلٍ ذَهَلَتْ عَنِ القِيَامَةِ وَأَهْوَالِهَا..

نَعَمْ وَاللهِ، إِنَّمَا الْأَسَفُ عَلَى قُلُوبِنَا الَّتِي قَدْ سَيْطَرَتْ عَلَيْهَا الْغَفْلَةُ، حَتَّى أَصْبَحَتْ لَا تَهْتَمُّ إِلَّا بِالأُمُوْرِ الدُّنْيَوِيَةِ، وَعَلَى نُفُوْسِنَا الَّتِيْ اسْتَحْكَمَتْ فِيْهَا الشَّهَوَاتُ، حَتَّى أَصْبَحْنَا نُؤْثِرُ شَهَوَاتِ أَنْفُسِنَا عَلَى طَاعَاتِ رَبِّنَا، وَعَلَى عُقُوْلِنَا الَّتِيْ ذَهَلَتْ عَمَّاً يُرَادُ بِهَا، وَغَفَلَتْ عَمَّا هِيْ قَادِمَةٌ عَلَيهِ مِنَ الْمَوْتِ، وَعَمَّا وَرَاءَ المَوْتِ..

أَيُّهَا الإِخْوَةُ اتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ، وَانْتَبِهُوا مِن غَفْلَتِكُمْ، فَإِنَّ قَبْلَكُمْ أُمُوْرَاً عَظِيْمَةً، وَأَهْوَالاً جَسِيْمَةً، فَإِنَّهُ لَاْ بُدَّ مِنَ الْمَوْتِ، لَاْ بُدَّ مِنَ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ، لَاْ بُدَّ مِنَ الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ.

فَمَاذَا أَعْدَدْنَا لِلْمَوْتِ؟ وَمَاذَا أَعْدَدْنَا لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ؟

إِنَّنَا وَاللهِ أَعْدَدْنَا لَهُ حُبَّ الدُّنْيَا، الَّتِيْ أَصْبَحَتْ أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَمَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَغَايَةَ رَغْبَتِنَا.

إِنَّنَا أَعْدَدْنَا لَهُ الْغِيْبَةَ، وَالنَّمِيْمَةَ، وَالْمُشَاحَنَةَ بَيْنَ النَّاسِ.

إِنَّنَا أَعْدَدْنَا لَهُ التَّشَاجُرَ، وَالتَّنَاحُرَ فِيْمَا بَيْنَنَا، فَهَلْ سَيَنْفَعُنَا ذَلِكَ عِنْدَ الْمَوْتِ؟ أَمْ سَيَضُرُّنَا؟؟

وَهَلْ سَيُخَلِّصُنَا ذَلِكَ إِذَا وَقَفْنَا بَيْنَ يَدِي اللهِ سُبْحَانَهُ لِلْحِسَابِ، وَالنِّقَاشِ عَلَى الصَّغِيْرَةِ، وَالْكَبِيْرَةِ؟ أَمْ سَيُهْلِكُنَا؟؟

كَلَّا وَاللهِ إِنَّهَا الْفَاقِرَةُ، وَالقَاصِمَةُ لِلظَّهْرِ، إِذَا قَدِمْنَا عَلَى اللهِ وَهَذِهِ الْأَعْمَالُ سَتَكُونُ عَلَيْنَا نَدَامَةً وَنَلْقَى عُقُوبَتَهَا، كَمَا يَقُوْلُ الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٧﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣٩﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾.

فَهَلْ نَهَيْنَا أَنْفُسَنَا عَنِ اتِّبَاعِ الهَوَى؟

هَلْ نَهَيْنَا أَنْفُسَنَا عَنِ اتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ الْمُحَرَّمَةِ، وَإِيْثَارِهَا عَلَى طَاعَةِ اللهِ؟

هَلْ نَهَيْنَا أَنْفُسَنَا عَنِ الكَذِبِ، وَالْمَكْرِ، وَالْخَدِيْعَةِ؟

هَلْ نَهَيْنَا أَنْفُسَنَا عَنِ الْحَسَدِ، وَالْغِيْبَةِ، وَالنَّمِيْمَةِ، وَسَائِرِ الآثَامِ؟ أَمْ نَحْنُ مِنَ الَّذِيْنَ قَالَ اللهُ فِيْهِمْ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾..

نَعَمْ إِنَّ النَّفْسَ هِيَ الَّتِيْ تُزَيِّنُ لِلْإِنْسَانِ الشَّرَّ، وَالفَسَادَ، وَالانْحِلَالَ، وَهِيَ الَّتِيْ تَدْفَعُ الإِنْسَانَ إِلَى التَّرَاجُعِ، وَالتَّقَهْقُرِ، وَالارْتِدَادِ عَنْ دِيْنِهِ، وَهِيَ الَّتِيْ تَدْفَعُ الإِنْسَانَ لِسُوْءِ التَّعَامُلِ مَعَ الْمُؤْمِنِيْنَ، كَمَا حَصَلَ لِلسَّامِرِيِّ، الَّذِيْ أَضَلَّ النَّاسَ عَنْ عِبَادَةِ اللهِ، كَمَا حَكَى اللهُ ذَلِكَ فِيْ كِتَابِهِ الْعَزِيْزِ، حَيْثُ يَقُوْلُ:﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ۞ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾.

وَاتِّبَاعُ هَوَى النَّفْسِ هُوَ سَبَبُ كُلِّ مَعْصِيَةٍ لِلهِ، وَلِرَسُوْلِهِ، وَمُخَالَفَةِ الأَنْبِيَاءِ، وَالْعُلَمَاءِ، والعُدْوَانِ عَلَيْهِم، وَهُوَ سَبَبُ اسْتِحْقَاقِ كُلِّ عُقُوبَةٍ، كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، وَمَا سَيَكُوْنُ فِيْ الآخِرَةِ.

كَمَا يَقُوْلُ اللهُ تَعَالَى:﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾.

فَلَا نَجَاةَ لَنَا، وَلَا خَلَاصَ لَنَا مِنْ هَوَى النَّفْسِ الأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ إِلَّا بِأَنْ نُحَاسِبَ أَنْفُسَنَا، فِيْ كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، يُحَاسِبُ الإِنْسَانُ نَفْسَهُ فِيْ خِتَامِ يَوْمِهِ، فَإِنْ كَانَ قَدْ عَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً شَكَرَ اللهَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ قَدْ عَمِلَ عَمَلاً سَيِّئاً اسْتَغْفَرَ، وَتَابَ إِلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ..

أَيُّها الإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُوْنَ حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ فِيْ دَارِ الْمُهْلَةِ، قَبْلَ أَنْ يَقِفَ الإِنْسَانُ بَيْنَ يَدَيْ مَلِكِ الْمُلُوْكِ، وَجَبَّارِ السَّمَوَاتِ فَيُحَاسِبُهُ عَلَى الصَّغِيْرَةِ

وَالْكَبِيْرَةِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُوْلُ: ((أَلَا فَحَاسِبُوا أَنفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن، فوالذي نفسي بيده ما بعد الدنيا من دار، وما بعد الموت من مستعتب، فَإِنَّ فِيْ الْقِيَامَةِ خَمْسِيْنَ مَوْقِفاً، كُلُّ مَوْقِفٍ مَقَامَ أَلفِ سَنَةٍ)) ثُمَّ تَلَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

وَيَقُوْلَ الْمُصْطَفَى ﷺ: ((لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلاهُ، وَعَنْ مَالِهِ فِيمَا أَنْفَقَهُ، وَمِنْ أَيْنَ كَسَبَهُ، وَعَنْ حُبِّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ)).

كَيْفَ بِكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ المِسْكِيْنُ إِذَا وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْحِسَابِ وَالنِّقَاشِ فِيْ هَذَا الْيَوْمِ العَظِيْمِ، وَقَدْ جَمَعَ اللهُ فِيْهِ الْأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ، وَجَوَارِحُكَ تَنْطِقُ عَلَيْكَ بِمَا عَمِلْتَ، ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾؟

فَبَصَرُكَ يَشْهَدُ عَلَيْكَ بِمَا نَظَرْتَ بِهِ مِنْ الْمُحَرَّمَاتِ، مِنَ النَّظَرِ إِلَى عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِيْنَ وَحُرَمِهِمْ، وَسَمْعُكَ يَشْهَدُ عَلَيْكَ بِمَا اسْتَمْعَتَ بِهِ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ، مِنِ اسْتِمَاعِ اللَّهْوِ، والْغِنَاءِ، وَاللَّعِبِ، وَلِسَانُكَ يَشْهَدُ عَلَيْكَ بِمَا آذَيْتَ بِهِ الْمُؤْمِنِيْنَ مِنَ الْغِيْبَةِ، وَالنَّمِيْمَةِ، وَالكَذِبِ، وَشَهَادَةِ الزُّوْرِ، وَسَبِّ الْمُؤْمِنِيْنَ وَشَتْمِهِمْ، وَيَدُكَ تَشْهَدُ عَلَيْكَ بِمَا ظَلَمْتَ بِهَا عِبَادَ اللهِ، وَكَتَبْتَ بِهَا مِنَ الزُّوْرِ، وَقَدَمُكَ يَشْهَدُ عَلَيْكَ بِمَا مَشَيْتَ بِهِ إِلَى مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٩ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢١ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٢٣﴾.

نعم أيها الأخوةُ إنه يومٌ عظيمٌ ومخيفٌ ومفزعٌ، يومَ يقولُ المجرمُ فيه: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً﴾.

﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً﴾.

يوم يقول فيه العاصي: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ۝٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۝٣٢﴾

أيها الأخوةُ اعلموا أنَّ حالَ النارِ أعظمُ مِنْ أنْ يُوصفَ، وعذابُها أكبرُ من أن يُتَصَوَّرُ، فبينما أهلُ الإجرامِ والآثامِ في أرضِ المحشرِ على ما أصابهم مِن تلك النكالاتِ إذ أحاطتْ بالمجرمين ظلماتٌ ذاتُ شعبٍ، وأظلَّتْ عليهم نارٌ ذات لهبٍ، وسمعوا لها زفيراً وجرجرةً تُفْصِحُ عن شدةِ الغيظِ والغضبِ، فعندَ ذلك أيقنَ المجرمونَ بالعطبِ، وَجَثَتِ الأممُ على الرُّكَبِ حتى خافَ المجرم من سوءِ المنقلِب، وخَرجَ المنادي من الزبانيةِ قائلاً: أينَ فلانُ بنُ فلانٍ المسوِّفُ نفسَه في الدنيا بطولِ الأملِ؟ المضيِّعُ عمرَهُ في سوءِ العملِ؟ فيُبادِرونَهُ بِمَقَامِعٍ من حديدٍ، ويستقبلونَهُ بِعَظائمِ التهديدِ، ويسوقونَهُ إلى العذابِ الشديدِ، وينكسونه في قعرِ الجحيمِ، ويقولون له متهكمين: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾.

فيسكنونهم داراً ضيقةَ الأرجاءِ، مظلمةَ المسالكِ، كثيرةَ المهالكِ، شرُّها مستطرٌ، ومقامها خطيرٌ، يخلدُ فيها الأسيرُ، ويؤبدُ في السعيرِ، شرابُهم فيها الحميمُ، ومستقرُّهم الجحيمُ، الزبانيةُ تقْمَعُهم، والهاويةُ تجمعُهم، أمانيُّهم فيها

الهلاكُ، وما لهم منها فكاكٌ، قد شُدَّتْ أقدامُهم إلى النواصي، واسْوَدَّتْ وجوهُهم من ظلمةِ المعاصي، ينادونَ مِن أكنافِها، ويصيحونَ في نواحيها وأطرافِها: يا مالكُ، قد حقَّ علينا الوعيدُ، يا مالكُ، قد أثقَلَنا الحديدُ، يا مالكُ، قد نَضَجَتْ منا الجلودُ، يا مالكُ، أخرِجْنا منها فإنَّا لا نعودُ، فتقولُ الزبانيةُ: هيهاتَ لَاتَ حِيْنَ أمانٍ! ولا خروجَ لكمْ من دارِ الهوانِ، فا﴿اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾، ولو أُخْرِجْتُم منها لكنتم إلى ما نُهيتُم عنهُ تعودونَ، فعندَ ذلكَ يَقْنَطُونَ، وعلى ما فَرَّطوا في جنبِ اللهِ يتأسفونَ، ولا يُنجيهم الندمُ، ولا يُغنيهم الأسفُ، بل يُكَبُّونَ على وجُوهِهِم مَغْلولينَ، النارُ من فوقهم، والنارُ من تحتهم، والنارُ عن أيمانِهم، والنارُ عن شمائلِهم، فهم غَرْقَى في النارِ، طعامُهم نارٌ، وشرابُهم نارٌ، ولباسُهم نارٌ، ومِهَادُهم نارٌ، فهم بين مُقَطَّعَاتِ النيرانِ، وسَرَابيلِ القَطِرَانِ، وضَرْبِ المقَامِعِ، وثقلِ السلاسلِ، فهم يتَجَلْجَلُونَ في مَضَايِقَها، ويتحطمونَ في دَرَكَاتِها، ويضطربونَ بين غَوَاشيها، تَغْلي بِهِمُ النارُ كَغَلي القدورِ، ويهتفونَ بالويلِ والثبورِ، ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۝١٩ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۝٢٠ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝٢١﴾، تُهَشَّمُ بها جِبَاهُهم، فيتَفَجَّر الصديدُ من أفواههم، وتنقطعُ من العطشِ أكبادُهم، وتسيلُ على الخدودِ أحداقُهم، ويسقطُ من الوجناتِ لحومُها، ويَتَمَعَّطُ من الأطرافِ شُعُورُها، بل وجلودُها، و﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا﴾ وهم مع ذلك يتمنونَ الموتَ فلا يموتون.

فكيف بِكَ لو نظرتَ إليهم وقَدِ اسودّتْ وجوهُهم أشدَّ سواداً من الحميمِ، وأعميتْ أبصارُهم، وأبكمتْ ألسنتُهم، وقصمتْ ظهورُهم، وكُسِرَتْ عظامُهم، وجُدِعَتْ آذانُهم، ومُزِّقَتْ جلودُهم، وغُلَّتْ أيديهم إلى أعناقِهم، وجُمِعَ بين نواصيهم وأقدامِهم.

وهم يمشونَ على النارِ بِوُجُوهِهِم، ويَطَؤون حَسَكِ الحديدِ بأحداقِهم، فلهيبُ النارِ سار في بواطنِ أجزائِهم، وحياتُ الهاويةِ وعقارِبُها مُتَشَبِّثَةٌ بظواهرِ أعضائهم، هذا بعضُ ما أعدَّ اللهُ لمن عصاه وخالف رضاه.

فهلَّا امْتَثَلنا أوامرَ اللهِ سبحانَهُ وتعالى؟ وعَمِلَنا بما يُرْضِيهِ؟ واجْتَنَبْنَا ما يُسْخِطُهُ؟

هَلَّا تَركنا الغيبةَ والنميمةَ؟ هَلَّا تركنا الحسدَ والكذبَ والمكرَ والخديعةَ؟

هَلَّا تركنا التشاجُرَ والتناحُرَ والتنازُعَ فيما بيننا؟

هَلَّا حافظنا على الصلواتِ في أوقاتِها؟

هَلَّا تَآخَيْنا فيما بيننا، وتعاونَّا على الأمرِ بالمعروفِ، والنهي عن المنكر؟

هَلَّا بَادَرنا لنتعلَّمَ ما أوجبَ اللهُ علينا ونَتبعَهُ، ونعرفَ ما حرمَ اللهُ علينا فنجتنبه؟ فإنه لا نجاةَ لنا إلا بذلك.

نعوذُ بالله من نارٍ هذه حالُها، ونعوذُ بالله من عَملٍ هذه عاقِبَتُهُ.

اللهم إنه لا طاقةَ لنا بعقابِكَ، ولا صبرَ لنا على عذابِكَ، اللهم فأجر وجوهنا من لفحاتِ الحميم، وأعتق رقابَنا من النارِ.

﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً﴾

اللهم يا عالمَ الخفياتِ، ويا رفيعَ الدرجاتِ، يا غافرَ الذنبِ، وقابلَ التوبِ، شديدَ العقابِ ذي الطَّولِ لا إلهَ إلا أنتَ إليكَ المصيرُ.

نسألُكَ أن تُذِيقَنا بَرْدَ عَفوِكَ، وحَلَاوَةَ رحمتكَ، يا أرحمَ الراحمين، ويا أكرمَ الأكرمينَ.

اللهم اعتِقْنا من رِقِّ الذنوبِ، وخَلِّصْنا من شرِّ النفوسِ، وأذْهِبْ عنَّا وحشةَ الإساءةِ، وطَهِّرْنَا من دَنَسِ الذنوبِ، وبَاعِدْ بيننا وبينَ الخطايا، وأجِرْنا مِن الشيطانِ الرجيمِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً﴾..

بارِكَ اللهُ لي ولكم بالقرآنِ العظيمِ، ونفَعَني وإياكم بما فيهِ من الآياتِ والذِّكرِ الحكيمِ، إنه تعالى جوادٌ مَلِكٌ بَرٌّ رءوفٌ رحيمٌ، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ....

الاستعداد لليوم الآخر

الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ ذي العَرْشِ العَلِيّ، والبَطْشِ القَوِيّ، والعِزِّ الأَبَدِيّ، والوَعْدِ الوَفِيّ، لا مُعْطَ لما مَنَعَ، ولا رَافِعَ لما وَضَعَ، ولا فاتِحَ لما أَغْلَقَ، ولا رَاتِقَ لما فَتَقَ، ولا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عن سَمْعٍ، ولا يُذْهِلُهُ عَطاءٌ عن مَنْعٍ، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ وَلَهُ مقَاليدُ الأَشْيَاءِ، وإليه تصيرُ الأمورُ.

وأشهد ألَّا إله إلّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، مُنْعِمٌ عَجَّتْ بثَنَائِهِ الألسُنُ والأصواتُ، ومُكْرِمٌ رَجَتْهُ الأحياءُ والأمواتُ.

وأشهد أنَّ محمداً عبدُهُ الكريمُ، ورسولُهُ الرحيمُ، ونبيُّهُ الذي لا يَضِيمُ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين...

أما بعد

اعلموا عباد الله أنَّ اللهَ أمرَكم بأمرٍ بدأ فيهِ بنفسهِ، وثَنَّا فيهِ بملائكتِهِ المسبحة بقُدْسِهِ، وثَلَّثَ بكم أيُّها المسلمونَ من جنِّهِ وإنسِهِ، فقال عزَّ مِن قائلٍ عليم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾..

اللهم فصلِّ وسلِّم على أبي الطيب والطاهر والقاسم، محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلب بنِ هاشمٍ، وصلِّ وسلِّم على إمامِ المشارقِ والمغاربِ، أشجعِ كلِّ طاعنٍ وضاربٍ، أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب، وصلِّ اللهم وسلِّم على زوجتِهِ الغَرَّاءَ، فلذةِ قلب المصطفى، فاطمةَ البتولِ الزهراءَ، وصلِّ اللهم على أبي محمد الحسن المقتول سُمّاً، وصلِّ اللهم على أبي عبدِ اللهِ الحسينِ المقتولِ ظُلماً، وعلى الوليِّ بن الوليِّ زيدِ بن عليٍّ، وعلى الهادي إلى الحقِّ يحيى بنِ الحسين بن

القاسم بن إبراهيم، وعلى آلِ رسولِ اللهِ المطهرينَ، دعاةً منهم ومقتصدين، وارضَ اللهم عن الصحابةِ الأخيارِ، وعنَّا ومعهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ لا تدعْ لنا ذنباً إلا غفرته، ولا همًّا إلا فرَّجْته، ولا دَيْناً إلا قضيته، ولا مريضاً إلّا شفيتَهُ، ولا ميتاً إلا رحمتَهُ، ولا عُسراً إلا يسرتَهُ، ولا عارياً إلّا كسوتَهُ، ولا حاجة من حوائجِ الدنيا والآخرةِ هي لك رضىً إلّا قضيتها برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمين.

عباد الله:

﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

في الموت

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، ﴿الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾.

وأشهدُ ألَّا إلهَ إلا اللّهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، دَلَّنَا على ما يُسعِدُنا في دُنيانا، ويومَ الدينِ.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، سَيِّدُ المصلحينَ، وإمامُ المرشدينَ، اللهم فصلِّ وسلِّم عليهِ وعلى آلِهِ الطاهرينَ.

وبعد عباد اللّه:

أوصيكم ونفسي بتقوى اللهِ عزَّ وجَلَّ، والاهتداءِ بهديِهِ، وليجعلْ كلُّ عبدٍ لُهُ من نفسِهِ واعظاً.

عباد اللّه:

ما بالُنا قد خَيَّمَتْ علينا الغفلةُ والقسوةُ وطولُ الأملِ، يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ: ((أَيُّهَا النَّاسُ، كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ، وَكَأَنَّ الحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ، وَكَأَنَّ الَّذِي نُشَيِّعُ مِنَ الأَمْواتِ سَفْرٌ عَمَّا قَلِيْلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ، نُبَوِّئُهُم أَجْدَاثَهُمْ، وَنَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ، كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ، نَسِينَا كُلَّ وَاعِظَةٍ، وَأَمِنَّا كُلَّ جَائِحَةٍ، فَطُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وَطُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ مَالاً اكْتَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةِ الله، وَجَالَسَ أَهْلَ الفِقْهِ وَالْحِكْمَةِ، وَخَالَطَ أَهْلَ الذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ، طُوبَى لِمَنْ ذَلَّتْ نَفْسُهُ، وَحَسُنَت خَلِيقَتُه، وَصَلُحَتْ سَرِيرَتُه، وَعَزَلَ عَن النَّاسِ شَرَّه، فَطُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِه، وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ، وَلَمْ تَسْتَهْوِهِ الْبِدْعَةُ)).

أيُّها الإخوةُ إنَّ الموتَ أمرُهُ هائلٌ، وخطرُهُ عظيمٌ، ولقد غَفِلْنا عنهُ بقلةِ ذِكْرِنا لَهُ وفِكْرِنا فيهِ، ومَن ذَكَرَهُ مِنَّا فإنَّهُ لا يَذْكُرُهُ بقلبٍ فارغٍ، بل يذكرهُ بقلبٍ مشغولٍ، مشغولٍ بماذا؟ هلْ هو مشغولٌ بذكرِ اللهِ وطاعتِهِ؟ أمْ هو مشغولٌ بتَعَلُّمِ العلمِ

وتعليمِهِ؟ كَلَّا إنه مشغولٌ بحبِّ الدنيا وعبادَتِها؟ إنه مشغولٌ بحبِّ المالِ وجمْعِهِ وادِّخَارِهِ، والمباهاةِ بِهِ والمكاثرةِ، والتكبرِ والتَّغَطْرُسِ على الضعفاءِ والمحرومينَ.

تَذَكَّرْ أيها الأخُ المسلمُ مَصَارعَ آبائِكَ وإخوانِكَ وجيرانِكَ وأقرَانِكَ، ومن مضى قبلك ممن تعرفهم أنت، تَذَكَّرْ موتَهم ومصَارِعَهم تحتَ الترابِ، وتذكرْ صُوَرُهم في مناصِبِهم وأحوالِـهِم، وتأملْ كيفَ محا الترابُ محاسنَ صُورِهم، وكيفَ تَبَدَّدَتْ أجزاؤهم في قُبُورِهم، وكيفَ أرملوا نساءهُم، وأيتموا أولادَهم، وضيَّعُوا أموالَـهم، وخَلَتْ مِنْهُم مساجدُهم ومجالسُهم، وانقَطَعْت آثارُهم.

فانظرْ أخي المسلمَ هلْ نفعَتْهم الدنيا وشهواتُها، أم هلْ نفعَتْهمُ الأموالُ والبنونُ وفتنَتُها، أم هل نفعَهم الجاهُ والسلطانُ والتكبرُ والتغطرسُ على ظهرِها؟

كَلَّا والله لم ينفعْهم شيءٌ منها...

باتوا على قُلَلِ الأجبالِ تحرُسُهم ... غلبَ الرجالُ فلم تمنعْهمُ القُلَلُ
واستنزلوا بعد عزٍّ مِن مَعَاقِلِهم ... إلى مقابرِهم يا بئسَ ما نزلوا
ناداهمُ صارخٌ مِن بعدما دُفنوا ... أين الأَسِرَّةُ والتيجانُ والحُلَلُ
أين الوجوهُ التي كانت مُنعمةً ... مِنْ دُونِها تُضْرَبُ الأستارُ والكللُ
فأفصحَ القبرُ عَنْهُم حينَ ساءَلهم ... تلكَ الوجوهُ عليها الدُّودُ تَقْتَتِلُ
قد طالَ ما أكلوا دهراً وما شَرِبُوا ... فأصبحوا بعدَ طولِ الأكلِ قد أُكِلوا
وطالما كنزوا الأموالَ وادَّخَرُوا ... فخلفوها على الأعداءِ وارتحلوا
وطالما شيَّدوا دُوْرًا لتُحْصِنَهم ... ففارقوا الدورَ والأهلينَ وانتقلوا
أضحتْ مساكنُهم وحشاً مُعَطَّلَةً ... وساكنُوها إلى الأجداثِ قد رحلوا

تلك الوجوهُ الناعمةُ، تلك الوجوهُ الحسنةُ، تلكَ الوجوهُ الجميلةُ قد دُسَّتْ في الترابِ والديدانُ تنهَشُها وتتنقَّلُ عليها، قد طالما أكلوا، وطالما شربوا، أكلوا أنواعَ الطعامِ الفاخرِ، والمشروباتِ اللذيذةِ، ثم أصبحوا بعدَ طولِ الأكلِ مأكلا للديدان والهوام...

يقولُ أميرُ المؤمنينَ وسَيِّدُ الوصيينَ عليه السلام: (فَإِنَّكُمْ لَوْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزِعْتُمْ وَوَهِلْتُمْ، وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَلكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا عَايَنُوا، وَقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ الحِجَابُ!

وَلَقَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ، وَأُسْمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ، وَهُدِيتُمْ إِنِ اهْتَدَيْتُمْ، وَبِحَقٍّ أَقُولُ لَكُمْ: لَقَدْ جَاهَرَتْكُمُ العِبَرُ، وَزُجِرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ، وَمَا يُبَلِّغُ عَنِ اللهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلَّا البَشَرُ)..

ويقولُ أميرُ المؤمنينَ عليه السلام في وصفِ الموتى وأهلِ القبورِ، يقول: إننا لو نظرنا في حالِهم بعقولِنا، وسألناهم عن حالِهم (لقَالُوا: كَلَحَتِ الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ، وَخَوَتِ الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ، وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ الْبِلَى، وَتَكَاءَدَنَا ضِيقُ الْمَضْجَعِ، وَتَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ، وَتَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ، فَانْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا، وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُوَرِنَا، وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا، وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجاً، وَلَا مِنْ ضِيقٍ مُتَّسَعاً، فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ، أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطَاءِ لَكَ، وَقَدِ ارْتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِّ فَاسْتَكَّتْ، وَاكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ، وَتَقَطَّعَتِ الْأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلَاقَتِهَا، وَهَمَدَتِ الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقَظَتِهَا، وَعَاثَ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلَى سَمَّجَهَا، وَسَهَّلَ طُرُقَ الْآفَةِ إِلَيْهَا، مُسْتَسْلِمَاتٍ، فَلَا أَيْدٍ تَدْفَعُ، وَلَا قُلُوبٌ تَجْزَعُ، لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ، وَأَقْذَاءَ عُيُونٍ، لَهُمْ فِي كُلِّ فَظَاعَةٍ صِفَةُ حَالٍ لَا تَنْتَقِلُ، وَغَمْرَةٌ لَا تَنْجَلِي، فَكَمْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ، وَأَنِيقِ لَوْنٍ، كَانَ فِي الدُّنْيَا غَذِيَّ تَرَفٍ، وَرَبِيبَ شَرَفٍ، يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ، وَيَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ، ضَنّاً بِغَضَارَةِ عَيْشِهِ)..

فكيفَ نغفلُ عن الموتِ والموتُ لا يغفلُ عنَّا يومًا واحداً؟

وكما رُوِيَ -والله أعلم- ((مَا مِنْ بَيْتٍ إِلَّا وَمَلَكُ الْمَوْتِ يَقِفُ عَلَى بَابِهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَإِذَا وَجَدَ الإِنْسَانَ قَدْ نَفَدَ أُكْلُهُ، وَانْقَطَعَ أَجَلُهُ، أَلْقَى عَلَيْهِ غَمَّ الْمَوْتِ، فَغَشِيَتْهُ كُرُبَاتُهُ وَغَمَرَتْهُ غَلَزَاتُهُ، فمن أهل بيته الناشرة شعرها، الضاربة وجهها،

الباكية لشجوها، الصارخة بويلها، فَيَقُولُ مَلَكُ الْمَوْتِ: وَيْلَكُمْ مِمَّ الْفَزَعُ؟ وَفِيمَ الْجَزَعُ؟ مَا أَذْهَبْتُ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ رِزْقاً، وَلَا قَرَّبْتُ لَهُ أَجَلاً، وَلَا أَتَيْتُهُ حَتّى أُمِرْتُ، وَلَا قَبَضْتُ رُوحَهُ حَتَّى اسْتُؤْمِرْتُ، وَإِنَّ لِي فِيكُمْ عَوْدَةً ثُمَّ عَوْدَةً ثُمَّ عَوْدَةً، حَتَّى لَا أُبْقِي مِنْكُمْ أَحَداً، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ يَرَوْنَ مَكَانَهُ، وَيَسْمَعُونَ كَلَامَهُ، لَذَهِلُوا عَنْ مَيِّتِهِمْ، وَلَبَكَوا عَلَى نُفُوسِهِمْ، حَتَّى إِذَا حُمِلَ الْمَيِّتُ عَلَى نَعْشِهِ رَفْرَفَ رُوحُهُ فَوْقَ النَّعْشِ وَهُوَ يُنَادِي: يَا أَهْلِي، وَيَا وَلَدِي، لَا تَلْعَبَنَّ بِكُمُ الدُّنْيَا كَمَا لَعِبَتْ بِي، جَمَعْتُ الْمَالَ مِنْ حِلِّهِ وَغَيْرِ حِلِّهِ، ثُمَّ خَلَّفْتُهُ لِغَيْرِي بِالْمُهَنَّاةِ لَهُ، وَالتَّبِعَةُ عَلَيَّ، فَاحْذَرُوا مِثْلَ مَا حَلَّ بِي)).

ويقولُ أميرُ المؤمنينَ عليه السلام وهو يصفُ المغترينَ بالدنيا حينما يهجُمُ عليهم ملكُ الموتُ انظروا: (كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ، وَقَدِمُوا مِنَ الْآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ، فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ، اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ، وَحَسْرَةُ الْفَوْتِ، فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ، ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً، فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ، وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ، يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ، عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ، وَبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ، يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمْرَهُ، وَفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ، وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالًا جَمَعَهَا، أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا، وَأَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا وَمُشْتَبِهَاتِهَا، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا، وَأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا، تَبْقَى لِمَنْ وَرَاءَهُ يُنَعَّمُونَ فِيهَا، وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا، فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ، وَالْعِبْءُ عَلَى ظَهْرِهِ، وَالْمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ بِهَا، فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمْرِهِ، وَيَتَمَنَّى أَنَّ الَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ، فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ، حَتَّى خَالَطَ سَمْعَهُ، فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ، وَلَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ، يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ، يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَلَا يَسْمَعُ رَجْعَ كَلَامِهِمْ).

نعمْ أيها الأخوةُ، تَصَوَّروا حالَ الإنسانِ حينما يكونُ في هذهِ السكراتِ

والكرباتِ وهو ينظرُ إلى أهلهِ وأولادِهِ ومَنْ حولَهُ بنظرةٍ فيها إشفاقٌ، وفيها رجاءٌ، وفيها استعطافٌ، وكأنه يقول: لا تتركوني وحدي، ولا تُفْرِدُوني في لَحدي، افْدُوني بأعمارِكم، هل منكم مَنْ يزيدُ في عمرِي ساعةً أو ساعتين؟ أنا أبوكم، أنا أخوكم، أنا حبيبكم؟ ولكنه في وادٍ والناس في وادٍ آخرَ.

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ الْتِيَاطاً بِهِ، فَقَبَضَ بَصَرَهُ كَمَا قَبَضَ سَمْعَهُ، وَخَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ، فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ، قَدْ أُوحِشُوا مِنْ جَانِبِهِ، وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ، لَا يُسْعِدُ بَاكِياً، وَلَا يُجِيبُ دَاعِياً...

ثم إلى أينَ ينتقلُ؟ وإلى أين يذهبُ؟ إنه ينتقلُ ويذهبُ إلى تلكَ الحفرةِ الموحشةِ، إلى تلك الحفرةِ المظلمةِ، إلى تلك الحفرةِ المفزعةِ، إلى قبرِهِ الذي يناديهِ كلَّ يومٍ ثلاثَ مراتٍ فيقولُ: (أما عَلِمْتَ أني بيتُ الوحشةِ؟ أما علمتَ أني بيتُ الظلمةِ؟ أما علمتَ أني بيتُ الدُّودِ، فما أعْدَدْتَ لي؟)..

فماذا أعددنا أيها الأخوةُ للموتِ وسكراتِهِ التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((اللهمَّ هَوِّنْ على محمدٍ سكراتِ الموتِ))..

وماذا أعْدَدْنا لهذهِ الحفرةِ مِنْ أعمالٍ؟؟

أيها الأخوةُ إننا مهما غالَطْنا أنفسَنا، ومهما اغتررنا بالدنيا وشهواتِها، مهما تكبَّرْنا على اللهِ وجعلنا لأنفسِنا من أعذارٍ فإنها لا تنفعُنا، ولا تُبعدُ الموتَ عنَّا لحظةً واحدةً، إننا نخادعُ أنفسَنا، ونُضَيِّعُ أعمارَنا فيمالا ينفعُنا، بل نُضَيِّعُ أعمارَنا فيما يضُرُّنا، إننا نُضَيِّعُ أعمارَنا في جمعِ الدنيا والمباهاةِ بها والمكاثرةِ، والتفاخُرِ بها على بعضنا البعض، إننا نُضَيِّعُ أعمارَنا في التحاسدِ فيما بيننا، والتباغضِ والحقدِ والكراهيةِ، إننا نُضَيِّعُ أعمارَنا في الغيبةِ والنميمةِ، وهتكِ أعراضِ المسلمينِ، وأكلِ لحومِهم، إننا نُضَيِّعُ أعمارَنا في التشاجُرِ والتناحُرِ فيما بيننا، إننا نُضَيِّعُ أعمارَنا في الكذبِ والمكرِ والخداعِ لبعضِنا البعض.

فهل سينفعُنا ذلكَ عندَ الموتِ أم سيضرُّنا؟ وهلْ سيخلِّصُنا ذلكَ من ظلمةِ القبرِ وهولِهِ أم سيهلكُنا؟

كلَّا والله إنها الفاقرةُ والقاصمةُ للظهرِ إذا أتى إلينا مَلَكُ الموتِ ونحنُ على هذه الحالَةِ..

يُرْوَى في التصفية أنَّ جبارًا مِنَ الجبابرةِ مِن بني إسرائيلَ كان جالسًا في منزلِهِ قد خلا ببعضِ أهلِهِ إذ نظرَ إلى شخصٍ قد دخلَ عليه من بابِ بيتِهِ، فثَارَ إليهِ فَزِعًا مُغضبًا فقالَ لَهُ: مَنْ أنتَ ومَنْ أدْخَلَكَ عليَّ دارِي، فقالَ: أما الذي أدخلني عليكَ الدارَ فَرَبُّها، وأمَّا أنا فأنا الذي لا يَمْنَعُ مِنِّي الحجابُ، ولا أستأذنُ على الملوكِ، ولا أخافُ صَوْلَةَ السلاطينِ، ولا يَمْتَنِعُ مني كلَّ جبارٍ عنيدٍ ولا شيطانٍ مريدٍ.

قال: فَسُقِطَ في يدِ الجبَّارِ وارْتَعَدَ حتى سَقَطَ على الأرضِ منكبًّا على وجهِهِ ثم رفعَ رأسَهُ إليهِ مُتَحَيِّرًا مُتذللاً فقال لهُ: أنتَ إذًا مَلَكُ الموتِ، قال: أنا هو، قال: فهل أنتَ مُمْهِلي حتى آخُذَ عهدًا، قال: هيهات، انقطعتْ مُدَّتُكَ، وانقَضَتْ أنفاسُكَ، ونَفِدَتْ ساعَاتُكَ، فليسَ إلى تأخيرِكَ سبيلٌ، قال: فإلى أينَ تذهبُ بي، قال: إلى عمَلِكَ الذي قَدَّمْتَهُ وإلى بَيْتِكَ الذي مهدتَهُ.

قال: فإني لم أُقَدِّمْ عَملاً صالحًا ولم أُمَهِّدْ حسنًا، قال: فإلى ﴿لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ۝١٨﴾، فسَقَطَ مَغْشِيًّا عليهِ.

فيا لها من حَسرةٍ، ويا لها من ندامةٍ، ويا لها من عَثْرَةٍ لا تُقَالُ.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ، بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

بارك اللهُ لي ولكم بالقرآنِ العظيمِ، ونفعَني وإياكم بما فيهِ من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، إنه تعالى جوادٌ ملكٌ بَرٌّ رءوفٌ رحيمٌ، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

في الموت

الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، الحمدُ للهِ القائمِ بنفسِهِ، الواحدِ العظيمِ في جلالِهِ وقدسِهِ، العليمِ بأحوالِ جنِّه وإنسِهِ، ومَنْ يؤمنْ باللهِ العظيمِ ويعملْ صالحاً يُدْخِلْهُ دارَ كرامتِهِ وأُنْسِهِ، ومَنْ أعْرَضَ وآثرَ الحياةَ الدنيا فَيُدْخِلْهُ دارَ نقمتِهِ وحبسِهِ، ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾.

نحمدُهُ تعالى وهوَ الجوادُ الكريمُ، ونشكُرُهُ عزَّ وجلَّ وهو المتفضلُ العظيمُ.

وأشهدُ ألَّا إلهَ إلا اللّهُ العليُّ الكريمُ.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ الطاهرينَ.

وبعد عباد الله:

لا بدَّ لكلِّ إنسانٍ مِنْ أنْ يتَذَكَّرَ الآخرةَ عندَ الموتِ، ويتمنونَ أن تسنحَ لهم الفرصةُ لكي يعودوا ليعملوا من أجلِها، ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ [إبراهيم٤٤]، ولكن بعد فواتِ الأوانِ، فالذينَ يموتونَ لا يملكونَ وسيلةً لكي ينقلوا إلينا هذا الإيمانَ الذي يملِكُهم عندَ حلولِ الأجلِ، ونحنُ أيضًا لا نملكُ وسائلَ الاتصالِ بهم، وتَلَقِّي الأخبارَ عنهم بذلك، ولكننا نجدُ نموذجًا لهؤلاءِ الذين يُحْكَمُ عليهم بالإعدامِ، فلحظةُ الإعدامِ لا يشكُّ أحدٌ منهم وجودَ شيءٍ وراءَ حاجزِ الموتِ، وكثيرٌ منهم يتوبُ من ذنوبِهِ إذا أُتِيحَت لَهُ الفرصةُ، وكلُّهم يندمونَ على ما فعلوه من معاصي اللهِ، وجميعُهم بعدَ الموتِ يرجونَ العودةَ إلى الدنيا لَعَلَّهُمْ يعملونَ الصالحاتِ، ولكن بعدَ فواتِ الأوانِ، والسؤالُ هو نحنُ الذين لا زلنا نملكُ الفرصةَ لماذا، لا نَسْتَغِلُّها؟

يقولُ اللهُ في الحديثِ القدسي: ((عجبتُ لمن أيقنَ بالموتِ كيفَ يفرحُ، ولمن

أيقنَ بالحسابِ كيفَ يُذْنِبُ، ولمن أيقنَ بالنارِ كيف يضحكُ، ولمن رأى الدنيا وتقلُّبَها بأهلِها كيفَ يطمئنُ إليها)).

ويقولُ في حديثٍ آخرَ: ((يا بنَ آدمَ، كلُّ يومٍ ينقصُ من عمرِك وأنتَ لا تدري، ويأتي كلَّ يومٍ رزقُكَ من عندي وأنتَ لا تحمدُهُ، فلا بالقليلِ تقنعُ، ولا بالكثيرِ تشبعُ.

يا بنَ آدم، ما مِنْ يومٍ جديدٍ إلا ويأتيكَ مِن عندي رزقٌ جديدٌ، وما مِنْ ليلةٍ إلا ويأتيني ملائكتي من عنِدك بعملٍ قبيحٍ، تأكلُ رزقِي وتعصيني، وأنتَ تدعوني فأستجيبُ لكَ، فنعمَ المولى أنا، وبئسَ العبدُ أنتَ، تسألُني فأعطيكَ، وأسترُ عليكَ سوءًا بعدَ سوءٍ، وقبيحًا بعدَ قبيحٍ، أنا استحي منكَ وأنتَ لا تستحي مني، وتسألُني وتذكرُ غيري، وتخافُ الناسَ وتأمنُ غضبي، يا عبيدَ الدنانيرِ والدراهمِ، إني ما خلقتُ لكم الدنانيرَ والدراهمَ إلا لتأكلوا بها رزقي، وتلبسوا بها ثيابي، وتُنفقوا بها في سبيلي، فأخذتم كتابي وجعلْتُموه تحتَ أقدامِكم، وأخذْتُم الدنيا فجعلْتُموها فوقَ رؤوسِكم، ورَفَعْتُم بيوتَكم وخَفَضْتُم بيوتي، وآنَسْتُم بيوتَكم وأوْحَشْتُم بيوتي، يا عبيدَ الدنيا، إنما مَثَلُكم كالقبورِ المُجَصَّصَةِ يُرى ظاهِرُها مليحًا، وباطنُها قبيحًا.

يا بني آدمَ، إني لم أخلُقْكم عبثًا ولا جعلتكم سُدًى، ولا أنا بغافلٍ عما تعملونَ، وإنكم لنْ تَنالوا ما عندِي إلا بالصبرِ على ما تكرَهونَهُ في طلبِ رِضَائي، والصبرِ على طاعَتِي أيْسَرُ عليكم من الصبرِ على النارِ، وعذابُ الدنيا أيسرُ عليكم من عذابِ الآخرةِ.

يا بنَ آدم، أكْثِرْ مِنَ الزادِ فإنَّ الطريقَ بعيدٌ بعيدٌ، وجَدِّدِ السفينةَ فإن البحرَ عميقٌ عميقٌ، وخَفِّفِ الحِمْلَ فإنَّ الصراطَ دقيقٌ دقيقٌ، واخْلِصِ العملَ فإنَّ الناقدَ بصيرٌ بصيرٌ، وأخِّرْ نومَكَ إلى القبرِ، وفَخْرَكَ إلى الميزانِ، وشهوَتَكَ إلى الجنةِ، وراحتَكَ إلى الآخرةِ، ولذَّاتِكَ إلى الحورِ العينِ، وكُنْ لي أكُنْ لكَ، وتَقَرَّبْ إليَّ باستهانةِ الدنيا، وتَبَعَّدْ عنِ النارِ ببُغْضِ الفجارِ وحُبِّ الأبرارِ، فإنَّ اللهَ لا يُضِيْعُ أجرَ المحسنينَ.

يا بنَ آدمَ، المالُ مالي، والأغنياءُ وُكلائي، والفقراءُ عيالي، فمن بَخِلَ على عيالي أدْخِلُهُ النارَ ولا أبالي.

يا بنَ آدمَ، لا تحزنْ على ما فاتَكَ من الدنيا، ولا تفرحْ بما أُوتيتَ منها، فإنَّ الدنيا اليومَ لكَ، وغدًا لغيرِكَ.

يا بنَ آدمَ، اطلُبْ الآخرةَ، فإن ذَرَّةً من الآخرةِ خيرٌ لكَ مِن الدنيا وما فيها.

يا بنَ آدمَ، تهيأ للموتِ قبلَ وُرُودِهِ، ولو تَرَكْتُ الدنيا لأحدٍ من عبادي لَتَرَكْتُها للأنبياءِ حتى يَدْعُوا عبادي لطاعتي.

يا بنَ آدمَ كم مِن غنيٍّ قد جعلَهُ الموتُ فقيرًا، وكم من ضاحكٍ قد صارَ باكيًا بالموتِ، وكم من عبدٍ قد بَسَطْتُ له الدنيا فطغى وتركَ طاعتي حتى ماتَ عليه ودخلَ النارَ).

نسألُ اللهَ التوفيقَ وحسنَ الختامِ.

هذا، وصلُّوا وسلِّموا على من أَمِرْتُمْ بالصلاةِ عليه قديمًا، كما قال عزَّ مِن قائلٍ حكيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾..

اللهم فصلِّ وسلِّم على أبي الطيبِ والطاهرِ والقاسمِ، محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ، وصلِّ وسلِّم على إمامِ المشارقِ والمغاربِ، أشجعِ كُلِّ طاعنٍ وضاربٍ، أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ، وصلِّ اللهم وسلِّم على زوجتِهِ الغراءَ، فلذةِ قلبِ المصطفى، فاطمةَ البتولِ الزهراءَ، وصلِّ اللهم على أبي محمدٍ الحسنِ المقتولِ سُمًّا، وصلِّ اللهم على أبي عبدِ اللهِ الحسينِ المقتولِ ظلما، وعلى آلِ رسولِ اللهِ المطهرينَ، دعاةً منهم ومقتصدينَ، وارضَ اللهمَّ عن الصحابةِ الأخيارِ، وعنَّا ومعهم وفهيم برحمتكَ يا أرحمَ الراحمينَ.

اللَّهُمَّ لا تدعْ لنا ذنباً إلا غفرتَهُ، ولا هَمًّا إلا فرَّجْتَهُ، ولا دَيْناً إلا قضيتَهُ، ولا مريضاً إلّا شفيتَهُ، ولا ميتاً إلا رحمتَهُ، ولا عُسراً إلا يَسَّرْتَهُ، ولا عارياً إلّا كَسَوْتَهُ،

ولا حاجةً من حوائجِ الدنيا والآخرةِ هي لك رضىً إلّا قضيتَها برحمتكَ يا أرحمَ الراحمينَ.

عباد الله:

﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، فاذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يذكُرْكُم، واشكروه على نِعَمِهِ يزِدْكم، ولَذِكْرُ اللهِ أكبرُ واللهُ يعلمُ ما تصنعونَ.

السفر الطويل

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي إليهِ مصائرُ الخلقِ، وعواقبُ الأمرِ، نحمدُهُ على عظيمِ إحسانِهِ، ونَيِّرِ برهانِهِ، ونَوَامي فضلِهِ وامتنانِهِ، حمدًا يكونُ لحقِّهِ قضاءً، ولشكرِهِ أداءً، وإلى ثوابِهِ مُقَرِّباً، ولِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوْجِباً.

يارَبِّ لكَ الحمدُ حمدًا اسْتَهِلُّ بِهِ ذِكْرَى وإنْ كنتُ لا أُحْصِي ثناءً ولا شُكْرا
لكَ الحمدُ مَقْرُونًا بِشُكْرِكَ دائمًا لكَ الحمدُ في الأولى لكَ الحمدُ في الأُخْرَى

ونستعينُهُ استعانةَ راجٍ لفضلِهِ، مَؤَمِّلٍ لِنفعِهِ، واثقٍ بدفعِهِ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ، ومُذْعِنًا لَهُ بالعملِ والقولِ، ونؤمِنُ بِهِ إيمانَ مَنْ رَجَاهُ، وأنابَ إليهِ واتَّقَاهُ.

وأشهدُ ألَّا إلهَ إلَّا اللهُ، شهادةً ممتحنًا إخلاصُها، معتقِدًا مصاصُها، نتمسكُ بها أبدًا ما أبقانا، ونَدَّخِرُها لأهاويلِ ما يلقانا فإنها فاتحةُ الإحسانِ ومَدْحَرَةُ الشيطانِ.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُهُ، الخاتمُ لما سَبَقَ، والفاتحُ لما انْغَلَقَ، القائلُ: ((لَرَكعتانِ قبلَ الفجرِ خيرٌ مِنَ الدُّنيا وما فيها))، صلواتُ اللهِ عليهِ وعلى عِتْرَتِهِ الأخيارِ، مِن يومِنا هذا إلى يومِ الدينِ وسلَّم تسليماً كثيراً.

وبعد عباد الله:

قد يكونُ الإنسانُ أحياناً في غيرِ وعيٍ تامٍّ، وقد يَتَلَقَّى بعضَ المواعظِ بغيرِ شعورٍ كاملٍ، وبلا تَأَمُّلٍ في المعنى المقصودِ مِن وراءِ تلكَ الألفاظِ، وبخاصَّةٍ مع كثرةِ المشاغلِ والانهماكِ في هذه الدنيا التي تُنْهِكُ الذهنَ مع البدنِ، وتُرْهِقُ الإحساسَ، وتؤثرُ على الفَهْمِ، وكثيرًا ما نسمعُ من الآياتِ ما يتفتتُ لَهُ الصخرُ، ويلينُ لهُ القاسي من الصُّمِّ، ولكنَّ النتيجةَ لا شيءَ، ترى الإنسانَ يمضي ويمضي وكأنَّهُ غيرُ مقصودٍ بالنداءِ، ولكنه سيُفيقُ حتماً في يومٍ مَّا، لا بُدَّ أن يستيقظَ وينتبهَ من غفلتِهِ، ولكن بعد

فواتِ الأوانِ حينَ لا ينفعُ ندمٌ ولا حسرةٌ، حينَ يقفُ على حافةِ الهاويةِ، حينَ يصلُ إلى آخرِ المطافِ، وتتعطلُ جميعُ القوى، وتُغْلَقُ جميعُ الأبوابُ.

عندها سيتذكرُ بأنه قد أفرطَ في الغفلةِ والتغابي، وقَصَّرَ في العملِ والطاعةِ.

ذلكَ حينَ يجدُ نفسَهُ فقيرًا عاطلًا من كُلِّ خيرٍ، وقدِ انْقَطَعَتْ بِهِ السُّبُلُ وانقطعَ خَطُّ العودةِ والرجوعِ.

سيتذكَّرُ حينَ يقفُ في مَحَطَّةِ المغادرةِ إلى الدارِ الآخرةِ، وهوَ على فراشِ الموتِ عندَ الغرغرةِ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً ۝٢٢ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً﴾، سيتذكرُ حينَ يستقلُّ قطارَ الموتِ في ذلك السفرِ البعيدِ، في ذلك الطريقِ الطويلِ، وهو يتأهبُ لذلك السفرِ البعيدِ سيتذكرُ الرحلةَ الشاقةَ.

سيتذكرُ وهو في تلكَ الغربةِ الطويلةِ تلكَ الأوقاتِ التي مَنَحَهُ اللهُ فَضَيَّعَ ستينَ عامًا مِن العمرِ في غيرِ فائدةٍ، حينَ يطلبُ من اللهِ أن يعيدَهُ إلى الدنيا ليعملَ فَيَرُدُّ عليهِ اللهُ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾

سيتذكرُ ما وَهَبَهُ اللهُ مِن العُمرِ مِن أجلِ أنْ يُعِدَّ الزادَ، ويتأهبَ للسفرِ بكلِّ ما أُوتِيَ مِن جهدٍ وقوةٍ.

كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾.

ذلك هو السفرُ إلى الآخرةِ، إلى اليومِ الآخرِ، الذي حذرَنا اللهُ مِن شدتِهِ، ونَدَبَنا للاستعدادِ لَهُ، وأخذَ الوقايةَ مِن أهوالِهِ، حيثُ قالَ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ إنه اليومُ الشديدُ العظيمُ المحنةِ، الذي تَعَوَّذَ مِنهُ رسولُ اللهِ ﷺ.

اللهمَّ إنا نَعُوذُ بِكَ مِن يومٍ أولُهُ فزعٌ، وأوسَطُهُ جَزَعٌ، وآخِرُهُ وَجَعٌ، والذي

خَشِيَ شدَّتَهُ، وتحاشى كُرْبَتَهُ أميرُ المؤمنينَ وسيدُ الوصيينَ، وصَرَّحَ بخوفِهِ منهُ، كما حكى اللهُ عنهُ وعن زوجتِهِ فاطمةَ الزهراءِ وأهلِ بيتِهِ بقولهم: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾.

ذلك اليومُ الذي سوفَ يكونُ مجمعًا لكلِّ الخلائقِ، قديمِها وحديثِها، حَيِّها ومَيِّتِها، أولِها وآخِرِها، كبيرِها وصغيرِها، جِنِّها وإنسِها، وُحُوشِها وطَيرِها.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾

يومَ ينشغلُ فيه كلُّ مخلوقٍ بنفسِهِ، ويتبرأُ مِن كلِّ قريبٍ وبعيدٍ، ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

ذلك اليومُ الذي تنقطعُ فيه الصِّلاتُ، وتُرفعُ منه الرحمةُ، وتنقطعُ فيه كلُّ وشائجِ الرحامةِ والقرابةِ والصحبةِ، ولا يبقى مَنْ يحِنُّ على أخيهِ أو ولدِهِ أو أبيهِ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٠ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤١ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿هَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٥٦ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾

إنه يومُ قطيعةٍ ويومُ جفاءٍ، ويومُ نُكْرَانٍ، ويومُ عداءٍ وخصامٍ، ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ ذلك اليومُ يُنسى فيه المعروفُ، ويُنكرُ فيه الجميلُ بين الخِلَّانِ، وتنقطعُ علائقُ الصحبةِ والقربى والنسبِ، ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ﴾

ما مصيرُ مَن حَضَرَ يومَه ذلك، وَدَعَوْهُ إلى ذلك السفرِ وقد انقضى عمرُهُ، وانتهتْ مُدَّةُ حياتِهِ وهو مُفْلِسٌ؟ ما موقفُ من حضرَ ذلك اليومَ وهو فقيرٌ، لا يملكُ مِنَ الطاعةِ لا كثيراً ولا قليلا؟

عبد الله:

أتدري ما معنى الإفلاسِ في اليومِ الآخرِ؟ معناهُ أن تأتيَ وصحائفُك بيضاءُ مِنَ الخيرِ، وأنت فقيرٌ لا تملكُ من الحسناتِ ما تدفعُ بهِ عن نفسِكَ العذابَ، وظهرِكَ مثقلٌ بالخطايا والذنوبِ، وأنتَ غارقٌ في الدَّينِ للناسِ، لا أعني دَيْنَ الفلوسِ والمالِ فقط، بل دَينَ الأعراضِ والحقوقِ، كلٌّ يتقاضى حقَّهُ مِنكَ، ويطالبُ بالاقتصاصِ والتناصفِ، من الهتكِ للأعراضِ في الدنيا، فالظلمُ والغيبةُ والنميمةُ والأذيةُ للناسِ لم تذهبْ سدىً، بل جاءَ وقتُ القضاءِ وأداءِ الدينِ ، وظَهَرَ الغرماءُ، وقد جاءوا يتقاضون دَيْنَهم أمامَ العدالةِ العظمى، جاءوا ليطالبوا بحقوقِهم، فبماذا تُوفِّيهم حقَّهم وليس بيدِك شيءٌ.

تصور ما حالُ مَنْ كان مِنْ أولئكَ المفلسينَ! ماذا لو كنتَ واحدًا منهم – والعياذ بالله– بِمَنْ ستلجأُ، وبِمَن سوفَ تستنجدُ؟

مَنْ لك في تلكَ الشدةِ، وبِمَنْ تلوذُ وإلى مَنْ تلجأُ؟

كلٌّ مشغولٌ بنفسِهِ مُهْتَمٌّ بأمرِهِ، يبحثُ عن مخلصٍ لَهُ، قد نَسِيَ كلَّ ما حواليه، ويهربُ ممن يليه ﴿يوم يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ۝٣٤ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ۝٣٥ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ۝٣٦ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾

أينما ذهبَ رجعَ بالخيبةِ، ومَنْ سألَهُ أدارَ إليه ظهرَهُ، ولم يلتفتْ إليه، ولم يسمعْ لقولِهِ، حتى أقربَ الناسِ إليه، وخاصة الخاصة لديه من أقربائِهِ وممن يليه، كلهم يهربُ منه، ويتنكرُ له وكأنه لا يعرفُهُ.

أبناؤه وأحبابُهُ الذين كان يتعبُ ليستريحوا، ويسهرُ لينالموا ويكدُّ ليشبعَ جوعَهم، ويجوعُ ليشبعوا، أولئك الذين عادى الناسَ لأجلِهم، وتغربَ لسدِّ حاجتِهم، كلُّهم اليومَ يتبرأُ منه، ولا أحدَ منهم يجيبُ دعائِهِ، ولا يسدُّ فقرَهُ وحاجتَه في ذلك اليومِ.

كما يُروى بأن الأمَّ تنادي ولدَها: أيْ بنيَّ، فيقول: ماذا تريدين يا أماه؟

فتقولُ: أي بنيَّ، ألم يكنْ بطني لك وعاءً، فيقولُ: بلى، فتقولُ: ألم يكن حِجْرِي لك وعاءً، فيقولُ: بلى.

هي هنا تحاولُ أنْ تستعطفَهُ وتذكرَهُ بإحسانِها، وما عانتْهُ من أجلِهِ، وتذكِّرُهُ بكلِّ حسنةٍ ومعروفٍ قَدَّمَتْهُ لهُ لَعَلَّهُ أن يلينَ لها فيهبَها ولو حسنةً.

فتمضي في استعطافِهِ قائلةً: أيْ بنيَّ، ألم يكن ثديي لكَ سقا؟ فيقولُ: بلى، فتقولُ: ألم أكنْ أسهرُ لأجلِ أن تنامَ، وأجوعَ لتشبعَ، وغير ذلك من الخدماتِ التي قدمتها الأمُّ لوليدِها.

فيقولُ أخيرًا: بلى، ما تريدينَ، لا وقتَ للتطويلِ، اخْتَصِرِي أوْجِزِي فالمقامُ لا يحتملُ الإطنابَ. فتقولُ: أريدُ حسنةً واحدةً، أو تحملُ عني سيئةً، فيقولُ: إليكِ عني، أنا مشغولٌ بنفسي، كلٌّ مشغول بنفسه.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾.

هذا الموقفُ بينَ أقربِ الناسِ في الدنيا، بين الابنِ البارِّ والأمِّ الحنونة التي قدمتْ حياتَها ثمنًا لولدِها، والتي لو وجدتِ ابنَها في الدنيا بينَ النارِ لقَذَفَتْ بنفسِها بينَ لهيبِها من أجلِ أن تنقذَهُ. هذا في الدنيا، وأما اليومَ فقد انْتُزِعَتِ الرحمةُ وانقطعتِ الرحامةُ ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ﴾

ولو وجدتِ المرأةُ طفلَها في ذلكَ اليومِ لألقتْ بهِ مِنْ هولِ ما ترى ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾

العاصي المقصرُ في ذلكَ اليومِ والمفلسُ مِنْ كلِّ خيرٍ لا ينتظرُ معونةً أو مددًا مِن أحدٍ، لا يوجدُ مَن تلوذُ بهِ من قريبٍ أو بعيدٍ، ولا ملكٍ مقربٍ، ولا نبيٍّ مرسلٍ.

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ حتى لو أرادَ أحدٌ أن ينفعَ أحداً فلن يقدرَ، لن يتمكنَ في ذلك اليومِ إلا بإذنِ اللهِ، إنه يومُ

غضبٍ وسخطٍ، يومُ شدةٍ وبطشٍ، يوماً عبوساً قمطريراً.

يـومُ القيامـةِ لـو عرفـتَ بهولِـهِ لفـررتَ مـن أهـلٍ ومـن أوطـانِ
يـومٌ تشـقَّقتِ السـماءُ لهولِـهِ وتشـيبُ منـهُ مَفَـارقُ الولـدانِ

بطلتْ فيه الوساطاتُ والشفاعاتُ، فلا رشاوي ولا تجاوزاتٍ ولا مجاملاتٍ.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّه نَفْسَهُ وَاللَّه رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ﴾

فالناسُ في ذلك اليومِ أبعدَ ما يفكرونَ بأن يلتفتوا إلى فقيرٍ يستغيثُ أو معسرٍ يطلبُ العونَ، الكلُّ يبحثُ عن الخلاصِ، والفقيرُ في ذلك اليومِ منبوذٌ مكروهٌ، مغضوبٌ عليه.

الإنسانُ العاقلُ ليس بحاجةٍ إلى أن ينتظرَ ذلك اليومِ لكي يستجدي رحماتِ الناسِ، أو يتذللَ إلى الخلقِ، يجبُ أن يبحثَ الآنَ عن الزادِ الذي يجعلُهُ رافعًا لرأسِهِ كريمًا عزيزًا، لا يُذِّلُ نفسَه، أو يدوسَ كرامتَهُ، وليسعَ لما يصلحُ أمرَ آخرتِهِ، وما يزيدُ في كسبِهِ، ويبارك في حسناتِهِ، ولئلا يُهانَ بينَ الخلائقِ، فالمرءُ في الدنيا يتعبُ لئلا يحتاجَ الناسَ، يصبرُ على الغربةِ وعلى الشدةِ، ويبحثُ عن الريالِ ليكنزَهُ ليومِ الحاجةِ، لكي لا تُذِّلَهُ الرجالُ، ولا يَمُدُّ يدَهُ للآخرين.

يحافظُ على كرامتِهِ، ويرفضُ أن يُذلَّ أو يُهانَ.

فلماذا لا يتعبُ الإنسانُ مِن أجلِ أن يتزودَ ليومِ السفرِ الطويلِ؟

وفي ذلك اليومِ المشهودِ والذي سيقفُ فيه الإنسانُ أمامَ الأولينَ والآخرينَ، ما موقفُهُ إن كان من المفلسينَ غدًا؟ ما حالُ الفقيرِ الذي لا يملكُ الزادَ، ولم يتأهب بالعملِ ليومِ المعادِ؟

أليس يغامرُ الآنَ، ويفادي بحياتِهِ لئلا يسخرَ منهُ إخوانُهُ؟ فلماذا يرضىٰ في اليومِ الآخرِ أن يصبحَ أضحوكةً بين الأممِ أمامَ الأنبياءِ والرسلِ؟

لماذا لا يخجلُ أن يصيرَ مسخرةً بين الناسِ، وكلٌّ يسخرُ بهِ ويستهزئُ منه؟

يُذَلُّ ويُهانُ أمامَ أهلِهِ وأصحابِهِ، بل وأمامَ الخلقِ أجمعينَ. ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾، بل وأعظمُ من ذلك أن يفتضحَ ويُهتَكَ سترُهُ أمامَ أعدائِهِ في الدنيا، وخصمائِهِ الذين كان يكرهُهُم ويتمنىٰ لهمُ الهلاكَ.

فهاهم اليومَ يشاهدونَ مصرعَهُ، ويحضرون وينظرون إلىٰ هَتْكِ سِترِهِ، وأعظمُ من كلِّ ذلك أن يجمعَ اللهُ بينَه وبينَ أعدائِهِ وأبغضِ الناسِ إليه في الدنيا في سجنٍ واحدٍ ومقرٍّ واحدٍ، أولئك الذين كنتَ لا تُطِيقُ رؤيةَ الواحدِ منهم، ولا تحتملُ النظرَ إلىٰ وجهِهِ، ولا تطيقُ سماعَ صوتِهِ، فإذا به اليومَ قرينُكَ وأنيسُكَ وجليسُك في النارِ، ورفيقُك إلىٰ أبدِ الأبدِ وسرمدِ السرمدِ، من يا تُرىٰ يطيقُ ذلك العذابِ فوقَ العذابِ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾

ومِنَ الحسرةِ أن يرىٰ المرءُ زوجتَهُ الصالحةَ وقد زُفَّتْ إلىٰ الجنةِ مع أبنائِهِ وإخوانِهِ وقد مُنِعَ وحُبِسَ عنها، وقد أبدَلَها اللهُ زوجًا خيرًا منه، وحسرةٌ أيضًا أن ترىٰ مَنْ كنتَ تسخرُ منهم وتستهزئُ بهم، وتحتقرُ مجالسَهم، وتتكبرُ وتأنفُ أن تجالسَهم أو تكلمَهم وقد أقبلوا بأعمالٍ كالجبالِ وفازوا بالأجورِ والثوابِ وأنت من أفقر الناسِ وأحقرِهم وأقلِّهم شأنا عندَ اللهِ، وأهونِهم عليهِ، تداسُ يومئذٍ تحت أقدامِهم، قد أدخَلَهم اللهُ الجنةَ، وأدخَلَكَ النارَ وأنت تنادي مع المنادين: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ ۝١٠٦ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ۝١٠٧ قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝١٠٨ ثم يذكرُك اللهُ بما لك في

الدنيا مع أولئك المؤمنين الذين كنت تسخرُ منهم وتتكبرُ عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾

باركَ الله لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعَني وإياكم بما فيهِ من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، إنه تعالى جوادٌ ملكٌ برٌّ رؤوفٌ رحيمٌ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

السفر الطويل

الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي قَصَمَ بالموتِ رقابَ الجبابرةِ، وكسرَ بهِ ظهورَ الأكاسرةِ، وقصرَ بهِ آمالَ القياصرةِ، الذين لم تزلْ قلوبُهم عن ذكرِ الموتِ نافرةٌ حتى جاءهم الوعدُ الحقُّ فأرْدَاهم في الحافرةِ، فنُقِلوا من القصورِ إلى القبورِ، ومن ضياءِ المهودِ إلى ظلمةِ اللحودِ، ومن مُلاعبةِ الجواري والغلمانِ إلى مقاساةِ الهوامِ والديدانِ، ومن التَّنَعُّمِ بالطعامِ والشرابِ إلى التَّمَرُّغِ في الترابِ، ومن أُنْسِ العِشْرَةِ إلى وَحْشَةِ الوحدةِ، ومن المضجعِ الوثيرِ إلى المصرعِ الوبيلِ، فانظرْ هل وجدوا من الموتِ حصناً وعزًّا واتخذوا من دونه حجاباً وحِرْزًا، ثم انظرْ هل تحسُّ منهم من أحدٍ أو تسمعُ لهم رِكْزًا.

وأشهدُ ألَّا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهَهُ، انفردَ بالقهرِ والاستيلاءِ، واستأثرَ باستحقاقِ البقاءِ، وأذلَّ أصنافَ الخلقِ بما كتبَ عليهم من الفناءِ، ثم جعلَ الموتَ مَخْلصًا للأتقياءِ، ومَوْعِدًا في حقِّهم للِّقاءِ، وجعلَ القبرَ سِجنًا للأشقياءِ وحبسًا ضيِّقًا عليهم إلى يومِ الفصلِ والقضاءِ، فَلَهُ الإنعامُ بالنعمِ المتظاهرةِ، ولهُ الانتقامُ بالنقمِ القاهرةِ، ولهُ الشكرُ في السمواتِ والأرضِ، ولهُ الحمدُ في الأولى والآخرة.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ الطاهرين.

أما بعد عباد الله:

إنَّ ما سبق ذِكْرُهُ، وما سمعناهُ في الخطبةِ الأولى ليسَ مجردَ قصصٍ وأساطيرَ، ليس تهويلًا ولا هُرَاءً ولا نافلةً من القولِ، إنه الواقعُ والحقُّ المرُّ الذي لا سبيلَ إلى إنكارِهِ، وسوفَ نلقى ذلك، وسوفَ نشاهدُهُ، ونتذكرُ حينَ لا ينفعُ الذين ظلموا

مَعْذِرَتُهم ولا هم يُسْتَعْتَبُونَ، ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾

فاليومُ الآخرُ أكبرُ مما ذكرنا، وأعظمُ شأنًا مما نتصورُ، وسوفَ نواجِهُهُ لا محالةَ، ولكنْ لا ينبغي أن ننتظرَ تلك الحسرةَ وأن نتهاونَ بالأمرِ حتى يقعَ الفأسُ بالرأس، ويقعُ ما لا يُحْمَدُ عُقْبَاهُ.

نحنُ لا نخطبُ الجمعةَ من أجلِ أنْ نُصَلِّيَ فقط، لا يقتصر علمُنا على أن هذهِ الموعظةَ ليستْ إلا لأجلِ الصلاةِ، يجبُ أن نَعِيَ بأننا مهددون، واللهُ يَعِظُنا لِينبهَنا، لنعملَ لا لنخشعَ قليلًا ونبكيَ ثم ينتهي الأمرُ ونعودُ إلى ما كُنَّا عليهِ.

واللهَ تعالى يقولُ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بل ويأمُرُنا بإعدادِ الوقايةِ لذلكَ اليومِ كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

ويقولُ الرسولُ ﷺ: ((حَاسِبُوا أنفسَكم قبلَ أنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوها قبلَ أنْ تُوزَنُوا)).

إنَّ على الإنسانِ أن يحسِبَ خراجَهُ في كلِّ سلعةٍ قبلَ أن يشترِيَها، ويعرفَ ربحَهُ مِن خسارتِهِ، فالمرءُ عليهِ أنْ يراجعَ حساباتِهِ، وينظرَ ما قَدَّمَ لآخرتِهِ، وما عليهِ مِن المظالمِ للخلقِ، وهلْ ما قَدَّمَهُ يكفي لأنْ يُوفِّيَ غُرماءَهُ، ويرجِّحَ كَفَّةَ ميزانِهِ؟ أم أنَّ عليه أنْ يزيدَ ويستكثرَ من الخيرِ.

عباد الله:

هناك رجالٌ أكياسٌ كما وصَفَهُم النبيُّ ﷺ بقولِهِ: ((الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنِ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ)).

الأكياسُ الذين سَخَّرُوا حياتَهم من أجلِ تحصيلِ الزادِ، وتوفيرِ أرصدةٍ مِن الأجرِ في بنكِ الرحمنِ، لقد أصبحوا تجارًا وأصحابَ مراتبَ عليا، بينما نَجِدُ أننا ما زلنا في الحضيضِ، لا نملكُ إلا الشيءَ اليسيرَ من الثوابِ.

إنَّ تهاونَ الإنسانِ وغفلتَهُ يمكنُ أن يكونَ سببًا في هلاكِهُ، إن الإنسانَ المقصر لا يمكنُهُ بأيِّ وسيلةٍ أنْ ينقذ نفسَه أو يتداركَ خسارتَهُ في ذلك اليوم.

فإذا كنا في الدنيا نخسرُ مرَّةً ونعوضُها ببيعةٍ أخرى، ونسددُ الدينَ مِن سِلْعةٍ ثانيةٍ- فإنَّ الخسارةَ في الأخرى تعني الإفلاسَ الذي لا سَدادَ لَهُ، ولا تعويضَ لخسارتِهِ، وليسَ لصاحبِهِ إلا النارُ، ولن يجدَ الإنسانُ أيَّ وسيلةٍ، لا تعاونٍ ولا مسامحةٍ ولا تَعَاطُفٍ ولا وسائطَ.

﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾.

أمامُنا اليومَ فرصةٌ لأنْ نُصَفِّيَ حساباتِنا، ونُسددَ ما علينا من ديونٍ وحقوقٍ للناس، ولدينا ما نُوَفِّي بِهِ ونَردُّهُ، ونتخلصُ بِهِ، في أيدينا الأموالُ نستطيعُ أن نُسددَ بها ما علينا، ولدينا ما لَهُ ثمنٌ وقيمةٌ يمكنُ أنْ نُعطيَها عوضًا عَمَّا علينا، وأما في اليومُ الآخرُ فلا ينفعُ فيه مالٌ ولا بنون، ولا يجزي ذهبٌ ولا فضةٌ، وكلُّ عملةٍ أو سلعةٍ لا يقبلها الغريمُ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

يمكنُك اليومَ أنْ تتخلصَ مِن أرحامِك ومِن قرابَتِك، يمكنُك أنْ تتسامحَ ممن آذيْتَهُم، وممن اغتَبْتَهم وهَتَكْتَ أعراضَهم، اليومَ تستطيعُ أنْ تعتذرَ وتطلبَ العفوَ والصفحَ ممن ظلمتَهم، وتردَّ مَا أخذْتَ من حقوقِهم، وكلُّ إنسانٍ جاءَه أخوه يستعفيهِ، ويطلبُ مسامحتَهُ والعفوَ عنه فلنْ يَردَّهُ، بل وسوف يفرحُ بذلك.

وقد رُوِيَ عنِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنهُ قالَ: ((مَنِ لم يقبل العذر من محق أو مبطل لا ورد عليَّ الحوضَ)) رواه أبو طالب. وعن الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: لو شتمني رجل في أذني اليمنى واعتذر في اليسرى لقبلت عذره. وعلى العمومِ فالناسُ اليومَ لهم اتساعٌ لبعضِهم البعضِ، وهم على استعدادٍ للتنازلِ عن حقوقِهم والعفوِ عمن

أساءَ إليهم إذا جاءَهم مُعتذراً طالباً العفوَ والمسامحةَ، بل إنهم سيُقَدِّرون له موقفَه ويثنونَ عليهِ بفعلِه ذلك.

وأما هناك فلا، لن يتنازلَ أحدٌ عن وزنِ ذرةٍ من حقوقِهِ، مهما كان الغريمُ، سواء أباه أو أخاه أو أمه أو أيَّ مخلوقٍ.

هناك يحسُّ الإنسانُ بقيمةِ الثوابِ والأجرِ، ويحسِبُ للحسنةِ الواحدةِ ألفَ حسابٍ، قد بانَ عِزُّ الحسنةِ وظهرت قيمتُها، ولا يمكنُ أن يتنازلَ أحدٌ عنها.

سوف يعضُّ كلُّ مقصرٍ يدَهُ ندمًا على ما فاتَهُ من الخيرِ والثوابِ العظيمِ، سيتذكرُ الإنسان ما سعى، سيتذكرُ ما قدَّمَ وما أَخَّرَ، وسوف يتحسرُ على الفرصِ التي فاتتْ عليه وكلَّ حسنةٍ فَرَّطَ فيها.

تلك الحسناتُ التي نسمعُ بها اليومَ ولا نُلقي لها بالًا عندما نسمعُ بأن أجر الاستغفارَ بكذا وكذا، وأن مَن قال: «سبحان الله» كان لَهُ كذا وكذا، ومَن قرأَ سورةً من القرآن كان له كذا وكذا.

سيتذكرُ المفلسُ والفقيرُ قيمةَ الصلاةِ في جماعةٍ وفضلَها، وأنها تعدل ثواب سبعين صلاة فرادى.

سيتذكرُ المفلسُ قيمةَ الصلاةِ في وقتِها.

سيتذكرُ الذي يتثاقلُ عن أداء ركعتينِ قيمتَها في الميزانِ يومَ القيامةِ.

مرَّ الإمام علي عليه السلام حين رجع من صفين على القبورِ بظاهرِ الكوفةِ فقال: ((يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوحِشَةِ، وَالْمَحَالِّ الْمُقْفِرَةِ، وَالْقُبُورِ الْمُظْلِمَةِ، يَا أَهْلَ التُّرْبَةِ، يَا أَهْلَ الْغُرْبَةِ، يَا أَهْلَ الْوَحْدَةِ، يَا أَهْلَ الْوَحْشَةِ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ سَابِقٌ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ لَاحِقٌ، أَمَّا الدُّورُ فَقَدْ سُكِنَتْ، وَأَمَّا الأَزْوَاجُ فَقَدْ نُكِحَتْ، وَأَمَّا الأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِمَتْ. هذَا خَبَرُ مَا عِنْدَنَا، فَمَا خَبَرُ مَا عِنْدَكُمْ؟

ثم التفتَ إلى أَصحابِهِ فقالَ: أَمَا لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ لأَخْبَرُوكُمْ أَنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى).

لقد ظهرتْ لهم حقائقُ الأشياءِ وقيمةُ العباداتِ، لم تعدِ الدنيا تساوي عندَهم كثيرًا ولا قليلًا، ولو كانوا يملكونَ الدنيا بِأَسْرِهَا لَبَاعوها بأجرِ ركعتينِ، بل وبأقلَّ من ذلك.

ولو أنَّ اللهَ أذِنَ لأهلِ القبورِ في العودةِ للدنيا ليومٍ واحدٍ تُرى ماذا سيفعلُ هذا الميتُ؟ وإلى أين سيتجهُ؟

هل يذهبُ لزيارةِ أهلِهِ؟ أم ليتفقدَ أموالَهُ وأملاكَهُ؟ أم يسمر مع رفقائِهِ وأحبابِهِ؟

لا هذا ولا ذاك، بل يذهبُ إلى أقربِ مسجدٍ ليصلِّي ولو ركعتينِ، لقد كُشفَ الغطاءُ، وظهرتِ الحقائقُ لمن كان أعمى ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ وينادي ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ لم يعدْ يهمُّهُ مالٌ ولا أهلٌ ولا شيءٌ، أصبح يفكرُ في إنقاذِ نفسِهِ، ولو كان ذلك على حسابِ هلاكِ أهلِ الأرضِ كلِّهم جميعًا لفَعَلَ، ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾.

وقال النَّبيُّ ﷺ: ((ما مِنْ يومٍ إلا وينادي منادٍ: يا أهلَ القبورِ، مَنْ تغبطون اليومَ؟ قالوا: نغبطُ أهلَ المساجدِ؛ لأنَّهم يصومونَ ولا نصومُ، ويصلُّونَ ولا نصلِّي، ويذكرون اللّهَ ولا نذكُرُه)).

عبد الله:

اعلم بأنك في حاجةٍ لصاحبِ صدقٍ يكونُ معك عندَ كلِّ مُلِمَّةٍ ومهمةٍ مخلصًا ومعينًا، والمعلومُ أنَّ كلَّ صاحبٍ في الدنيا أعظمُ ما يقدرُ أن يقدمه لك أنْ يوصِلَكَ إلى حفرتِك، وأما الذي يقدرُ على البقاء معك إلى النهايةِ فإنه صاحبٌ مِن نوعٍ خاصٍّ، وذلك هو العملُ الصالحُ، هو الصديقُ الصادقُ الذي يستحقُّ أن تتعبَ لأجلِ اقتنائِهِ والحصولِ عليه مهما كلَّفَ مِن ثمنٍ، وكلُّ شيءٍ في جنبِهِ

رخيصٌ، قال ﷺ: ((لا يا قيسُ، إن مع العزِّ ذُلاً، وإن مع الحياةِ موتاً، وإن مع الدنيا آخرةً وإن لكلِّ شيءٍ حسيباً، وعلى كلِّ شيءٍ رقيباً، وإن لكلِّ حسنةٍ ثواباً، وإن لكلِّ سيئةٍ عقاباً، وإن لكلِّ أجلٍ كتابٍ، إنه لا بُدَّ لك -يا قيس- مِن قرينٍ يدفنُ معكَ وهو حيٌّ، وتدفنُ مَعَهُ وأنت ميتٌ، فإن كان كريماً أكرمَك، وإن لئيماً أسلمَك، ثم لا يحشرُ إلا معك، ولا تبعثُ إلا معهُ، ولا تسألُ إلا عنه، فلا تجعلهُ إلا صالحاً، فإن كان صالحاً لم تأمن إلا به، وإن كان فاحشاً لم تستوحش إلا منه، وهو فعلُكَ)).

جديرٌ بنا أنْ نُصفيَ حساباتِنا ونحاسب أنفسنا ما دُمْنَا في مهلةٍ من أعمارِنا، وأن نتخلصَ عما علينا من المظالمِ، ونتوبَ إلى اللهِ من تبعاتِ أعمالِنا، لعلَّ اللهَ أن يرحمَنا، ويتجاوزَ عنا، إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

عباد الله:

إنكم في يومٍ عظيمٍ ويومِ عيدٍ كريمٍ شرَّفَهُ اللهَ وكرَّمَهُ على سائرِ الليالي والأيامِ. فأكثِرُوا فيهِ مِن الصلاةِ والسلامِ على نبيِّكم خيرِ الأنامِ امتثالاً لأمرِ اللهِ القائلِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

اللهمَّ فصلِّ وسلِّم وبارِكْ وترَّحم على عبدِك ونبيِّك وخِيرَتِك من خلقِك أبي الطيبِ والطاهرِ والقاسمِ، محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ، وصلِّ اللهمَّ

وسلِّم على أخيهِ وابنِ عمِّهِ وبابِ مدينةِ علمهِ، أشجعِ طاعنٍ وضاربٍ، عليِّ بنِ أبي طالب، وعلى زوجتِهِ الحوراءِ خامسةِ أهلِ الكساءِ فاطمةَ البتولِ الزهراءِ.

وصلِّ اللهمَّ وسلِّم على ولدَيْهما الإمامينِ الأعظمينِ: أبي محمدٍ الحسنِ وأبي عبدِ الله الحسينِ، وصلِّ اللهمَّ وسلِّم على الوليِّ بنِ الوليِّ الإمامِ زيدِ بنِ علي.

وصلِّ اللهمَّ وسلِّم على الإمامِ الهادي إلى الحقِّ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ بنِ إبراهيم.

وصلِّ اللهمَّ وسلِّم على سائرِ أهلِ بيتِ نبيئك المطهرينَ دعاةً منهم ومقتصدينَ، وارضَ اللهمَّ عن الصحابةِ الأخيارِ من المهاجرينَ والأنصارِ، وعنَّا معهم بفضلِك ومنِّك يا كريمُ.

اللهم انصرِ الإسلامَ والمسلمينَ، واخذلْ أعداءك أعداءَ الدينِ واليهودَ والنصارى أجمعينَ.

اللهمَّ أهلِكِ الكفرةَ والملحدينَ والمفرقينَ بين المسلمينَ، والصادِّينَ عن ذكْرِك، والمخربين لدينِك والمتقطعين في سبيلك، والمعادِين لأوليائِك أينما كان كائِنُهم.

اللهمَّ فَرِّقْ جمعَهم، وشَتِّتْ شملَهم، واقطعْ دابرَهم، وأهلِكْ أوَّلَهم وآخِرَهم، واكفْ المؤمنينَ شرَّهم وضرَّهم، واجعلُهم غنيمةً للمؤمنين يا ربَّ العالمين، وآخر دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

عباد الله:

﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، فاذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يذكُرْكم، واشكروه على نِعَمِهِ يزِدْكم،﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.

أهوال القيامة

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ القائمِ على كلِّ نفسٍ بما كسبتْ، الرقيبِ على كلِّ جارحةٍ بما اجترحتْ، المطلعِ على ضمائرِ القلوبِ إذا هجستْ، الحسيبِ على خواطرِ عبادِهِ إذا اختلجتْ، الذي لا يعزبُ عن علمِهِ مثقالُ ذرةٍ في السمواتِ والأرضِ تحركتْ أو سكنتْ، المحاسبِ على النقيرِ والقطميرِ والقليلِ والكثيرِ من الأعمالِ وإن خفيتْ، ثم يحاسبُهم لِتعلمَ كلُّ نفسٍ ما أحضرتْ، وتنظرَ فيما قدمتْ وأخرتْ، فسبحانَ من عَمَّتْ نعمَتُهُ كافةَ العبادِ، واستغرقتْ رحمتُهُ الخلائقَ في الدنيا والآخرةِ.

وأشهدُ ألَّا إلهَ إلا اللهُ الواحدُ الأحدُ العدلُ الحكيمُ.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ النبيُّ الكريمُ صلى الله عليه وعلى آلهِ الطاهرينَ من يومِنا هذا إلى يومِ الدينِ.

أما بعد عباد الله:

إنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالى لم يخلقِ الدنيا للبقاءِ، ولم يجعلها مقرًّا للراحةِ والهناءِ، إنما هي دارُ ممرٍّ وجسرٍ نتخطى على عتباتِهِ نحوَ دارِ المستقرِّ.

إننا في سفرٍ طويلٍ، ورحلةٍ بعيدةٍ، وسفرٍ بلا عودةٍ، وذهابٍ بلا أوبةٍ.

فيا تُرى ماذا أعددنا لهذا السفرِ من زادٍ؟ وهل تأهبنا ليومِ المعادِ الذي مقدارُهُ خمسينَ ألفَ سنةٍ، يقفُ فيهِ العاصي حافيَ القدمينَ، جائعَ البطنِ، ذابلَ الشفتينِ من شدةِ العطشِ في هولٍ وشدةٍ يسألُ فيها كلَّ إنسانٍ عن الصغيرةِ والكبيرةِ والنقيرِ والقطميرِ.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾

وقالَ في آيةٍ أخرى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾

حتى إن قائلَهم ليقولُ مِن شدةِ الحسابِ والفضائحِ: ربِّ خلِّصْنا ولو إلى النارِ، فتلك هي حالَتُهم ولم يلقوا حسابًا ولا عقابًا، وما بعدَ ذلك أشدُّ بأسًا وأشدُّ تنكيلًا.

رُوِيَ عن الحسنِ البصري أنه قالَ: ما ظَنُّكَ بقومٍ أقاموا على أقدامِهم خمسينَ ألفَ سنةٍ لم يأكلوا فيها أكلةً ولم يشربوا فيها شربةً حتى انقطعتْ أعناقُهم عطشًا، واحترقتْ أجوافُهم جوعًا، ثم يؤمرُ بهم إلى النارِ.

عباد الله:

فمن يا تُرى يَقْوَى على احتمالِ أهوالِ الآخرةِ وأصواتِ النكالِ والوبالِ.

إنه يومُ غضبٍ لا رحمةَ فيهِ، يومُ شدةٍ وصفَهُ اللهُ سبحانه بأنه يومٌ عبوسٌ قمطريرٌ يومٌ كان شرُّهُ مستطيرٌ.

ما بالُك بأهوالِ أشعلتْ مفارِقَ الولدانِ شيباً، وأسقطتْ الحواملَ ما في بطونِها، وسكرَ منه الصاحي بغيرِ شرابٍ.

إنه يومُ شدةٍ وكربٍ أمَرَنا اللهُ تعالى باتقائِهِ، ووصفهُ بأنه شيءٌ عظيمٌ ولا يعظمُ اللهُ إلا عظيمًا، فقالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

بل ما بالُك بيومٍ هَوَتْ وانشقتْ من هَوْلِهِ السماواتُ الثقالُ وانشقتْ، وطُحِنَتْ مِن شدتِهِ الجبالُ حتى صارتْ هباءً منبثًا، وتطايرتْ كالصوفِ المنفوشِ، ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾، فلا يبقى عليها شجرٌ ولا حجرٌ، وتُقْتَلَعُ الجبالُ مِن أصولِها، وتَنْشَقُّ الأرضُ إلى أعماقِها، وتغورُ

فيها البحارُ والعيونُ والأنهارُ، وينقلبُ ظاهرُها باطنَها وباطنُها ظاهرَها.

تأملْ أيَّ شدةٍ وأيَّ قوة جبارةٍ دكدكت الجبالَ الشامخةَ وشقَّتِ السماءَ فهي يومئذٍ واهيةٌ، وانصهرت فصارت وردةً كالدهان.

أيها الإخوةُ المؤمنونَ

إننا عندما نتذكَّرُ أهوالَ الحروبِ في الدنيا، وضربَ الطائراتِ والمدافعِ والدباباتِ والصواريخِ والقنابلِ الذريةِ والنوويةِ، ودويَّ تلكَ الانفجاراتِ، والآثارَ التي تخلفُها تلك القنابلِ التي تزنُ عشراتِ الأطنانِ.

ما الذي سنجده، ما النتيجةُ؟ ما الأثرُ الذي خلَّفَتْهُ تلك الانفجاراتُ؟ ما مقدارُ الدمارِ الحادث في الأرضِ؟

هل دُكَّتِ الجبالُ؟ هل نَضَبَتِ البحارُ؟ وهل انشقتِ السماءُ؟ هل تناثرتِ النجومُ وتساقطتْ، هل شابَ الطفلُ الوليدُ؟ لا لم يقعْ شيءٌ من ذلك.

النتيجةُ مجردُ آثارٍ بسيطةٍ خلَّفَتْها تلكَ الانفجاراتُ على سطحِ الأرضِ، ولكنَّها أرعبتِ الناسَ، وشرَّدَتْهم في البلدانِ وملأتِ القلوبَ رعبًا وهلعًا.

ومنهم من فُجِعَ فماتَ، ومنهم من صُعِقَ فَشُلَّتْ أطرافُهُ، ومنهم من جُنَّ وذَهَبَ عقلُهُ، ومنهم الفاقدُ لسمعِهِ والذاهبُ بصرِهِ، ومنهم مَنْ فَقَدَ ذاكرَتَهُ.

كلُّ هذا مما يشاهدونَ من أهوالِ هذه الحروبِ، ويسمعونَهُ من دويِّ الانفجاراتِ وأصواتِ الطائراتِ، وضربِ الصواريخِ التي هي من صُنعِ البشرِ ليس إلا.

فانظر -عبد الله- إلى أهوالِ اليومِ الآخرِ، وآثارِ يومِ القيامةِ، يومُ الطامةِ، يومُ الصاخة، يومُ القارعة، وما تُخَلِّفُهُ مِن أضرارٍ، وقارنْ بين حجمِ الدمارِ الآنَ وحجمِ الدمارِ في ذلك اليومِ، فإذا كانت القذيفةُ الواحدةُ التي تَزِنُ ما يقاربُ طنًّا واحدًا تهزُّ مدينةً بأكملِها وتُفْزِعُ الآلافَ.

فما هو الحالُ عندما يُقتلعُ أعظمُ جبلٍ في مشرقِ الأرضِ ويطيرُ في السماءِ، ويُقتلعُ أعظمُ جبلٍ في مغربِ الأرضِ ثم يطيرُ بسرعة هائلة، فيصطدمانِ في الهواءِ ويرتطمان

بقوةٍ جبارةٍ فيصيران كالصوفِ، وتتحولُ تلك الصخورُ العظيمةُ إلى رمادٍ إلى هباءٍ، وذلك قول الله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً ۝١٠٦ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً﴾ وقال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾.

تفكَّرْ وتخيَّلْ أيَّ صوتٍ سيحدِثُهُ ذلك الاصطدامُ، وأيُّ دويٍّ سيُخَلِّفُهُ ذلك الانفجارُ؟

ومن يَقْوَى على سماعِ ذلك الانفجار الذي يخلفُهُ تصادمُ النجومِ، وتحطُّمِ الكواكبِ التي هي أكبرُ من الأرضِ ملايينَ المراتِ وانشقاقِ السماءِ؟

ونحنُ لا نحتملُ صوتَ رصاصةٍ بحجمِ رأسِ الإصبعِ، فما بالُك بكواكبَ مثلِ الأرضِ آلافَ المراتِ تنفجرُ في الهواءِ على مرأى ومسمعٍ من الناسِ وهم ينظرون؟

قد ذبلتْ شفاهُهم، وشحُبَتْ ألوانُهم، وتيَبَّسَتْ الأعضاءُ، وشخصتِ الأبصارُ.

مَثِّلْ لنفسِكَ أيها المغرورُ ... يومَ القيامةِ والسماءُ تمورُ
قد كُوِّرَتْ شمسُ النهارِ وأضعفتْ ... حرًّا على روسِ العبادِ تفورُ
وإذا الجبالُ تقلعتْ بأصولها ... فرأيتَها مثلَ السحابِ تسيرُ
وإذا النجومُ تناثرتْ وتساقطتْ ... وتبدلتْ بعدَ الضياءِ كدورُ
وإذا العشارُ تعطلتْ عن أهلِها ... خَلَتِ الديارُ فما بها معمورُ
وإذا الجنينُ بأمِّهِ متعلقٌ ... مِن خوفِ أهوالٍ قلبه مذعورُ
هذا بلا ذنبٍ يخافُ لهولِهِ ... كيف المصرُّ على الذنوبِ دهورُ

رُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنه قالَ: ((شيبتني هودٌ والواقعةُ)).

عباد الله:

إذا كان رسولُ اللهِ ﷺ يبكي من هولِ يومِ الحسابِ وقد أَمَّنَهُ الجبارُ مِن العذابِ ووعدَهُ حسنَ المآبِ، فكيف بأمثالِنا نحنُ المساكين؟ كيف بالمذنبِ

العاصي؟ كيف بحالي وأنا المقصِّرُ المفرطُ؟

كيف احتيالي إذا جاء الحسابُ غدًا ... وقد حشرتُ بأثقالي وأوزاري
وقد نظرتُ إلى صُحفي مسودةً ... من شؤمِ ذنبٍ قديمِ العهدِ أوطاري
فمن عصى في قرارِ النارِ مسكَنُهُ ... فلا مناصَ لهُ يومًا من النارِ
فابكوا كثيرًا فقد حقَّ البكاءُ لكم ... واستغفروه بدمعٍ وَاكِفٍ جاري

عباد الله:

تفكروا في هولِ يومِ الحسابِ، حين تذهلُ الألبابُ، وتفترقُ الأصحابُ، وتنقطعُ الأسبابُ، وأشفِقُوا على أنفسِكم من العذابِ، وتداركوا ما فاتَ من العمرِ، وارجعوا قبلَ فواتِ الأوانِ، فإن اليومَ عملًا ولا حسابًا، وغدًا حسابًا ولا عملًا.

عبد الله:

مَثِّلْ لنفسِكَ وقد ترادفتْ عليكَ الهمومُ والأحزانُ، وغشِيَتْكَ المصائبُ والكروبُ، وأحاطتْ بك الأهوالُ والخطوبُ، وظهرتْ لك القبائحُ والعيوبُ، وأثقلتْ ظهرَك الذنوبُ، وحالك:

يا شؤمَ نفسي غداةَ حشري ... إذا أحاطتْ بيَ الكروبُ
قد سَوَّدَتْ وجهي المعاصي ... واثقلتْ ظهري الذنوبُ
وأورَثَني ذكرُها سقاما ... فليس لي في الورى طبيبُ
وصوت يناديني باسمي ... فأين مفرِّي؟ وما أُجِيبُ؟

إذا خرجَ العبدَ العاصي من قبرِهِ سارَ وهو يحملُ عملَهُ السيئَ على ظهرِهِ وهو أسودُ ذو منظرٍ فضيعٍ ومشهدٍ مريعٍ، فلا يمرُّ على هولٍ من أهوالِ الآخرةِ، ولا يمرُّ على نارٍ أو عذابٍ ولا شيءٍ من همومِ القيامةِ إلا قالَ لَهُ عملُهُ: يا عدوَّ اللهِ، هذا كُلُّهُ لك، وأنت المرادُ به.

عباد الله:

إذا خرجَ أهلُ القبورِ مِن قبورِهم وحشروا إلى ربِّهم ساقَت الملائكةُ المجرمين إلى

أرضِ الحسابِ وميدانِ الحشرِ إلى أرضٍ جرداءَ مستويةِ الأرجاءِ في صعيدٍ واحدٍ، لا ترى فيه عِوجًا ولا أَمْتًا، يومئذٍ يسمعونَ الداعيَ لا عوجَ له ولا تسمعُ إلا همسًا.

قد كثرُ الزحامُ، فلا تسمع إلا همسَ الأقدامِ، والمجرمون حَيَارَى نادمونَ فيما فَرَّطُوا فيهِ، جَزِعِينَ مما هم قادمونَ عليه، باكونَ يومَ لا ينفعُ بكاءٌ ولا ندمٌ.

يقفُ المجرمون وكلُّ واحدٍ منهم ينظرُ إلى السماءِ لا يرتدُّ إليهِ طرفُهُ قد شخصتْ أبصارُهُم مُهْطِعينَ، مُقْنِعِي رؤوسِهم، لا يرتدُّ إليهم طرفُهم وأفئدتُهم هواءٌ.

لا يدري أحدٌ مَنِ الذي يقفُ بجانبِهِ، ولا يعلمُ هل الذي بجوارِهِ رجلٌ أم امرأةٌ؟ ولا يعرفُ الأخُ أخيه ولا يلتفتُ الوالدُ إلى ولدِهِ، ولا تسألُ الأمُّ عَنْ ولدِها.

كلُّ إنسانٍ قد شُغِلَ بنفسِهِ، وذهلَ عمن يليهِ وَأَنْسَتْهُ الأهوالُ أهلَهُ وذويهِ.

وكلُّ واحدٍ يفكرُ في ما قَدَّمَ ويتندمُ ساعةَ ولاتَ مَنْدَم، ناظرين إلى السماءِ منتظرينَ ما يتنزلُ من الأمرِ، وما يصدرُ من القضاءِ.

فيالَهُ من هولٍ ما أهْوَلَهُ ومِنْ بلاءٍ ما أطوَلَهُ.

يـوم القيامـةِ لـو عرفـتَ بهولِـهِ ... لفـررتَ مِـن أهـلٍ ومِـن أوطـانِ

يـوم تشـقَّقَتِ السـماءُ لهولِـهِ ... وتشـيبُ منـه مَفَـارِقُ الولـدان

عبدَ اللّهِ

تذكرْ يوم تكونُ السماءُ كالمهلِ، قيل: كالدهنِ الدقيقِ ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ تسيلُ كالفضةِ المذابةِ.

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

فإذا تكاملَ الخلقُ في المحشرِ، وضاقتْ بالمجرمين عَرَصَةُ القيامةِ وازدحموا وتضايقوا، واختلفت الأقدام، وشخصت الأحداق، وتطاولت الأعناق،

وانثنت من شدة العذاب، فاجتمعَ حرُّ الخوفِ في النفوسِ، والحرُّ على الرؤوسِ، وحرُّ الأنفاسِ مع ضيقِ الزحامِ، فتصببَ العرقُ من تحتِ كلِّ شعرةٍ.

ولا ظلَّ يومئذٍ إلا رحمةُ اللهِ للمقربينَ والمتقينَ، فكم بين مستظلٍّ بظلِّ الرحمةِ، وبين مُتقلبٍ بين لهيبِ الحر.

كلُّ هذه الشدائدِ والأهوالِ وهم منتظرونَ الأمرَ من الواحدِ القهارِ.

عبدَ اللهِ

تذكرْ بأنكَ ستكون واحدًا من أولئك الخلق وأنه لا محيص أن تقف في ذلك المقام وأن تحاسب على مثقالِ الذرة، وتصير في تلك الأهوال إذا لقيت ربك غير تائب من الذنوب، فكيف يكون مخرجك؟!

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً ۝١٧ السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً﴾.

إنه يومُ الجمعِ، ذلكَ يومُ التغابنِ، ذلك يومٌ مجموعٌ لَهُ الناسُ، وذلك يومٌ مشهودٌ.

إن المجرمين يقفونَ خمسينَ موقفاً لا يأكلونَ فيها أكلةً، ولا يشربونَ فيها شربةً، قد تقطعتْ أعناقُهم، وانْثَنَتْ رقابُهم من شدةِ الجوعِ والظمأ، ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

قالَ ابنُ عمرٍ: تلا رسولُ اللهِ ﷺ هذه الآيةِ ثم قالَ: ((كيفَ بكم إذا جمَعَكُم اللهُ كما تجمعُ النَّبْلُ في الكنانةِ خمسينَ ألفَ سنةٍ)).

اللهمَّ ارحمنا في يومِ الحسرةِ والندامةِ، وجنِّبْنا كُرَبَ أهوالِ القيامةِ.

اللهمَّ ارحمنا إذا جئناك مغبرةً من ثرى الأجداثِ رؤوسُنا، وشاحبةً من ترابِ الملاحيدِ وجوهُنا، وخاشعةً من أفزاعِ القيامةِ أبصارُنا، وذابلةً مِن شدةِ العطشِ شفاهُنا، وجائعةً لطولِ المقامِ بطونُنا، وموقرةً من ثقلِ الأوزارِ ظهورُنا، ومشغولينَ بما قد دهانا عن أهالينا وأولادِنا، فلا تضعّف المصائبَ علينا يا أرحم الراحمين.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيهِ من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، إنه تعالى جوادٌ ملكٌ بَرٌّ رؤوفٌ رحيمٌ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

أهوال القيامة

الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ سابغِ النعمِ، ودافعِ النقمِ، نورِ المستوحشينَ في الظلمِ، وناصرِ المستضعفين، الذي دانتْ لعظمتِهِ الجبالُ، وَرَضَخَتْ لهيبتِهِ السمواتُ والأرضُ.

ونشهدُ أنَّ لا إلهَ إلا اللهُ المنانُ العظيمُ الشأنِ، المعروفُ بالإحسانِ، والمحمودُ بكلِّ لسانٍ، الذي ليس لصفتِهِ حدٌّ محدودٌ، ولا نعتٌ موجودٌ، ولا أمدٌ معدودٌ، ولا وقتٌ محدودٌ.

ونشهدُ أنَّ سيدَنا وسندَنا وخاتمَ الرُّسُلِ مِن اللهِ إلينا، مولانا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ، الطاهرُ الأواهُ والحليمُ ذو الأناةِ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ وعلى عِتْرتِهِ الولاة سفنِ النجاةِ وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝٥ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝٦ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝٣٣ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

عباد الله:

إن ما سَمِعْنا مِن أفزاعِ القيامةِ وأهوالِها وما يلحقُ الناسَ من الكربِ فيها ليس إلا جزءًا يسيرًا من الكربِ، وشرارةً من لهبِ يومِ الخطبِ، وما وراء ذلك أعظمُ خطرًا، وأكبرُ بلاءً، وأشدُّ بأسًا وأشدُّ تنكيلًا.

إنها النارُ الكبرى، والمصيبةُ العظمى، وكلُّ مصيبةٍ دونَ النارِ تهونُ.

إنها الحطمةُ، وما أدراكَ ما الحطمةُ، نارُ اللهِ الموقدةُ التي تطلعُ على الأفئدةِ، إنها عليهم موصدةٌ في عمدٍ ممددةٍ.

فكلُّ ما تتصورُهُ العقولُ من العذابِ والنكالِ وشدةِ الوبالِ، ففي النارِ ما هو أعظمُ وأكبرُ.

إنها النارُ نورُها ظلمةٌ، وحرُّها شديدٌ، وقعرُها بعيدٌ، وشرابُها صديدٌ، وقيودُها حديدٌ، وعذابُها جديدٌ، ومقامِعُها حديدٌ، لا يفترُ عذابُها، بل يزيدُ ولا يخمدُ جمرُها، ولا يضيءُ لهبُها، ولا يموتُ ساكنُها، ولا يفوتُ هاربُها، ولا يخففُ عن أهلِها العذابُ، دارٌ لا رحمةَ فيها، ولا تسمعُ لأهلِها دعوةٌ، ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾.

فحالُـها أكبرُ مِنْ أنْ يُوصفُ، وعذابُها أعظمُ من أن يعرفُ.

يقولُ بعضُهم: (ذكرُ النارِ شديدٌ، فكيف النظرُ إليها، والنظرُ إليها شديدٌ، فكيف الوقوعُ فيها؟ والوقوعُ فيها شديدٌ، فكيف الخلودُ فيها؟!)

ويقالُ: سبعٌ لا يمكنُ وصفُها: عظمةُ اللهِ سبحانه، وبلاءُ الدنيا، ونِكايةُ إبليسٍ، وسكراتُ الموتِ، وأهوالُ القيامةِ، ونعيمُ الجنةِ، وشدائدُ النارِ.

ومما يُروى في وصفِ عذابِ النارِ ما أخبر به النبي ﷺ حين أتاه جبريل عليه السلام فقال له: ((أتيتُكَ حين أمرَ اللهُ بمنافخِ النارِ فوضعتْ على النارِ تسعرُ إلى يومِ القيامةِ)) فقال ﷺ: صف لي النار يا جبريل، فقال جبريل: إنَّ اللهَ أمرَ بها فأوقدَ

عليها ألفَ عامٍ حتى احمرتْ، ثم أوقدَ عليها ألفَ عامٍ حتى ابيضتْ، ثم أوقدَ عليها ألفَ عامٍ حتى اسودتْ، فهي سوداءُ مظلمةٌ لا يضيءُ لهبُها ولا خمودَ لها، والذي بعثَكَ بالحقِّ نبيًّا، لو أن ثوبًا مِن ثيابِ أهلِ النارِ أُظْهِرَ لأهلِ الأرضِ لماتوا جميعًا، ولو أن ذَنوبًا من شرابِها صبَّ في ماءِ الأرضِ لقتلَ من ذاقَهُ، ولو أن ذراعًا من السلسلةِ التي ذكرَها اللهُ وُضِعَ على جبالِ الدنيا لزالتْ وما استقلتْ، ولو أن رجلًا دخلَ إلى النارِ ثم أخرجَ منها لماتَ أهلُ الأرضِ من نتنِ ريحِهِ وَشَوِيهِ خَلْقِهِ وعِظَمِه، فبكى النبيُّ ﷺ وبكى جبريلُ عليه السلام.

فقال جبريلُ: أتبكي يا محمدُ، وقد غفرَ اللهُ لكَ ما تقدَّمَ مِن ذنبِكَ وما تَأَخَّرَ.

قال ﷺ: أفلا أكونُ عبدًا شكورًا. ولم بكيتَ يا جبريل، وأنت الروحُ الأمينُ، أمينُ اللهِ على وحيهِ؟ فقال: أخافُ ربي إنْ عصيتُهُ فيدخلني النارَ)).

عباد الله:

عجبًا لحالِنا ما أقسى قلوبَنا وما أشدَّ غفلتَنا عما يُرادُ بنا.

نسمعُ عن ملائكةِ اللهِ وأشرفِ خلقِهِ مِن أنبيائِهِ ورسلِهِ أنهم يبكونَ وقد قطعَ الخوفُ نياطَ قلوبَهم، وحرمَهم لذيذَ منامِهم- ونحنُ في غفلةٍ لاهُونَ عنْ أمرِ الآخرةِ ساهونَ ﴿قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ۝١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾.

وصفَهم اللهُ بقولِهِ: ﴿وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

اللهمَّ إنا نعوذُ بكَ من قلبٍ لا يخشعْ، ومِنْ عينٍ لا تدمعْ، ومن دعاءٍ لا يُسمعْ.

اللهمَّ املأ قلوبَنا خوفًا منكَ وخشيةً لك ورغبةً إليك.

عباد الله:

يؤتى بالنار إلى أرض المحشر كما قال تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ فتبرزُ للخلائقِ وهم إليها ينظرون ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ فتبرزُ للعصاة بالهولِ الأكبرِ، والفزعِ الأعظمِ، فيخرجُ من نَفَسِها وهجٌ شديدٌ، ويسمعُ من جوفِها دَوِيٌّ سلاسلِ الحديدِ، فإذا قربتْ مِن الخلائقِ سمعوا لها شهيقًا ورأوا لها حريقًا، ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ فإذا نظرتْ إلى أهلِ المعاصي ثارتْ وفارتْ وأرادتْ أن تَثِبَ عليهم، فاغتاظتْ وتمحمحت إليهم، وأرادتْ أن تنْفَلِتَ من أيدي الخُزَّانِ، وتلتهمُ المجرمين في أرضِ المحشرِ، فيهربُ المجرمون فلا يجدونَ منفذًا ولا مكانًا يلجئون إليه.

فينادي المنادي: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾ ﴿أَيْنَ الْمَفَرُّ * كَلَّا لا وَزَرَ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾

مقامُ المذنبينَ غدًا ذليلٌ ... إذا ما النارُ قرَّبَها الجليلُ
ونادى مالكًا خذْ مَنْ عصاني ... فإنَّ اليومَ ليسَ لَهُ مقيلُ
عصوني واستخفُّوا بي طويلا ... وغرَّهُمُ تفضلي الطويلُ
فيخرُّ لوجهِهِ باكٍ ينادي ... إلهي قد عصيتُ فما السبيلُ

عباد الله:

رُوِيَ أن وجهَ النبيِّ ﷺ تغيَّرَ ذاتَ يومٍ حتى ظهرَ فيه، فجاء بعضُ أصحابِهِ إلى علي عليه السلام، فأخبره بما رأى، فجاء علي عليه السلام فاحتضنَ النبيَّ ﷺ مِن خلفِهِ وقبَّلَ بين عينيهِ ثم قال: يا رسولَ اللهِ، بأبي أنت وأمي، ما الذي حَدَثَ اليومَ؟ قال النبي ﷺ في رواية زيد بن علي، عن آبائه عليهم السلام: ((ناركم هذه جزءٌ من سبعين جزء من نار جهنم، ولولا أنها غسلت بسبعين ماء ما أطاق آدمي أن يسعرها، وإن لها يوم القيامة لصرخة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا

على ركبتيه من صرختها، ولو أن رجلا من أهل النار علق بالمشرق لأحرق أهل المغرب من حره)).

نسألُ اللهَ أن يُعِيذَنا من النارِ، وأن يُجيرَنا مِن غضبِهِ وعقابِهِ، وأنْ يجعلَنا مِن أهلِ شفاعةِ سيدِنا ونبيِّنا محمدٍ ﷺ إنه جوادٌ كريمٌ.

عباد الله:

إن يومَكم هذا من شعائرِ اللهِ التي أمَرَ بتعظيمِها، وضاعفَ الأجرَ للمطيعين فيها، فعظِّمُوا هذا اليومَ بالعملِ وأجلّوه بتركِ العصيانِ، وأكثِروا فيهِ من الصلاةِ والسلامِ على نبيِّكم الكريمِ امتثالًا لأمرِ اللهِ القائلِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على أبي الطيبِ والطاهرِ والقاسمِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بن عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ، وصلِّ اللهمَّ وسلِّم على أخيهِ ووصيهِ مِن بعدِهِ، الليثِ الغالبِ مولانا الإمامِ علي بنِ أبي طالب، وصلِّ اللهمَّ على زوجتِهِ الحوراءِ، فلذةَ كبدِ المصطفى، فاطمةَ البتولِ الزهراءِ، وعلى ولديها الإمامينِ الأعظمينِ أبي محمدٍ الحسنِ وأبي عبدِ اللهِ الحسينِ، وصلِّ اللهمَّ على مولانا الإمامِ الوليِّ بنِ الوليِّ زيدِ بنِ علي، وصلِّ اللهمَّ على الإمامِ الهادي إلى الحقِّ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ بن إبراهيمَ، وعلى سائرِ أهلِ بيتِ نبيئِكَ المطهرينَ، دعاةً منهم ومقتصدينَ، وارضَ اللهمَّ عن صحابةِ نبيِّكَ الأخيارِ من المهاجرينَ والأنصارِ، وارضَ عَنَّا معهم بفضلِكَ ومَنِّكَ يا كريمُ.

اللهمَّ إنا نسألُكَ حُبَّكَ وحبَّ من يحبُّكَ وحبَّ كلِّ عملٍ يقرِّبُنا إليكَ، ونَجِّنَا من النارِ برحمَتِكَ يا عزيزُ يا غفارُ.

اللهمَّ عرِّفْنا بِكَ، وارْزُقْنا خوفَكَ وإجلال حرمتك، وتعظيمَ شعائرِكَ، واجعلنا من الراشدينَ، اللهمَّ اجعلنا من حزبِك، فإن حزبَكَ هم الغالبونَ،

واجعلنا من جندِكَ، فإنَّ جندَكَ لهم المنصورونَ، واجعلنا من أولياِئكَ، فإن أولياءَك لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون.

اللهمَّ انصرِ الإسلامَ والمسلمينَ، واخذلِ الكفرةَ والملحدين والمفرقين بين المسلمين، والصادِّين عن ذكرِك، والمخربين لدينِك، والمتقطعين في سبيلِك، والمعادين لأولياِئك أينما كان كائنُهم، اللهمَّ فَرِّقْ جمعَهم، وشتِّتْ شملَهم، وأنزِلْ عليهم بأسَك الذي لا يُرَدُّ عن القومِ الظالمين، اللهمَّ اكفنا الفتنَ ما ظهرَ منها وما بَطَنَ، وجنِّبْنَا كلَّ شرٍّ وبليةٍ، برحمتِك يا أرحمَ الراحمينَ، اللهمَّ اجعلْ بلدَنا هذا وسائرَ بلادِ المسلمينَ آمنًا مطمئنًا يا ربَّ العالمين، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

عباد الله:

﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

حسرات اليوم الآخر

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي أرسلَ رُسُلَهُ مبشرينَ ومنذرينَ ومبلغينَ لشرائعِهِ الهاديةِ، وشَوَّقَ المؤمنينَ لِجَنَّةٍ قطوفُها دانيةٌ، وخَوَّفَ العاصينَ أنْ يُسْقَوا مِن عينٍ آنيةٍ، نحمدُهُ على جميعِ نعمِهِ المتواليةِ، ونستعينُهُ ونستهديهِ الهدى ونعوذُ بِهِ من الضلالةِ والردى.

ونشهدُ ألَّا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ.

ونشهدُ أن محمداً عبدُهُ ورسولُهُ المصطفى الخاتمُ لجميعِ أنبيائِهِ ورسلِهِ الماضيةِ ﷺ تسليماً كثيراً.

أما بعد عباد الله:

إن الحياةَ الدنيا ليستْ إلا مزرعةً للآخرةِ، يجني مِن ورائِها المؤمنونَ ثمارَ تعبِهم وكسبِهم، ومنها يحصدونَ محصولَ كدحِهم وعناهُم ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ﴾ فيحمدُ اللهَ على كلِّ خيرٍ قدمَهُ كما حكى اللهُ عنهم بقولِهِ: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾.

لا بُدَّ للإنسانِ أن يلقى هناكَ عندَ اللهِ كلَّ ما قدمَ ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً﴾ فتمتلئُ القلوبُ حسرةً وندامةً على التفريطِ في جنبِ اللهِ وعلى التقصيرِ في طاعةِ اللهِ والوحشةِ من عملِ السوءِ ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّه نَفْسَهُ وَاللَّه رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ﴾ ﴿وَجِىءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾

إن هذه الحياةَ الدنيا ليست إلا سُلَّمًا نرتقي على عتباتِهِ نحوَ الدارِ الآخرةِ، نتسابقُ في الدنيا لنفوزَ بمكانٍ في رياضِ الجنةِ في مقعدِ صدقٍ عندَ مليكٍ مقتدرٍ، نتعبُ في الدنيا لنرتاحَ غدًا في دارِ النعيمِ، إن العمرَ معدودٌ، والأجلَ محدودٌ ستون عامًا يقضيها ابنُ آدمَ على وجهِ هذهِ الأرضِ، وهي مهلةٌ خَوَّلَنا اللهُ إياها، ولغايةٍ منشودةٍ وهي الجنةُ، ومهما تعبَ الإنسانُ وكدَّ فلا بُدَّ له من راحةٍ ينسى معها كلَّ تعبٍ وعناءٍ، وعندَ الصباحِ يحمَدُ القومُ السرى ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾.

عباد الله:

إن يومَ القيامةِ لهو يومُ الحسراتِ ويومُ النداماتِ والتأوُّهاتِ، يومٌ لا ينفعُ فيه ندمٌ ولا حسرةٌ ولا خنوعٌ، ولا تجدي العبراتُ والبكاءُ وكثرةُ الدموعِ، ولا تشفعُ الحشودُ والجموعُ، يومٌ يقولُ النادمونَ على التقصيرِ ما حكى الله ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾

فيأتيهم الجوابُ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ ينادُون ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ فيكونُ الجوابُ ﴿قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ يالها من حسرةٍ حين يبشرُ العاصي بالنارِ فيوقنُ بالبوارِ، فيعضُّ يدَهُ ويقضمُها حتى يبلغَ المرفقَ من شدةِ الحسرةِ والندمِ كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً﴾ أيُّ حسرةٍ على العبدِ أعظمُ مِن أنْ يرى رفقاءَه في الدنيا وقد بُشِّروا بالجنةِ والنعيمِ المقيمِ تزفهم الملائكةُ وقد ارتسمتْ على وجوهِهم علاماتُ الرضا وتغشاهم نظرةُ الغبطةِ والنعيمِ، يسعى نورُهم بين أيديهم وهو في ظلمةٍ لا يبصرُ ﴿يَوْمَ

تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ويرى العاصي نفسَه وهو مع حزبِ الشيطانِ، وجوهُهم كالحةٌ مسودةٌ عليها غبرةٌ ترهقها قترةٌ، في ظلماتِ الحشرِ لا يبصرون، يتلاومون فيما بينهم ثم يُنادون رفقاءهم من أهلِ الجنةِ ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ فيردون عليهم هازئين ﴿ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾ ارجعوا إلى الدنيا وابحثوا لكم عن نورٍ ولكن أنَّى لهم ذلك وقد نفدَ الأجلُ وبطلُ العملُ وخَسِرَ هنالكَ الظالمون ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ يتلمسون حولَهم ليجدوا بصيصَ نورٍ وقبسَ ضياءٍ فلا يرون إلا ظلماتٍ حالكةٍ بعضُها فوقَ بعضٍ، فيعودوا جهةَ المؤمنين يتوددون إليهم ويُذَكِّرُونهم بقرابةِ الدنيا، ويتوسَّلون إليهم بحقِّ العِشْرَةِ التي كانت بينهم، ينادونهم: ألم نكن معكم، ألم يكن بيننا كذا وكذا، ألم نكن نتعاونُ في الدنيا مع بعضِنا البعضِ ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ بلى كنا جميعاً في الدنيا ولكنا كنا نعملُ للآخرةِ ونتعبُ من أجلِ هذا اليومِ وأنتم أخلدتم للراحةِ وقصرتم في عملِ الآخرةِ وغريتم أنفسَكم بالأمانيِّ والمواعيدِ والتسويفِ للتوبةِ والعملِ حتى فاجأكم الموتُ وأنتم على المعاصي دونَ توبةٍ ولا عملٍ ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ يالها من حسراتٍ وما أبلغها من آلامٍ تعقبُها العبراتُ، وأيُّ حسرةٍ على أهلِ النارِ يومَ يطَّلعون عليهم إخوانُهم المؤمنون وهم في النارِ يُعذبون فينظرون إليهم وقد نضجتْ منهم الجلودُ وأثقلتهم القيودُ ونفدت منهم الدموعُ، وذبلتْ منهم الشفاهُ في ذلةٍ وخضوعٍ، فينادونهم بأسمائِهم ويدعونهم بألقابِهم فيعرفُ كلٌّ منهم صاحبَهُ فينادونهم أفيضوا علينا من الماءِ أو مما رزقكم اللهُ، أسعفونا بشربةِ ماءٍ تُبَرِّدُ حرَّ أكبادِنا أو

ثمرةٍ نطفئُ بها لهيبَ الجوعِ في أجوافِنا فيردون عليهم: ﴿إِنَّ اللَّه حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ويصورُ القرآنُ إطلاعَ الصاحبِ المؤمنِ على صاحبِهِ من قرناءِ السوءِ الذي كان يحاولُ في الدنيا إغواءَه لولا أن لطفَ اللهُ به وتداركَهُ بلطفِهِ وذلك قولُ اللهِ: ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاء الْجَحِيمِ۝ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ۝ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾

عباد الله

إنَّ يومَ القيامةِ هو يومُ الحسراتِ يومُ التغابنِ يومُ الجزاءِ والحسابِ وردِّ المظالمِ وفصلِ الخصوماتِ، في اليومِ الآخرِ تنقلبُ الموازينُ، فالخائفُ في الدنيا سيأمنُ، والتاعبُ سيرتاحُ، والظالمُ سيعذبُ، والمظلومُ سينتصرُ، إنه يومُ الفصلِ وما أدراكَ ما يومُ الفصلِ؛ يومُ العدالةِ أمامَ محكمةِ العدلِ الكبرى التي شعارُها ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ لقد حانَ وقتُ القصاصِ ودقتْ ساعةُ الانتقامِ، لقد آنَ الأوانُ لأولئكَ المؤمنينَ المستضعفينَ الذين كانوا يقطعون الليلَ بالبكاءِ والعويلِ من فداحةِ ظلمِ المستكبرينَ الذين كانوا يُذيقونهم الويلَ والهوانَ، ويسومونهم سوءَ العذابِ، آنَ الأوانُ لتلكَ البطونِ التي امتلأتْ بأموالِ الضعفاءِ والمساكينِ أن تجوعَ بين مقطعاتِ النيرانِ، وأن تُملأَ بالقيحِ والصديدِ، آنَ لأولئكَ المساكينِ الذين كانوا يتلوون جوعًا في الدنيا أن يأكلوا مما تشتهيه الأنفسُ، وأن يمنعوا منها أولئك الذين شبعوا في الدنيا ونسوهم.

آنَ الأوانُ لتلك الأفواهِ التي كُمِّمَتْ في الدنيا، والألسنِ التي مُنِعَتْ من قولِ الحقِّ أن تصرخَ وتصيحَ في وجوهِ الظلمةِ والمستكبرين، وأن تطالبَ بكاملِ حقوقِها وترفعَ شكواها إلى العدلِ الحكيمِ والجبارِ المنتقمِ ليأخذَ لها حقَّها ويشفي غليلَ صدورِهم من كلِّ متكبرٍ لا يؤمنُ بيومِ الحسابِ، لقد انقلبتْ الموازينُ وتغيرتِ الأحوالُ وارتفعَ الذليلُ وأهينَ العزيزُ، إنها الواقعةُ الخافضةُ الرافعةُ، فالذين كانوا يضحكون ويسخرون من المؤمنين في الدنيا بالأمسِ

هم اليومَ يبكون ويصرخون جزاءً بما كسبوا نكالاً من اللهِ وذلك قولُ اللهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ ۝٣١ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاء لَضَالُّونَ ۝٣٢ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ هذا كلُّهُ كان بالأمسِ فأما اليومَ فقدِ انعكسَ الحالُ وتغيرَ الوضعُ ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝٣٤ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۝٣٥ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ هل جوزي الكفار بفعلِهم ولاقَوا جزاءَ عملِهم وظلمِهم، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾

نسألُ اللهَ العظيمَ الجليلَ أن يحسنَ عاقبتَنا وخاتمتَنا في الأمورِ كلِّها، وألا يتوفانا إلا وهو راضٍ عنا، وأن يجعلنا من الفائزين المستبشرين برضوانِهِ وجنانِهِ، إنه وليُّ ذلك وهو حسبُنا ونعم الوكيلُ.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَأُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ * إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّى جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعَنا وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، إنه تعالى جوادٌ ملكٌ بَرٌّ رؤوفٌ رحيمٌ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

حسرات اليوم الآخر

الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين حمدًا لا انتهاءَ لعددِهِ، ولا غايةَ لأمَدِهِ، ولا انقطاعَ لأبدِهِ، حمداً يكونُ وصلةٌ إلى طاعتِهِ وعفوِهِ، وسببًا إلى رضوانِهِ وذريعةً إلى جنتِهِ، وخفيرًا من نقمتِهِ، وأمْنًا من غضبِهِ، وعونًا على تأديةِ حقِّهِ ووظائفِهِ.

وأشهدُ ألَّا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ ولا عديلَ، ولا خلفَ لقولِهِ ولا تبديل.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ إلى عبادِهِ، مبلغُ الوحي والتنزيلِ، الهادي إلى أقومِ سبيلٍ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد عباد الله:

إن ما ذكره اللهُ لنا في القرآنِ من حسراتِ أهلِ العصيانِ في يومِ القيامةِ، وما يجدونَهُ من الحسرةِ والندامةِ ليس عنا ببعيدٍ، وما ذكرنا ليس مجردَ قصصٍ نسلي بها أنفسَنا، أو نستعطفُ بها قلوبَنا، بل إنها أمورٌ حقيقيةٌ وحوادثُ صادقةٌ ومَنْ أصدقُ مِن اللهِ قيلًا، ومَن أصدقُ مِن اللهِ حديثًا، ولا مفرَّ ولا مناصَ لكلِّ عبدٍ من أن يَمُرَّ بها ويتجرعَ مرارَتَها ويندمَ ولاتَ مندمٍ ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ۝٣٥ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۝٣٦ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ ولكن بعد فوات الأوان في يوم الحسرة ﴿لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾.

عباد الله:

إن أولَ محطةٍ تُكْشَفُ فيها حُجُبِ الغيبِ، وينكشفُ المستورُ ويعرفُ فيها

العبدُ مصيرَهُ هو على فراشِ الموتِ، يعلمُ ذلك وهو لا يزالُ بين أهلِهِ قبلَ أن يغادرَ مطارَ الدنيا إلى رحابِ الحياةِ الخالدةِ الدائمةِ، فإما أن يكونَ من الفائزين الذين لهم البشرى في الحياةِ الدنيا وفي الآخرةِ من ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وإما أن يكون من العصاةِ المذنبين والظلمةِ المستكبرين الذين لهم بشرى السوءِ وعذابِ الهونِ ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ وقال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَـئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ﴾ عندها يبشرونهم بالعذابِ والخزي الدائم ﴿قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ﴾ هكذا اقتضتْ عدالةُ اللهِ أنْ يتجرعَ العصاةُ الندامةَ وهم أحياءُ على فراشِ الموتِ جزاءً على أعمالِهم وما بعدَ الموتِ أشدُّ وأعظمُ، فيالها من حسرةٍ، وحسرةٌ أعظمُ أن ترى أهلَكَ وأبناءَك قد فازوا برضوانِ اللهِ وخسرتَ أنتْ، وحسرةٌ أخرى أن يأتيَ يومَ القيامةِ ويلقى الرجلُ زوجتَهُ التي عاشرَها في الدنيا وقد كُتِبَ اسمُها في عليينَ واسمُهُ في سِجِّينٍ، ما أشدَّها مِن حسرةٍ وما أفظعَها من ندامةٍ أن يُفَرَّقَ بين الضالِّ وزوجتِهِ الصالحةِ وأبنائِهِ الصالحين، هذا في نعيمٍ وذاك في حميمٍ، وكيف يهنأُ بالنعيمِ مَن أمُّهُ تُسحبُ في الحميمِ، من يرضى بجنةِ المأوى وأبناؤه بين دركاتِ لظى يصرخون.

ما أجملها من حياةٍ وما أسعدَ المؤمنين أن يجتمعوا في رضوانِ اللهِ على سُرُرٍ متقابلينَ كما قالَ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾.

عباد الله:

علينا أن نجهدَ أنفسَنا فيما يخلِّصُها من النارِ، وأن ننقذَ أبناءَنا وأهلينا من العذابِ، حتى نجتمعَ على رضا اللهِ ونسعدَ معهم بالنعيمِ، امتثالًا لأمرِ اللهِ القائلِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

ألا وأكثروا في هذا اليومِ وأمثالِهِ مِن الصلاةِ على رسولِ اللهِ وعلى آلِهِ امتثالاً لأمرِ اللهِ القائلِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

اللهمَّ فاجعلْ أفضلَ صلواتِكَ ونوامي بركاتِكَ على حبيبِكَ المأمونِ، وخازنِ علمِك المخزونِ، الخاتمِ لما سبقَ والفاتحِ لما انغلقَ، والمعلنِ الحقَّ بالحقِّ، محمدِ بنِ عبدِ اللهِ الطاهرِ الأواهِ، اللهمَّ فارفعْهُ بما كدحَ فيك إلى الدرجةِ العليا من جنتِكَ وآتِهِ الوسيلةَ والفضيلةَ والشرفَ الأعلى والدرجةَ العاليةَ الرفيعةَ والمقامَ المحمودَ، وأعطِهِ الحوضَ المورودَ الذي وعدتَهُ يا أرحمَ الراحمينَ، وصلِّ اللهمَّ على أخيهِ ووصيِّهِ وِ باب مدينةِ علمِهِ الأنزعِ البطينِ، بَدْرِ بَدْرٍ وحنينٍ، الفادي بنفسِهِ سيدَ الكونين، يعسوبِ الدينِ وتاجِ الموحدين، أبي الأئمةِ الأطايبِ أشجعِ طاعنٍ في سبيلِ اللهِ وضاربٍ أميرِ المؤمنين وسيدِ الوصيينَ علي بنِ أبي طالب، وعلى زوجتِهِ الحوراءِ فلذةِ كبدِ المصطفى، وخامسةِ أهلِ الكساءِ، وسيدةِ النساءِ فاطمةَ البتولِ الزهراءِ، وعلى ولديهما الأعظمين ريحانتي الرسولِ وسيدي شبابِ أهلِ الجنةِ الإمامين الأعظمين أبي محمدٍ الحسنِ وأبي عبدِ اللهِ الحسين، وصلِّ اللهمَّ على الوليِّ ابنِ الوليِّ مولانا الإمامِ زيدِ بنِ علي، وعلى الهادي إلى الحقِّ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ بنِ إبراهيم، وعلى مَن بيننا وبينهم من الأئمةِ الهادين، وارضَ اللهمَّ عنِ الصحابةِ الأخيارِ من المهاجرين والأنصارِ والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين، وعنا معهم بفضلِكَ ومَنِّكَ يا كريمُ.

اللهمَّ انصرِ الإسلامَ والمسلمين، واجمعْ كلمةَ عبادِكَ المؤمنين، وأهلكِ الكفرةَ والملحدين، وأهلكْ مَن في هلاكِهِ صلاحُ الإسلامِ والمسلمين، واختم لنا بالحسنى، ووفقنا لما تحبُّ وترضى، يا أرحمَ الراحمين، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

عبـــاد اللّه:

﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فاذكروا الله العظيمَ الجليلَ يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكرُ اللهِ أكبرُ، والله يعلمُ ما تصنعون.

على أرض المحشر

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الملكِ الحقِّ المبينِ، خالقِ الإنسانِ مِن سُلالةٍ من طينٍ، الذي خلقَ الإنسانَ وصوَّرَهُ، ثم السبيلَ يسرَهُ، ثم أماتَهُ فأقبَرَهُ، ثم إذا شاءَ أنشرَهُ.

وأشهدُ ألَّا إلهَ إلا اللهُ توحَّدَ بالعزَّةِ والبقاءِ، وقهرَ عبادَهُ بالموتِ والفناءِ، له الملكُ ولهُ الحمدُ يحيى ويميتُ بيدِهِ الخيرُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٍ.

وأشهدُ أن محمداً عبدُهُ ورسولُه الشفيعُ المشفَّعُ يومَ الفزعِ الأكبرِ، وصاحبُ اللواءِ الأخضرِ وسلسبيلُ الكوثرِ، محمدٌ ذو النورِ الأزهرِ، والوجهِ الأنورِ، صلى الله عليه وعلى عِترتِه الأبرارِ ما تعاقبَ الليلُ والنهارُ وسلَّمِ تسليماً كثيراً.

أما بعد:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

عباد الله:

إن المستعرضَ لأحداثِ الحياةِ، والمعتبرَ بنوائبِ الزمانِ، والمتدبرَ لآياتِ القرآنِ وما حوتْ من سورٍ وآياتٍ تصورُ موقفَ القيامةِ والحشرِ والطامةِ، وذكرٍ للوعدِ والوعيدِ، وترهيبٍ وترغيبٍ- ليقفُ مدهوشًا حائرًا أمامَ هذهِ المشاهدِ الغريبةِ، والتصويراتِ العجيبةِ، والمواقفِ المذهلةِ التي يعجزُ عن إدراكِ كنْهِها اللبيبُ، ويحارُ

في تفسيرِها الأريبُ، إنها مواقفُ وأحداثٌ لو عقلَتْها القلوبُ لمارتْ في الصدورِ، لهولِ ما ترى، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

موقفٌ مذهلٌ مهيبٌ يرجعُ عنه نظرُ الناقدِ البصيرِ كليلاً حسيراً، خاسئاً وهو حسيرٌ.

موقفٌ بين العبدِ ونهايتِهِ وما تحملُ في طياتِها مِن عِبَرٍ وعظاتٍ، وآياتٍ بيناتٍ لا يُلقي لها بالًا، ولا يُعِدُّ لها سِربالًا، ولا تُغيِّرُ فيه حالًا.

عباد الله:

إن القرآنَ حقٌّ، ومَن أصدقُ مِن اللهِ قيلًا، وكفى به ناصحاً ونذيرًا ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ۝ لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وحقَّ لمن قرأ آياتِهِ وتدبرَ بيناتِهِ ألَّا يهدأَ لهُ بالٌ ولا يستلذُّ بطعامٍ، ولا يهنأُ بمنامٍ وبعده ما بعده من الأهوالِ والأحزانِ.

إنه اليومُ الموعودُ، والموقفُ المشهودُ، إنهم يرونَهُ بعيدًا ونراهُ قريبًا، إنه لقولٌ فصلٌ وما هو بالهزلِ، إنهم يكيدون كيدًا وأكيدُ كيدًا فمهلِ الكافرين أمهلهم رويدًا.

عبدَ الله:

ماذا تساوي حياةُ أحدِنا أمامَ اليومِ الآخرِ؟ وهل يُقاسُ هذا العمرُ القصيرُ باليومِ الموعودِ؟ إن عمرَ الواحدِ منا إذا بلغ غايتَه بلغ المائةَ عامٍ، بينما اليومُ الواحدُ من أيامِ الآخرةِ يقدرُ بألفِ سنةٍ من أيامِ الدنيا، ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ وأما يومُ الحسابِ والجزاءِ فإنه يقدرُ وحدَهُ بخمسين ألفَ سنةٍ، أي أنَّ يومَ الحسابِ يساوي عمرَ البشريةِ منذ أن خلقَ اللهُ أبينا آدمَ عليه السلام إلى يومِنا هذا.

فأينَ الحلماءُ أهلُ العقولِ الراجحةِ؟ أين أولو الألبابِ وأهلُ الفطنةِ الذين

يحرصون على أوقاتِهم باغتنامِ أعمارِهم في العملِ لليومِ الآخرِ واتقاءِ يومِ الحسرةِ والندامةِ امتثالاً لأمرِ اللهِ القائلِ: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ فيا حسرةَ المقصرين ويا حسرةَ العاصين الذين أضاعوا أعمارَهم القصيرةَ في اللهوِ واللعبِ، وعرَّضوا أنفسَهم لشدةِ يومِ الحسابِ وذلَّتِهِ، ووفدوا على اللهِ بصحائفَ خاليةٍ من الحسناتِ، وأيديهم عاطلة من كلِّ خيرٍ، فقراءَ مفلسين، أذلاءَ منكسرين يدعون بالويلِ والثبورِ ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ الآنَ انكشفَ الغطاءُ، وأبصروا بعد العمى، ولكن بعد فواتِ الأوانِ، وهاهم اليومَ يسألون من اللهِ الرجوعَ إلى الدنيا ليصححوا خطأَهم، فهل إلى رجوعٍ من سبيلٍ؟؟ فيجابون: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ ﴾ ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

فيا حسرةَ المقصرِ والمفرطِ في طاعةِ اللهِ حين يستغيثُ ولا مغيثَ:﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾.

عباد الله:

أين من يبيعُ آخرتَهُ بدنيا حقيرةٍ لا بقاءَ لها؟ أين من باعَ كلَّ شيءٍ بلا شيءٍ؟ أين من باعَ الجنةَ بشهوةِ ساعةٍ؟ أين من ضَحَّى بالنعيمِ الدائمِ والفوزِ الأبديِّ بلذةٍ فانيةٍ، ذهبتْ لذتُها وبقيتْ تبعتُها؟

إن الإنسانَ وإنْ طابَ عيشُهُ ودامَ نعيمُهُ إلى يومِ القيامةِ هادئ البالِ قرير العين، فلا يساوي كلُّ ذلك عذابَ ساعةٍ في النارِ، فكيف إذا كانت حياتُهُ كدًّا وشقاءً وهمًّا وعناءً، وفقرًا وشدةً، ثم يكون في الآخرةِ مِن وقودِ النارِ والعياذُ باللهِ.

ابنُ آدمَ وإنْ عَاشَ ما عَاشَ فله من عمره ثلثُهُ؛ لأنَّ أولَ عمرِهِ طفولةٌ لهوٌ ولعبٌ، وآخرَهُ ضعفٌ وشيبةٌ وعجزٌ وكسلٌ، ولم يبقَ لَهُ إلا الجزءُ الأوسطُ الذي

هو زهرةُ الشبابِ، وكمالُ القوةِ وتمامُ العقلِ، بشرطِ إن صفى من الهمِّ والنكدِ والبلى والمرضِ، وهذا الشبابُ هو رأسُ مالِ الإنسانِ الذي يكسبُ به الجنةَ أو يهوي به في النارِ، حين يُسأل عن عمره فيمَ أفناه، وعن شبابه فيمَ أبلاه؟؟؟

هذا الشبابُ الذي أضاعَهُ فأضاعَ كلَّ شيءٍ ومن أجله ضحى بأَنْفَسِ ما لديه، وهي نفسه التي بين جنبيه، وأورَدَها المهالك بين مقطعات النيران وخسر البيع ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾

عباد الله:

إن وراءَنا يوماً شديداً، حذرنا اللهُ منه وخوَّفَ وتهددَ وتوعدَ، يومًا لا تقوى الجبالُ الراسياتُ مع عظمِها على الصمودِ لأهوالِهِ وشدائِده..

فكيف بابنِ آدمَ: الذي تؤلِمُهُ البقَّةُ، وتقتلُهُ الشرقةُ، وتنتنه العرقةُ، الذي لا يحتملُ حرَّ أيامِ الصيفِ، ولا يطيقُ الصبرَ عن الماءِ والطعامِ، ولا طاقةَ له على الوقوفِ على قدميه لساعاتٍ، وتزهقُ نفسُهُ من الضجيجِ والزحامِ، كيف يكونُ حالُهُ في يومِ الحسابِ وميدانِ الحشرِ، بما حواه من آلامٍ ومشاقٍ ومتاعبَ على المجرمين، تحتَ لهيبِ الشمسِ الحارقةِ، وبينَ شدةِ الزحامِ، وتعبِ الوقوفِ على الأقدامِ، ومكابدةِ آلامِ الجوعِ والظمأ، لآلافَ السنينَ والأعوام، في العُري وبين الفضائحِ، ونشر المطوي من القبائحِ يومَ يكشفُ المخفيُّ ويظهرُ المستورُ، وتُكشفُ السرائرُ وما تُخفي الضمائرُ ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝٩ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾.

عباد الله:

هل يكفي العبدَ ألمُ هذا اليومِ وشدتِه، وهولِه ووحشتِه؟ ليكون جزاءً له على ما اقترفَ في حياتِهِ، وفَرَّطَ به من أمرِ ربه؟

كلا ... واللهِ ليسَ إلى ذلك مِن سبيلٍ!!! بل إن كلَّ الأهوالِ والشدائدِ التي يمرُّ بها العبدُ المجرم في القيامةِ والحشرِ ومواقفِ الحسابِ- ليست إلا جلسةً

واحدةً من جلساتِ محكمةِ العدلِ الكبرى، وأول عتبةٍ من عتباتِ العقبةِ الكؤودِ، والتي مقدارها خمسينَ ألفَ سنةٍ، كلُّ موقفٍ فيها ألفُ سنةٍ، ألا وإن محاكمةً هذه مدتُها حقيقٌ ألّا يكون الحكم فيها إلّا سرمداً أبداً، وخلوداً لا نهاية له، فعلى قدر المظالم تقامُ النوائحُ والمآتمُ، كما قيل.

عباد الله:

هل تَصَوَّرَ أحدٌ منا ما خبئ له من الأهوالِ والمصائبِ والمشاهدِ المؤلمةِ كالموتِ وسكرتِه، ومشهدِ القبرِ وغربتِه، ومشهدِ الحشرِ ووحشتِه، وما تخفي في طياتها من عبرٍ وفواجعَ، وآياتٍ مواجع.

عبد الله:

حَلِّقْ معي بخيالك، وتصوَّر معي ببالكَ، عبداً مُسجّىً على فراشِ الموتِ، خاوي البطنِ من الماءِ والطعامِ، قد أنهكه المرضُ، واشتد به العَرَض، وزاد ما به شدّة سكرات الموت، وسهامِ الفوتِ، فعظمت كربتُه، واشتدت سكرتُه، وما إن فارقت روحُه جنبيه، حتى أغمضوا عينيه، وقربوه إلى الـمُغَسِّلِ ليُغسِّلَه، فأول ما أقدم عليه، أنْ مَسَحَ بطنَهُ وخِصْرَيْه، ليلقيَ ما تبقّى لديه، من فضلاتِ دنياه، ويخلي جوفه مما حواه، فيلقا اللهَ خميصاً خاوياً، ليزيدَ جوعَه وضماه، ويكثرَ همه وعناه، ويرجعَ إلى ربِّه كما جاءَ، بلا غذاءٍ ولا كساءٍ، ولا رفقاء ولا أبناءٍ، ليلجَ لحدَه، غريبًا وحدَه، وقد تَركَ كلَّ ما جمعه بعده، وصدق اللهُ القائلُ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

فيمكثُ في قبرِهِ ما شَاءَ اللهُ من حياةِ البرزخِ، حتى إذا نُفِخَ في الصُّورِ وبُعثرتِ

القبورُ، إذا السماءُ انفطرتْ والكواكبُ انتثرتْ، والبحارُ فُجرتْ، والقبورُ بعثرتْ، والجبالُ سيرتِ، والعشارُ عطلتْ، والوحوشُ حشرتْ، ودكت الأرضُ دكًّا دكًّا، ونسفت الجبالُ نسفا، فصارت أرضاً صفصفا، لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا، واشتعلت البحارُ نارًا، وإذا البحارُ سجرتْ، وثار البرّ إعصارًا وغبارًا، فأظلمت الدنيا وانتشرت النجومُ، وخُسِفَتِ الشمسُ والقمرُ،

وزلزلتِ الأرضُ وانشقتْ، وألقت ما فيها وتخلت، والقبورُ تبعثرت، فخرج منها أهلُها مذعورين هلعين، يقولون ﴿ يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ فيجابون ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

ذلك يومٌ مجموعٌ له الناسُ، وذلك يومٌ مشهودٌ.

فيخرج ذلك العبدُ إلى صعيدِ المحشرِ...، حافيةً قدماه، مغبرًا من ثرى الأجداثِ رأسُه، وشاحبًا من ترابِ اللحدِ وجهُه، وشاخصةً من أفزاعِ القيامةِ عيناه، وذابلةً من شدةِ العطشِ شفتاه، وجائعًا لطولِ المقامِ بطنُه، وموقرًا من ثقلِ الأوزارِ ظهرِه، يحملُ أوزارَه وأوزارَ الذين أضلهم على غير علم.

لقد خرجَ من قبرِه، تائهًا في حيرةٍ من أمرِه، يتلكأُ في سيرِه، مغلوبًا على أمرِه، يقلبُ صفحاتِ عمرِه، ويتذكرُ ما قدمتْ يداه، ﴿ فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾ ﴿وَجِىءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾

ويعُضُّ يديه ندمًا، ويبكي من حسرتِه دمًا، على ما فرط في جنبِ الله، ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ

الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً ﴾ ﴿يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾.

يا لها من شدةٍ بلغت النصاب، وأَعْظِمْ به على أهلِه من مُصابٍ، فيه غاب الناصرُ والمعينُ، وذهب الأخوةُ والبنون، وكل يشكوا نفسي نفسي ﴿يوم يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ ما أشدَّها من حالٍ وما أبلغه من مآلٍ!!

الخوفُ والفزعُ بلغَ منتهاه، والهولُ والجزعُ بلغَ أقصاه، وما بالك بأفزاعٍ أشعلت مفارقَ الولدانِ شيباً؟

ووضعت الحواملُ أجنتَها، ورمت المراضعُ بفلذاتِ أكبادِها، وترى الناسَ سكارى وما هم بسكارى ولكنَّ عذابَ اللهِ شديد ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

يومُ القيامةِ لو عرفتَ بهولِه *** لفررتَ من أهلٍ ومن أوطانِ

يومٌ تشققت السماءُ لهولِه *** وتشيبُ منه مفارقُ الولدانِ

الجوعُ بلغَ غايتَه، والحرُّ شبّ لهيبُهُ، وابنُ آدمَ ذلك الضعيفُ الذي لا يطيقُ الجوعَ فوقَ ثلاثةِ أيامٍ، ولا يحتملُ حرَّ أيامِ الصيفِ، يقفُ اليومَ جائعًا وظامئًا خمسينَ ألفَ سنةٍ، فهو من يومِ فارقَ الدنيا لم يستلذ بأكلهٍ ولم يروِ ظمأَه بشربةٍ، وهو واقفٌ في صعيدِ المحشرِ بين شدةِ الحرِّ، والشمسُ قد أدنيت من الرؤوسِ تلفحُ الوجوهَ، وتلهبُ الأجسادَ.

فاجتمعَ وهجُ حرِّها على الرؤوسِ، وحرُّ الخوفِ في النفوسِ، فتفجرَ العرقُ من تحتِ كلِّ شعرةٍ.

اللهم إنا نعوذُ بكَ من يومِ أولُه فزعٌ وأوسطُه جزعٌ وآخرُه وجعٌ، اللهم ارحمنا يومَ الفزعِ الأكبرِ يومٌ تزلُّ فيه الأقدامُ، وتكثرُ فيه الأحزانُ، يوم يقلُّ الزادُ وتختصمُ العبادُ برحمتك يا أرحمَ الراحمين.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾

هذا، وأستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم مِن كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية

على أرض المحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، مالكِ يومِ الدين، القاضي بين الخصومِ والقائمِ بالقسطِ، جعلَ النارَ حبساً لمنْ خالفَه وعصاه، وأَعَدَّ الجنةَ لمنْ أطاعَهُ واتقاه.

ونشهدُ ألَّا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الديانُ، ربُّ الأربابِ، ومالكُ الرقابِ، إليه المردُّ والمآبُ، في يومِ الحشرِ والحسابِ.

ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، الذي جاءَ بالدلالةِ، وبلَّغَ الرسالةَ، وقامَ بأمرِ اللهِ حتى أتاهُ اليقينُ، فصلواتُ اللهِ عليهِ وعلى عترتِهِ المنجزين وعدَه، والقائمين بأمرِ الدينِ مِنْ بَعْدَه، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد، عباد الله:

إنَّ ما ذكرنا مِن أمرِ الآخرةِ ليسَ إلا طرفاً يسيراً وَرَاءَهُ ما هو أَشَدُّ، وأعظمُ وأدهى وأَمَر. وهو موقفُ الحسابِ للعبادِ على رؤوسِ الأشهادِ، يوم يَجمعُ اللهُ الخلائقَ في صعيدٍ واحدٍ، جِنَّهُم وإنْسَهُم وأوَّلَهُم وآخرَهُم، والطيرَ والوحوشَ والملائكةَ، يَنْفُذُهُمُ البصرُ ويسمَعُهُمُ الداعي ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ يومَ يُدْعَي بالعبدِ أَيْنَ فلانُ بنُ فلانٍ ليبرزْ إلى منصَّةِ الحسابِ، على مَرْأى ومَسْمَعٍ من الخلائقِ أجمعين، ﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ۝١٥ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾.

فيبرزَ العبدُ حافيَ القدمين، شاخصَ البصرِ، ذابلَ الشفتين، جائعَ البطنِ، شاحبَ الوجهِ، وبرزوا لله الواحد القهار.

مَوقفٌ تنهدُّ لَهُ الجبالُ الرواسي، ويلينُ لهولِهِ كلُّ رَطْبٍ ويابسٍ، ليقفَ في مواجهةِ صحيفةِ أعمالِهِ، وقفوهم إنهم مسؤولون.

ما أَشَدَّ الحالَ يومَ يقولُ الجبارُ للزبانيةِ: ذروا عبدي الذي كان يقابلُ نعيمي بالكفران، ويجاهرني بالعصيانِ، دعوه ليبرزَ وحدَه، ليدافعَ عن نفسِهِ، ذرني ومن خلقتُ وحيدًا وجعلتُ لَهُ مالًا ممدودًا وبنينَ شُهودًا ومَهَّدْتُ لَهُ تمهيدًا، فيا تُرىٰ كيف يكونُ مصيرُه، ومن يطيقُ الإنكارَ والحكمُ الجبارُ، ومن يطيقُ الكلامَ والنارُ قد شُدَّتْ بسبعينَ آلفَ زمامٍ، تكادُ أن تلتهمَ المحشرَ بما فيهِ مِن شدةِ الغيظِ ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾ وكيف يقدرُ علىٰ الهربِ، ومِن خلفِهِ الوحوشُ محشورةٌ والطيرُ منشورةٌ والنارُ مسعورة، والجنُّ مذعورةٌ، صفوف خلفها صفوفٌ، قد ملئوا الأقطارَ، وسدوا منافذَ الأبصارِ، إلىٰ أين المفر؟ إلىٰ أين المهرب؟ ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۝١٢﴾.

كيف بِعَبْدٍ ضَعُفَتْ قوتُهُ، وذهبتْ أَخِلَّتُهُ، ولم يبقَ معَهُ ناصرٌ ولا معينٌ، ذهبَ مالُهُ وتَرَكَهُ أهلُه وإخوانُهُ، بين يدي زبانيةٍ لا تُرحم، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾

من يقوىٰ علىٰ الخطابِ وردِّ الجوابِ؟

وكيف بحالِهِ وجوابِ سؤالِهِ وحجةِ مقالِهِ، بين يدي ذي الجلالِ والإكرامِ، إنَّه موقفٌ تَزِلُّ فيهِ الأقدامُ، كيف لا وقد تقطعت له قلوبُ المقربينَ من الملائكةِ والأنبياءِ والصديقين هيبةً وإجلالاً، وله عنت الوجوهُ وخشعتِ الأصواتُ، فلا تسمعُ إلا همسًا، كأنَّ علىٰ رؤوسِهم الطيرَ، جاثين علىٰ الركبِ وقد أذهلهم هولُ الخَطْبِ ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفّاً لا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً﴾.

إذا كان هذا حالَ أفضلِ الخلقِ ما حالَ أشقىٰ الخلقِ فكيف بالعاصي والمقصرِ والمصرِّ علىٰ الذنوبِ، وما حالُ مَنْ قيلَ لَهُ يومَ العرضِ ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۝٢٦﴾، فلا يردونَ جوابًا، ولا يتفوهونَ بكلمةٍ لقد انقطعت حُجَجُهُم.

من يطيقُ الإنكارَ والأعضاءُ عليهم شاهدةٌ، ومن يسعُه الإقرارُ والحبسُ النارُ، ومن يملكُ الاعتذارَ على مَرْأى ومَسْمَعِ الأملاكِ والرسلِ والمقربين، والإنس والجنة محضرين. إن كذبَ نطقتْ الأعضاءُ والجوارحُ، وإن سكتَ شهدتْ بالسوءاتِ والفضائحِ ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

كيف ينكرُ والكتبُ بما قدَّمَ وأخَّرَ محضرةٌ ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾.

كيف ينكرُ والأرضُ عليه شاهدةٌ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ كيف ينكرُ والملائكةُ عليه شهداءُ ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

عبد الله:

إنها مواقفُ تقفُ لها الهامُ، وتشيبُ لها الرؤوسُ، وتزهقُ لهولِها النفوسُ. فما أبشعَ أن يُنْشَرَ المطويُّ، وما أفظع أن ينكشفُ المستورُ يومَ العرضِ والنشورِ، على رؤوسِ الخلائقِ، والأنبياءُ والرسلُ ينظرونَ والأهلُ والشهودُ محضرون.

وتنكشف الأستارُ، وتُعرضُ الأعمالُ على الأنظارِ، على شاشةِ العرضِ الإلهيةِ مُعمَّدةً موثقةً بالصوتِ والصورةِ وبكلِّ تفاصيلِ الجريمةِ أفلامٌ مصورةٌ تحكي الواقعَ كما هي، والناسُ ينظرونَ إليه، والملائكةُ يقولونَ: هذا فلانُ بنُ فلانةٍ الذي كنتم تقولونَ: إنه كذا وكذا، فانظروا ماذا كان يعمل، فيلعنه كلُّ مَن في المحشرِ ويتبرأُ منهُ كلُّ قريبٍ وبعيدٍ ولسانُ حالِهم: اللهم إنا نبرأُ إليكَ منه.

إنها فضائحُ، لا يطيقُ اللسانُ وصفَها، ويكفيكَ مِن أنَّ صاحبَها يفضلُ لهيبَ النارِ عليها، أيُّ حسرةٍ أن ينكشفَ سترُهُ ويظهرَ مكنونُ سرِّهِ، أمامَ مَن كان

يخادِعُهم ويداهنُهم بإيمانِه، ويتظاهرُ أمامَهم بالتقوى والصلاحِ.

إيُّ حسرةٍ وأيُّ خسارةٍ وأيُّ ندامةٍ يتجرعُها حينَ يرى إخوتَهُ في الدنيا، ورفقاءَهُ في المحيا، قد عَلَتْ وجوهَهم ابتسامةُ الفوزِ والسرورِ، وتهلَّلَتْ وجوهُهم بالضياءِ والنورِ والملائكةُ تزفُّهم إلى الجنة كما تُزفُّ العروسُ، والحورُ العينُ والولدانُ المخلدونَ يستقبلونَهم على أبوابِ الجنةِ وكلٌّ حوراءَ تنتظرُ زوجَها ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

وهو في الظلماتِ تائهٌ يناديهم: انظرونا نقتبسْ مِن نورِكم، فيردونَ عليه هازئينَ: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾، ارجعوا إلى الدنيا فابحثوا لكم عن نورٍ، عندها تُضْربُ الأسوارُ وحيلَ بينهم وبينَ ما يشتهون ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ ألم يكنْ يجمعُنا وطنٌ واحدٌ، ومجلسٌ واحدٌ، ومأكلٌ واحدٌ، وطريقٌ واحدٌ، ﴿قالوا بلى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾.

وعندها ييأسُ العاصي من إجابتِهم فيتلفتُ حولَه يبحثُ عن أملٍ ينجيه أو أخٍ يحميه. يجيلُ نظرَه في أرضِ المحشرِ هنا وهناك، وكلما مدَّ بصرَه عادَ إليه خاسئًا وهو حسيرٌ، تلك إذًا كرةٌ خاسرةٌ. إنه لا يرى له أملًا في نجاةٍ فالرسولُ قد تبرأ منه وأخوتُهُ وأصحابُهُ قد ذهبوا عنه.

لم يبقَ معه في المحشرِ إلا رفقاءُ السوءِ، ومَرَدةُ الشياطينِ، وعبدةُ الجِبْتِ والطاغوتِ. يلعنُ بعضُهم بعضًا، ويُلقي بعضُهم تبعتَه على بعضٍ، وكلٌّ يَدَّعِي بأن الآخرَ هو سببُ هلاكِه وغوايتِه، وهنا يتراءى لهم إبليسُ اللعينُ كالعرجونِ القديمِ قد أنهكَهُ حصادُ السنينَ، وبدتْ له عينُ اليقينِ، وأضحتِ الجبينُ أنه من المخلدين في نارِ الجحيمِ، فلم يكففْ ذلك من سخريتِه واستهزائِه، بل أرادَ أن يصبَّ جامَ غضبِه على أوليائِه ويشفيَ غليلَ فؤادِه منهم لمّا اتهموه بأنه سببُ

هلاكِهم وخسرانِهم، ومنبعُ غوايتِهم، وقفَ يدافعُ عن نفسِهِ ويلقي بالذنبِ واللومِ عليهم، فلما زادَ خصامُهم وكَثُرَ لومُهم أرادَ أن يَفْصِلَ الخصامَ وأن ينهيَ الملامَ، فارتقى أعوادَ منبرِهِ، ليخطبَ فيهم خطبتَهُ الشيطانيةَ ليزيدَ القلوبَ حسرةً وأسىً، وضيقًا ويأسًا قائلا كما حكى الله عنه: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

آهٍ مِن حسرةٍ عظيمةٍ، وطعنةٍ أليمةٍ لا يملكونَ أن يردُّوها، وقد قُضِيَ الأمرُ وفاتَ الأوانُ وانتهى الجدلُ وسكتَ الحوارُ.

بعد بلاغِ هاتفِ الغوايةِ، وحادي الغواةِ، وخطبتِه الشيطانيةِ التي صبها على أوليائِهِ، نفضَ يدَهُ منهم، وهو الذي وعدَهم ومناهم، ووسوسَ لهم، وأمَّا الآن فلن يُلَبِّيَهم إنْ صرخوا ولنْ يُنْجِدَهم وإن ناحوا ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً ﴿١٢٠﴾ أُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً ﴿١٢١﴾﴾

لقد أوردَهم مع نفسِهِ المهالكَ وتركَهم في ظُلُماتٍ لا يُبْصِرون صمٌّ بُكمٌ عُميٌ فهم لا يرجعون.

وفي النارِ هم يَختصمون، عندها تَذَكَّروا قولَ اللهِ ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ذكروا تحذيرَ اللهِ، انتبهوا من غفلتِهم، ولكنْ بعدَ فواتِ الأوانِ وبعدَ انقضاءِ المدَّةِ ﴿هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

عباد الله:

إنَّ اللهَ أمرَكم بأمرٍ بَدَأَ فيهِ بنفسِهِ وَثَنَّى بملائكتِهِ المسبحةِ بقدسِهِ وثَلَّثَ بِكم

أيُّها المؤمنونَ مِن جِنِّهِ وإنسِهِ حيثُ قالَ عزَّ مِن قائلٍ كريمٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾

اللهم فصَلِّ وسلِّمْ وباركْ وترحمْ على عبدِكَ ونبيِّكَ وخيرتِكَ مِن خَلقِكَ وصفوتِكَ مِن بَرِيَّتِكَ أبي الطيبِ والطاهرِ والقاسمِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ، وبلِّغْ رُوحَهُ مِنَّا في هذِهِ الساعةِ الطيبةِ المباركةِ أبلغَ الصلواتِ وأتمَّ التسليمِ برحمتِكَ يا كريمُ، واجعلْهُ لنا شفيعًا يومَ الهولِ الأكبرِ من النارِ، يا رحيمُ يا غفارُ.

وصَلِّ اللهمَّ على أخيهِ ووصيِّهِ وبابِ مدينةِ علمِهِ أشجعِ طاعنٍ وضاربٍ مولانا أميرِ المؤمنين عليِّ بنِ أبي طالبٍ.

وصلِّ اللهمَّ على زوجتِهِ الحوراءِ سيدةِ النساءِ وخامسةِ أهلِ الكساءِ فاطمةَ البتولِ الزهراءِ.

وعلى ولديهما الإمامينِ السيدينِ الشهيدينِ والقمرينِ النيرينِ أبي محمدٍ الحسنِ وأبي عبدِ اللهِ الحسينِ.

وصلِّ اللهمَّ على مولانا الوليِّ ابنِ الوليِّ صاحبِ المذهبِ الشريفِ والمنهجِ الجليِّ الإمام زيدِ بنِ علي.

وعلى الفاتحِ لِمَا انْغَلَقَ مُعْلِنِ الحقَّ بالحقِّ، المجددِ لدينِ اللهِ والمحيي لما ماتَ من الفرائضِ والسننِ، الهادي إلى الحقِّ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ بنِ إبراهيمَ.

وعلى سائرِ أهلِ بيتِ نبيِّكَ المطهرينَ دعاةً منهم ومقتصدينَ.

وارضَ اللهمَّ عن صحابَةِ نبيِّكَ الراشدينَ مِن صفوةِ المهاجرين والأنصارِ، والتابعينَ وتابعي التابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ، وارضَ عَنَّا معهم بفضلِكَ ومَنِّكَ يا أرحمَ الراحمينَ. اللهمَّ إنَّا نسألُكَ مِن مقامِنا هذا وفي ساعتِنا هذِهِ أنْ ترحمَنا رحمةً تُغنينا بها عمن سواكَ وتفتحُ لنا بها أبوابَ رضوانِك وتغمُرَنا بفيضِ إنعامِكَ، اللهمَّ لا تَدَعْ لنا في مقامِنا هذا ذنبًا إلا غفرتَهُ ولا هَمًّا إلا فرجْتَهُ ولا دينًا

إلا قضيتَهُ ولا عسرًا إلا يسرتَهُ. ولا ضَالًّا إلا هديتَهُ ولا مظلومًا إلا أعنْتَهُ ونصرتَهُ ولا ظالِمًا إلا أهلكتَهُ وقصمتَهُ. ولا طفلًا صغيرًا إلا هديتَهُ وربَّيْتَهُ ولا مريضًا مؤمنًا إلا شفيتَهُ وعافيتَهُ.

اللهمَّ انصرِ الإسلامَ والمسلمينَ، وأَلِّفْ بينَ قلوبِهم واجمعْ شملَهُم ووحِّدْ صفَّهم وأعلِ رايتَهم وأيِّدْهُم بنصرِكَ وأنزِلْ عليهم السكينةَ، وأثِبْهُم فتحًا قريبًا يا أرحمَ الراحمينَ.

اللهمَّ وأهلكِ الكفرةَ والملحدينَ والمفرقينَ بينَ المسلمينَ، وأنزلْ عليهم بطشَكَ الذي لا يُرَدُّ عن القومِ الظالمينَ.

اللهمَّ ارزقْنا اليقينَ واحشُرْنا مع المتقينَ غيرَ خزايا ولا مفتونينَ.

اللهمَّ هَوِّنْ علينا سكراتِ الموتِ وما بعدَ الموتِ، وما هوَ أشدُّ وأعظمُ وأدهى وأمرُّ من الموتِ، وارحمنا في يومِ أوَّلُهُ فزعٌ وأوسَطُهُ جزعٌ وآخرُهُ وجعٌ يا ربَّ العالمينَ.

اللهمَّ ارحمنا إذا تضمنَّتْنا بطونُ لحودنا، اللهم ارحمنا إذا جئناكَ حفاةً عراةً، مغبرةً من ثرى الأجداثِ رؤوسُنا، وشاحبةً من ترابِ الملاحيدِ وجوهُنا، وذابلةً من شدةِ العطشِ شفاهُنا، وجائعةً لطولِ المقامِ بطونُنا، وشاخصةً من أفزاعِ القيامةِ أبصارُنا، وموقرةً من ثقلِ الأوزارِ ظهورُنا، ومشغولين بما قد دهانا عن أهالينا وأولادِنا فلا تُضعِّفِ المصائبَ علينا بإعراضِ وجهِك الكريمِ عنَّا وارحمنا وأنتَ خيرُ الراحمينَ، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

عباد الله:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

فاذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يذكرْكُم، واشكروهُ على نعمِهِ يزدْكُم، ولَذِكْرُ اللهِ أكبرُ واللهُ يعلمُ ما تصنعون.

الخطبة الأولى

عذاب النار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اللهمَّ لكَ الحمدُ يا رافعَ السماواتِ بغيرِ عمدٍ، ولكَ الحمدُ يا باسطَ الأرضِينَ وأنتَ اللهُ الواحدُ الفردُ الصمدُ، غمرتَ عبادَكَ بمزيدِ نعمِكَ ومترادِفِ جودِكَ وكرمِكَ، أحسنتَ إلينا بإحسانِكَ وأنعمتَ علينا بإنعامِكَ، ومَنْشَأُهُ مجردُ فضلِكَ، فسبحانَكَ لا إلهَ إلا أنتَ وحدَكَ لا شريكَ لكَ، تعالتْ صفاتُكَ عن الشبيهِ والمثالِ، وتنزَّهَتْ أفعالُكَ عن كلِّ نقصٍ، لا رادَّ لأمرِكَ ولا وصولَ لقدرِكَ، بحقِّ قدرِكَ نَسْتَمْطِرُكَ يا إلهي غيثَ صلواتِكَ الناميةِ، وتسليماتِكَ الباهرةِ الباقيةِ، وتبريكاتِكَ اليانعةِ الباهيةِ، على نبيِّنَا خيرِ نبيٍّ في الوجودِ مَنْ صَدَعَ مِنْ نورِهِ كلُّ موجودٍ محمدٍ المصطفى مِنْ خيرِ العالمينَ نسباً، وأرفعِهم قدراً وأشرفِهم حسبًا الذي حطَّمَ بحسمِهِ وعزمِهِ جيشَ الجهالةِ، ومَزَّقَ ودَمَّرَ بدينِهِ شملَ الضلالةِ وعلى آلِهِ مظاهيرِ الحكمِ ونجومِ الأرضِ ومصادرِ الهممِ الذين أمرَ اللهُ بمودَّتِهم واختصَّهم للمباهلةِ بهم، وأنزل آيةَ التطهيرِ بسببِهم، وبشَّرَ محبِّيهم بالكونِ مع النبيِّ يومَ القيامةِ، والفوزِ بجنةٍ عرضُها السماءُ والأرضُ، والنجاةِ يومَ الطامةِ، صلاةً دائمةً ناميةً مِن يومِنا هذا إلى يومِ الدينِ، أما بعد:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾.

عباد الله:

كنا وأنتم معاً في مثلِ هذا اليومِ في رحلةٍ تصوريةٍ، وقفنا فيها مع يومٍ من أيامِ اللهِ في آخرتِهِ، نتأملْ يومَ الحسابِ وميدانَ الحشرِ والنشورِ، بما حواهُ على العاصين مِن آلامٍ ومشاقَّ تُنسَى لها كلُّ لذةٍ وهناءٍ، من آلامِ الجوعِ والظمأ، وحرِّ الشمسِ وشدةِ الزحامِ، وتعبِ الوقوفِ على الأقدامِ لآلافِ السنينَ بينَ الفضائحِ، ونشرِ المطويِّ مِن القبائحِ، ومع ما يحملُ ذلكَ اليومُ في طياتِهِ مِن آلامٍ ومشاقَّ فهل يكفي العبدَ المجرم شدةُ ذلك اليومِ وألمُ وحشتِهِ ليكونَ جزاءً لَهُ على ما اقترفَ مِن ذنبِهِ وعلى ما فرطَ فيهِ مِن أمرِ ربِّهِ؟ وينجوَ مِن حرِّ الجحيمِ وعذابِها الأليمِ.

لا واللهِ فإنَّ ما علمتُموه وما لم تعلموه مِن ويلاتِ يومِ الحشرِ ليسَ إلا يوماً واحداً من أيامِ المعاناةِ الأخرويةِ التي لا نهايةَ لها، فليسَ موقفُ الحشرِ والنشورِ إلا بدايةً لذلكَ المشوارِ الطويلِ البعيدِ الذي لا نهايةَ له، ليست الخمسينَ ألفَ سنةٍ التي يقضيها العبدُ في محكمةِ مالكِ السماواتِ والأرضِ إلا جلسةَ محاكمةٍ واحدةٍ من جلساتِ محكمةِ مالكِ يومِ الدينِ، وحق لجلسةٍ مقدارُها خمسينَ ألفَ سنةٍ، كلُّ موقفٍ فيها بألفِ سنةٍ، أنْ لا يكونَ الحكمُ فيها إلا نهايةً أبديةً وخلودًا سرمديًّا، فما أن ترفعُ الجلسةُ وتصدرُ الأحكامُ القضائيةُ من المحكمةِ الربانيةِ، وتسلمُ الكتبُ بأيدي أصحابِها حتى تفزعَ ملائكةُ الرحمةِ والزبانيةُ لتنفيذِ الأحكامِ، وإيصالِ كلِّ امرئٍ إلى مقرِّهِ ومثواهُ، ليغلقَ ملفُ الجدلِ والحوارِ وتخرجُ الأحكامُ، فلا نقضَ للأحكامِ، ولا محكمةَ استئنافٍ، ولا وساطاتٍ، ولا وجاهاتٍ ولا مجاملاتٍ ولا رشاوى، وتنتهي المرافعاتُ، وتحجرُ الأحكامُ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً﴾

فمن أخذَ كتابَهُ بشمالِه تلقفتْهُ ملائكةٌ غلاظٌ شدادٌ وزبانيةٌ قساةٌ أفظاظٌ ﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ليسوقوهم إلى دركاتِ النيرانِ، بينَ أطباقِ السعيرِ، وليتَهم على أقدامِهم يُساقونَ وبأيديهم يُقادونَ، ولكنهم

يُؤخذوا بالنواصي والأقدامِ، ويُسحبونَ على وجوهِهم التي أبَوا أن يُطأطِئوها بينَ يدي اللهِ، وعلى أنوفٍ طالما شمَخُوا بها مستكبرينَ، كانوا يترفَّعونَ أن يدسوها بين الترابِ ويعفروها في الصلاةِ سُجداً وبكياً.

الذين يحشرونَ على وجوهِهم إلى جهنمَ أولئك شَرٌّ مكانًا وأضلُّ سبيلًا، ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ﴿فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾

ولكن لا يُسمعُ لقولِهِ، ولا يُرحمُ تضرُّعُهُ، يضيعُ صوتُهُ، وتتلاشى كلماتُهُ بينَ أصواتِ الزبانيةِ وجلجلةِ المقامعِ وصلِّلِ السلاسِل، حينَ يقولُ الجبارُ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ فيا لَهُ من مأخوذٍ لا تنجيهِ أهلُهُ ولا عشيرتُه، غلو رأسَه بين ذراعيهِ، وكبُّوا وجهَهُ بينَ قدميهِ، وشَدُّوا يديَهِ خلفَ عنقِهِ ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ﴾، وما أدراكَ يا عبدَ اللهِ ما هذه السلسلةُ؟ إنها من النارِ مسبوكةٌ، ومن الحميمِ مصهورةٌ، طولها سبعونَ ذراعًا، و لو أنَّ حلقةً مِن حلقِها وضعتْ على أعظمِ جبلٍ في الدنيا لغارتْ بِهِ إلى الأرضُ السفلى، فكيفَ بابنِ آدمَ الضعيفِ الذليلِ الذي لا يطيقُ حرَّ الشمسِ، ولا يحتملُ وخزَ الشوكِ والإبرِ، كيف يكونُ حالُهُ معها وهي سبعونَ ذراعًا، كيف بهِ يومَ تُدْخلُ هذه الحلقةُ مِن فمِهِ وتخرجُ من دبرِهِ، ثم يغلُّ إلى قفاه من وراءِ ظهرِه ويُلقى في جهنمَ ليذوقَ وبالَ أمرِهِ، ويتجرعَ آلامَ عصيانِهِ، ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ فهذا هوَ المقرُّ والمستودعُ، هذا المستقرُّ والحبسُ الدائمُ.

إنها النارُ وما أدراكَ ما النارُ؟ طالما تلفظتْ بها الأفواهُ، وطرقتِ المسامعَ دونَ أن نلقي لها بالًا، أو نعدَّ لها وقايةً، قد لا تخلو سورةٌ من سورِ القرآنِ الكريمِ من ذكرِها إما تصريحًا أو تلميحًا، نَمُرُّ عليها بالغدوِّ والآصالِ صمًّا بُكمًا عميًا لا نفقهُ حقيقَتَها، ولا نُشعِرُ أنفسَنا بخطرِها، حالنا ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿لَقَدْ

كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾

(نار): نون وألف وراء، ما أخفَّ لفظَها وما أيسرَ نطقَها، ولكن بين طياتِها من الأهوالِ ما لا تقومُ لَهُ السماءُ ولا الأرضُ، أوقدَ عليها ألفَ عامٍ حتى أحمرتْ، وألفَ عامٍ حتى اصْفرتْ، وألفَ عامٍ حتى اسودتْ، فهي سوداءُ مظلمةٌ، نارُكم هذه جزءٌ مِن سبعينَ جزءٍ من نارِ جهنمَ، ولولا أنَّها قد غُسلتْ في سبعين ماء ما أطاقَ آدميٌّ أن يسعرَها ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً ﴾ تذكر بالنارِ الكبرى نارَ الآخرةِ ﴿ وَمَتَاعاً ﴾ أي منفعةً ﴿ لِّلْمُقْوِينَ ﴾.

لقد فازَ وربِّ الكعبةِ المخفونَ، ألا وإن النجاةَ من النارِ فوزٌ لا يقدَّرُ وربحٌ لا يصفُهُ الواصفونَ، ولو لم يكنْ هناكَ مِن جنةٍ فإن السلامةَ مِن النارِ نعيمٌ وأيُّ نعيمٍ، ولو عادَ الآدميُّ طينًا.

عباد الله:

تعالَوا معي إلى رحلةٍ عبرَ الكتابِ والسنةِ لنلقيَ نظرةً خاطفةً على بعضِ صفاتِ النارِ علَّ القلوبَ أنْ تخشعَ، والعيونَ أن تدمعَ، والنفوسَ أن تخضعَ، ولعلَّ المقصرَ أن يؤوبَ، والعاصيَ أن يتوبَ، تأملوا معي حالَ من أُلقيَ فيها وغمرتْهُ بدخانِها مغلولةً يداه إلى قفاه، ذابلةً شفتاه، وشاخصةً عيناه، يشكي الجوعَ والظمأَ، والحرَّ والعناءَ، يدعو بالويلِ والثبورِ وعواقبِ الأمورِ ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً﴾ وما إنْ تراه النارُ حتى تضطرمَ في بعضِها، ويزمجرَ لهبُها ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾ ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ تنادي وتقولُ: آتني يا ربِّ ما وعدتني ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾.

حالها يا ربِّ اشتدَّ حري واضطرمَ لهبَي وأكلَ بعضي بعضًا، فهل مِن مزيدٍ هل من مزيدٍ؟ ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِلشَّوَى * تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ فتلفحُهُ بِسَنا لهبِها، وتجرُّهُ بزمامِ دخانِها لتلقيَ بهِ بينَ طياتِها، وتحضنُهُ بين طبقاتِها، ليهويَ سبعينَ عامًا، حتى يصلَ إلى قعرِها، سبعينَ خريفًا يهوي مدةَ عمرِهِ وزمنَ عصيانِهِ، ﴿جَزَاء وِفَاقًا ۝٢٦ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَاباً ۝٢٧ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً ۝٢٨ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً ۝٢٩ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً﴾

يا أيُّها الغافلُ غيرُ المغفولِ عنه والناسي غيرُ المنسي، يا صبيحَ الوجهِ، يا منيرَ الغرةِ، أينَ أنت؟ استيقظْ مِن سُباتِكَ وانتبهْ مِن نومِكَ إنَّ الأمرَ جدٌّ فجِدَّ، ولا تعللْ نفسَكَ بالمنى فإنَّ كلَّ خسارةٍ قد تعوضُ، وكلُّ خطأٍ يمكنُ تدارُكُهُ، إلا خسارةَ الجنةِ واستحقاقَ السعيرِ فإنه كَسْرٌ لا يُجبرُ، وجرحٌ لا يندملُ، وندمٌ ولاتَ حينَ مَنْدَمٍ، ولاتَ حينَ مَناصٍ، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ قال الله: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يبكونَ في النارِ حتى تنقطعَ الدموعُ، فيبكونَ دمًا، حتى تنقطعَ أصواتُهم وتتمزقَ أكبادُهم، ويدعونَ ألفَ سنةٍ، يا مالكُ ليقضِ علينا ربُّك، يا مالكُ أثقلنا الحديدُ، يا مالكُ أثقلتنا القيودُ، يا مالكُ آلَمَنا الوعيدُ، فيردُّ عليهم: إنكم ماكثونَ، ثم يدعون حتى تتفتتَ أكبادُهم قائلينَ: ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ فيأتيهم الجوابُ بعد مدةٍ ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ۝٧٧ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ الْعَذَابِ ۝٤٩ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ فيقولُ بعضُهم لبعضٍ: ادعوا ربَّكم فليس أحدٌ أرحمُ منه فيجأرونَ لَهُ بالدعاءِ ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ ۝١٠٦ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا

مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ فيأتيهم الجوابُ بعدَ مدةٍ تتفتتُ له الأكبادُ، وتتقطعُ له القلوبُ ﴿قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ إنه اليأسُ والقنوطُ فلا تسألْ عن حالِهم إنما هو الشهيقُ والزفيرُ والبكاءُ والعويلُ.

طال زفيرٌ فلم يُـرحم تضـــرعهم هيهـاتَ لا رقـةَ تغنـي ولا جـزعُ

وليت الأمرَ يقفُ عند هذا الحدِّ، بل هناك وفي طياتِها وبين شعابِها وجبالِها ألوانٌ وصورٌ من العذابِ تقفُ لها الهامُ، وتشيبُ لهولِها الرؤوسُ، ولكن ما أقلَّ المعتبر والمتدبر، وما أكثرَ المعرضين الذين غشيَتهم الضلالةُ وغطى على قلوبِهم الرانُ.

عباد الله:

ما آلمَ حياتِ الدنيا، وما أبشعَ منظرَها، وما أحرَّ سُمَّها مع صغرِها وضعفِها، فأينَ أنتَ عبدَ اللهِ من حياتٍ كأعناقِ الجمالِ، وعقاربٍ كالبغالِ إذا رأتْ أصحابَ النارِ زحفتْ نحوَهم لتلتفَ حولَ أجسادِهم، وتصوبَ لدغَتَها إلى وجوهِهم، ومع شدةِ ما بهم مِن البلاءِ والشدةِ من هولِ العذابِ تُنسيهم هذه اللسعةُ عذابَ النارِ وإنه ليجدُ حموتَها ويشكو أَلَمَ سُمِّها أربعينَ خريفًا، وما إنْ يصلَ سمُّها إلى جوفهِ حتى يتساقطَ لحمُهُ ويذوبَ جسدُه لتبدوَ العظامُ عاريةً، وكلما نضجتْ جلودُهم بدلناهم جلودًا غيرَها ليذوقوا العذابَ.

آهٍ من نارٍ تنضجُ الأكبادَ والكلى، آهٍ من لفحاتِ لظى، آهٍ من سمومِ حياتٍ وعقاربٍ تُنسي الحميمَ وتذرُ العظامَ رميمًا.

قال ﷺ فيما روي عنه: ((إنَّ في جهنمَ سبعينَ ألفَ وادٍ وفي كلِّ وادٍ سبعونَ ألفَ شعبٍ وفي كلِّ شعبٍ سبعونَ ألفَ ثعبانٍ وسبعونَ ألفَ عقربٍ لا ينتهي الكافرُ والمنافقُ حتى يواقعَ ذلك كلَّهُ))

وقال ﷺ فيما روي عنه: ((يُلقى على أهلِ النارِ الجوعُ حتى يعدلَ ما هم فيه من العذابِ)) فيستغيثونَ بالطعامِ فيُؤتَوْنَ بالزقومِ، وما أدراكَ ما الزقومُ؟ ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۝٤٤ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾

قال ﷺ فيما روي عنه: ((لو أنَّ شيئًا من الزقومِ أُخرِجَ إلى الدنيا لأفسدَ على أهلِ الدنيا معايشَهم)) ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ ﴿مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ شرابُهم الغساقُ والغسلينُ والحميمُ، وهو النتنُ والقذارةُ الذي تجمعُ من فروجِ أهلِ النارِ، وعرقِ العصاةِ، والقيحِ والقطرانِ والحيضِ والصديدِ.

قال ﷺ فيما روي عنه: ((لو أنَّ دَلْواً من غساقِ أهلِ جهنمَ أُلقِيَ في الدنيا لأنتنَ أهلَ الأرضِ)) يؤخذُ بكلاليبَ من حديدٍ لشدةِ حرِّهِ، ووهجِ لظاه، وما إنْ يُقَرِّبُوه من فمِهِ حتى يشويَ وجهَهُ، وتسقطَ فروةُ وجهِهِ السفلى على سُرَّتِهِ، وتنقلبَ فروةُ وجهِهِ العليا إلى قفاه ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً﴾، ثم سقوه منه ﴿وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ﴾.

عباد الله:

ما أكثرَ ألوانَ العذابِ وما أقلَّ أصحابَ العقولِ والألبابِ، وما أشدَّ القسوةَ التي رانتْ على القلوبِ، نشكو إلى اللهِ تلكَ العقولَ والقلوبَ التي قَسَتْ ورانَ عليها كسبُ المآثمِ والذنوبِ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

نسألُ اللهَ السترَ والنجاةَ مِن حرِّ أليمِ العذابِ وشدةِ يومِ الحسابِ وأنْ يجعلَنا من الذاكرينَ له المتخذينَ مِنه الوقايةَ المعدينَ له الزادَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾ أقولُ ما تسمعونَ وأستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم وللمؤمنينَ فاستغفروه إنَّهُ هو الغفورُ الرحيمُ.

الخطبة الثانية

عذاب النار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي لا يبلغُ مدحتَهُ القائلونَ، ولا يُحصي نعماءَهُ العادُّونَ، ولا يُؤدي حقَّهُ المجتهدونَ، الذي لا تُدركُهُ بُعْدُ الهممِ، ولا ينالُهُ غوصُ الفطنِ، الذي ليس لصفتِهِ حدٌّ محدودٌ، ولا نَعْتٌ موجودٌ، ولا وقتٌ معدودٌ، ولا أجلٌ ممدودٌ.

وأشهدُ ألَّا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له الملكُ الحقُّ المبينُ.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ الصادقُ الأمينُ، وعلى آلِهِ الهداةِ الميامينَ وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

وبعدُ..

عباد الله:

لقد غفلنا ولم نشعرْ أننا غفلنا، وهذه واللهِ لَهِيَ الداهيةُ والمصيبةُ العظمى.

آياتٌ بيناتٌ وعبرٌ وعظاتٌ، شُحِنَتْ بها سورُ القرآنِ يتجلجلُ دويُّها في الآفاقِ، ويتردَّدُ صداها في الأذهانِ، تقرعُ المسامعَ، وتهزُّ المشاعرَ، ولكن لا مجيب، الناسُ يغطُّونَ في نومٍ عميقٍ وغفلةٍ عظيمةٍ، لا يستيقظون منها إلا بعد فواتِ الأوانِ بعدَ أن تُطوى الصحفُ، وتجفُّ الأقلامُ، ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾

إنَّ الفرصةَ -يا عبدَ اللهِ- سانحةٌ للعملِ، والسوقَ قائمةٌ والسلعةَ معروضةٌ ورخيصةٌ، وفي نفسِ الوقتِ نفيسةٌ، والوقتُ ضيقٌ ورهينٌ للعمل، فاليومَ عملٌ ولا حساب وغدًا حسابٌ ولا عمل، وستذكرون ما أقول لكم، وأفوِّضُ أمري

إلى اللهِ، وَعَظَنا الزمانُ فلم نتعظْ، وزجرَنا القرآنُ فلم نزدجر، آياتٌ بيناتٌ وعظاتٌ نيراتٌ، ولكنها تذهبُ سُدى ﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾.

ما قيمةُ الحياةِ؟ وإن طابَ عيشُها، وطالَ مُقامُ أهلِها، وبعدَها يُجازى العبدُ بأدنى عذابِ أهلِ النارِ، وهو مَنْ له نعلانِ مِن نارٍ، يغلى منهما دماغُه، والمرءُ اليومَ لا يطيقُ وجعَ ضرسٍ من أضراسِهِ أو لسعةِ بعوضةٍ فما بالك بنعلٍ يغلي منه دماغُه، فإذا كان هذا هو أدنى أهلِ النارِ عذابًا، فما بالك بمن هو أعلى؟

وأيمُ اللهِ لو سَلِمَ العبدُ من عقابِ النارِ لكفاه من العذابِ أن يشاهدَ المعذبينَ ويسمعَ صراخَهم وعويلَهم وبكاءَهم وأنينَهم، وغيرَ ذلك مما يُقَطِّعُ القلوبَ ويُفَتِّتُ الأكبادَ وتَضيقُ به النفوسُ ذرعاً.

عبد الله:

ارجِعْ معي إلى بعضِ آياتِ الكتابِ لنتعرفَ على مُجةٍ من لُجةٍ من أهوالِ النارِ وشرارةٍ من جحيمِ لظاها، لعلَّ القلوبَ أنْ تخشعَ وتؤوبَ، وترجعَ إلى علامِ الغيوبِ، قال علي عليه السلام في وصفها: (نارٌ قعرُها بعيدٌ، وحرُّها شديدٌ، وشرابُها صديدٌ، وعذابُها جديدٌ، ومقامِعُها حديدٌ، لا يفترُ عذابُها، ولا يموتُ ساكنُها، دارٌ ليس فيها رحمةٌ، ولا تسمعُ لأهلِها دعوةٌ) يشكو أهلُها الحرَّ وألمَ القرَّ، فيتمنون البردَ والثلجَ، فيساقونَ إلى الزمهريرِ، فما أن يصلوه حتى تيبسَ الأعضاءُ وتجمدُ الأبدانُ، ثم تتشققُ من شدةِ البردِ وقرسِ الزمهريرِ، فيتمنون أن يعودوا إلى النارِ فيساقون إليها من جديدٍ وقيل: هل من مزيد؟

وفيما يروى أن الشمس بعظمتها وشدة حرها ليست إلا صخرة من صخرات جهنم، فإذا كانت الأبدانُ لا تقدرُ على تحملِ حرِّها وهي بعيدةٌ عنا، فما بالك بحالِ مَن اقتربَ منها، وهي ليست إلا صخرةً من صخراتِ جهنمَ، فما بالك بجهنمَ التي هي جزءٌ منها؟ ما بالك بصخورِها وجبالِها، وأليمِ عذابِها.

عبد الله، ما أشدَّ وأتعبَ تسلقَ الجبالِ في الدنيا، وما آلَمَ الصعودَ بين الصخورِ والأشواكِ، فما بالك إذا كان الجبلُ من نارٍ والصخورُ جمرٌ وشرارٌ، يصعدُ العبدُ العاصي فيه سبعينَ خريفًا إن وضعَ رجلَهُ ذابتْ، وإن رفعَها عادتْ، وإن وضعَ يدَهُ ذابتْ، وإن رفعَها عادتْ، فإذا وصلَ قمتَهُ رُمِيَ به إلى أسفلِه ليصعدَ من جديدٍ، وذلك قولُ اللهِ تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً﴾ إنه الصعودُ الذي خافَ منه الجنُّ واستجاروا باللهِ منه حينَ قالوا: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً﴾.

ابنَ آدمَ ارجعْ إلى نفسِك وحاسبْها بجدٍ، ولا تغفلْ عما يُرادُ بك فإنَّ اللهَ صادقٌ في وعيدِه، ولا خُلْفَ لقولِه، ولا هوادةَ في حكمِه، ومن أصدقُ من اللهِ قيلا ﴿اللَّهُ لا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً﴾

فاعتبرْ يا عبدَ اللّهِ

بهذه النارِ الصغرى فإذا كنتَ لا تطيقُ حرَّها، ولا تصبرُ على شررِها، فما بالك بنارٍ قعرُها بعيدٌ، وحرُّها شديدٌ، إذا رُمِيَ الكافرُ من شفيرِها جلسَ يهوي في أعماقِها سبعينَ خريفًا، حتى يبلغَ قعرَها.

ما بالك بنارٍ شررُها كالجبالِ الشاهقةِ، والقصورِ العظيمةِ، ترمي بشررٍ كالقصرِ.

يا تُرى ما حالُ مَن سقطتْ عليه شرارةٌ من شررِها لتَرُضَّ عظامَهُ، وتدكَّ بنيانَه، وتكتمَ أنفاسَه، وتجثمَ على صدرِه كالجبلِ، يتحمَّلُ كاهلُه ثقلَها، ويعجزُ عن تحريكِها، ولا يرى بُدًّا منها، ولا يجدُ محيصًا عنها ليمكثَ تحتَ أنقاضِها يبكي خطيئتَه، ويتحسرُ على ما فرطَ فيه مِن عمرِه، دائمًا أبدًا لا يُخففُ عنه ثقلُها، ولا يُرحم لحرِّها، ولسانُ حالهم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾.

عباد الله:

إنَّ في النارِ ألوانًا وصورًا من العذابِ كثيرةً وفي نفسِ الوقتِ شديدةً وفضيعةً، فإذا كان هنالك مَنْ يُعذبُ بالجبالِ صعودًا وهبوطًا وبين شررِها ولهبِها، ويسيرُ

على ظهرِها يرى غيرَه ويراه غيرُه ويسمعُ ما حوله، ومع ذلك فإنه يظنُّ أنه لم يُؤتى أحدٌ من العذابِ مثلما أوتي، فكيف بمَن هو أشدُّ عذابًا وأبقى.

ذلك الذي يعذبُ في أعماقِ النارِ، ويتقلبُ بين طياتِها، ويئنُّ في أطباقِها وبين أحضانِها في الدركاتِ السفلى، من فوقِه نارٌ ومن تحتِه نارٌ، ومن أمامِه نارٌ، ومن خلفِه نارٌ، ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ إن فتحَ عينيه ملئتا ناراً وإن فتحَ فمَه امتلأ ناراً وإن تنفسَ امتلأ جوفُه ناراً، فراشُه نارٌ، ودفائه نارٌ ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾، يبقى على حالتِه هذه خالدًا مخلدًا إلى أبدِ الآبدين يدعو فلا مُجيبَ ويستغيثُ فلا مغيثَ، ويبكي فلا يُرحمُ وصارَ في المنسيين كمَنْ قد نُسي ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ وما حالُ هذا بجنبِ من يوضعُ في اسطوانةٍ من نارٍ على قدرِ مقاسِه، يوضعُ فيها، ويحكمُ إغلاقُها ويوضعُ في أطباقِ النارِ، وفي ظلماتِ قعرِها، وشدةِ حرِّها، وذلك قولُ اللهِ: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۝١٩ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ لا يحتملُ القيامَ، ولا يطيقُ الجلوسَ، ولا يستطيعُ الحركةَ في أسوإِ حالٍ، وأشدِّ ضيقٍ، وأبعدِ مكانٍ لا يرى أحدًا، ولا يراه أحدٌ، ولا يسمعُ أحدًا، ولا يسمعُه أحدٌ، إن بكى لا يُرحمُ، وإن دعا لا يُجابُ.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ والأشدُّ من هذا كلِّه أنْ ييأسَ من الخروجِ ويقنطَ من النجاةِ ويتيقنَ أنه الخلودُ، وما أدراكَ ما الخلودُ؟ يكفي المرءَ حسرةً وزاجرًا عن العصيانِ أن يتخيلَ الخلودَ أنه الأبدُ الذي لا نهايةَ له، ليس بمليونِ سنةٍ، ولا مليارِ سنةٍ، ولكنه اللانهاية، إن العقلَ لا يقدرُ أن يدركَ معنى الخلودِ، معنى السرمدِ الأبدي، ولكنَّ أهلَ الجنةِ

وأهلَ النارِ يعرفون ذلك لما روي عنه صلى الله عليه وعلى آله أنه قالَ: ((إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ، وأهلُ النارِ النارَ، يجاءُ بالموتِ كأنه كبشٌ أملحُ، فينادي منادٍ: يا أهلَ الجنةِ هل تعرفونَ هذا؟ فيشرفون وينظرون، وكلُّهم قد رآه، ويقولون: نعم، هذا الموتُ. ثم يُؤخذُ ويذبحُ، ويُقال لأهلِ الجنةِ: يا أهلَ الجنةِ خلودٌ ولا موتَ، ويا أهلَ النارِ خلودٌ ولا موتَ، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴿٣٩﴾﴾))

وعن النبي ﷺ أنه قال: ((لو قيل لأهل النارِ: إنكم ماكثون في النارِ عددَ كلِّ حصاةٍ في الدنيا لفرحوا بها، ولو قيل لأهل الجنةِ: إنكم ماكثون في الجنةِ عددَ كلِّ حصاةٍ في الدنيا لحزنوا، ولكن جعل لهم الأبد)).

حق للقلوبِ أن تذوبَ، وللأرواحِ أن لا تستقرَّ في الأجسادِ لهولِ الموقفِ، وحق لمن حكَّم عقلَه ونظرَ في عاقبةِ أمرِه ألا يرقى له جفنٌ، ولا يهنأ له عيشٌ وبعدَه ما بعدَه من الأهوالِ والشدائدِ.

نسألُ اللهَ العظيمَ الكريمَ أن يجنبَنا غضبَه وعقابَه، وأن يُلهمَنا رشدَنا، وأن يهديَنا سواءَ السبيلَ إنه جوادٌ كريم.

واعلموا عباد الله:

أنكم في يومٍ كرَّمَه اللهُ وشرَّفَه على سائرِ الأيامِ فأكثروا فيه مِن الصلاةِ والسلامِ على نبيِّكم الأمينِ امتثالاً لأمرِ اللهِ القائلِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾

اللهم فصلِّ وسلِّم على سيدِنا محمدٍ وآله صلاةً دائمةً ناميةً لا انقطاعَ لأمدِها، ولا انتهاءَ لعددِها.

وصلِّ اللهم على أخيه وابنِ عمِّه مولانا أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ، وعلى زوجتِه الحوراءِ، وخامسةِ أهلِ الكساءِ، فاطمةَ البتولِ الزهراءِ، وعلى ولديهما الإمامينِ الأعظمينِ أبي محمدٍ الحسنِ، وأبي عبدِ اللهِ الحسينِ، وعلى مَنْ بينَنا وبينَهم

مِن الأئمةِ الهادينَ دعاةً منهم ومقتصدينَ، وعلى سائرِ أهلِ بيتِ نبيئك أجمعين.

وارضَ اللهم عن الصحابةِ الأخيارِ من المهاجرينَ والأنصارِ والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين، وارضَ عنا معهم برحمتِكَ يا كريمُ.

اللَهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مَنْ نَارٍ تَغَلَّظْتَ بِهَا عَلَى مَنْ عَصَاكَ، وَتَوَعَّدْتَ بِهَا مَنْ صَدَفَ عَنْ رِضَاكَ، وَمِنْ نَارٍ نورُهَا ظُلْمَةٌ وَهَيِّنُهَا أَلِيمٌ، وَبَعِيدُهَا قَرِيبٌ، وَمِنْ نَار يَأْكُلُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيَصُولُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْض، وَمِنْ نَار تَذَرُ الْعِظَامَ رَمِيماً، وَتَسْقِي أَهْلَهَا حَمِيماً، وَمِنْ نَار لَا تُبْقِي عَلَى مَنْ تَضَرَّعَ إِلَيْهَا، وَلَا تَرْحَمُ مَنِ اسْتَعْطَفَهَا، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى التَّخْفِيفِ عَمَّنْ خَشَعَ لَهَا وَاسْتَسْلَمَ إِلَيْهَا، تَلْقَى سُكَّانَهَا بِأَحَرِّ مَا لَدَيْهَا مِنْ أَلِيمِ النَّكَالِ وَشَدِيدِ الْوَبَالِ، وَنعُوذُ بكَ مِنْ عَقَارِبِهَا الْفَاغِرَةِ أَفْوَاهَهَا، وَحَيّاتِهَا الصَّالِقَةِ بِأَنْيَابِهَا، وَشَرَابِهَا الَّذِي يُقَطِّعُ أَمْعَاءَ وَأَفْئِدَةَ سُكَّانِهَا، وَيَنْزِعُ قُلُوبَهُمْ، وَنَسْتَهْدِيْكَ لِمَا باعَدَ مِنْهَا وَأَخَّرَ عَنْهَا. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَأَجِرْنا مِنْهَا بِفَضْل رَحْمَتِكَ، وَأَقِلْ عَثَرَاتِنا بِحُسْنِ إِقَالَتِكَ، وَلَا تَخْذُلْنِا يَا خَيْرَ الْمُجِيرِينَ، إِنَّكَ تَقِي الْكَرِيهَةَ، وَتُعْطِي الْحَسَنَةَ، وَتَفْعَلُ مَا تُرِيدُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْء قَدِيرٌ.

اللهم انصرِ الإسلامَ والمسلمينَ، واخذلْ أعداءَك أعداءَ الدينِ وفرِّقْ جمعَهم وشتتْ شملَهم واقطعْ دابرَهم واجعلْهم غنيمةً للمسلمينِ واكفِ المسلمينَ شرَّهم وضرَّهم يا ذا القوةِ المتين آمينَ ربَّ العالمين.

جعلَنا اللهُ وإياكم من الرابحين السعداءِ يومَ يخسرُ المبطلونَ الأشقياءُ إن ربي وليُّ النعماءِ وكاشفُ الضرِّ والبلاءِ وهو حسبُنا ونعمَ الوكيل.

عبادَ الله:

﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فاذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يذكرْكم واشكروه على نعمِه يزدْكم، ولذكرُ اللهِ أكبرُ واللهُ يعلمُ ما تصنعون.

الخطبة الأولى

الجنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي جعلَ المؤمنينَ فيما بينهم إخوانًا، وأوجبَ عليهم أن يكونوا في نصرةِ الحقِّ أعوانًا، والحمدُ للهِ الذي ربطَ الأمورَ بأسبابِها، وجعلَ أفضلَ الطرقِ للوصولِ إلى المقصودِ أن تُؤتَى البيوتُ من أبوابِها.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً نرجو بها النجاةَ من النارِ وعذابِها، ونأملُ بها الفوزَ بدارِ النعيمِ وطيبِ مأكلِها وعَذْبِ شرابِها.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أنصحُ مَن وعظَ، وأحكمُ الخلقِ فيما قصدَ صلى الله عليه وعلى آلِه ومن سلكَ سبيلَهم في المقالِ والفعالِ والمعتقدِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

وبعدُ:

عبادَ اللّه:

إنَّ مِن أعظمِ ما وعدَ به اللهُ المتقين، وبشرَ به عبادَه الصالحين الجنةَ، تلك الأمنيةُ التي هي غايةُ كلِّ مخلوقٍ وذلك النعيمُ الذي اشتاقتْ إليه النفوسُ، وطمعتْ في نيلِه الخلائقُ، ذلك النعيمُ الذي فاقَ كلَّ تصورٍ، وبلغَ حدًّا لا يمكنُ وصفُه، بل إن العقولَ بما تملكُ من إدراكٍ للحقائقِ، وبما وصلَ إليه من خيالاتٍ وأوهامٍ، لا زالتْ قاصرةً عن إدراكِ نعيمِ الجنةِ على حقيقتِها، فالجنةُ قد تعدتْ حدَّ المعقولِ، وفاقتْ كلَّ التخيلاتِ، ولقد أوجزَ في وصفِها رسولُ اللهِ ﷺ بما يزيدُها غموضًا فوق غموضِها فقال ﷺ: ((فيها ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ))، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وخلاصةُ القولِ أن الجنةَ نعيمٌ لا طاقةَ للسانِ أن يُعبّرَ عنه، فهي أعلى وأجلُّ من كلِّ ما ذهبَ إليه الخيالُ وفوقَ كلِّ ما يمكنُ تصورُه.

جَرِّبْ أن تتخيلَ أعظمَ نعيمٍ وأجملَ وألذَّ حياةٍ فالجنةُ فوقَ كلِّ ذلك.

عباد الله:

إن تلك الدارَ الآخرةَ لهي الحيوانُ: هي الحياةُ الحقَّةُ، ومقعدُ الصدقِ.

تأملْ قولَ اللهِ تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ فصرَّحَ تعالى بأن هذه الحياةَ ليستْ إلا لهوًا ولعبًا، وأن الآخرةَ لهي الحيوان، فمعنى ذلك أن هذه الحياةَ التي نحن مشغوفون بها متناحرون عليها إنها عبارةٌ عن لعبٍ فقط وحياةِ لهوٍ، بل ليست بحياةٍ، ولا تستحقُ أن تسمى حياةً، فهي أقربُ للموتِ والعدمِ من الحياةِ الحقيقيةِ، وأن موضعَ سوطٍ في الجنةِ خيرٌ من الدنيا وما فيها، ويكفينا أن نعرفَ بأن أدنى ما يمكنُ أن نصفَها به أن نقولَ أن غمسةً واحدةً في الجنةِ تُنسي كلَّ همومِ الدنيا، لما ورد في الأثرِ بأنه يُؤتى بأشدِّ الناسِ بلاءً وأكثرِهم في الدنيا فقرًا وحزنًا وبؤسًا فيُغْمَسُ فيها غمسةً واحدةً، فيقالُ له بعد ذلك، هل رأيت بؤسًا قط؟

فيقولُ: لا.

ما بالك بنعيمٍ يُنسيكَ كلَّ ما أصابَكَ من همومٍ وأحزانٍ ومتاعبَ من أولِ قدمٍ تضعُها في الجنةِ.

فإذا كان مجردُ الدخولِ من بابِها وشمِّ رائحتِها يُنسي همومَ الدنيا، فما بالك بنعيمِها، والخلودِ فيها بين أشجارِها وأطيارِها وحورِها وقصورِها.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ فبين تعالى بأن المزَحْزَحَ عن النارِ الذي كان قابَ قوسين أو أدنى من دخولِها، ثم زُحْزِحَ إلى الجنةِ في أدنى مراتبِها، وأقلِّ منازلِها يعدُّ من الفائزين، فهذا هو الفوزُ الحقيقيُّ وأما الدنيا فإنها ليست إلا متاعَ

الغرورِ، فإذا كان أقلُّ الناسِ مرتبةً في الجنةِ فائزٌ فماذا يُسمى من بلغَ أعلى المنازلِ في الفردوسِ الأعلى من الجنةِ.

نسألُ اللهَ ألا يحرمَنا الجنةَ وأن يجعلَنا من أهلِها المخلدين فيها.

عباد الله:

إنها الجنةُ دارُ البقاءِ، والنعيمِ الدائمِ والحياةِ الخالدةِ.

تأمَّلْ قولَ اللهِ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ فقد سمى اللهُ تعالى الجنةَ مقعدَ صدقٍ، ومفهومُ ذلك بأن هذه الدنيا ليست إلا مقعدَ كذبٍ بجنبِ الآخرةِ والحياةِ الحقيقيةِ.

فليس الدنيا بجنبِ الآخرةِ إلا كالظلِ للأشياءِ، فكم الفرقُ بين الإنسانِ وظلِّه، وبين الحدائقِ والبساتينِ وظلالِها، بل إن الجنةَ أعظمُ من كلِّ ذلك.

كيف لنا أن نُقارِنَ بين الدنيا الحقيرةِ والجنةِ العظيمةِ؟ كيف نقارنُ بين قصورٍ من طينٍ وقصور لبنة من ذهبٍ ولبنة من فضةٍ، وبين أشجارٍ من خشبٍ مشوكةٍ تثمرُ في العامِ مرةً مغروسةً بين أرضٍ سبخةٍ وبين أشجارِ الجنةِ التي أصولُها من ياقوتٍ غُرستْ بين ترابِ المسكِ أكلُها دائمٌ، تُسقى من ماءٍ غيرِ آسنٍ، كيف نقارنُ بين حورِ الجنةِ المخلوقاتِ من المسكِ والكافورِ وماءِ الوردِ وبين نساءِ الدنيا المخلوقاتِ من الطينِ والماءِ المهينِ؟ كيف نقارنُ بين عسلِ الدنيا الخارجِ من بطنِ ذبابةٍ وبين عسلِ الجنةِ الذي يتدفقُ من تحتِ جبالِ المسكِ؟ فشتانَ ما بين ذاك وذا، وفرقٌ كبيرٌ ما بين الآخرةِ والدنيا ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

عباد الله:

إنَّ الجنةَ صنعٌ صنعَه اللهُ، وضيافةٌ أعدَّها تعالى فأحسنَ إعدادَها، وبناها فأتقنَ بناءها، وغرَسَها فأبدعَ نظامَها، وأنشأها على أكملِ هيئةٍ وأتمِّ صورةٍ، ومن شأنِ العظيمِ أن يكونَ ما أبدعَه عظيماً، ومن شأنِ العظماءِ أن تكونَ ولائمُهم وضيافاتُهم عظيمةً.

فإننا نجدُ كلَّ شيءٍ يعظمُ بِعِظَمِ فاعلِه، ويكبرُ بكِبَرِ صانعِه، فكلما كان الْمُنشئُ له غنيًا ومتمكنًا وذا خبرةٍ وكفاءةٍ كلما كان ما يفعلُه أكملَ وأعظمَ شأناً من غيرِه، وهؤلاء كلُّهم خلقٌ فقراءُ في جنبِ اللهِ الغنيِّ الحميدِ القادرِ الحكيمِ العليمِ، الذي إذا أعدَّ شيئًا فإنه لا محالةَ سيكونُ على أعظمِ هيئةٍ وأكملِ صورةٍ فتباركَ اللهُ أحسنُ الخالقين.

فقد خلقَ الجنةَ وأعدَّها، وأتقنَ خلقَها، وأحسنَ بِناها، وأبدعَ نظامَها، وعظّمَ شأنَها والعظيمُ لا يعظمُ ما شأنُه الحقارةُ والخِسَّةُ، تعالى اللهُ عما يصفون.

عبدَ اللهِ:

تأملْ في هذه الدنيا بما حوتْ من زينةٍ ومناظرَ خلابةٍ وملاذَّ وشهواتٍ.

انظرْ وتأملِ تلك المدنَ العظيمةَ والمباني العاليةَ التي تُناطحُ السحابَ، انظرْ إلى تلك البساتينِ الخضراءِ، والحدائقِ والملاهي والمنتزهاتِ التي تَسحرُ الألبابَ وتحارُ في جمالِها العقولُ.

تأملْ تلك المناظرَ البديعةَ والفنادقَ الرائعةَ بما حوتْ من المجالسِ والأسِرّةِ والغرفِ المكيفةِ والفرشِ الناعمةِ والتي يخيلُ للناظرِ إليها أنه في حُلُمٍ لا حقيقةٍ مع أنَّ كلَّ ذلك من متاعِ الدنيا ومن صنعِ البشرِ.

وانظرْ فيما هناك من ترفٍ ورغدِ عيشٍ يتقلبُ فيه الأمراءُ والملوكُ وأهلُ الثرواتِ من الأغنياءِ من مأكولاتٍ وملذاتٍ وشهواتٍ وطيباتٍ من فواكهَ وأطعمةٍ ومشروباتٍ، ومركوباتٍ من دوابٍّ وسياراتٍ وطائراتٍ وغواصاتٍ وملاهي وحدائقَ، ومسابحَ وقصورٍ ومنتزهاتٍ وكلِّ ما لَذَّ وطابَ من المآكلِ والمشاربِ التي لا نتصورُها ولا تخطرُ لنا على بالٍ.

عباد الله:-

كلُّ مَن تأملَ في تلك الملذاتِ في الدنيا وما حوتْ من زينةٍ وبهارجَ يتساءلُ قائلاً: كيفَ الجنة؟؟

إنَّ ما نراه في الدنيا من متاعٍ هو مِن خلقِ البشرِ ومن صنعِ المصنوعِ العاجزِ الضعيفِ.

فكيف بخلقِ الجنةِ ونعيمِها الذي هو خلقُ اللهِ القادرِ وإبداعُ الغنيِّ الحميدِ الذي لا يُعجزه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ؟

عبد الله:

إذا تأملتَ فيما حَوَتِ الدنيا من زينةٍ، وما وَصَلَ إليه الحالُ فيها من بهجةٍ وجمالٍ فتذكرْ قولَ المولى عزَّ وجلَّ ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ﴿وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ وقولَ الرسولِ ﷺ:((لو كانت الدنيا تساوي عندَ اللهِ جناحَ بعوضةٍ ما سقى الكافرَ منها شربةَ ماءٍ)).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِؤُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفاً وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾

يا الله!

ما أعظمَ ما يصفُ لنا اللهُ ورسولُه من نعيمِ الجنةِ، وما يُشَوِّقُنا إليه من متاعِها، وما أعدَّ فيها لأوليائِه من النعيمِ الدائمِ والراحةِ الأبديةِ التي لا يعلمُها إلا اللهُ حيثُ قالَ عزَّ مِن قائلٍ: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

عبدَ الله:

تُرى ما ذلك الجزاءُ الذي أعدَّه اللهُ وأخفاه، والذي تَقَرُّ به عيونُ أوليائِه المتقين.

﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً ﴿٦١﴾﴾

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلَاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً﴾

عباد الله:

أَوَدُّ أنْ أَصْحَبَكم في رحلةٍ تَصَوُّرِيَّةٍ وجَوْلَةٍ تَرفيهيةٍ نُمَتِّعُ فيها الخيالَ ونُشَوِّقُ النفسَ حولَ مائدةِ اللهِ العظمى، وضيافةِ اللهِ الكبرى إلى الجنةِ دارِ المتقين، وجائزةِ الموحدين.

نطوفُ وإياكم حولَ ذلك النعيمِ الخالدِ، ونتعرَّفُ على قطرةٍ من بحرِ نعيمِها، وذرةٍ من كثبانِ مسكِها، وما أعدَّ اللهُ فيها علَّ القلوبَ أنْ تَطْمَعَ فيما أعدَّهُ اللهُ، وتسابقَ مع المسابقين في مِضْمَارِ الطاعةِ لنيلِ تلك الجائزةِ العظمى.

ودليلُنا في رحلتِنا هذه هو كتابُ اللهِ وما جاءنا عن النبيِّ الأعظمِ في وصفِ الجنةِ وما فيها من النعيمِ.

والبدايةُ مع رسولِ اللهِ ﷺ كما روي عنه في الإرشادِ أنه قالَ لعليٍّ عليه السلام: ((يا عليُّ، إنَّ المتقينَ إذا خرجوا من قبورِهم استُقْبِلُوا بنوقٍ عليها رحائلُ الذهبِ يستوونَ عليها، فتطيرُ بهم حتى ينتهوا إلى بابِ الجنةِ، فإذا حِلْقَةٌ مِن ياقوتٍ على صفائحِ البابِ، وإذا عندَ البابِ شجرةٌ ينبعُ مِن أصلِها عينانِ، فيشربونَ مِن إحدى العينينِ، فلَمَّا بَلَغَ الشرابُ إلى الصدورِ أخرجَ اللّهُ ما في صدورِهم مِن الغلِّ والحسدِ والبغي، فذلك قولُه تعالى:﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ فلما انتهى إلى البطنِ طَهَّرَهُ اللّهُ من دَنَسِ الدنيا وقَذَرِها، وذلك قولُه تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾ ثم اغتسلوا من الأُخرى، فجرتْ عليهم النضرةُ والنعيمُ، لا تشعثُ أشعارُهم، ولا تتغيرُ ألوانُهم، فيَضربونَ بالحلقةِ على الصفائحِ، ولو سمعتَ لها طنيناً يا علي، فتبلّغُ كلُّ حوراءَ أن زوجَها قد قَدِمَ، فتبعثُ إليه قَيِّمَةً (أيْ: خادمةً)، فتقول: يا وليَّ اللّهِ، أنا قيمكَ الذي وُكِّلْتُ بمنزلِك، فينطلقُ وهو بالأثرِ حتى ينتهيَ إلى قصرٍ من الفضةِ، شُرُفُهُ الذهبُ، يُرى ظاهرُه من باطنِه، وباطنُه من ظاهرِه، فيريدُ أن

يدخلَه، فيقولُ: يا وليَّ اللّهِ أمامَكَ ما هو أحسنُ، فينطلقُ به إلى قصرٍ من الذهبِ، شُرُفُهُ فضةٌ، يُرى باطنُه من ظاهرِه، وظاهرُه من باطنِه، فيقولُ: لِمَنْ هذا؟ فيقولُ: هو لكَ، فقال ﷺ: ولو ماتَ أحدٌ مِن أهلِ الجنةِ مِن الفرحِ لماتَ هو، فيريدُ أن يدخلَه، فيقولُ: أمامَكَ ما هو أحسنُ منه، فلا يزالُ يُمَرُّ به على قصورِ جنانِهِ وأنهارِه، حتى ينتهيَ به إلى غرفةٍ من ياقوتٍ أحمرَ وأخضرَ وأصفرَ وأبيضَ، في الغرفةِ سريرٌ، عرضُه فرسخٌ في طولِ ميلٍ، عليه من الفُرُشِ كقدرِ سبعينَ غرفةٍ، بعضُها فوقَ بعضٍ، فراشُه نورٌ، وسريرُه نورٌ، وعلى رأسِ وليِّ اللّهِ تاجٌ، لذلك التاجِ سبعونَ ركنًا، في كلِّ ركنٍ ياقوتةٌ تضيءُ مسيرةَ ثلاثةِ أيامٍ للراكبِ المتعبِ، ووجهُهُ مثلُ القمرِ ليلةِ البدرِ، عليه طوقٌ ووُشاحان، له نورٌ يتلألأُ، وفي يدِهِ ثلاثةُ أسورةٍ من فضةٍ وذهبٍ ولؤلؤٍ، وذلك قولُه تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ فيهتزُّ السريرُ فرحًا وشوقًا إلى وليِّ اللّهِ، ويَتَّضِعُ له حتى يستويَ عليه، ثم يهتزُّ في السماءِ، ثم أتاه قهرمانةُ بقضيبِ الملكِ، فجعلَ ينكُتُ فينظرُ إلى أساسِ بنيانِه، ويسترقه مخافةَ أن يذهبَ بصرُه (وذلك لطول القصر وارتفاعه))

فبينا هو كذلك إذ أقبلتْ حوراءُ عيناءُ، معها سبعون جاريةً وسبعون غلامًا، وعليها سبعون حُلَّةً، يُرى مُخُّ ساقِها من وراءِ الحُلَلِ والحليِّ والجلدِ والعظمِ، كما يُرى الشرابُ الأحمرُ في الزجاجةِ البيضاءِ، وكما يرونَ السلكَ في الدرةِ الصافيةِ، قال: فلما عَايَنَها نَسِيَ كلَّ شيءٍ قبلَها، فتستوي معه على السريرِ، فيضربُ بيدِه إلى نحرِها، وإذا هو يقرأُ ما في كبدِها وإذا فيه مكتوبٌ «أنتَ حُبي وأنا حُبُّك، إليك اشتهتْ نفسي»، فذلك قولُه تعالى:﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ فيتنعَّمُ معها سبعين عامًا لا تنقطعُ شهوتُها ولا شهوتُه، فبيناهم كذلك إذ أقبلت الملائكةُ -وللغرفةِ سبعون ألفِ بابٍ، وعلى كلِّ بابٍ حاجبٌ- فتقولُ الملائكةُ: استأذنوا لنا على وليِّ اللّهِ. فتقولُ الحجابُ إنه ليتعاظمُنا أن نستأذنَ لكم عليه، إنه لمع أزواجه، فيقولون: لابد لنا، إنا رُسُلُ الجبارِ إليه. فيناجونه فيما بينهم -أي: ينادونه بصوتٍ خفيٍّ-

فيقولون: يا وليَّ الجبارِ، إن الملائكةَ يستأذنونَ عليك. فيقولُ: ائذنوا لهم، ثم تلا قولَه تعالى: ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾ يعني تسليم الملائكة).

وعن أنسِ بنِ مالكٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((يبعثُ اللهُ عزَّ وجلَّ أهلَ الجنةِ على صورةِ آدمَ عليه السلام في ميلادِ ثلاثٍ وثلاثينَ سنةً جردًا مردًا مكحلين ثم يذهبُ بهم إلى شجرةٍ في الجنةِ، ويلبسون منها ثيابًا خضراءَ، لا تبلى ثيابُهم، ولا يفنى شبابُهم، ولا تنومُ أعينُهم، لأنَّ النومَ أخُ الموتِ، وهم لا يموتون أبدًا، يسعى بين أيديهم غِلْمانُهم بالمجامرِ والأكوابِ، والأزواجِ على الأرائكِ ينظرون ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ وفي مثلِ هذا ﴿فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ...﴾)).

عباد الله:

إنَّ الجنةَ أكبرُ مما يتصورُهُ عقلٌ، وأعظمُ مما يتخيلُه الإنسانُ، فهي أعدتْ لتكونَ دارَ بقاءٍ وخلودٍ أبديٍّ، وزيَّنَها ربُّها ليُرَغِّبَ عبادَه فيها ويُشَوِّقُهم إليها فجعلَ كلَّ نعيمٍ سواها ناقصًا.

وأعظمُ النعمِ هناك أن يغشى المؤمنَ فيه من المسرةِ والهناءِ ما لا يُوصَفُ ويذهبُ عنه الحزنُ والهمُّ والنكدُ، ويتخلى من مشاغلِ الدنيا وهمومِها.

هناك يستطيعُ العبدُ المؤمنُ أن يمدَّ ظهرَه، ويسترخيَ على سريرِ مُلكِهِ وهو في أتمِّ نعمةٍ وعافيةٍ وأكملِ مسرةٍ، لا يخافُ ظلمًا ولا هضمًا، ولا يخشى عدوًا ولا حاسدًا، وهو مع ذلك قريرَ العينِ، آمنٌ من الفقرِ آمنٌ من المرضِ، ومن الوهنِ، آمنٌ من المشيبِ والكبرِ، آمنٌ من الموتِ والمصائبِ، هناك يمكنُ للمؤمنِ أن يرتاحَ ويطمئنَ ويفرحَ ويبتهجَ، وحق له ذلك فبذلك فليفرحوا هو خيرٌ مما يجمعون.

هناك يتربَّعُ المؤمنونَ المستضعفونَ في الدنيا على أسرَّةِ الملكِ ويلبسونَ التيجانَ والأساورَ، ويلبسونَ ثيابًا خضرًا من سندسٍ وإستبرقٍ، وحلوا أساورَ من فضةٍ.

أدناهم منزلةً مَن يملكُ مثلَ هذه الدنيا وبين يديه أكثرُ من ألفِ وصيفٍ ووصيفةٍ وغلامٍ وجاريةٍ إذا رأيتَهم حسبتَهم لؤلؤاً منثوراً.

كلُّهم رهنُ إشارتِه، وطوعُ أمرِه، خلقوا لخدمتِه، وإذا أرادَ شيئًا لبَّى طلبَهُ ألفُ غلامٍ، في أسرعِ مِن طرفةِ عينٍ ولسانُهم: لبيكَ سيدي ومولاي.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١ وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ۝٢٣ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٢٤ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً ۝٢٥ إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً﴾

عن أبي سعيدٍ الخدري أن النبيَّ ﷺ قال: ((إنَّ اللهَ لما أحاطَ حائطَ الجنةِ لبنة من ذهبٍ ولبنة من فضةٍ قال لها: تكلمي: قالتْ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ قال: طوبى لك منزلُ الملوك)).

وقال ﷺ فيما رواه الإمام زيد عن آبائه عليهم السلام: ((الجَنَّةُ لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَلَبِنَةٌ مِن فِضَّةٍ، حَصْبَاؤُهَا اليَاقُوتُ وَالزُّمُرُدُ، وَمِلاطُهَا المِسْكُ الأَذْفَرُ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ، أَنْهَارُهَا جَارِيةٌ، ثِمَارُهَا مُتَدَلِّيةٌ، وَأَطْيَارُهَا مُرِنَّةٌ، لَيْسَ فِيهَا شَمْسٌ وَلا زَمْهَرِيرٌ، لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْ أَهلِهَا أَلفُ حَوْرَاءَ، يَمْكُثُ مَعَ الحَوْرَاءِ مِنْ حُورِهَا أَلْفَ عَامٍ لا تَمَلُّهُ وَلا يَملُّهَا، وَإِنَّ أَدْنَى أَهلِ الجَنَّةِ مَنزِلَةً لَمنْ يُغْدَى عَلَيْهِ وَيُرَاحُ بِعَشَرَةِ آلافِ صَحْفَةٍ، فِي كُلِّ صَحْفَةٍ لَوْنٌ مِنَ الطَّعَامِ، لَهُ رَائِحَةٌ وَطَعْمٌ لَيْسَ لِلآخَرِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ يَمُرُّ بِهِ الطَّائِرُ فَيَشْتَهِيهِ فَيخِرُّ بَينَ يَدَيْهِ إِمَّا طَبِيخاً وَإِمَّا مَشْوِيًّا مَا خَطَرَ بِبَالِهِ مِنَ الشَّهْوَةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ مِن أَهْلِ الجَنَّةِ لَيَكُونُ فِي جَنَّةٍ مِن جِنَانِهِ مِن أَنْوَاعِ الشَّجَرِ إِذْ يَشْتَهِي ثَمَرَةً مِن تِلْكَ الثِّمَارِ، فَتُدْنَى إِلَيْهِ، فَيَاكُلُ مِنْهَا مَا أَرَادَ، وَلَوْ أَنَّ حَوْرَاءَ مِنْ حُورِهِمْ بَرَزَتْ لأَهْلِ الأَرْضِ لأَعْشَتْ ضَوْءَ الشَّمْسِ، وَلافتَتَنَ بِهَا أَهْلُ الأَرْضِ)).

عباد الله:

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعَني وإياكم بما فيه مِن الآياتِ والذكرِ الحكيمِ إنه تعالىٰ جوادٌ ملكٌ بَرٌّ رؤوفٌ رحيمٌ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

الخطبة الثانية

الجنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي شَرَّعَ لعبادِه الشرائعَ وأكملَها، وبيَّنَ لهم حدودَها وفروضَها وسُنَنَها، لم يتركْ عبادَه في حيرةٍ من دينِهم، ولا في نقصٍ من عباداتِهم، بل بيَّنَ لهم الدينَ وأكملَه، فلم يمتِ نبيُّهُ حتى تركَ أمتَه على المحجةِ البيضاءِ ليلُها كنهارِها لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ، فللَّهِ الحمدُ والنعمةُ والفضلُ والمنةُ.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه الطاهرين مِن يومنا هذا إلى يومِ الدينِ وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ:-

عبدَ الله:

تأملْ معي قليلًا في تلك الدارِ العظيمةِ التي لا يعرفُ قدرَها إلا مِن عرَفَ عظمةَ صانِعها وبانيها.

فاللهُ تعالى هو الذي بناها وغرَسَها وأحسنَ خلقَها، وهو الغنيُّ المطلقُ، فلا شيءَ يعجزُه إذا أرادَ شيئاً قالَ له: كُنْ فيكون، خبيرٌ بحاجةِ عبادِه، عالمٌ بما يشتهون، هو العالمُ بِطِباعِهم وما إليه يميلون فأعدَّ الجنةَ وفقَ رغباتِهم ملبيةً لحاجاتِهم.

فسبحانَ اللهِ الذي أحسنَ خلقَ كلَّ شيءٍ، وأبدعَ نظامَه وأحسنَ تدبيرَه.

﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾

إذا عرفتَ ذلك فتأملْ تلكَ الدارَ وأَمْعِنْ فيها الفكرَ، دارٌ حيطانُها لَبِنَةٌ من ذهبٍ ولَبِنَةٌ من فضةٍ، ملاطُها المسكُ.

سبحان الله:

هذا البناءُ الخارجيُّ لمملكةٍ مثل الدنيا بُنِيَتْ من الذهبِ والفضةِ.

كلُّ لبنةٍ كالسبيكةِ العظيمةِ، وملاطُها، أي: الملاجُ أو الدهانُ الذي على جدرانِها من الداخلِ من المسكِ.

لقد هُجِرَتْ المصطلحاتُ الدنيوية وآلاتُ العصرِ الحاضرِ، فلا أحجارَ ولا ترابَ، ولا إسمنتَ ولا جبسَ.

هناك أصبحَ كلُّ شيءٍ له بديلٌ حلَّ محلَّه أعظمُ منه، فقد حلتْ سبائكُ الذهبِ والفضةِ محلَّ الأحجارِ، وحلَّ المسكُ محلَّ الإسمنتِ، والزعفرانُ محلَّ الترابِ، والدُرُّ محلَّ الحصى.

لم يَعُدْ هناكَ من مخلفاتِ الدنيا شيءٌ.

المؤمنُ هناكَ في ملكٍ عظيمٍ لا يَرى فيه شمسًا ولا زمهريراً ولا غباراً، في سدرٍ مخضودٍ، وطلحٍ منضودٍ، وظلٍّ ممدودٍ، وماءٍ مسكوبٍ، وفاكهةٍ كثيرةٍ لا مقطوعةٍ ولا ممنوعةٍ وفرشٍ مرفوعةٍ.

كلُّ شيءٍ في الجنةِ جميلٌ وطيبٌ، فكلُّ مُسْتَحْسَنٍ من الطيرِ ومألوفٍ من الحيوانِ فهو في الجنةِ.

وكلُّ وحشيٍّ مفترسٍ وذي مَخْلَبٍ أو نابٍ فهو لأهلِ النارِ من كلابٍ وحياتٍ وعقاربَ وثعابينَ.

فالجنةُ كلُّها مسرةٌ وهناءٌ، أينَ ما وضعتَ عينَيك ترى ما يسرُّك ويريحُك.

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۝٧٠ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٧١ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧٢ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾

ليس في الجنةِ شيءٌ لا قيمةَ له، فكلُّ شيءٍ في الجنةِ له فائدةٌ ومنفعةٌ.

وما عسى أن تحويَ دارٌ في داخلِها إذا كان خارجُها من الذهبِ والفضةِ فكيف بداخلِها.

القصورُ عاليةٌ بُنيتْ من الذهبِ والفضةِ الخالصةِ التي يُرى ظاهرُها من باطنِها، ذهبٌ كالزجاجِ لشدةِ نقائه وصفائه.

الأرضُ من حولِ القصرِ فُرِشَتْ بالمسكِ، ذلك الطِّيْبُ الذي عزَّ وجودُه على الملوكِ والأغنياءِ في الدنيا قد أصبحَ ترابًا في الجنةِ يداسُ تحتَ أقدامِ أولئكَ المؤمنينَ المستضعفينَ الفقراءَ المحتاجينَ جزاءً بما كانوا يعملون.

الذين كانوا يعيشون في بيوتٍ من القشِّ وغرفٍ من الطينِ لا تقيهم من حرٍّ ولا بردٍ، أصبحوا اليوم مبوَّئين من الجنةِ غرفاً تجري من تحتِهمُ الأنهارُ.

وصفَها النبيُّ ﷺ بقولِه: ((إن في الجنةِ غرفًا من أصنافِ الجوهرِ كلِّه يُرى ظاهرُها من باطِنِها، وباطنُها من ظاهرِها، وفيها من النعيمِ واللذاتِ والسرورِ ما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ)).

وقد سُئلَ ﷺ عن قولِه تعالى: ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ فقالَ: ((هي قصورٌ من اللؤلؤِ في كلِّ قصرٍ سبعون دارًا من ياقوتٍ أحمرَ في كلِّ دارٍ سبعون بيتًا من زمردٍ أخضرَ، في كلِّ بيتٍ سريرٌ على كلِّ سريرٍ سبعون فراشًا من كلِّ لونٍ على كلِّ فراشٍ زوجةٌ مِن الحورِ العينِ في كلِّ بيتٍ سبعون مائدةً على كلِّ مائدةٍ سبعون لونًا من الطعامِ، وفي كلِّ بيتٍ سبعون وصيفةً، ويُعطى المؤمنُ في كلِّ غداةٍ من القوةِ ما يأتي على ذلك كلِّه)).

عبادَ اللّه:

هذا كلُّه للمؤمنِ الواحدِ واللهُ يضاعفُ لمن يشاءُ.

عبادَ اللّه:

إنها جنةُ الخلدِ فيها أنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسنٍ وأنهارٌ من لبنٍ وأنهارٌ مِن خمرٍ وأنهارٌ مِن عسلٍ مُصفى.

تلك الملاذُ التي عزَّ وجودُها في الدنيا والتي حُرِمَها أكثرُ الناسِ اليومَ، أصبحتْ هناكَ أنهارًا متدفقةً تجري من تحتِ القصورِ من اللبنِ والخمرِ والعسلِ.

أنهارٌ ليس لبنُها من بينِ فرثٍ ودمٍ ولا عسلُها من بطنِ حشرةٍ صغيرةٍ ولا خمرُها من ذلك التنُ الذي يذهبُ بالعقولِ، بل إنها تتفجرُ من تحتِ جبالِ من المسكِ.

إنها الجنةُ حوتْ كلَّ نعيمٍ، فيها الأشجارُ المتدليةُ والثمارُ اليانعةُ والفواكهُ المتنوعةُ.

ثمرُها على الدوامِ ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ تشتهي الثمرةَ البعيدةَ فتتدلى بين يديك فتقطفُها، ويخلقُ اللهُ مكانَها غيرَها، وذلك قولُ اللهِ: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾ كلُّها يُؤكلُ ظاهرُها وباطنُها ليس فيها بذرٌ ولا قشرٌ ولا مخلفاتٌ ترميها على الأرضِ، لا ليس هناكَ براميلُ قمامةٍ ولا بلديةُ نظافةٍ كلُّ شيءٍ مُسْتَهْلَكٌ في الجنةِ.

إنها الجنةُ ذلك المقرُّ الذي تتحققُ فيه كلُّ الأمنياتِ وتنالُ فيه كلُّ الرغائبِ، وفيها ما تشتهيه الأنفسُ، فقد روي أن الطيرَ ليمرُّ في الهواءِ فيشتهيه المؤمنُ فيخرُّ بين يديهِ كما يشاءُ مطبوخًا أو محنوذاً أو مشوياً.

إنها الجنةُ زَيَّنَها اللهُ بالحورِ العينِ المقصوراتِ في الخيامِ، كأنهنَّ الياقوتُ والمرجانُ، يمشينَ في درجاتِ الجنانِ، إذا اختالتْ إحداهنَّ في مشيِها حملَ أعطافَها سبعونَ ألفًا من الوِلدانِ، عليها مِن طرائفِ الحريرِ الأبيضِ ما تتحيرُ فيه الأبصارُ، مكللاتٍ بالتيجانِ المرصعةِ باللؤلؤِ والمرجانِ، أدنى لؤلؤةٍ على رأسِها تضيءُ ما بين المشرقِ والمغربِ، نصيفُها الذي على رأسِها (أي: تاجُها) خيرٌ من الدنيا وما فيها، إذا ضحكتْ أضاءتْ رحابُ الجنةِ من بريقِ ثناياها، يَرى الرجلُ وجهَهُ في خدِّها أصفى من الْمِرْآة.

لو بَصَقَتْ في البحرِ المالحِ الأجاجِ لَعَذُبَ من طعمِ ريقِها، ولو طلعتْ إحداهنَّ على الدنيا لأكسفتْ بضوءِ الشمسِ، ولافتتنَ عليها أهلُ الأرضِ.

وعن النبي ﷺ أنه قال: ((في الجنةِ حوراءُ يقالُ لها لُعبة خُلِقَتْ من أربعةِ أشياءَ: من المسكِ والكافورِ والعنبرِ والزعفرانِ، وعُجِنَ طينُها بماءِ الحيوانِ، جميعُ الحورِ لها عُشَّاقٌ، لو بصقتْ في البحرِ لَعَذُبَ ماءُ البحرِ من طعمِ ريقِها، مكتوبٌ على نحرِها:(من أحبَّ أن تكونَ له مثلي فليعملْ بطاعةِ ربِّي)).

تلك هي الجنةُ، وهذا بعضُ نعيمِها.

فمن أرادَها فلينافسْ في طلبِها مع المتنافسين، وفي ذلك فليتنافسِ المتنافسون، فهي هبةُ اللهِ وجائزتُه العظيمةُ إنها غاليةٌ حقًّا غاليةٌ وثمنُها غالٍ.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴿١١١﴾ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

وما زالت السوقُ قائمةً، والسلعةُ معروضةً لمن يشتريها، فلنشمِّر فيما شمَّرَ فيه الصالحون للفوزِ بالنعيمِ الدائمِ والخلودِ الأبدي.

عبادَ الله:

إنَّ يومَكم هذا من شعائرِ اللهِ التي أمرَ بتعظيمِها وضاعفَ الأجرَ للمطيعين فيها، فعظِّمُوا هذا اليومَ بالعملِ وبتركِ العصيانِ وأكثروا فيه من الصلاةِ والسلامِ على نبيِّكم الكريمِ امتثالًا لأمرِ اللهِ القائلِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾

اللهم فصلِّ وسلِّم على أبي الطيبِ والطاهرِ والقاسمِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بن هاشمٍ، وصلِّ اللهم وسلِّم على أخيه ووصيه من بعدِه الليثِ الغالبِ

مولانا الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ، وصلِّ اللهم على زوجتِه الحوراءِ فلذةِ كبدِ المصطفى فاطمةَ البتولِ الزهراءِ، وعلى ولديهما الإمامينِ الأعظمينِ أبي محمدٍ الحسنِ وأبي عبدِ اللهِ الحسينِ، وصلِّ اللهم على مولانا الإمامِ الوليِّ بنِ الوليِّ زيدِ بنِ عليٍّ، وصلِّ اللهم على الإمامِ الهادي للحقِّ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ بن إبراهيمَ، وعلى سائرِ أهلِ بيتِ نبيئكَ المطهرينَ دعاةً منهم ومقتصدينَ، وارضَ اللهم عن صحابةِ نبيِّك الأخيارِ من المهاجرينَ والأنصارِ، وارضَ عنا معهم بفضلِكَ ومَنِّكَ يا كريمُ.

اللهم إنا نسألُكَ حُبَّكَ وحبَّ من يحبكَ وحبَّ كلِّ عملٍ يقربُنا إليكَ، اللهم عرِّفْنا بكَ وارزقْنا خوفَكَ وإجلالَ حُرمتِك وتعظيمَ شعائرِك واجعلْنا من الراشدين، اللهم اجعلْنا من حزبِك فإنَّ حزبَك همُ الغالبونَ واجعلنا من جندِك فإنَّ جندَك لهمُ المنصورون، واجعلنا من أوليائِك فإنَّ أوليائِك لا خوفٌ عليهم ولا همْ يحزنون.

اللهم انصرِ الإسلامَ والمسلمينَ واخذلِ الكفرةَ والملحدين، والمفرقينَ بين المسلمين، والصَّادِّين عن ذكرِك والمخربين لدينِك، والمتقطعين في سبيلِك، والمعادين لأوليائِك أينما كانَ كائنُهم، اللهم فرِّقْ جمعَهم وشتتْ شملَهم، وأنزِلْ عليهم بأسَك الذي لا يُرَدُّ عن القومِ الظالمين، اللهم اكْفِنا الفتنَ ما ظهرَ منها وما بطنَ وجنبنا كلَّ شرٍّ وبليةٍ يا أرحمَ الراحمين، اللهم اجعلْ بلدَنا هذا وسائرَ بلادِ المسلمين آمنًا مطمئنًا يا ربَّ العالمين، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

عباد الله:

﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فاذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يذكرْكم واشكروه على نعمِه يزدْكم ولذكرُ اللهُ أكبرُ واللهُ يعلمُ ما تصنعون.

الخطبة الأولى

خلافة الله في الأرض

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ القويِّ العظيمِ الرقيبِ الشهيدِ، يُدَبِّرُ خَلْقَهُ كما يشاءُ بحكمتِهِ فهو الفَعَّالُ لِمَا يُريدُ، أَحْكَمَ ما شَرَعَ وَأَتْقَنَ ما صَنَعَ فهو الوليُّ الحميدُ، حَدَّ لعبادِهِ حُدودًا وَنظمَ لهم تنظيمًا وقالَ لهم: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ فصارَ الناسُ على أقسامٍ، فمنهم ظالمٌ لنفسِهِ ومنهم مقتصدٌ ومنهم سابقٌ بالخيراتِ بإذنِ اللهِ، وإنَّ اللهَ لَيُمْلِي للظالمِ حتى إذا أخذَهُ لم يُفْلِتْهُ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.

وأشهدُ أنَّ لا إلَهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، الملكُ القهارُ، فلا ضدَّ لَهُ ولا نَديد.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ القائمُ بأمرِ اللهِ الناصحُ لعبادِ اللهِ على الرُّشْدِ والتسديدِ، صلى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ الطيبينَ الطاهرين وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد

عباد الله:

إنَّ المتأملَ في خلقِ اللهِ وما أبدعَ في هذا الكونِ مِن دِقَّةٍ في الصنعِ وإحكامٍ في الخلقِ وإحسانٍ في الإنشاءِ حتى اتسقَ على أكملِ نظامٍ واستقامَ في أتمِّ هيئةٍ.

فتباركَ اللهُ أحسنَ الخالقين الذي أحسنَ كلَّ شيءٍ خلقَهُ وبدأَ خَلْقَ الإنسانِ من طينٍ ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ

الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

عباد الله:

إنَّ هذهِ الدِّقَّةَ في الصنعِ، والإتقانَ في الخلقِ، وإبداعَ إنشائِهِ مِن الذَّرَّةِ إلى المجرةِ، كلَّ ذلك آياتٌ لقومٍ يعقلون.

هذا إنْ دَلَّ على شيءٍ فإنما يدلُّ على حكمةٍ أرادَها اللهُ، فاللهُ عندما يأمرُنا بالنظرِ والتفكرِ في خلقِهِ وإبداعِ صنعِهِ ويُعَجِّزُنا أن نجدَ عيباً أو فساداً بقولِهِ تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾، ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ....﴾ إنه يريدُ مِن وراءِ ذلك أنْ يُرشدَنا إلى غايةٍ عظيمةٍ.

وهذا كلُّهُ يتضمنُ رسالةً هامةً يوجهُها اللهُ لعبادِهِ يُبينُ لهم قيمةَ العملِ النظيفِ، العملِ الحسنِ المتقنِ، الخالي مِن الفوضى والعشوائيةِ.

يعلمُنا اللهُ كيفَ يؤدي الصانعُ عملَهُ بدقةٍ متناهيةٍ منظم بلا اختلالٍ ولا إهمالٍ أو تفريطٍ، وكيف تكونُ إدارةُ الأمورِ فقالَ تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ وقالَ عزَّ وجلَّ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِى لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

عباد الله:

هذا الخلقُ والإبداعُ في خلقِ الكونِ وفي حركاتِ الأفلاكِ ومساراتِ النجومِ، وفي تصريفِ الرياحِ، وتقلبِ الفصولِ، واختلافِ الليلِ والنهارِ، وغيرِ ذلك مِن الخلقِ البديعِ الجاري على سننٍ إلهيةٍ، وبدقةٍ متناهيةٍ منذ ملياراتِ السنين، بلا تصادُمٍ ولا اختلافٍ، ولا تغيرٍ ولا اختلالٍ، ولا اضطرابٍ.

يطرحُ تساؤلاتٍ شتى ويثيرُ علاماتِ استفهامٍ حولَ هذا التناسقِ العجيبِ في خلقِ الكونِ ما السببُ في استمرارِهِ وبقائِهِ ملياراتِ السنين دونَ اختلالٍ أو اضطرابٍ.

والجوابُ على ذلك أنَّ اللهَ أجرى هذا الكونَ وفقَ سننٍ إلهيةٍ وتدبيرٍ ربانيٍّ منسقٍ منظمٍ، مبنيًّا على الدقةِ في الصنعِ والإتقانِ في العملِ بعيداً عن الفوضى والإهمالِ، وهذا كان لَهُ أبلغَ الأثرِ في ذلك الشأنِ مع أمرٍ آخرَ وهو استجابةُ الكونِ وإذعانُ كلِّ هذه المخلوقاتِ لإرادةِ اللهِ وانقيادُها لمشيئتِهِ كما قالَ تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

كلُّ هذا يعلمُنا قيمةَ العملِ المنظمِ، والصنعِ المتقنِ الذي يثمرُ الدوامَ والاستمرارَ والاستقامةَ بعيداً عن العشوائيةِ التي لا تثمرُ إلا الدمارَ والفسادَ.

عباد الله:

مِنْ هنا نخرجُ بنتيجةٍ هامةٍ مَفَادُها أنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالى قد أرادَ مِنَّا أنْ نؤديَ أعمالَنا منظمةً متقنةً وأنْ نحسنَ في أدائِها كما أحسنَ اللهُ في أفعالِهِ كما قالَ تعالى: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ وقال ﷺ: ((إنَّ اللهَ يحبُّ إذا عملَ أحدُكم عملاً أنْ يُتْقِنَهُ)) فهذا أمرٌ، والأمرُ الآخرُ يكمنُ في الطاعةِ للهِ والانضباطِ

لأمرِهِ، والاستقامةِ على نهجِهِ ووفقَ إرادتِهِ، كما استقامتِ النجومُ في أفلاكِها، والكواكبُ في مجاريها ومساراتِها بعيدًا عن العشوائيةِ والفوضى التي لا تورثُ إلا الدمارَ والفسادَ.

لا بُدَّ لهذا الكائنِ الضعيفِ، والمتمردِ على أمرِ مولاهُ مِن أنْ يستقيمَ كما استقامَ غيرُهُ، وأنْ يُذعنَ للهِ بالطاعةِ، وينقادَ لأمرِهِ، أسوةً بغيرِهِ مِن الكائناتِ التي سَلَّمَتْ مقاليدَ أمرِهَا إلى اللهِ وامتثلتْ أمرَهُ، كما قالَ تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ * وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ أي: مطيعونَ لَهُ فيما أرادَ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾.

لا بُدَّ لابنِ آدمَ مِن أنْ يستقيمَ كما استقامَ الكونُ بما حَوَاهُ مِن سماءٍ وأرضٍ التي هي أعظمُ منْهُ، وأكبرُ خلقًا كما قالَ تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

لا ينبغي لهذا المخلوقِ الضعيفِ قليلِ الحيلةِ أنْ يستعصيَ، وهو العاقلُ المفكرُ، وقد أذعنَ مَنْ هو أكبرُ منهُ قدراً وأعظمُ شأناً، وأقوى بُياناً.

﴿وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾

كيف لابنِ آدمَ أنْ يتمردَ على مولاهُ ويعصيَ أمرَهُ وقد استقامَ هذا الكونُ بما فيهِ، وهو لم يخلقْ إلا لأجلِهِ كما قالَ تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

عباد الله:

لقد شاءتْ حكمةُ اللهِ أن تجعلَ ابنَ آدمَ خليفةً في الأرضِ، أرادَ اللهُ أنْ يكونَ هذا الإنسانُ سيدًا للمخلوقاتِ، وأمينًا في هذهِ الأرضِ، ووصيًّا على هذا الكوكبِ وما فيهِ من الكائناتِ.

جعلَ اللهُ ابنَ آدمَ خليفةً في أرضِهِ، واصطفاهُ مِن بينِ خلقِهِ ليحفظَ لهذا الكونِ حُرْمَتَهُ ويرعى أمورَ هذا الكوكبِ الأرضيِّ وأَمْنَهُ ويهتمَّ بصلاحِهِ واستقامةِ الحياةِ على ظهرِهِ، لا ليهدمَ ويفسدَ ويتجبرَ، بل ليقيمَ العدلَ وينشرَ في الأرضِ السلامَ، ويكونَ رسولَ خيرٍ ورحمةٍ لكلِّ الكائناتِ، ليحققَ مبدأَ العدالةِ والمساواةِ، ويقومَ بالقسطِ، وينشرَ الودَّ والسلامَ، حتى يسودَ الأرضَ الأمنُ والرخاءُ، وتملأَ عدلًا وقسطًا كما ملئتْ ظلمًا وجورًا، ويأمنَ الضعيفُ على حقِّهِ ونفسِهِ مِن بَطْشِ القويِّ، ويرتدعَ القويُّ عن ظلمِ الضعيفِ.

يريدُ اللهُ من خلافةِ ابنِ آدمَ تحقيقَ مبدأِ العدالةِ لكي يسودَ في الأرضِ كما سادَ في السماءِ، وأنْ يستقيمَ الخلقُ على ما سَنَّهُ اللهُ وأرادَهُ كما أمَرَ اللهُ نبيَّهُ بقولِهِ: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا

تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾، فقالَ جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَلا تَطْغَوْا﴾ أي: لا تتجاوزوا حدودَ اللهِ، ثم نهاهُم عن الركونِ إلى الظالمِ والاعتمادِ عليهِ، لأنَّ ذلكَ مِن أسبابِ العذابِ والهزيمةِ، وقوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿وهو الذى أنزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾، وقوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِى مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

عباد الله:

جعلَ اللهُ ابنَ آدمَ خليفةً في أرضِهِ، ووصيًّا على خلقِهِ ليقيمَ ما اعوجَّ مِن سلوكِ الآخرين وينشرَ دينَهُ، ويبسطَ العدلَ، ويقومَ بالقسطِ، ولكنه أظهرَ مِن الانحرافِ والاعوجاجِ ما يدعوهُ لأنْ يقيمَ نفسَهُ أولاً ويصلِحَها قبلَ أنْ يقيمَ غيرَهُ.

أَلَا وإنَّ العلمَ والدينَ أعظمُ ما يقيمُ اعوجاجَ المرءِ ويصلحُ نفسَهُ ويزكيها، ويؤهلُهُ لأنْ يقودَ غيرَهُ، ويُنهيَ حياةَ الفوضى والهمجيةِ.

ولهذا كانَ لا بُدَّ لِمَن يكونُ وصيًّا وخليفةً على هذا الخلقِ أنْ يكونَ مؤهلًا جديرًا بالقيادةِ والزعامةِ متمتعًا بكلِّ المؤهلاتِ، حاصلًا على شهادةٍ علميةٍ عُليا وإيمانٍ صادقٍ، وخلقٍ عالٍ، صدقٍ وأمانةٍ، ورحمةٍ وعفوٍ وتسامحٍ، وكرمٍ وحكمةٍ.

ولنا أنْ نتأملَ في قصةِ خلقِ آدمَ عليه السلام لنتعلمَ منها تلكَ الدروسَ العظيمةَ مِن خلالِ الحوارِ الذي ذكرَهُ اللهُ في القرآنِ، قالَ تعالى للملائكةِ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

شاءتْ إرادةُ اللهِ أن يصطفيَ في الأرضِ مخلوقًا يكونَ سيدًا فيها وخليفتَهُ عليها، فعرضَ ذلك على الملائكةِ فقالَ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾

فانزعجتْ لذلك الملائكةُ وعَظُمَ الأمرُ في أنفسِهم، وذلك ليس اعتراضًا منهم على حكمِ اللهِ، ولا مخالفةً لإرادتِهِ، ولكن خوفًا منهم أنْ يكونَ ذلكَ المستخلَفُ مصدرَ شرٍّ وفسادٍ، وهذا ما لا يريدُهُ اللهُ.

فأفْصَحُوا عما في أنفسِهم فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ فرَدَّ تعالى مقالتَهم وطمأنَهُم بقولِهِ: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

فمِنْ قولِ الملائكةِ يتضحُ لنا أنَّ (الظالمَ) غيرُ أهلٍ لأنْ يكونَ خليفةً على أحدٍ وأنَّ الذي لا يدينُ للهِ بالطاعةِ والعبوديةِ ولا يعظمُهُ ولا يقدسُهُ غيرُ جديرٍ بالسيادةِ في الأرضِ.

فأرادَ اللهُ تعالى أن يُبينَ لملائكتِهِ أنَّ هذا القادمَ والمصطفى لخلافةِ الأرضِ على خلافِ ما ذهبوا إليهِ، وأنه جديرٌ بهذه السيادةِ، وأهلٌ لهذهِ الزعامةِ، وأنَّ لديهِ مِن العلمِ والمعرفةِ ما هو كفيلٌ بأنْ يحققَ إرادةَ اللهِ في أرضِهِ، وأنْ يقيمَ العدلَ ويبسطَ الأمنَ في ربوعِ هذه الدنيا، وينشرَ رحمةَ اللهِ في أرجاءِ الأرضِ.

فعلَّمَ اللهُ تعالى آدمَ أسماءَ المسمياتِ، وأطلعَهُ على ما يحتاجُهُ من تلك المعارفِ والعلومِ التي تؤهلُهُ لذلك.

ثم عَرَضَهم على الملائكةِ فقالَ: ﴿فقال أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

فعجزوا عن الجوابِ، وأفحموا عن الردِّ، ونكسوا رؤوسَهُم قائلينَ: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.

﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

عباد الله:

ابنُ آدمَ خُلقَ مِن أصلَين ومُكَوَّنٌ من شيئينِ:

الأولُ طينيٌّ يتمثلُ في الجسدِ. والثاني روحانيٌّ نورانيٌّ يتمثلُ في الروحِ.

فالملائكةُ إنما قالوا في حقِّ آدمَ ذلك نظرًا منهم -واللهُ أعلمُ- لما يتمتعُ بِهِ مِن خصائصَ بهيميةٍ وشهواتٍ حيوانيةٍ مِن طَبْعِها الشرُّ والبطشُ والعدوانُ، ويميلُ للعبثِ والفوضى والهمجيةِ.

فأبانَ تعالى أنَّ في هذا الجسدِ مضغةٌ إنْ صَلُحَتْ صَلُحَ الجسدُ كُلُّهُ، وإنْ فَسَدَتْ فَسَدَ الجسدُ كلُّهُ، وأنَّ وراءَ هذا الجسدِ الطينيِّ والشهواتِ الحيوانيةِ قوةً عقليةً لها من العلمِ والمعرفةِ، والتحسينِ والتقبيحِ ما يجعلُها تترفعُ عن كلِّ سوءٍ ورذيلةٍ.

فالعقلُ مع العلمِ الدينيِّ الخالصِ لوجهِ اللهِ يولدُ في نفسِ المرءِ شعورًا بالمسئوليةِ، ويجعلُ من صاحبِهِ قياديًّا مِن نوعٍ نادرٍ جديرٍ بالخلافةِ في الأرضِ، فالعلمُ يحققُ ما يعجزُ عن تحقيقِهِ المالُ والسعةُ في الرزقِ والجاهِ، وبهذا يحدثُنا القرآنُ في قصةِ طالوتَ حين بعثَهُ اللهُ ملكًا على بني إسرائيلَ فاعترضوا حكمَ اللهِ، فادَّعوا أنهم أحقُّ بالملكِ منهُ وأولى بالخلافةِ والزعامةِ لِكونِهم أكثرَ منهُ مالًا.

فبينَ لهم اللهُ أنَّ المالَ ليسَ كلَّ شيءٍ، وأنَّ العلمَ هو المؤهلُ الحقيقيُّ الذي يعولُ عليه في الخلافةِ والسيادةِ، قالَ تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّه قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّه اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّه يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّه وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

وفي قصةِ يوسفَ عليه السلام ما يؤيدُ هذا الأمرَ.

فإنَّ يوسفَ عليه السلام لما طلبَ مِن عزيزِ مصرَ أنْ يجعلَ لهُ الولايةَ المطلقةَ على خزائنِ الحبوبِ والزعامةِ عليها أبرزَ الشهادةَ التي تؤهِّلُهُ لذلك المنصبِ والتي

تجعلُهُ جديرًا بذلك المقامِ كما حكى اللهُ عنهُ ذلكَ بقولِهِ: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.

فأبرزَ صفتينِ تؤهلُهُ لذلك الأمرِ، وهما: (الأمانةُ والعلمُ)، ولم يقل: إني غنيٌّ أو قويٌّ أو ذو مالٍ.

عبادَ اللّه:

إنَّ العلمَ هو الخطُّ الفاصلُ بين حياةِ الفوضى والهمجيةِ وحياةِ السكينةِ والسلامِ.

فالجهلُ هو مصدرُ الفوضى والاضطراباتِ والخصامِ والعدوانِ والهمجيةِ.

وأيُّما مجتمعٍ فشا في أوساطِهِ الجهلُ وعَمَّتْ أهلَهُ الأميَّةُ وتَسَلَّطَ عليه الجَهَلَةُ فمصيرُهُ الفشلُ والدمارُ بسببِ النزاعِ والخصامِ، وسوفَ ينشأُ ذلك المجتمعُ على الفوضى والتعصباتِ والثاراتِ، وسوف يصبحُ أرضًا خصبةً لكلِّ خصلةٍ ذميمةٍ، تنمو فيهِ الأفكارُ المنحرفةُ والعاداتُ السيئةُ كالظلمِ والسرقةِ وسفكِ الدماءِ؛ إذ ليس هناك مِن ضابطٍ يقمعُ تلك النزواتِ العدوانيةِ والأخلاقِ الشيطانيةِ، وليس هناك ما يمنعُ أولئك الجهلةَ، ويردعُهم عن الظلمِ والفوضى والعبثِ، وروي عن زيد بن علي، عن آبائه عليهم السلام أن النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((إن الله تعالى لا يرفع العلم قبضًا يقبضه من الناس، ولكن يقبض العلماء بعلمهم))، وعنه: ((ولكن يكون العالم في القبيلة فيموت فيذهب بعلمه، فيتخذ الناس رؤساءً جهالاً فيُسألون فيقولون بالرأي، ويتركون الآثار والسنن؛ فيضللون ويضلون، وعند ذلك هلكت هذه الأمة)).

فالجاهلُ ليس فيهِ ما يردعُهُ عن القبيحِ أو يحولُ بينَهُ وبينَ الفسادِ والخرابِ والدمارِ.

فالجاهلُ يسعى لتحقيقِ مطالبِهِ، وإشباعِ رغباتِهِ مهما كَلَّفَهُ ذلك مِنْ ثمنٍ، وكيفما كانتِ النتائجُ، فهو يسعى لتحقيقِ هدفِهِ، ولا يلتفتُ لما يُخَلِّفُهُ وراءَهُ مِن

فسادٍ أو ظلمٍ، فيكونُ ذلك المجتمعُ أشبهَ ما يكونُ بقطعانٍ من الوحوشِ في الغابةِ (القويُّ يبطشُ بالضعيفِ، والكبيرُ يأكلُ الصغيرَ، والجامعُ بينهم هو الجهلُ، وعدمُ الوعي).

عبادَ اللّه:

العلمُ هو الذي يولِّدُ في الإنسانِ الوعيَ والشعورَ بالمسئوليةِ، ويُعَرِّفُ صاحبَهُ بقيمةِ الحياةِ والغايةِ من ورائِها، فكلما زادَ علمُ المرءِ زادَ وعيُهُ، وانعكسَ ذلك في سلوكِهِ ورجاحةِ عقلِهِ وكساهُ ذلك حُلَّةً السكينةِ والوقارِ، واستقامَ في نفسِهِ وانضبطَ في معاملاتِهِ واحترمَ الآخرينَ مِن أبناءِ جنسِهِ وأعطاهُم ما يستحقونَهُ مِن الحقوقِ والواجباتِ.

فالعالمُ التقيُّ الواعي يتصرفُ عن عقلانيةٍ وبحكمةٍ وبصيرةٍ.

والجاهلُ يكونُ أسيرَ نفسِهِ وعبدًا لشهواتِهِ ونزواتِهِ تُسَيِّرُهُ كما تشاءُ.

وهذا ما لا يُريدُهُ اللهُ ولا يشاؤُه.

﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعَني وإياكُم بما فيهِ من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ إنه تعالى جوادٌ ملكٌ برٌّ رؤوفٌ رحيمٌ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

الخطبة الثانية

خلافة الله في الأرض

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي أحسنَ خلقَ الإنسانِ، وعدَّلَهُ، وألهمَهُ نورَ الإيمانِ فزَيَّنَهُ بِهِ وجَمَّلَهُ، وعلَّمَهُ البيانَ فقَدَّمَهُ بِهِ وفَضَّلَهُ، وأفاضَ على قلبِهِ خزائنَ العلومِ فأكْمَلَهُ، ثم أرسلَ عليهِ سِترًا مِن رحمتِهِ وأسبلَهُ، ثم أمَدَّهُ بلسانٍ يترجمُ بِهِ عما حواهُ القلبُ وَعَقَلَهُ، ويكشفُ عنهُ سترَهُ الذي أرسلَهُ، وأطلقَ الحقَّ مقوله وأفصحَ بالشكرِ عما أولاهُ وخَوَّلَهُ، من علمٍ حصَّلَهُ ونُطْقٍ سَهَّلَهُ.

وأشهدُ أنَّ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له.

وأشهدُ أن محمداً عبدُهُ ورسولُهُ الذي أكرمَهُ وبجَّلَهُ، ونبيُّهُ الذي أرسلَهُ بكتابٍ أنزلَهُ، وأسمى فضلَهُ وبيَّنَ سبلَهُ، صلى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ الطاهرين ما كَبَّرَ اللهَ عبدٌ وهلَّلَهُ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ

عبادَ الله:

لقد اختارَ اللهُ تعالى آدمَ واصطفاهُ مِن خلقِهِ واجتباهُ ليكونَ خليفةً في الأرضِ، ووصيًّا عليها، لا ليفسدَ فيها ويهلكَ الحرثَ والنسلَ، ويقطعَ ما أمرَ اللهُ بِهِ أن يوصلَ، بل ليكونَ من المصلحينَ الذين يعمرونَ، ولا يهدمونَ، الذين يوفونَ بعهدِ اللهِ، ولا ينقضونَ الميثاقَ، والذين يصِلُونَ ما أمرَ اللهُ بِهِ أنْ يوصلَ، ويخشونَ ربَّهُم، ويخافونَ سوءَ الحسابِ، الذين يهدونَ بالحقِّ وبهِ يعدلونَ، مِن الذين يأمرونَ بالعدلِ والإحسانِ، وينهونَ عن المنكرِ والبغي كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.

البشرُ همْ خلفاءُ اللهِ في أرضِهِ، جعلَ منهم أنبياءَهُ ورسلَهُ لأجلِ تحقيقِ مبدإِ العدالةِ والمساواةِ وإنهاءِ حياةِ الفوضى والهمجيةِ والظلمِ، كما قالَ تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾.

وكما وصَّى اللهُ نبيَّهُ داودَ عليه السلام بقولِهِ: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾.

فبَيَّنَ تعالى ثمرةَ الولايةِ والهدفَ من الاستخلافِ بأنهُ القيامُ بالعدلِ والقسطِ وردِّ المظالمِ، والإصلاحِ بين الناسِ وإقامةِ شعائرِ اللهِ.

﴿قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّه إِنَّ اللّه خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

عباد الله:

إنَّ الغاية من الاستخلافِ هو لأجلِ أنْ تستقيمَ الحياةُ وتستمرَّ، مِن أجلِ إنهاءِ حياةِ الفوضى والهمجيةِ، مِن أجلِ نشرِ مبدإِ الرحمةِ والسلامِ، وإرساءِ قواعدِ العدالةِ والمساواةِ.

مِن أجلِ إحياءِ أسسِ الحقِّ والإنصافِ، وإعطاءِ كلِّ ذي حقٍّ حَقَّهُ.

مِن أجلِ القضاءِ على الفسادِ والمفسدينَ، والظلمِ والظالمين.

حتى تستقيمَ الحياةُ في الدنيا وتنتظمُ الحياة على كوكبِ الأرضِ ويتعايشَ أهلُهُ بأمنٍ وسلامٍ، ويسيرَ الجميعُ تحتَ قانونٍ إلهيٍّ، ويهتديَ كلُّ فردٍ إلى طريقِهِ المرسومِ لهُ دونَ تجاوزٍ أو تعدٍّ لحدٍّ من حدودِ الآخرين، وأن يعيشَ الناسُ بأمنٍ

وأمانٍ بلا خصامٍ ولا منازعةٍ، ولا عدوانٍ أو طغيانٍ، ويعرفَ كلُّ فردٍ طريقَهُ الذي رُسمَ لهُ، وما لَهُ وما عليهِ، فيسيرُ كلُّ فردٍ كما تسيرُ الكواكبُ في أفلاكِها، والنجومُ في مداراتِها، كلُّ نجمٍ قد عرفَ مسارَهُ المرسومَ لَهُ،، وفلكَهُ الذي يدورُ حولَهُ، وكلُّ نجمٍ يؤدي دورَهُ منذُ ملايينِ السنينَ بدقةٍ متناهيةٍ ونظامٍ دقيقٍ محكمٍ بلا اختلالٍ ولا تخالفٍ ولا تصادمٍ.

بحيثُ لو وقعَ أبسطُ ما يمكنُ تصورُهُ من اختلالٍ في مجرى تلك الأجرامِ السماويةِ لأدَّى إلى فسادِ الكونِ ودمارِهِ وانتهاءِ الحياةِ.

وكذا البشرُ والكائناتُ الحيةُ في الأرضِ فإنها إذا لم تَسِرْ وفقَ ما سَنَّهُ اللهُ وشَرَعَهُ وأرادَهُ فإنَّ ذلك سيؤدي إلى فسادِ الحياةِ ودمارِها ونهايتِها.

كما قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

فإذا كانتْ كلُّ تلك الأجرامِ السماويةِ قد استقامتْ مع كثرةِ عددِها الذي يفوقُ عددَ الحصى، وانضبطتْ كما أرادَ الله تعالى فإنَّ البشريةَ أولى بذلك، وأحقُّ بالاستقامةِ والانضباطِ كما أرادَ اللهُ؛ لكونها عاقلةً واعيةً تدركُ وتفهمُ خطابَ اللهِ والمرادَ مِن أمرِهِ، كما قالَ تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ وقالَ تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾.

فهذه هي الغايةُ مِن الخلافةِ في الأرضِ أنْ تسودَ العدالةُ في هذا الكوكبِ، وتعمَّ الرحمةُ والخيرُ أهلَ الأرضِ، وتنتظمَ الحياةُ، وينضبطَ أمرُ أهلِ الأرضِ كما انضبطَ أمرُ السماءِ.

((والله لَيُتِمَّنَّ اللهُ هذا الأمرَ حتى يسيرَ الراكبُ مِن صنعاءَ إلى حضرموتَ لا يخشى إلا اللهَ والذئبَ على غنمِهِ)) كما وردتْ بذلك الرواياتُ تخبرُنا عن تحققِ

تلك الغايةِ في زمنِ المهدي عليه السلام في آخرِ الزمانِ، وأنه سيملأُ الأرضَ عدلًا كما مُلِئَتْ ظلماً وجوراً.

عبادَ الله:

لقد جعلَ اللهُ مِن بني آدمَ خلفاءَ في هذهِ الأرضِ وأوصياءَ على مَن دونَهم مِن الكائناتِ الضعيفةِ وعليهِ أنْ يقومَ بتلك المسئوليةِ، وأن ينفذَ تلك الوصايةَ فلا يجورُ ولا يظلمُ ولا يطغى على مَن تحتَ يدِهِ.

فليس معنى الاستخلافِ التجبرَ والتعالي، والتسلطَ على الضعفاءِ، بل إنه تكليفٌ إلهيٌّ واختبارٌ وامتحانٌ مِن اللهِ تعالى لينظرَ كيفَ تعملونَ، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

فالظلمُ ينافي حقيقةَ العبوديةِ؛ لأن معنى العبوديةِ: الخضوعُ والاستكانةُ للهِ ربِّ العالمين، وليس معنى ذلك الاستطالةُ والتطاولُ على الخلقِ واصفًا حقيقةَ العبوديةِ قالَ تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾.

فمِن شرطِ الخلافةِ العلمُ الذي يثمرُ العدلَ والإيمانَ التي يورثُ التواضعَ والصلاحَ، ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾

ومِن آفاتِ الزعامةِ والخلافةِ الظلمُ الذي هو ثمرةُ الجهلِ، الظلمُ الذي ينافي الغايةَ من الاستخلافِ، بل ويبطلُها وتسقطُ أحقيتُها عمَّن تلبسَ بالظلم، كما قالَ تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ﴾.

لقد وقفَ الظلمُ حائلًا دونَ تولي صاحبِهِ العهدَ مِن بعد إبراهيمَ عليه السلام وأصبحَ من الأمورِ المسقطةِ للوصايةِ في كلِّ أمرٍ، صَغُرَ أم كَبُرَ.

وهذا الخُلُق السيئُ الذي هو الظلمُ قد جعلتْ مِنهُ الملائكةُ سببًا للقدحِ في أحقيةِ المستخلَفِ إذا اتصفَ بهِ فـ ﴿قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء﴾ أي: أن مَن كانَ هذا طبعَهُ فليس بأهلٍ للخلافةِ ولا مستحقًّا لها.

فالظلمُ -عباد الله- أمرٌ تمجُّهُ الطباعُ، وتنكرُهُ العقولُ، وتنفرُ منه الفطرةُ السليمةُ، بغضِّ النظرِ عن الشرعِ والدينِ.

بحيثُ تمقتُ صاحبَهُ وتزدريهِ، وتراه غيرَ أهلٍ لأنْ يكونَ خليفةً للهِ أو وصيًّا على غيرِهِ، يحكمُ بهذا العقلُ والفطرةُ.

فقال: ﴿قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾

فالتجبرُ والظلمُ تنافي الإصلاحَ الذي هو ثمرةُ الاستخلافِ.

ويشهدُ لذلك قولُ نبيِّ اللهِ عيسى عليه السلام عندما أنطقَهُ اللهُ على رؤوسِ الملأِ مبينًا للمبدإِ الذي جاءَ بهِ مِن عندِ اللهِ ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً ﴿٣١﴾ وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾ أي: لم يرسلْهُ اللهُ جباراً شقيًّا، بل خليفةً مصلحاً عبداً نبيًّا.

فالحاكمُ الظالمُ الباغي مصيرُهُ الذلةُ والهزيمةُ في الدنيا، وعاقبتُهُ النارُ في الآخرةِ، كما قالَ تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلَّا الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَايِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

والحاكمُ المصلحُ العادلُ موعودٌ بالنصرِ والغلبةِ كما قالَ تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾، فالوعدُ هنا لِمَن آمنَ وعملَ صالحًا، والمؤمنُ لا يكونُ إلا عدلًا،

ثم قالَ تعالىٰ: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُّكْراً﴾ ثم ختمَ اللهُ تعالىٰ هذا البيانَ بقولِهِ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾

وحاصلُ القولِ أنه وإن وُجِدَ في أيِّ زمانٍ رجلٌ عادلٌ ومصلحٌ، ولكنَّهُ علىٰ غيرِ ملةِ الإسلامِ، ولا يدينُ للهِ بالعبوديةِ فلا استحقاقَ لهُ في وراثةِ الأرضِ والوصايةِ علىٰ أهلِها.

﴿هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ ـ [ولكن علىٰ شرط] إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّه الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللَّه لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾

عبادَ اللّه:

إنَّ يومَكم هذا مِن شعائرِ اللهِ التي أمرَ اللهُ بتعظيمِها وضاعفَ الأجرَ للمطيعينَ فيها، فعظِّمُوا هذا اليومَ بالعملِ وأَجِلُّوهُ بتركِ العصيانِ، وأكثروا فيهِ من الصلاةِ والسلامِ علىٰ نبيِّكم الكريمِ امتثالًا لأمرِ اللهِ القائلِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

اللهم فصلِّ وسلِّمْ علىٰ أبي الطيبِ والطاهرِ والقاسمِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ، وصلِّ اللهمَّ وسلِّم علىٰ أخيهِ ووصيهِ مِن بعدِهِ الليثِ الغالبِ مولانا الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ، وصلِّ اللهمَّ علىٰ زوجتِهِ الحوراءِ فلذةِ كبدِ المصطفىٰ فاطمةَ البتولِ الزهراءِ، وعلىٰ ولديهما الإمامينِ الأعظمينِ أبي محمدٍ الحسنِ وأبي عبدِ اللهِ الحسينِ، وصلِّ اللهمَّ علىٰ مولانا الإمامِ الوليِّ بنِ الوليِّ زيدِ بنِ عليٍّ، وصلِّ اللهمَّ علىٰ الإمامِ الهادي للحقِّ القويمِ يحيىٰ بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ بنِ إبراهيمَ، وعلىٰ سائرِ أهلِ بيتِ نبيئِكَ المطهرينَ دعاةً منهم ومقتصدينَ، وارضَ اللهمَّ عن صحابةِ نبيِّك الأخيارِ مِن المهاجرين والأنصارِ،

وارضَ عَنَّا معهم بفضلِكَ ومَنِّكَ يا كريمُ، اللهمَّ إنا نسألُكَ حُبَّكَ وحبَّ مَن يُحِبُّكَ وحبَّ كلَّ عملٍ يقرِبُنَا إليكَ.

اللهمَّ عرِّفْنا بكَ، وارزُقْنا خوفَكَ وإجلالَ حُرمتِكَ وتعظيمَ شعائرِكَ، واجعلْنا مِن الراشدين، اللهمَّ اجعلنا من حزبِكَ فإنَّ حزبَكَ همُ الغالبونَ، واجعلنا مِن جندِكَ فإنَّ جندَكَ لهمُ المنصورون، واجعلنا مِن أوليائِكَ فإنَّ أولياءَكَ لا خوفٌ عليهم ولا هُمْ يحزنون.

اللهمَّ انصرِ الإسلامَ والمسلمين، واخذلِ الكفرةَ والملحدين والمفرقين بينَ المسلمين، والصادِّينَ عن ذكرِكَ، والمخربينَ لدينِكَ، والمتقطعينَ في سبيلِكَ، والمعادينَ لأوليائِكَ أينما كانَ كائنُهُم، اللهمَّ فرِّقْ جمعَهم، وشتتْ شملَهُم، وأنْزِلْ عليهم بأسَكَ الذي لا يُرَدُّ عن القومِ الظالمين، اللهم اكفِنا الفتنَ ما ظهرَ منها وما بطنَ، وجنِّبْنا كلَّ شرٍّ وبليةٍ يا أرحمَ الراحمين، اللهمَّ اجعلْ بلدَنا هذا وسائرَ بلادِ المسلمين آمنًا مطمئنًا يا ربَّ العالمين، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

عبادَ الله:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

فاذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يذكرْكم واشكروهُ على نعمِهِ يزدْكُم، ولذكرُ اللهِ أكبرُ، واللهُ يعلمُ ما تصنعون.

الخطبة الأولى

المولد النبوي الشريف

الثاني عشر من ربيع الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، الحمدُ للهِ الذي لا يبلغُ مدحَهُ القائلون، ولا يُحصي نعماءَهُ العادُّون، ولا يؤدي حقَّهُ المجتهدون، والحمدُ للهِ الذي فطرَ الخلائقَ بقدرتِهِ، ونشرَ الرياحَ برحمتِهِ، ووتَّدَ بالصخورِ مَيَدَانِ أرضِهِ، نحمدُهُ استتماماً لنعمتِهِ، واستسلاماً لعزَّتِهِ، واستعصاماً من معصيتِهِ، وأستعينُهُ فاقةً إلى كفايتِهِ، إنه لا يضلُّ مَن هداه، ولا يَنجو مَنْ عاداه، ولا يفتقرُ مَن كفاه.

وأشهدُ أنَّ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، شهادةً نتمسكُ بها أبداً ما أبقانا، وندَّخرُها لأهاويلِ ما يلقانا، فإنها عزيمةُ الإيمانِ وفاتحةُ الإحسانِ ومرضاةُ الرحمنِ ومدحرةُ الشيطانِ.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أخرجَهُ اللهُ مِن أفضلِ المعادِنِ منبتًا، وأعزِّ الأروماتِ مغرساً، مِن الشجرةِ التي صَدَعَ منها أنبياؤه، وانتجبَ منها أُمناؤه، عِتْرَتُهُ خيرُ العُتَرِ، وأسرتُهُ خيرُ الأسرِ، وشجرتُهُ خيرُ الشجرِ، نبتتْ في حَرَمٍ، وبسقتِ في كرمٍ، لها فروعٌ طوالٌ وثمرٌ لا يُنالُ، فهو إمامُ مَن اتقى وبصيرةُ مَن اهتدى، سراجٌ لمعَ ضوؤُهُ، وشهابٌ سطعَ نورُهُ، سيرتُهُ القصدُ وسنتُهُ الرشدُ، كلامُهُ الفصلُ، وحكمُهُ العدلُ، أرسلَهُ اللهُ على حينِ فترةٍ مِن الرسلِ، وهفوةٍ مِن العملِ، وغباوةٍ من الأممِ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين:

يا خيـر من دفنـت بالقـاع أعظمـه *** فطاب من طيـبهن القـاع والأكـمُ

نفسـي الفـداء لقـبر أنـت سـاكنه *** فيه العفـاف وفيـه الطهـر والكـرمُ

أخوك عيسى دعا ميتاً فقام له *** وأنت أحييت أجيالا من العدم

عبادَ الله:

أهنئُكم وأهنِّئُ نفسي وأهنئُ العالمَ الإسلاميَّ مِن أقصاهُ إلى أدناه بذكرى مولدِ سيدِ البشريةِ وقائدِها الأطهرِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ ﷺ، وإنه لَمِن دواعي الفخرِ والاعتزازِ أنْ يتكلمَ الإنسانُ عن أعظمِ شخصيةٍ عرَفَها التاريخُ، وعن أفضلِ مَن سارَ على وجهِ البسيطةِ، ووطئَ الثرى بقدميهِ، نتكلمُ عن الإنسانِ الكاملِ في خَلْقِهِ وخُلُقِهِ، التامِّ في عقلِهِ ورشدِهِ، الذي سَخَّرَ حياتَهُ مِن أجلِ إسعادِ البشريةِ وهدايتِهم، مِن أجلِ إنقاذِهم من الضلالِ والضياعِ وإخراجِهم مِن الظلماتِ إلى النورِ، فإلى جسدِهِ الطاهرِ، وإلى نفسِهِ الزكيةِ نُهدي أفضلَ الصلواتِ وأزكى التحياتِ، وأعظمَ البركاتِ، نسألُ اللهَ العليَّ الأعلى أن يبلِّغَها روحَهُ ويتقبلَها منا إنه سميعٌ مجيب.

عبادَ الله:

لا تستكثروا على أنفسِكم سماعَ ذكرِ المصطفى ﷺ ولا تَـمِلُّوا ذكرَ أحاديثِهِ، وقصصَ حياتِهِ، واعلموا بأن ذكرَهُ عبادةٌ، والصلاةَ عليهِ قربةٌ وفيها مِن الثوابِ والفضلِ ما لا يعلمُهُ إلا اللهُ، فشرِّفوا أسماعَكم بذكرِهِ، وطيِّبُوا أفواهَكم بالصلاةِ عليهِ وعلى آلِهِ، وزيِّنُوا مجالسَكم بأحاديثِهِ وسيرتِهِ، فإنَّ في ذلك العبرةَ والعظةَ لِمَن اهتدى بهديهِ، ولكم في رسولِ اللهِ أسوةٌ حسنةٌ لِمَن كان يرجو اللهَ واليومَ الآخر.

عبادَ الله:

إنَّ الخوضَ في سيرةِ الرسولِ والتتبعِ لآثارِهِ يورثُ النفسَ التعلقَ بهِ ويثمرُ حبَّهُ ومودتَهُ، وذلك المقصدُ والمرادُ، فكَمْ مِن جاهلٍ بحقِّ رسولِ اللهِ ﷺ، وكمْ مِن مستخفٍ بمقامِهِ وجاحدٍ لمعروفِهِ وذلك بسببِ جهلِهِ لسيرتِهِ فتراه

يبخلُ حتى بالصلاةِ عليهِ إنْ سمعَ ذكرَهُ أو طُلِبَ منهُ ذلك، فأين هؤلاءِ مِن قولِ رسولِ اللهِ ﷺ: ((مَن ذُكِرْتُ عندَهُ ولم يُصَلِّ عليَّ أبعدَهُ اللهُ))؟! أين هؤلاءِ مِن قوله ﷺ: ((والذي نفسي بيدِهِ لا يؤمنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليهِ مِن نفسِهِ وولدِهِ والناسِ أجمعين)) فكيف لا نذكرُهُ وهو المذكورُ في كلِّ ملأٍ، وكيف لا نصلِّي عليهِ وقد صَلَّى عليهِ اللهُ وملائكةُ الأرضِ والسماءِ، وكيف لا نحبُّهُ وقد أحبَّهُ كلُّ رطبٍ ويابسٍ وحنَّ عليهِ كلُّ حيٍّ وجمادٍ، فقد رُوِيَ أنه ﷺ كان يقومُ يومَ الجمعةِ يخطبُ متكئًا على جذعِ نخلةٍ يابسةٍ، فأشاروا عليهِ بأن يجعلوا لهُ منبرًا يخطبُ عليهِ، وصنعوا لهُ المنبرَ، فلَمَّا كانَ يومَ الجمعةِ صعدَ ﷺ على المنبرِ فصاحَ الجذعُ حزنًا لفراقِ رسولِ اللهِ ﷺ وحنَّ حنينَ الصبيِّ لفراقِ أمِّهِ فنزلَ رسولُ اللهُ ﷺ مِن على المنبرِ وأقبلَ نحوَ الجذعِ فضمَّهُ إليهِ وهو يئنُّ أنينَ الطفلِ حتى سكتَ، سمعَ ذلك أكثرُ من ألفِ صحابيٍّ، فكيف لا يحبُّهُ العبيدُ الأحياءُ وقد حنَّ عليهِ الجذعُ، وبكى لفراقِهِ وهو عودٌ يابسٌ، فالشيءُ يكبرُ في النفوسِ لعظمِ قدرِهِ، ويعلو لعلوِّ منزلتِهِ، ويعلى لعدمِ أمثالِهِ أو ندرةِ نظرائِهِ، فما أجهلَنا بنبيِّنا الذي ألزَمَنا اللهُ بتتبعِ آثارِهِ ومطالعةِ أخبارِهِ وأورادِهِ، وأمَرَنا بالاهتداءِ بهديهِ والاقتداءِ بفعلِهِ والاقتفاءِ لسنتِهِ، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، إن من العجبِ العجابِ أنْ نرى كثيرًا منا يجهلُ رسولَهُ ونبيَّهُ جملةً وتفصيلاً، فلا يعرفُ من حياتِهِ قليلًا ولا كثيرًا، بينما تراه قد ملأَ رأسَهُ بقصصِ أهلِ الدنيا وحَفِظَ أشعارَهم وأخبارَهم عن ظهرِ قلبٍ، سَلْهُ عن سيرةِ بني هلالٍ أو قصةِ الزيرِ أو عنترةَ سيجيبُ عليك بكلِّ فصاحةٍ عنها، وعن قصصِ العشقِ والغرامِ ويخبرُك عن الممثلينَ والفنانينَ وسيعرِّفُكَ بالمغنياتِ والراقصاتِ إلى غير ذلك من المخزياتِ، أجارَنا اللهُ وإياكم منها، فيا تُرى لِمَن هذا حالُهُ هل هو من الأحياءِ أم في الأمواتِ؟ هل بقيَ لهُ عقلٌ يميزُ بهِ أم صارَ كالجماداتِ؟

عبادَ الله:

إن حياةَ رسولِ اللهِ خطبٌ جليلٌ وأمرُهُ هامٌّ وجديرٌ بالمتابعةِ والاطلاعِ فأنا أنصح كلَّ مَن كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ أن يتخذَ كتابًا فيه قصةُ الرسولِ ويقرأَهُ على نفسِهِ وأهلِهِ وأبنائِهِ، يعطرُ بِهِ لسانَهُ ويغسلُ بِهِ دَرَنَ سمِعِه، يطردُ بِهِ وساوسَ الشيطانِ من قلبِهِ وبيتِهِ، ليعرفَ قدرَ نبيَّهُ وعظيمَ منزلتِهِ، وما تحمَّلَهُ مِن مشقةٍ وعناءٍ في سبيلِ الدعوةِ كي يوصلَها إلى كلِّ دارٍ من دورِ المسلمين، وجديرٌ بنا أن نعلمَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قد وَقَفَ موقفًا صعبًا وشديدًا، موقفًا تقفُ لَهُ الهامُ وتشيبُ لهُ الرؤوسُ، وتزهقُ لهولِهِ النفوسُ، إنه موقفُ تبليغِ الرسالةِ، إنه ثقلُ الدعوةِ وحملُ النبوةِ كما وَصَفَهُ اللهُ تعالى بقولِهِ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾، وَقَفَ ﷺ وحيدًا، وقفَ ليواجِهَ العالمَ بأسرِهِ من أقصاهُ إلى أدناهُ، وقفَ ليواجهَ مَن تحتَ الخافقينِ، ليبلغَهم رسالةَ ربِّهِ، ليقولَ لهم: أنتم على خطإٍ وضلالٍ، وما تنحتونَ مِن الأحجارِ باطلٌ ومحالٌ، إنما تدعونَ مِن دونِ اللهِ شركًا وكفرًا بالعزيزِ المتعالِ، وقفَ ﷺ يعلنُ الحربَ على أعظمِ مقدساتِ الجاهليةِ من الأحجارِ والأخشابِ التي يعبدونها من دونِ اللهِ، وقفَ يدعو إلى توحيدِ اللهِ وتقديسِهِ وتنزيهِهِ ونَبْذِ ما سواهُ من الجهالاتِ والضلالاتِ، وتَرْكِ ما في طياتِها مِن تماثيلَ وأصنامٍ وصورٍ وخرافاتٍ باطلةٍ ما أنزلَ اللهُ بها مِن سلطانٍ، إنَّ موقفَ الرسولِ ﷺ صعبٌ وعظيمٌ، أنه يقفُ مواجهًا للعالمِ أجمع، وعلى كاهلِهِ حملُ أعباءِ الرسالةِ التي تنادي بإجلاءِ ما على وجهِ الأرضِ من كفرٍ وضلالٍ، وإبطالِ ما عليها من عبادةٍ لغيرِ الواحدِ الديان، إن الأمرَ الذي قامَ بِهِ النبيُّ ﷺ ليسَ كغيرِهِ من الأمورِ، أمرٌ لا تقوى الجبالُ الراسياتُ على حملِ ثقلِهِ، ولا تطيقُ صبرًا على مشقتِهِ، فعليكَ أنْ تَتَصَوَّرَ مدى صعوبةِ الموقفِ ومدى ثقلِ التكليفِ الذي تحمَّلَهُ محمدٌ ﷺ، شابٌ وحيدٌ ويتيمٌ وكذا فقيرٌ، وأَضِفْ إلى ذلكَ أنهم كانوا لا يخافونَهُ لأنه كانَ ذا خُلُقٍ عالٍ وقلبٍ رحيمٍ، كانوا لا يتقونَ شرَّهُ، ولا يخشونَ

سَطْوَتَهُ لأنه ليسَ بالفظِّ الغليظِ ولا الجبارِ العنيدِ، فصلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ وعلى آلِهِ الطيبينَ الطاهرينَ مِن يومِنا هذا إلى يومِ الدينِ.

عبادَ اللّه:

فلا يَسَعُنِي إلا أنْ أقولَ ما قالت الزهراء:

نفسي على زفراتها محبوسة *** يا ليتها خرجت مع الزفرات

لا خير بعدك في الحياة وإنما *** أبكي مخافة أن تطول حياتي

أيها المؤمنون، عطروا أفواهَكم بالصلاةِ على نبيِّكم الكريمِ، واعلموا أن خيرَ الكلامِ هو كلامُ ربِّنا الملكِ العلامِ حيثُ يقول: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴿١٢٨﴾﴾ واستغفروا اللهَ الكريمَ، إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

الخطبة الثانية

المولد النبوي الشريف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي اصطفى محمداً ﷺ لرسالتِهِ، وارتضاهُ لدينِهِ، وائتمنَهُ على وحيِهِ، وابتعثَهُ إلى خلقِهِ رحمةً للعالمين، يبشرُ بالجنةِ مَن أطاعَ اللهَ واتقاهُ، وينذرُ بالنارِ مَن خالفَهُ وعصاه.

وأشهدُ ألَّا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ في ملكِهِ، ولا مثيلَ لَهُ ولا شبيهَ، واحداً أحداً لم يتخذْ صاحبةً ولا ولدًا، ولم يكنْ لهُ كفؤًا أحدٌ.

وأشهدُ أن سيدَنا ومولانا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، بَلَّغَ رسالاتِ ربِّهِ، وصبرَ على حكمِهِ، وأوذيَ في جنبِهِ، وجاهدَ في سبيلِهِ، ونصحَ لأمتِهِ حتى أتاهُ اليقينُ، فصلواتُ اللهُ عليهِ دائمًا سرمدًا مِن يومِنا هذا إلى يومِ الدينِ، وعلى آلِهِ الطاهرينَ وسَلَّمَ تسليماً كثيراً.

فمثلك لم تر في الأرض عيني *** ومثلك قط لم تلد النساءُ

خُلقتَ مبرأً مِن كلِّ عيبٍ *** كأنك قد خُلقتَ كما تشاءُ

أما بعدُ:

عبادَ الله:

إننا في هذه الأيامِ نستقبلُ ذكرياتٍ لها تاريخُها المجيدُ ومناسبةً لها سِمَتُها الخالدةُ، إنها ذكرى مولدِ سيدِ البشريةِ، وقائدِ الإنسانيةِ، والنبيِّ الخاتمِ لما سبقَ، وأفضلِ مَن وطئَ الثرى، ذلكم محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ، إمامِ الأمةِ، وكاشفِ الظلمةِ، صلواتُ اللهِ عليهِ وعلى آلِهِ الكرامِ مِن يومِنا هذا إلى يومِ الدينِ، وحُقَّ لنا أن نفخرَ بهذا المولدِ وأن نحتفلَ ونفرحَ بهذا الحدثِ العظيمِ، وأن نجعلَهُ أعظمَ عيدٍ فهو بحقٍّ من أعظمِ شعائرِ اللهِ التي أمرَ اللهُ بتعظيمِها

حيثُ قالَ عزَّ مِن قائلٍ: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ وكيف لا نفرحُ وقد أهدى اللهُ إلينا هذا المولودِ المباركِ الذي بفضلِهِ انقشعتْ سحائبُ الظلماتِ، وكشفَ اللهُ بهِ البلياتِ، وعمَّ العدلُ وانتشرَ الإسلامُ، وشعَّتْ أنوارُ الهدايةِ، وتحررتِ الأمةُ من قيودِ الرقِّ والعبوديةِ للبشرِ إلى عبوديةِ الملكِ الديانِ، وأيُّ شعيرةٍ أعظمُ من هذه وأحقُّ أن نحتفيَ بها ونحتفلَ، بل كيف نفرحُ ونحتفلُ بأعيادِ الثوراتِ والانتصاراتِ ونحوِها ولا نحتفلُ بيومِ مولدِ مَن هو أفضلُ ما حملتِ النساءُ، وخيرِ مَن وضعتِ الحواملُ، والذي كان مولدُهُ أعظمَ ثورةٍ على الظلمِ والطغيانِ، وأعظمَ محررٍ للبشريةِ من حبائلِ الشركِ وعبادةِ الأوثانِ.

عبادَ الله:

إنَّ مولدَ الرسولِ ﷺ ليس مجردَ ولادةِ طفلٍ خرجَ إلى الدنيا فحسب، بل إنه أكبرُ وأعظمُ من ذلك، إن مولدَهُ كان إيذانًا بولادةِ عهدٍ جديدٍ، وبدايةِ حياةٍ جديدةٍ، بل لقد وضعَ خروجُهُ إلى الدنيا حدًّا فاصلًا لحياةِ اللهوِ ونهايةً لحياةِ الضلالةِ والجهالاتِ.

فقد وُجِدَ سيدُ الثقلينِ وأبو القمرينِ في زمنِ جهالةٍ جهلاء، وظلمةٍ عمياء، بين أعرابٍ بلهاءَ قساةٍ جهلاء، لا يُحِلُّونَ حلالًا، ولا يُحَرِّمُونَ حرامًا، ينحتونَ الأحجارَ بأيديهم فيعبدونَها مِن دونِ اللهِ، همُ الذينَ صنعوها وبأيديهم سَوَّوها، ثم يَدَّعُونَ أنها التي خلقَتْهم، وأنَّ بيدِها الخيرَ والشرَّ، ومِن عندِها النفعَ والضرَّ، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً﴾،﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.

يُشَرِّفونَ الذُكرانَ مِن الأبناءِ، ويدفنون الإناثَ أحياءً، ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، فشا فيهم القتلُ

والنهبُ، والظلمُ، والفسوقُ والفجورُ، وشربُ الخمورِ، استباحوا الزنا وأكلَ الربا، وأكلَ أموال اليتامى والمساكينِ، لعبوا الميسرَ، واتخذوا الأنصابَ والأزلامَ، واستحلوا الحرامَ، كثرَ فيهم إراقةُ الدماءِ، وهضمُ النساءِ وغيرُ ذلك من الموبقاتِ، فالقويُّ فيهم يأكلُ الضعيفَ، والكبيرُ يظلمُ الصغيرَ.

ظلماتٌ وجهالاتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ، شابَ فيها الصغيرُ، وماتَ عليها الكبيرُ، وليسَ هناك مَن يأمرُ بمعروفٍ أو ينهى عن منكرٍ، ليسَ هناك من يُعينُ ضعيفًا، أو ينصرُ مظلومًا، أو يَحِنُّ على سائلٍ أو محرومٍ في ذلك الزمنِ العصيبِ، وبين تلك الوحوشِ الضاريةِ.

عبادَ الله:

وُجِدَ خاتمُ الأنبياءِ والرسلِ ﷺ في هذا المجتمعِ، نشأَ وترعرعَ وقلبُهُ يَتَقَطَّعُ أَلَمًا وحسرةً على حالِ هذه الأمةِ حتى اختارَهُ اللهُ واصطفاهُ ليكونَ مُبَلِّغًا عنه ورسولاً منه إليهم ليكونَ عونًا للضعيفِ، ونصرةً للمظلومِ، مرشدًا للضالِّ، وقفَ ﷺ بعدَ أنْ جاءَهُ الوحيُ مِن ربِّهِ يفكر ما يقولُ لساداتِ قريشٍ وزعماءِ العربِ وكبرائِها، كيف يبدأُ وبمن يبدأ؟ نظرَ إلى قومِهِ وعشيرتِهِ وإلى مَن ألزَمَهُ اللهُ بتبليغِ رسالتِهِ إليهم، إنهم ليسوا فرداً ولا عشيرةً ولا قبيلةً فحسب، إنه مُلزمٌ بتبليغِ الرسالةِ إلى العالمِ بأسرِهِ، عَرَبِهِ وعَجَمِهِ، إنه يواجهُ أُمَمًا صمًّا بكمًا عميًا، الكبرُ قد أعمى أبصارَهم، والغلظةُ والقسوةُ غطتْ على قلوبِهم، لا رحمةَ في قلوبِهم فمَن عانَدَهم وخالفَ أمرَهم بَطَشُوا بِهِ، وسفكوا دَمَهُ واستباحوا عِرضَهُ وأخذوا مالَهُ، وسَبَوا نساءَهُ بلا شفقةٍ ولا رحمةٍ، نظرَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى قساوةِ قلوبِهم، وشدةِ بطشِهم وغرورِهم وكبريائِهم، ثم نظرَ إلى نفسِهِ وَتَلَفَّتَ حواليهِ فرأى نفسَهُ رجلًا فريدًا وحيدًا يتيمًا، لا أمَّ تحنوا عليهِ ولا أبَ يدفعُ عنه، فقيرًا لا يملكُ مِن الدنيا ولا مِن حطامِها ما يسدُّ به أفواهَ الحاسدين، ولا يجدُ

سلطانًا لهُ يُخيفُهم بهِ، ليس في قومِهِ مَن يعتمدُ عليهِ ويركنُ في الشدةِ إليهِ سوى عَمِّهِ أبي طالبٍ وولدِهِ عليٍّ عليه السلام، فهل يا تُرى كيف يكونُ موقفُهم مع رجلٍ فقيرٍ ويتيمٍ يعيشُ في معزلٍ عن الناسِ، وهم الذين يسخرونَ من الفقراءِ وينتهبونَ أموالَ اليتامى، هل سيُجيبونَهُ إلى ما دعاهم؟ وهل سيتخلونَ عن كبريائِهم ويتواضعونَ للحقِّ مُذعنينَ؟ هل سيرضونَ بمخالطةِ العبيدِ والضعفاءِ، ومجالسةِ اليتامى والفقراءِ، هل بقدرتِهم أن يتخلوا عن كلِّ شهوةٍ وملذةٍ وقد صارتْ كلَّ شيءٍ بالنسبةِ لهم، وعليها شَبُّوا وترعرعوا ويتخلونَ عن معتقداتِهم وأصنامِهم؟ هل يستطيعونَ النزولَ عن كراسي الشهرةِ والمجدِ وخلعِ ثيابِ الأبهةِ الذهبيةِ والحريرِ، هل يستطيعونَ السيرَ تحت لواءِ محمدٍ تابعينَ لا متبوعين؟ هل سيرضون أن يعفِّروا وجوهَ الكبرِ بالترابِ، ويدسُّوا آنافَهم بينَ الرمالِ ساجدين لله؟ إنَّ هذا موقفٌ شاقٌّ مضنٍ وعقبةٌ كؤودٌ.

لقد أُلقِيَتْ على كاهلِ النبيِّ مسئوليةٌ ليستْ بالسهلةِ الهينةِ، إنه موقفٌ مكلف، نزلَ من غارِ حراءٍ بعد أن جاءَه الوحيُ مِن السماءِ واتَّجَهَ صوبَ مكةَ فرأى النواديَ تضجُّ بالضحكاتِ المجلجلةِ، والشوارعُ تضيقُ بالمترنحين أو التاعبين من آثار السكارِ، البيوتُ تفوحُ بالروائحِ النتنةِ العفنةِ من الأرجاسِ والأدناسِ، بيوتُ الدعارةِ تضيقُ بالزانياتِ العاهراتِ، والراقصاتِ العارياتِ، ماذا يعملُ؟ إنه مأمورٌ بإبلاغِ رسالةٍ فيها طمسُ الموبقاتِ، ومحوُ الفواحشِ والمنكراتِ؟

بمَنْ يبدأُ؟ ومن أينَ؟ وكيفَ؟ ومتى؟ أيبدأُ بالنوادي، بالسكارى، بالزناةِ، بقطاعِ الطرقِ، بالساداتِ والأمراءِ أم بالعبيدِ والفقراءِ؟

آهٍ مِن موقفٍ ما أصعبَهُ ومقامٍ ما أتعبَهُ، إنها الرسالةُ العظمى التي حملَها ذلك الرجلُ العظيمُ الذي جَهِلَ حقَّهُ الأكثرونَ، وأنكرَ فضلَهُ المبطلونَ، لم يرعوا له ولا

لأهلِ بيتِهِ مِن بعدِهِ حُرمةً، بل جازَوهُ على معروفِهِ بهتكِ حرمتِهم والنيلِ من كرامتِهم من يومِ وفاتِهِ وإلى اليومِ، وهنا معلومة مهمة ينبغي أن تكون بذهن المؤمن، ألا وهي أن الذين كذبوا النبي وآذوه ورجموه وشتموه وأخرجوه ثم حاربوه هم الذين قاتلوا عليًّا وسبوه، وقاموا في وجه الحسن فسموه، وجيشوا ضد الحسين فقتلوه، وقتلوا زيدًا وصلبوه، إنهم قريش حكى الله عنهم أنهم لا يؤمنون، إلا من قد آمن منهم مائة وسبعون، والباقي فوق ثلاثة آلاف استسلموا يوم الفتح وكانوا قادة المعارك في بدر وما بعدها ثم لما تعذر عليهم قتال محمد وآله وأصحابه باسم الكفر قاتلوهم وقتلوهم باسم الدين ولو عرف المسلمون هذا ما اختلفوا، وها هو ﷺ وبعدَ ألفٍ وأربعِ مئةِ سنةٍ من وفاتِهِ لم يَسْلَمْ عِرْضُهُ وحرمتُهُ من أَلْسِنَةِ الأرجاسِ والأدناسِ وأقلامِ أكثرِ الناسِ وعبدةِ الجبتِ والطاغوتِ من الدنمركيين والنرويجيين وولاتِهم مِن أذنابِ الكلابِ، فقد وصفوهُ بأبشعِ الأوصافِ، ورسموهُ بأَسْوَإِ الصورِ، ونسبوهُ زوراً وإفكاً إلى ما هو منه براءٌ، وما أرى كلَّ ذلك إلا بلاءً وامتحانًا لكلِّ مسلمٍ ينتسبُ إلى الإسلامِ، ويدَّعي موالاةَ خيرِ الأنامِ، لكن ومع بالغِ الأسى والحزنِ خابَ الأملُ، وذهبَ الرجاءُ، فالعجبُ كلُّ العجبِ من أمةٍ يُقدَّرُ عددُها بما يقاربُ مليارَ ومئتينِ مليونِ مسلمٍ منتشرينَ في أصقاعِ الأرضِ يدَّعون الإسلامَ والانتماءَ لرسولِ اللهِ ﷺ ومع ذلك لم يُحرِّكوا ساكنًا، ولم يحوِّلوا ولم يبدِّلوا إلا السبَّ والتنديدَ والتحسرَ والانكسارَ فإنا للهِ وإنا إليهِ راجعون.

أينَ هذه الأمةُ من أمةٍ كانت تقدسُ رسولَـها وتحفظُهُ في محضرِهِ ومغيبِهِ؟ وكانوا يتبركونَ بآثارِ قدميهِ ويتسابقونَ على باقي فضلاتِ وضوئِهِ، كانوا يستشفونَ بريقِهِ وبصاقِهِ، ويتشرفونَ برؤيتِهِ ولمسِ جسدِهِ، حتى بلغَ بهم تشريفُهُ وتعظيمُهُ أنْ شربوا دمَ حجامتِهِ، وكانوا لا يتجاسرونَ أن يرفعوا أصواتَهم فوقَ

صوتِهِ، ولا مواجهتَهُ والنظرَ إلى وجهِهِ، لقد كانوا له حصنًا ومنعةً يُقَدِّمون أنفسَهم بين يديهِ، ويبذلون كلَّ غالٍ ونفيسٍ فداءً له، وإنك لترى الواحدَ منهم يرضى بأن تزهقَ روحُهُ ويذهبَ مالُهُ وولدُهُ بدلًا من أن تصيبَ رسولَ اللهِ شوكةٌ، أحبُّوهُ حُبًّا خالطَ قلوبَهم واستحكمَ على أنفسِهم، فآثروهُ على أنفسِهم وقَدَّموه على أهلِيهم، قالَ تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ فلو أن أولاد القردة والخنازير وعباد الجبت والطاغوت عرفوا وفاءنا وإخلاصنا في حب رسولنا ورأوا تفانينا في موالاة سيدنا ونبينا ما تجاسروا أن يمسوا عرضه بسوء، ولما تجرئوا على هتك حرمته وكرامته، بل سيقفون جبناء أذلاء عند حرمات المسلمين ومقدساتهم، ولكنهم عرفوا ذلة أهل الإسلام وجبنهم فتطاولوا على سب دينهم وشتم نبيهم وتمادوا في غيهم وباطلهم.. فيا للحسرة والخزي للمسلمين وزعمائهم، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: ((لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم)).

فنسأل الله العلي الأعلى أن يبلغ روحه منا أفضل الصلوات وأزكى التحيات وأعظم البركات وأن يجعل ثواب قرباتنا وأحر صلواتنا هدية منا واصلة ورحمة من الله نازلة إلى روحه الطاهرة ومقامه الشريف، وأن يشفعه في أمته، ويجعلنا من أهل شفاعته.

فيا عبد الله:

قم بالصلاة على النبي فإنها *** هي نور قبرك عندما تأويه

إن الصلاة على النبي وآله *** تنجي الفتى من بأسه وتقيه

عبـــد توســـل بـــالنبي محمـــدٍ *** وبآلـــــه يـــــا رب لا تخزيـــــه

اللهم فاجعلْ أزكى صلواتِكَ، وأنمى بركاتِكَ على حبيبِكَ المأمونِ وخازنِ علمِكَ المكنونِ، وشفيعِكَ يومَ الدينِ، قائدِ الخيرِ، ومفتاحِ البركةِ، الخاتمِ لِمَا سبقَ، والفاتحِ لِمَا انغلقَ، والمعلنِ الحقَّ بالحقِّ، الدافعِ صولاتِ الأضاليلِ، والدامغِ جيشاتِ الأباطيلِ، محمدِ بنِ عبدِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آلِهِ الطاهرينَ، اللهم فأعلِ على بناءِ البانينَ بناءَهُ، وأكملْ لديكَ منزلتَهُ ورضوانَهُ، وارفعْهُ بما كدحَ فيكَ إلى الدرجةِ العليا مِن جنتِكَ، حتى لا يُساوى في منزلةٍ، ولا يكافأَ في مرتبةٍ، وابعثْهُ اللهمَّ المقامَ المحمودَ، وأعطِهِ الحوضَ المورودَ، وآتِهِ الوسيلةَ والفضيلةَ، والشرفَ الأعلى، والدرجةَ العاليةَ الرفيعةَ في الجنةِ، وشَفِّعْهُ في أمتِهِ، واحشُرْنا في زمرتِهِ، وأوردْنا حوضَهُ، واسْقِنا بكأسِهِ شربةً هنيئةً لا نظمأُ بعدَها أبدًا.

وصلِّ اللهمَّ وسلِّم على أخيهِ وابنِ عمِّهِ وبابِ مدينةِ علمِهِ أشجعِ طاعنٍ وضاربٍ، عليِّ بنِ أبي طالبٍ، وعلى زوجتِهِ الحوراءِ خامسةِ أهلِ الكساءِ فاطمةَ البتولِ الزهراءِ.

وصلِّ اللهمَّ وسلِّم على ولديهما الإمامينِ الأعظمينِ أبي محمدٍ الحسنِ وأبي عبدِ اللهِ الحسين، وصلِّ اللهمَّ وسلِّم على الوليِّ بنِ الوليِّ الإمامِ زيدِ بنِ علي.

وصلِّ اللهمَّ وسلِّم على الإمامِ الهادي إلى الحقِّ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ بنِ إبراهيمَ، وصلِّ اللهمَّ وسلِّم على سائرِ أهلِ بيتِ نبيئِكَ المطهرينَ دعاةً منهم ومقتصدين.

وارضَ اللهمَّ عنِ الصحابةِ الأخيارِ من المهاجرين والأنصارِ، وعنَّا معهم بفضلِكَ ومنِّكَ يا كريمُ.

رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الْمُنْتَجَبِ الْمُصْطَفَى، الْمُكَرَّمِ الْمُقَرَّبِ أَفْضَلَ صَلَوَاتِكَ، وَبَارِكْ عَلَيْهِ أَتَمَّ بَرَكَاتِكَ، وَتَرَحَّمْ عَلَيْهِ أَمْتَعَ رَحَمَاتِكَ.

رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلَاةً زَاكِيَةً، لَا تَكُونُ صَلَاةٌ أَزْكَى مِنْهَا، وَصَلِّ عَلَيْهِ

صَلَاةً نَامِيَةً، لَا تَكُونُ صَلاةٌ أَنْمَى مِنْهَا، وَصَلِّ عَلَيْهِ صَلاةً رَاضِيَةً، لَا تَكُونُ صَلاةٌ فَوْقَهَا.

رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلَاةً تُرْضِيهِ وَتَزِيدُ عَلَى رِضَاهُ، وَصَلِّ عَلَيْهِ صَلَاةً تُرْضِيكَ وَتَزِيدُ عَلَى رِضَاكَ لَهُ، وَصَلِّ عَلَيْهِ صَلَاةً لَا تَرْضَى لَهُ إِلَّا بِهَا، وَلَا تَرَى غَيْرَهُ لَهَا أَهْلاً.

رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلَاةً تُجَاوِزُ رِضْوَانَكَ، وَيَتَّصِلُ اتِّصَالُهَا بِبَقَائِكَ، وَلَا يَنْفَدُ كَمَا لَا تَنْفَدُ كَلِمَاتُكَ.

اللهمَّ شَفِّعْ محمداً في أمتِهِ، واحشُرْنا في زمرتِهِ، واجعلْنا من شيعتِهِ وأتباعِهِ، واسْقِنا من حوضِهِ المورودِ شربةً هنيئةً لا نظمأُ بعدَها أبدًا، وارزقنا مرافقَتَهُ في الجنةِ برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمين.

عبادَ اللّه:

﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

فاذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يذكُرْكم، واشكروهُ على نعمِهِ يزِدْكم، ولذكرُ اللهِ أكبرُ، واللهُ يعلمُ ما تصنعون.

الخطبة الأولى

مولد الرسول الأكرم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي أرسلَ رسولَهَ بالهدىٰ ودينِ الحقِّ ليظهرَهُ علىٰ الدينِ كلِّهِ ولو كرِهَ المشركون.

الحمدُ للهِ الذي أرسلَ إلينا محمداً رسولًا، وجعلَهُ محمودًا، أحمدُ من جعلَ محمداً علمًا، وسماهُ نورًا، ولقَّبَهُ سراجًا.

أحمدُ من وَسَمَ محمداً بالنبوةِ، وألبسَهُ الكرامةَ، وتوَّجَهُ بالرسالةِ، لك الحمد:

يا من خصَّ أحمد واصطفاه *** وأعطاه الرسالة والكتابا

وقرَّبه وسماه حبيبا *** وأعتق من شفاعته الرقابا

لك الفضل المبين علىٰ عطاء *** مننت به وضاعفت الثوابا

وأشهدُ ألا إلهَ إلا اللهُ الملكُ الحقُّ المبينُ، بعثَ الرسلَ مبشرينَ ومنذرينَ، وأيَّدَهم بالحججِ والبراهينِ، وجعلَهم أعلامًا للدينِ، وقادةً لعبادِهِ المؤمنينَ، وجعلَهم خلائفَ الأرضِ، وحججاً علىٰ العالمين، لئلا يكونَ للناسِ علىٰ اللهِ حجةٌ بعدَ الرسلِ.

فلَهُ الحمدُ ولهُ الشكرُ علىٰ ما أسبغَ علينا من النعمِ والآلاءِ المتواليةِ، والفضائلِ المتتاليةِ ظاهرةً وباطنةً، ألا وإنَّ مِن أجلِّ نعمِهِ علينا أنِ أرسلَ إلينا رسولًا من أنفسِنا، وابتعثَهُ رحمةً للعالمين، وراحةً للمؤمنين، ونبراسًا للمهتدين.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ المخصوصُ بالكرامةِ، اختصَّهُ اللهُ بالكتابِ، واصطفاهُ مِن أشرفِ الأنسابِ وأزكىٰ الأحسابِ وأطيبِ الأصلابِ وأطهرِ الأرحامِ، فكانَ أطهرَ الناسِ قلبًا، وأزكاهم عقلًا، وأشرَفَهم فرعًا وأصلًا.

خرجَ مِن شجرةِ الأنبياءِ، ومشكاةِ الضياءِ، نبيُّ الرحمةِ وكاشفُ الغمةِ، أبي الطيبِ والطاهرِ والقاسمِ، محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بن هاشمٍ، صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ أبدًا دائمًا مِن يومِنا هذا إلى يومِ الدينِ.

إنه أبو القاسمِ صفوةُ اللهِ مِن خلقِهِ، أفضلُ مَن وطئَ الحصى بنعلِهِ، وخيرُ من صامَ وصلَّى، وأفضلُ أهلِ الأرضِ في طولِها والعرضِ.

وله فضائل لست أحصي عدها *** مَن رام عدَّ الشهب لم تتعدد

إنْ وصفْتَهُ بالقمرِ فالقمرُ يطرأُ عليهِ النقصانُ والمحولُ، والغيابُ والأفولُ، ومِنَ الشمسِ يستمدُ النورَ والضياءَ، والنبيُّ محمدٌ ذلك النورُ الكاملُ الذي كَمُلَ خلقاً وخلقاً ﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾.

وإنْ شبَّهْتَهُ بالشمسِ صَدَمَني بما أذهلَني، وكَسَفَ بالي بقولِهِ حين قالَ لعمِّهِ: ((يا عمُّ، واللهِ لو وضعوا الشمسَ في يميني والقمرَ في يساري على أن أتركَ هذا الأمرَ ما تركتُهُ حتى يظهرَهُ اللهُ أو أهلَكَ دونَهُ)) فانظرْ لهذه العبارةِ كيف تضاءلتِ الشمسُ أمامَ عظمتِهِ فصارتْ كالدهمِ الحقيرِ في يدِهِ، ولم يرضَ بها ثمنًا لدعوتِهِ، فما بالَكَ بقيمتِهِ هو في نفسِهِ.

سيدي يا أبا القاسمِ، إن الشمسَ لا توازي بعضَ صفاتِكَ ولا تساوي ما جِئْتَ بهِ فكيف أُشَبِّهُكَ بها، أم كيف أقرُنُكَ بالشمسِ التي تَحْجُبُ أشعتَها السحابُ، ويكدِّرُ صفوَها الغبارُ؟

كيف أقرنُ نورًا سطعَ ضوؤهُ، ولألأَ بريقُهُ، وأضاءَ ظلماتِ الدنيا كلَّها وأنارَ كلَّ دارٍ بكوكبٍ يغربُ ويزولُ، ويطرأُ عليهِ الأفولُ، وتعتريهِ علةُ الخسوفِ والكسوفِ، ويتركُ الكونَ وراءَهُ ظلمةً حالكةَ السوادِ موحشةَ الوهادِ.

وإنْ وصفتُهُ بالبحرِ فهل يغيثُ ذلك الملحُ الأجاجُ على سعةِ ما حواهُ الظامئَ بشربةِ ماءٍ يَبُلُّ بها ريقَهُ.

أين كلُّ هذهِ الأوصافِ منكَ يا سيدَ الكونينِ يا علمَ الهدىٰ؟

البدرُ دونَكَ في حُسْنٍ وفي شَرَفٍ *** والبحرُ دونَكَ في خيرٍ وفي كرمِ

جاءتْ لدعوتِكَ الأشجارُ ساجدةً *** تمشي إليكَ علىٰ ساقٍ بلا قَدَمِ

أخوكَ عيسىٰ دعا ميتًا فقامَ لَهُ *** وأنتَ أحييتَ أجيالًا مِن العدمِ

﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

أما بعدُ:

أحبابَ الحبيبِ محمدٍ ﷺ

إننا في هذه الأيامِ نستقبلُ ذكرياتٍ عطرةً، لها تاريخُها المجيدُ، ومناسبةً غاليةً علىٰ القلوبِ خالدةً في الصدورِ، راسخةً في الأذهانِ، إنها ذكرىٰ لها ميزتُها ونكهتُها العطرةُ، ومذاقُها الخاصُّ في نفسِ كلِّ مؤمنٍ، ولها ثقلُها في قلوبِ المسلمينَ قاطبةً، إنها ذكرىٰ مولدِ الفجرِ الزاهرِ الذي شقَّ بفرقانِ رسالتِهِ غياهبَ الظلماتِ، إنها ذكرىٰ مولدِ النورِ، الذي أضاءَ الخافقينَ، وأشرقتْ لمطلعِهِ أرجاءُ الكونِ.

عَلَمٌ أضاءَ الدينَ والدُّنا معًا *** وزيحت بمولِدِهِ جميعُ الغياهِبِ

إنها ذكرىٰ المولدِ النبويِّ، ذكرىٰ مولدِ سيدِ البشريةِ، وقائدِ الإنسانيةِ النبيِّ الخاتمِ لما سبقَ، والفاتحِ لما انغلقَ، نبيِّ الرحمةِ، وسراجِ الظلمةِ، محمدِ بنِ عبدِ اللهِ، صلىٰ اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ الطاهرين.

وحُقَّ لنا أن نفخرَ ونباهيَ بهذا المولدِ الشريفِ أهلَ الدنيا قاطبةً، ونعلنَ الأفراحَ بهذه الذكرىٰ المباركةِ، ولهذا الحدثِ العظيمِ، وأن نجعلَهُ أعظمَ عيدٍ في التاريخِ، وأسعدَ يومٍ في الوجودِ.

إخوةَ الإيمانِ، إنَّ مولدَ رجلٍ عظيمٍ مثلِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ هو مِن أعظمِ وأجلِّ

الشعائرِ الدينيةِ، والمناسباتِ الإسلاميةِ التي أمَرَ اللهُ بتعظيمِها في قولِهِ عزَّ مِن قائلٍ: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

ألا وإنَّ أقلَّ ما يمكنُ فعلُهُ لتعظيمِ تلكَ الشعيرةِ المباركةِ أن نفرحَ ونحتفلَ ونباركَ تلكَ الذكرى الخالدةَ، وذلكَ المولدَ الميمون، ونهنئَ أنفسَنا بتلكَ الهديةِ المباركةِ.

ولـدَ الهـدى فالكائنـاتُ ضـياءُ *** وفـمُ الزمـانِ تَبَسُّـمٌ وثنـاءُ

الـروحُ والمـلأُ الملائـكُ حولَـهُ *** للـدينِ والـدنيا بـهِ بشـراءُ

بـك بَشَّـرَ اللهُ السـما فازَّيَّنَـتْ *** وتعطـرتْ مسـكًا بِـكَ الغـبراءُ

وكيف لا نفرحُ وقد أهدى اللهُ إلينا هذا المولودَ المباركَ الذي بفضلِهِ انقشعتْ سحائبُ الظلماتِ، وأشرقَ الوجودُ بنورِ الحقِّ والعدلِ، وجرتْ رياحُ الخيرِ والفضيلةِ، وانتشرَ الإسلامُ والسلامُ، وعَمَّ الخيرُ ربوعَ الكونِ، وأنارتْ مصابيحُ الهدايةِ في القلوبِ، وتحررتِ الأمةُ من قيودِ الرقِّ والعبوديةِ، وخرجتْ من سجونِ الظلمِ والضلالِ.

أنـارَ الكـونَ حتـى ضـاقَ ذرعًـا *** بـهِ الظلـماتُ وانـدَحَرَ الضـلالُ

فأيُّ نعمةٍ أعظمُ، وأيُّ هديةٍ أجلُّ وأعظمُ قداسةً وفضلًا من مولدٍ كان سبباً بفضلِهِ في نجاةِ الأمةِ، وبفضلِ مَقْدَمِهِ استنقذَ اللهُ بهِ أجيالاً كادتْ أنْ تكونَ مِن وقودِ النارِ.

بل كيف نفرحُ ونحتفلُ بأعيادِ الانتصاراتِ والثوراتِ، ونمجدُ مناسباتِ الأعراسِ والزواجِ بالأفراحِ ولا نحتفلُ بعيدِ مولدِ أعظمِ شخصيةٍ عَرَفَها التاريخُ، وأفضلِ مولودٍ حملَهُ بطنٌ، وأظلَّهُ عَطْنٌ، الذي كانَ مولدُهُ أعظمَ ثورةٍ على الظلمِ والطغيانِ، وأعظمَ محرِّرٍ للبشريةِ من قيودِ الرقِّ والعبوديةِ، وحبائلِ الشركِ والوثنيةِ.

ضحكتْ لكَ الأيامُ يا عَلَمَ الهدى *** واستبشرتْ بقدومِكَ الأعوامُ
وتوقفَ التاريخُ عندَكَ مذعنًا *** تملي عليه وصحبه الأقلامُ
اضحك لأنك جئتَ بُشْرى للورى *** في راحتَيك السلمُ والإسلامُ
اضحك فبعثتُكَ السعود وفجرها *** ميلاد جيل ما عليه ظلامُ

أحبابَ الحبيبِ محمد:

إنَّ مولدَ الرسولِ ﷺ ليس مجردَ ولادةِ طفلٍ خرجَ إلى الوجودِ مِن ظلماتِ الأرحامِ، بل إنه أكبرُ وأعظمُ من كلِّ ذلك.

إنَّ مولدَهُ أعظمُ مِن ولادةِ فجرٍ انبجستْ أنوارُهُ لتُمزقَ أستارَ الظلامِ، وتُبَدِّدَ ظلمةَ الليلِ الحالكةِ فتشرقَ شمسُهُ لتضيءَ الوجودَ وتنشرَ الدفءَ في الكونِ.

إنَّ مولدَهُ أعظمُ شأنًا من ولادةِ عينٍ تنبعُ بالماءِ العذبِ الزلالِ وجَدَها أهلُ قافلةٍ في كبدِ الصحراءِ القاحلةِ وقد ظلَّتْ بهم الطريقُ، وتاهتْ بهمُ المسالكُ حتى نفدَ زادُهم واشتدَّ بهمُ الحرُّ والظمأُ حتى شارفوا على الهلاكِ لولا تلكَ العين.

إنَّ مولدَ الرسولِ ﷺ أعظمُ من كلِّ ذلك وأكبرُ مما هنالك.

إنَّ مولدَهُ كانَ نبأً عظيمًا له ثقلُهُ، وصرخةً مدويةً ارتجتْ لها أرجاءُ الكونِ وعمَّتْ الخلقَ كافةً، جِنَّهم وإنسَهم.

إنَّ هذا المولدَ المباركَ كانَ يَتَرَقَّبُهُ أهلُ السماءِ قبلَ أهلِ الأرضِ، فلقد سَبَقَتْ بشائرُ وجودِهِ ولادتَهُ، وكانتِ الدنيا بما حوتْ مترقبةً تلك الساعةَ التي تُبَشِّرُ بولادتِهِ وخيرِ مَقْدَمِهِ المباركِ الميمونِ.

لم يكنْ وجودُهُ ﷺ مجردَ ولادةٍ طبيعيةٍ غيرِ مُتَوَقَّعَةٍ أتتْ على حينِ غفلةٍ، بل لقد كان صدى مولدِهِ قد ملأَ الآفاقَ وسارتْ به الرُّكبانُ، وملأتْ أخبارُهُ وأوصافُهُ الصحفَ والكتبَ السماويةَ، وأخبرتْ بِهِ التوراةُ والإنجيلُ، وبَشَّرَتْ بِهِ الأنبياءُ والرسلُ، وبَشَّرَ بِهِ عيسى بنُ مريمَ عليه السلام بقولِهِ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى

ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾

الله أكـــبرُ إنَّ ديـــنَ محمـــدٍ *** مـن خـيرِ أديـانِ البريـةِ دينـا

لا تُذْكَرُ الكتـبُ السـوالفُ عنـده *** طَلَـعَ الصـباحُ فأطفـأ القنـديلا

لقد كان مولدُ الرسولِ ﷺ هو الأملُ الوحيدُ الذي تَعَلَّقَتْ بِهِ الآمالُ، والموعدُ الذي استبشرَ به خيرًا المستضعفونَ والمظلومون.

فلقد كان مولدُ النبيِّ ﷺ إيذانًا بولادةِ عهدٍ جديدٍ، وبدايةِ حياةٍ جديدةٍ، بل لقد وضعَ خروجُهُ إلى الدنيا حدًّا فاصلًا لحياةِ اللهوِ واللعبِ، ونقطةَ نهايةٍ للظلمِ والضلالِ.

فكانت حياةُ الرسولِ ﷺ إشراقةً لتاريخٍ جديدٍ، وبزوغَ فجرٍ أشرقتْ معه أرجاءُ الكونِ، وأضاءتْ أنوارُهُ الخافقينَ بالبشرى والسعادةِ.

ولـدَ الهـدى فالكائنـاتُ ضـياءُ *** وفـمُ الزمـانِ تَبَسُّـمٌ وثنـاءُ

يـا خـيرَ مـن جـاء الوجـود تحيـة *** من مرسلين إلى الهدى بـك جـاءوا

فعلينا -أمةَ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ- أن نعيَ بأنَّ المولدَ النبويَّ الشريفَ كان نهايةً للفوضى والهمجيةِ، وبدايةَ ثورةٍ وظهورًا للخيرِ والفضيلةِ على الشرِّ والرذيلةِ، وانتصارًا للعدالةِ والمساواةِ على الظلمِ والجورِ والطغيانِ، فمولدُ الرسولِ ﷺ قد أحدثَ هزَّةً في الكونِ لم يعهدْ لها العالمُ من قبلُ مثيلا.

وأحدثَ تَغَيُّرًا مفاجئًا، وصاحبَ ذلك كراماتٍ عجيبةٍ ارتجتْ لها أرجاءُ الكونِ، وطالَ صدى مولدِهِ ﷺ حَدَّ المألوفِ وخرجَ عن طَوْقِ العادةِ.

روى أهلُ السِّيَرِ في خبرِ مولدِهِ عن أمِّهِ آمنةَ أنها قالتْ بأنها حملتْهُ تسعةَ أشهرٍ لم يلحقْها تعبٌ ولا وجعٌ، ولم يأتِها ما يأتي النساءَ، ولم تشكُ وجعًا ولا ريحًا، ولا ما

يعرضُ للنساء ذواتِ الحملِ، حتى جاءَها المخاضُ يوم الاثنين فجلستْ في بيتِها وحدَها لا يعلمُ بها أحدٌ.

قالت آمنةُ: فسمعتْ وجبةً عظيمةً، وأمراً شديدًا فهالني، فرأيتُ كأنَّ جناحَ طيرٍ أبيضَ قد مسحَ على فؤادي فذهبَ عني الرعبُ وكلُّ وجعٍ.

ثم رأيتُ نسوةً كالنخلِ طولًا، كأنهنَّ مِن بناتِ عبدِ منافٍ يُحدقنَ بي فبينما أنا أعجبُ وأقولُ: واغوثاه، من أينَ علمنَ بي هؤلاء! فاشتدَّ بي الأمرُ وأخذني المخاضُ فولدتُ محمداً ﷺ، فلما خرجَ مِن بطني دُرْتُ فنظرتُ فإذا أنا بِهِ ساجد قد رفعَ إصبعَيهِ إلى السماءِ كالمتضرعِ المبتهلِ، وفي رواية: فرأيتُ أنه خرجَ مني نورًا أضاءتْ منهُ قصورُ الشامِ.

فهذا شأنُ آمنةَ وما رأتْ، وأما عبدُ المطلبِ فقد روى أهلُ السيرِ أنه كانَ في تلكَ الليلةِ في جوفِ الكعبةِ يرومُ منها شيئًا إذ سمعَ تكبيرًا عالياً يقول: اللهُ أكبرُ، ربُّ محمدٍ المصطفى وإبراهيمَ المجتبى، ألا إنَّ ابنَ آمنةَ الغراءِ قد وُلِدَ، وقد انكشفتْ عَنَّا سحائبُ الغمَّةِ إلى الرحمةِ، ثم اضطربت الأصنامُ، وخَرَّتْ على وجوهِها.

قال عبد المطلب: فدهشتُ، ثم خرجتُ من الكعبةِ في ليلةٍ مقمرةٍ،فإذا أنا بذئبٍ قد وقفَ بأعلى مكةَ وهو ينادي بصوتٍ له رفيعٍ عربيٍّ فصيحٍ: يا آلَ غالبٍ، ألا فاسمعوا: قد جاءَكم النورُ الثاقبُ الذي به تستبهجُ الدنيا فاتبعوهُ قبلَ أن تدنوا فتخذلوا، وذهبَ الذئبُ، فإذا بصوتٍ رفيعٍ من الجبلِ -جبلِ أبي قبيسٍ- يقولُ: يا آلَ غالبٍ، ألا فاسمعوا لهذا المولودِ فإنه خيرةُ المعبودِ، فطوبى لِمَن آزرَهُ وتبعَهُ ونصرَهُ.

فأسرعَ عبدُ المطلبِ نحوَ منزلِ آمنةَ فإذا هو بطيورٍ ساقطةٍ على حيطانِ الدارِ، وسحابةٍ بيضاءَ قد أظلتْ الدارَ بأجمعِها، فلما دنا من البابِ لم يطقِ الدخولَ من لمعانِ النورِ، فطرقَ البابَ ففتحتْ لهُ آمنةُ وأخبرتْهُ بأنها قد ولدتْ غلامًا، فقالَ لها: وأينَ وضعتيهِ ولستُ أرى عليك أثرَ النفاسِ.

قالتْ: إنَّ هذه الطيورَ التي ترى قد أظلتِ الدارَ لتنازعَنيه منذُ وضعتُهُ، ولم تكنْ تلكَ الطيورُ سوى ملائكةٍ جاءتْ لزيارةِ هذا المولودِ المباركِ، فسألَـها عبدُ المطلبِ: أينَ الغلامُ؟ قالت: هو في ذلك المخدعِ فشأنك وهو، فوثبَ عبدُ المطلبِ ليدخلَ فصاحَ بهِ صائحٌ بصوتٍ هائلٍ: ارجعْ، لا سبيلَ لكَ ولا لأحدٍ من الآدميينَ إلى هذا المولودِ حتى تنقضي عنهُ زيارةُ الملائكةِ.

نعم، أيُّها المؤمنونَ لقدْ كانَ لمولدِ النبيِّ ﷺ ثقلُهُ، وله وزنُهُ على صفحاتِ التاريخِ بما رافقَ مولدَهُ من أحداثٍ وتغيراتٍ قلبتِ الدنيا رأسًا على عقبٍ، وأذهلتْ أهلَ ذلك الزمانِ، إنسَهُم والجانَّ، بل حتى الشياطينَ لم تكنْ لتخطئَهم تلكَ الصدمةُ المدويةُ، فقد رُجِمَتْ بالشهبِ، ومُنِعَتْ مِن السماءِ.

وانقضَّتْ الكواكبُ في الهواءِ تزينُ الكونَ بلمعانِها وبريقِها، وترعبُ الجبابرةَ والمستكبرين.

فلما رأتْ قريشٌ ذلك أنكرَتْهُ وقالوا: ما هذا إلا لقيامِ الساعةِ، وأصابتِ الناسَ زلزلةٌ عظيمةٌ عمَّتْ جميعَ الدنيا حتى تهدمتْ الكنائسُ والبِيَعُ، وزالَ كلُّ شيءٍ يُعْبَدُ من دونِ اللهِ عزَّ وجلَّ عن موضعِهِ، وعَمِيَتْ على السحرةِ والكهانِ أمورُهُم، وحُبِسَتِ الشياطينُ عنهم، وطلعتْ نجومٌ لم تُرَ قبلَ ذلك، فأنكرَتْها كهانُ اليهودِ، وزُلْزِلَ إيوانُ كسرى، وسقطتْ منه ثلاثةَ عشرَ شُرْفَةٍ، وخمدتْ نارُ فارسٍ ولم تكن خمدتْ قبلَ ذلك بألفِ عامٍ.

عبادَ اللّه:

لقد جاءَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى هذه الدنيا بخيرِ الدنيا والآخرةِ.

لم يكن وجودُهُ ﷺ كغيرِهِ من البشرِ يعولُ نفسَهُ، ويسعى وراءَ مطلبِهِ وغايتِهِ، بل لقد جاءَ كمخلصٍ لهذه الأمةِ مِن حبائلِ الشركِ والكفرِ، ومستنقذٍ لها من النارِ، إنه رجلٌ لا يوجد مثيله، ولا يعرف في البشر نظيرُهُ، رجلٌ استطاعَ في فترةٍ وجيزةٍ أن يغيرَ مسارَ التاريخِ، وأن يجعلَ من نفسِهِ حَدًّا فاصلًا بين الظلمةِ

والنورِ، رجلٌ قَلَبَ موازينَ الحياةِ وغيَّرَ مجرياتِ الأمورِ، وقرن اسمه باسم العزيز الغفور على المنائر والمنابر مدى الأيام والشهور.

جاءَ فخَلَّصَ الفقراءَ والمستضعفينَ من بطشِ الظلمةِ والجبارين.

جاءَ ليَفُكَّ أغلالَ أولئك الأحرارِ الذين حكمتْ عليهم محاكمُ الظلمِ والجورِ بالرقِّ والعبوديةِ.

جاءَ ليحميَ أولئك الأطفالَ الأبرياءَ الذين يذبحونَ بدونِ وجهِ حقٍّ، وبلا رحمةٍ وبأيدي آبائِهم خوفًا من الفقرِ والإملاقِ.

فأبانَ لهم بأنَّ الفقرَ والغنى من اللهِ، وما مِن دابةٍ في الأرضِ إلا على اللهِ رزْقُها ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيراً﴾

جاءَ ليستنقذَ تلك الطفلةَ البريئةَ الضعيفةَ التي حكمتْ عليها عاداتُ الجاهليةِ الظالمةِ بالدفنِ حيةً في الترابِ بغيرِ ما ذنبٍ جَنَتْ، ولا جرمٍ اقترفتْ، ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾

ولكن خوفًا من الفضيحةِ والعارِ المزعومِ الذي سببُهُ الجهلُ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾.

جاءَ رسولُ اللهِ ﷺ ليحررَ المرأةَ، ويردَّ لها حقَّها وعزَّتَها وكرامتَها، جاءَ ليطهرَ الأرضَ من الآثامِ والخبائثِ، ويحطمَ الأصنامَ والأوثانَ التي عُبدتْ مِن دونِ اللهِ وامتلأتْ بها أفنيةُ الحرمِ، وملأتِ البيوتُ.

جاءَ لينشرَ الودَّ والسلامَ، ويبسطَ العدلَ والمساواةَ، ويردَّ لكلِّ ذي حقٍّ حقَّهُ.

عبادَ الله:

إنَّ الحديثَ عن النبيِّ ﷺ مما تشتاقُ لَهُ المسامعُ، وتطيبُ بذكرِهِ الأفواهُ

عَطِّــرْ حــديثَكَ بــالنبيِّ محمــدٍ *** وأذعْ بـــهِ في الخـــافقين وردِّدِ
وأَشِـدْ بـه مـا شـئتَ لسـتَ ببـالغٍ *** مـا يسـتحقُّ مـن العُـلا والسـؤدَدِ
وافخـرْ بـه ماشـئتَ غـير منـازَعٍ *** مـــا الفخـــرُ إلا بـــالنبيِّ محمـــدِ

أقولُ ما تسمعونَ وأستغفرُ اللهَ العظيمَ من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلَالَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِىَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِـى وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

الخطبة الثانية

مولد الرسول الأكرم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي اصطفى محمداً ﷺ لرسالتِهِ، وارتضاهُ لدينِهِ، وائتمنَهُ على وحيِهِ، وابتعثَهُ رحمةً للعالمينَ، يبشرُ بالجنةِ مَن أطاعَ اللهَ واتقاه، وينذرُ بالنارِ مَن خالفَهُ وعصاه، ففتحَ بهِ أعيُنًا عميًا وآذانًا صمًّا وقلوباً غلفاً.

وأشهدُ ألَّا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ الرحيمُ الرؤوفُ ﴿الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

وأشهدُ أنَّ سيدَنا وسندَنا ورسولَ اللهِ إلينا، النبيَّ الأواه، والرحمةَ المهداةَ، والنعمةَ المسداةَ، مَن اختارَهُ اللهُ واجتباه، وعلى الخلقِ فضَّلَهُ واصطفاه، محمدُ بنُ عبدِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله الولاةِ، سفنِ النجاةِ وسلَّم تسليماً كثيراً.

محمدٌ وما أدراكَ ما محمد، أخرجَهُ اللهُ من أفضلِ المعادنِ منبتًا، وأعزِّ الأروماتِ مغرساً.

يا مخجلَ البدرِ مِن وضاحِ طلعتِهِ *** وفوق جبينِهِ الأنوارُ ترتسمُ
في يومِ ذكراك ماذا يكتبُ القلمُ *** وهل تحيطُ بوصفِكَ الأفواه والكلمُ
أنتَ يا قدوةَ الأبرارِ مدرسةٌ *** للمكرماتِ ومنها تأخذُ الأممُ
صلَّى عليكَ إلهُ العرشِ ما طلعتْ *** شمسٌ وما هطلتْ في روضِها الديمُ
والآل خير عباد الله كلهمُ *** هم المكارم والأخلاق والقيمُ

أما بعدُ:

أتباع الحبيبِ محمدٍ، إنَّ ذكرى مولدِ الرسولِ ﷺ ومناسبةَ الاحتفالِ بهِ

فرصةٌ ذهبيةٌ لنجددَ لهُ الولاءَ والطاعةَ، ونعلنَ لهُ الحبَّ والوفاءَ، ونقويَ روابطَنا بنبيئِنا، ونعمقَ أواصرَ الصلةِ بيننا وبينَهُ.

إنَّ ذكرى مولدِ النبيِّ ﷺ فرصةٌ سانحةٌ ومناسبةٌ مباركةٌ نستعيدُ فيها ذكرياتِ حياةٍ خالدةٍ لشخصيةٍ عظيمةٍ أشرقتْ لوجودِها أرجاءُ الكونِ.

إنها حياةُ معلمِ الإنسانيةِ، وسيدِ الأولينَ والآخرينَ الذي تعدُّ حياتُهُ كلُّها عبرًا ودروسًا، وعظاتٍ وحكمًا نيراتٍ.

إنَّ ذكرى مولدِهِ ﷺ فرصةٌ لأنْ نراجعَ تاريخًا حافلًا بالآياتِ والمعجزاتِ، مليئًا بالأحداثِ الخالدةِ، وأنْ نتعلمَ من سيرتِهِ العطرةِ ما نقوِّمُ به اعوجاجنا، ونصلحُ بهِ أخطاءَنا، وأن نربيَ أنفسَنا على ما ربَّاهُ عليهِ ربُّهُ عزَّ وجلَّ، وأن نتأسى بهِ ونقفوَ أثرَهُ كما قالَ تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾.

فحياةُ رسولِ اللهِ تُعدُّ كتابًا منظورًا نتعلمُ من خلالِـها، ونقتبسُ من فضائلِها الخيرَ، ونتعلمُ مِن شمائلِهِ وحسنِ معاملاتِهِ وطيبِ أخلاقِهِ، فرسولُ اللهِ ﷺ قد جاءَ ليؤدبَ الإنسانيةَ ويربيها ويهذبَها.

جاءَ ﷺ ليصنعَ مِن أعرابِ الباديةِ رجالاً أقوياءَ، ونماذجَ فذةٍ فريدةٍ يتحلونَ بكلِّ خصالِ الخيرِ.

جاءَ رسولُ اللهِ ﷺ ليبنيَ أمةً كاملةَ المعالمِ في أخلاقِها ومعاملاتِها، شامخةً في سلوكِها، عزيزةً أبيَّةً قويةً في دينِها، متماسكةً فيما بينَها.

جاءَ رسولُ اللهِ ﷺ ليصنعَ مِن هذا الكائنِ البشريِّ ملاكًا يسيرُ على وجهِ هذه الأرضِ في صفاتِهِ وأخلاقِهِ وعلوِّ همتِهِ.

عبادَ الله:

لقد كانَ ﷺ نِعْمَ الأسوةُ، ونِعْمَ القدوةُ، وكان محلَّ ثقةِ الناسِ في الجاهليةِ والإسلامِ، وإليهِ امتدتِ الأنظارُ، وهَفَتِ القلوبُ.

فالمتأملُ في حياتِهِ ﷺ يرى أنه ومنذُ نعومةِ أظفارِهِ كانَ مَثَلًا ونموذجًا فريدًا في حسنِ السيرةِ، وطيبِ المخالقةِ.

فقد نَشَأَ عفيفًا كريمًا شهمًا، عُرفَ بالصدقِ والأمانةِ، فكان مستودعَ أسرارِهم والمؤتمنَ على ودائعِهم وأماناتِهم قبلَ الإسلامِ، وامتازَ برجاحةِ عقلِهِ وحسنِ سلوكِهِ، فحَكَّمُوه في أمرِ الحجرِ الأسودِ حين تنازعوا فيمن يضَعُهُ في مكانِهِ.

إنه محمدُ بنُ عبدِ اللهِ، ما رآه أحدٌ إلا أحبَّهُ وتَعَلَّقَ بِهِ.

لو يعلمُ الجلمودُ مَن حبِّي لِمَنْ *** لتصدَّعَتْ صَخَراتُهُ الصما وأنْ

ولطارَ لو عَقَلَ الحديدُ وما سكنْ *** حبي لمن يسقي الأنامَ غدًا ومَنْ

تُشْفَى بِتُرْبِ نِعَالِهِ الأحداقُ

عبادَ اللّه:

لقد خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى هذه الدنيا يتيمًا لم يَعْرِفْ أباه، وسرعانَ ما فَقَدَ أمَّهُ وفَقَدَ العطفَ والحنانَ، وخَسَرَ ما يتمتعُ بِهِ أقرانُهُ مِن الولدانِ مِن عنايةِ ورعايةِ الوالدين.

فلهذا شبَّ رسولُ اللهِ ﷺ يتيمًا فقيرًا، ونشأَ وحيدًا منعزلًا عن عالمِ الشبابِ وطيشِ الجاهليةِ.

وبالرغمِ مِن كلِّ ذلك فقد استطاعَ بيتمِهِ وفقرِهِ وقلةِ ناصرِهِ أن يُحَوِّلَ مسارَ التاريخِ، وأن يجعلَ من حياتِهِ حدًّا فاصلًا بين عهدينِ: عهدٍ مظلمٍ طُوِيَتْ صفحتُهُ، وعهدٍ مُشرقٍ أضاءَ الخافقين.

واستطاعَ في فترةٍ وجيزةٍ لا تتعدَّى الثلاثةَ والعشرينَ عامًا أن يصنعَ مِن أولئكَ الأعرابِ الجفاةِ الغلاظِ رجالًا نَدَرَ وجودُهم وقَلَّ أمثالُهم، وأبطالًا دَوَّخُوا مشارقَ الأرضِ ومغارِبَها، وهزُّوا معاقلَ الشركِ والوثنيةِ، وفتحوا المدنَ

الحصينةَ والقلاعَ المنيعةَ، ورفعوا راياتِ الإسلامِ خفاقةً على أرجاءِ المعمورةِ، وهابَتْهُم الملوكُ والسلاطينُ، ودانتْ لهم الممالكُ والملوكُ، وجاءوهم مذعنينَ، وللحقِّ طائعينَ منقادين.

فمِن حقِّ كلِّ مسلمٍ وعربيٍّ أن يفخرَ ويعتزَّ بأن يكونَ من أتباعِ ذلك النبيِّ العظيمِ، ومن أمةِ ذلك الرسولِ الذي ملأَ صيتُهُ الآفاقَ، ومِن حقِّنا أن نباهيَ بِهِ الأممَ، وأن نفخرَ بِهِ على سائرِ الملِ والنحلِ.

إني أبـــاهي بالرســـولِ لأنـــه *** صقلَ النفوسَ وهـذَّبَ الوجـدان

ولأنــه حفــظَ العروبــةَ وابتنــى *** للعــربِ مجــدًا شــامخ البنيــان

كيف لا، وهو الذي بذلَ حياتَهُ من أجلِ عزَّتِنا وكرامتِنا، وجعلَ من البدوِ الرُّحَلِ والعربِ المتناحرةِ والقرى المتباعدةِ دولةً واحدةً تحتَ لواءٍ واحدٍ وإمامٍ واحدٍ تهابُها الممالكُ، ويخشى صولتَها السلاطين.

وهذا كلُّهُ لم يأتِ من فراغٍ، بل لقد بذلَ ﷺ من أجلِ هذه الأمةِ كلَّ غالٍ ونفيسٍ، وضَحَّى بكلِّ ما يملكُ، وأتعبَ نفسَهُ من أجلِ أن يستقيمَ أمرُ هذه الأمةِ، وأن تهتديَ لسبيلِ ربِّها، وتفوزَ برضوانِهِ وجنانِهِ.

فقد صبرَ رسولُ اللهِ ﷺ على الضرِّ والبلاءِ، وعالجَ الأذى، وتحمَّلَ كلَّ العناءِ في سبيلِ هدايةِ الأمةِ وسعادتِها، فكان يشدُّ على بطنِهِ الحجرَ من الجوعِ، وتتورمُ أقدامُهُ من المشي، وذلك من أجلِنا، بل لقد سُفِكَ دمُهُ الطاهرُ الشريفُ في مواقعَ متفرقةٍ ومواضعَ متعددةٍ، وهو يدعو إلى دينِ الإسلامِ، ويناضلُ من أجلِ خدمةِ الناسِ وهدايتِهم.

قبسٌ من الصـحراء شعشـعَ نـورُهُ *** فجـلا ظـلامَ الجهـلِ عـن دُنيانـا

ومشـى وفي أردانِـهِ عبـقُ الهـدى *** وأريـجُ فضـلٍ عَطَّـرَ الأكوانـا

بعثَ الشريعةَ من عميقِ ضريحها *** فرعى الحقوقَ وفتَّحَ الأذهانا

فلم يكنِ الرسولُ ﷺ يعيشُ لنفسِهِ، ولا يحيا من أجلِ راحتِهِ، بل لقد سَخَّرَ حياتَهُ من أجلِ هدايةِ البشريةِ وإنقاذِ الأمةِ، ولكي تكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا، ولم يكن لينسى أو يتغافلَ عن هذه الأمةِ لحظةً من حياتِهِ، بل لقد كان ذاكرًا لها في جميعِ أحوالِهِ، وكانت شغلَهُ الشاغلَ في كلِّ وقتٍ وحينٍ حتى عاتَبَهُ ربُّهُ بقولِهِ: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

وقالَ تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

لقد كان حرصُهُ على أمتِهِ ماثلاً أمامَ عينيهِ وشاغلاً لكلِّ أوقاتِهِ حتى في أحْلَكِ الظروفِ وأحرجِ الساعاتِ وهو يعاني من سكراتِ الموتِ، ويعالجُ غُصَصَهُ وآلامَهُ.

ما زالَ هاجسُ همِّ الأمةِ ماثلًا بين عينيهِ، يسيطرُ على جميعِ حواسِّهِ، فلا الأوجاعُ أنْسَتْهُ رسالتَهُ إلى الناس، ولا أهوالُ الموتِ أذهلتْهُ عن حالِ الأمةِ من بعدِهِ.

للهِ ذلك الرسولُ ما أعظمَهُ وما أرحمَهُ وأكرمَهُ!

عندما جاءَهُ ملكُ الموتِ لم يسألْ عن أهلِهِ وأزواجِهِ فحسب، ولم يقتصرْ همُّهُ على نفسِهِ، بل كان غارقًا في همومِ الأمةِ من بعدِهِ يسألُ عن حالِها، ويطمئنُ عليها.

يبشرُهُ جبريلُ بما ينتظرُهُ مِن النعيمِ، وبما أعدتْهُ الملائكةُ له مِن مراسمِ الاستقبالِ وكرمِ الضيافةِ، وأنَّ أبوابَ الجنةِ قد تفتحتْ على مصراعيها، وأنَّ الحورَ قد تزينتْ للقائِهِ، وأنَّ الملائكةَ قد اصطفتْ لاستقبالِهِ وهو مشغولٌ بحالِ أمتِهِ ويسألُ جبريلَ عليه السلام أن يبشرَهُ عن حالِها من بعده.

فقال: بشرني عن حالِ أمتي من بعدي.

فقالَ له جبريلُ عليه السلام: أمتُكَ أولُ من تُحاسبُ، وآخرُ من تعاقبُ، وأولُ مَن تدخلُ الجنةَ، وآخرُ من تدخلُ النارَ.

فقال ﷺ: الآن قَرَّتْ عيني.

ما زالَ مشغولًا مهمومًا في ساعةِ الموتِ بحالِ أمتِهِ التي جحدتْ حقَّهُ وأنكرتْ فضلَهُ، ولم تَرُدَّ لَهُ جميلَ ما قَدَّمَ لها، بل ومَطَلَتْهُ في أجرِهِ الذي هي ثمنُ دعوتِهِ وهو محبةُ أهلِ بيتِهِ مِن بعدِهِ ومودَّتُهم وموالاتُهم التي نصَّ عليها الله تعالىٰ في قوله: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾

فجعلَ أجرَهُ في مودةِ قرابتِهِ ومحبةِ أهلِ بيتِهِ عليهم السلام، فكانَ آخرَ ما أوصىٰ بِهِ أنْ قالَ: ((أذكركم الله في أهل بيتي؛ أذكركم الله في أهل بيتي...)).

نعم، تلك هي الأجرةُ التي مَطَلَها كثيرٌ مِن الخلقِ، والتي ما زالت أمانةً في ذمةِ كل مسلم.

عبادَ اللّه:

مِن حقِّنا كمسلمينَ ننتمي للإسلامِ وننتمي لرسولِ الإسلامِ أن نفخرَ وأن نعتزَّ بانتمائِنا إلىٰ ذلك الرجلِ العظيمِ، وأنْ نُمَجِّدَ يومَ عيدِهِ ويومَ مولدِهِ ويومَ مبعثِهِ، وأن نتحدثَ بتلك النعمةِ العظيمةِ التي استنقذنا اللهُ بها، ونجانا من الضلالةِ والردىٰ كما قالَ تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾، ومن واجبِنا نحوَ رسولِنا الكريمِ صلى الله عليه وآله وسلم أن نعكفَ عن مطالعةِ سيرتِهِ، والاطلاعِ علىٰ أخبارِهِ وتاريخِهِ، وما مرَّ عليهِ في حياتِهِ.

ففي سيرتِهِ عبرٌ وعظاتٌ، وحياتُهُ تُعَدُّ مدرسةً لكلِّ الأجيالِ اللاحقةِ مِن بعدِهِ، فهو نِعْمَ القدوةُ وخيرُ أسوةٍ يمكنُ التأسي بِهِ صلى الله عليه وآله كما قالَ عزَّ مِن قائلٍ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾

ومِن واجبِنا كمسلمين أن نُعَلِّمَ أهالينا وأبنائِنا سيرةَ الرسولِ، وأن نغرسَ في نفوسِهم عظمةَ ذلك النبيِّ، وأن نطلعَهم علىٰ فضلِهِ وما لَهُ علينا من فضلٍ، وما

قَدَّمَهُ مِن معروفٍ لنا كمسلمين، ولنربطَ حياتَهم بحياتِهِ، ونرسخَ في أذهانِهم وجوبَ اتباعِهِ والتأسي بِهِ ومحبتِهِ؛ فهو أسوتُنا وقدوتُنا، وقائدُنا ومعلمُنا، أرسلَهُ اللهُ إلينا ليؤدبَنا ويربيَنا، ويهذبَ أخلاقَنا، ويرشدَنا إلى ما فيهِ صلاحُنا وفلاحُنا، وما به نجاتُنا من النارِ.

فهو المنقذُ والمخلصُ والذي بفضلِهِ شرحَ اللهُ الصدورَ للإيمانِ.

بل إن مِن العجيبِ أن نجدَ بين المسلمينَ مَن يجهلُ كلَّ شيءٍ عن رسولِهِ ونبيِّهِ، ولا يعرفُ عن حياتِهِ أيَّ شيءٍ، مع أنَّ ذلك ليس جهلًا ولا بلادةً منه، بل تقصيرًا وإهمالًا في حقِّ رسولِهِ ونبيِّهِ.

والدليلُ على ذلك أنه يحفظُ سِيَرَ كثيرٍ من الغزواتِ في التاريخِ ويحفظُ أسماءَ الأبطالِ والفرسانِ، ويعكفُ على مطالعةِ أخبارِ العشاقِ وقصصِ الخيالِ وكتبِ الشعرِ، ويعرفُ حياةَ كثيرٍ من الممثلينَ والمغنياتِ والزعماءِ ويعرفُ القصصَ الخرافيةَ التي يتناقلُها الصغارُ عن الكبارِ، ويحكيها الأجدادُ للأحفادِ على مَرِّ الأجيالِ.

وأما ما يخصُّ رسولَ اللهِ ﷺ وما يتصلُّ بحياتِهِ، وما عاناه في سبيلِ هدايةِ الناسِ، وتبليغِ الدعوةِ فرصيدُ الأكثرِ فيه تحتَ الصفرِ، والذاكرةُ خاليةٌ عن كلِّ ما له صلةٌ بذلك الرجلِ العظيمِ، بل إنَّ هناك من المتسننينَ المحسوبينَ على الإسلامِ من يحاولُ طمسَ كلِّ ما يُذَكِّرُ برسولِ اللهِ بدعوى البدعةِ، فتراهم قد طمسوا كلَّ ما يتصلُ برسولِ اللهِ وحضارةِ الإسلامِ فطمسوا بيتَهُ، وأخفوا قبرَهُ وآلةَ حربِهِ، وكلَّ ما خَلَّفَ بعدَهُ، في حينِ تراهم ينقبونَ عن آثارٍ جاهليةٍ كصنمٍ يتفاخرونَ بهِ وما إلى ذلك، بل حتى جعلوا زيارة قبره شركًا وضلالةً؛ فتراهم يكتبون مرحبًا بزوار المسجد يا لها من جهالة. ولهذا اتُهِم ابن تيمية بالزندقة، وهو سبب محاكمته حتى مات سجينًا لمنعه الزيارة للرسول والتوسل والتبرك به حتى جعله شركًا وبالغ في ذلك وتعدا.

وكلُّ هذا انعكسَ سلبيًّا على حياتِنا كمؤمنين بحيثُ لا نجدُ هنا من يُكِنُّ

لرسولِ اللهِ ﷺ ما يجبُ من الحبِّ والتقديرِ، ولم نجد من يقدسُ رسولَ اللهِ أو يُجِلُّهُ، وهذا هو نتيجةُ جهلِنا بهِ وإهمالِنا لدراسةِ حياتِهِ ومطالعةِ سيرتِهِ التي تورثُ في القلوبِ حبَّهُ صلواتُ اللهِ عليه، وتغرسُ في النفوسِ مودةَ ذلك الرجلِ العظيمِ الكاملِ، وتتعلمُ منه طرقَ التعايشِ مع الآخرين، وأساليبَ المعاملةِ.

عبادَ اللّه:

إنه لا يُسْتَكْمَلُ إيمانُ المرءِ إلا بحبِّهِ لرسولِ اللهِ ﷺ، بل إنه لا بُدَّ أن يكونَ حبُّهُ إلى قلوبِنا أحبَّ مِن كلِّ شيءٍ حتى من أنفسِنا، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

ولن يَتَأتَّى ذلك لرجلٍ مهما كان حبُّهُ لرسولِ اللهِ، ولن يتعلقَ قلبُهُ بهِ إلا بمطالعةِ سيرتِهِ ودراسةِ حياتِهِ.

والمتتبعُ لحياةِ الصحابةِ الصادقين يرى مدى حبِّهم ومودَّتِهم لرسولِ اللهِ ﷺ وتعلقِهِم به، وتقديمِهِم أرواحَهم فداءً لهُ، وتفانيهم في الدفاعِ عنه.

حتى النساءُ كان لهنَّ دورٌ بارزٌ ضَرَبْنَ بهِ أروعَ المثلِ التي تمثلُ أعظمَ درسٍ وموعظةٍ لنا بالذاتِ أبناءَ القرنِ الواحدِ والعشرين.

ففيما يُروى عن سعدِ بنِ أبي وقاصٍ قالَ: مَرَّ رسولُ اللهِ ﷺ بامرأةٍ من بني عبدِ الدارِ [وهو عائدٌ من غزوةِ أحدٍ] قد أصيبَ زوجُها وأبوها وأخوها مع رسولِ اللهِ ﷺ في أحدٍ، فلما نعوهم لها، قالتْ: ما فعلَ رسولُ اللهِ ﷺ. إنَّ حُبَّها للهِ ولرسولِهِ يأبى عليها أنْ تُقَدِّمَ عليهِ أحداً مهما كانت قرابتُه.

إن حبَّها لرسولِ اللهِ وحرصَها على سلامتِهِ أنساها أحبَّ الناسِ إليها وأقربَهم لها، وجعلَها تهتمُّ بما هو أهمُّ وأعظمُ عندَ اللهِ، فصدقَ عليها قولُ المصطفى ﷺ:

((لا يؤمنُ عبدٌ حتى أكونَ أحبَّ إليهِ مِن نفسِهِ، وأهلي أحب إليهِ من أهلِهِ، وعِترتي أحب إليه من عترتِهِ، وذاتي أحب إليه من ذاتِهِ)).

ومصداقًا لقولِهِ تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفاً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً﴾.

وقوله: ﴿وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنْفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾ أي: أنهم زهدوا في أمرٍ صَدَرَ عن رسولِ اللهِ ﷺ وفضَّلوا أمرَ نفوسِهم على أمرِ رسولِ اللهِ، فيبينُ الحقُّ لهم أنهم ما كان لهم أنْ يفعلوا ذلك؛ لأنهم ما داموا آمنوا باللهِ فإيمانُهم لا يكملُ حتى يكونَ رسولُ اللهِ ﷺ أحبَّ إليهم من أنفسِهم.

فهذه المرأةُ خرجتْ مع مَنْ خرجَ من النساءِ يستقبلنَ أهاليهنَّ وأقربائهنَّ، ولكنها كانت تبحثُ عن شيءٍ آخرَ قد شَغَلَها، فلما نعوا إليها أباها قالتْ: الحمدُ للهِ، ما فعلَ رسولُ اللهِ؟ ثم نعوا إليها أخاها فقالتْ: الحمدُ للهِ، ما فعلَ رسولُ اللهِ؟ ثم نعوا إليها زوجها فاسترجعتْ وقالتْ: الحمدُ للهِ، ثم أعادَتْ سؤالَـها: ما فعلَ رسولُ اللهِ؟

قالوا: خيرًا يا أمَّ فلان، هو بحمدِ اللهِ كما تحبين، فقالت: أرونيهِ حتى أنظرَ إليهِ، حتى إذا رأتْهُ قالتْ: كلُّ مصيبةٍ بعدك جلل، أي: كلُّ المصائبِ قليلٌ في جنبِ رسولِ اللهِ ﷺ. هذه المرأةُ رغمَ ضعفِها ورقةِ قلبِها إلا أنها حملتْ مِن الإيمانِ في قلبِها ما يَزِنُ الجبالَ الشامخةَ، وانطوتْ على حبٍّ لرسولِ اللهِ ﷺ فاقَ حدَّ التصورِ.

عبادَ اللهِ:

لقد تعدى حبُّ رسولِ اللهِ ﷺ كلَّ المقاييسِ، وأحبَّهُ كلَّ رطبٍ ويابسٍ، ففيما يُروى أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يخطبُ في مسجدِهِ بجوارِ جذعِ شجرةٍ، فلمَّا بنوا له منبراً تركَ الرسولُ ﷺ الجذعَ وصعدَ المنبرَ، فلمَّا صعدَ الرسولُ ﷺ المنبرَ ليخطبَ سمعوا للجذعِ أنينًا كأنينِ الطفلِ حزنًا لفراقِ الرسولِ ﷺ، فنزلَ

رسولُ اللهِ ﷺ واتَّجَهَ نحوَ الجذعِ فأخذَ يمسحُ عليهِ كأنه يخففُ عنهُ ويسليه، وهو يقولُ: ((ألا ترضى أن تدفنَ هاهنا وتكونَ معي في الجنةِ)) فسكنَ الجذعُ.

عبادَ اللّه:

لقد بكى الجذعُ لفراقِ رسولِ اللهِ ﷺ وهو جمادٌ فكيف لا تَحِنُّ لذلك الرسولِ قلوبٌ وأفئدةٌ تنبضُ بالحياةِ، وتبكي حزنًا على فراقِهِ، فهذه القصةُ تعلمُنا بأننا لا زِلْنا بعيدينَ عن رسولِ اللهِ ﷺ وعن حبِّهِ، ولا تأخذُنا الغيرةُ والحميةُ للدفاعِ عنهُ حينَ نسمعُ مَنْ يَسُبُّهُ أو يحاولُ النيلَ من كرامتِهِ.

عبادَ اللّه:

نسألُ اللهَ العظيمَ أنْ يجعلَنا من أنصارِ الدينِ، وحماةِ الإسلامِ والمسلمين، ومن الذابِّينَ عن شريعةِ سيدِ المرسلين.

اللهم احشرنا في زمرةِ نبيِّنا محمدٍ صلواتُ اللهِ عليه وعلى آلِهِ، واجعلْنا من شيعتِهِ وأتباعِهِ برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمين.

عبادَ اللّه:

أكثروا في هذا اليومِ وأمثالِهِ مِن الصلاةِ والسلامِ على نبيِّكم الكريمِ امتثالًا لأمرِ اللهِ القائلِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾

اللهم فصلِّ وسلِّمْ وبارِكْ وترحمْ على عبدِكَ ونبيِّكَ وخيرَتِكَ من خلقِكَ أبي الطيبِ والطاهرِ والقاسمِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بن هاشم، وصلِّ اللهم وسلم على أخيهِ وابن عمِّهِ، وبابِ مدينةِ علمِهِ، أشجعِ كلِّ طاعنٍ وضاربٍ، عليِّ بنِ أبي طالبٍ، وعلى زوجتِهِ الحوراءِ خامسةِ أهلِ الكساءِ، فاطمةَ البتولِ الزهراءِ.

وصلِّ اللهم وسلِّمْ على ولديها الإمامينِ الأعظمينِ أبي محمدٍ الحسن وأبي عبدِ اللهِ الحسين، وصلِّ اللهم وسلِّمْ على الوليِّ بنِ الوليِّ الإمامِ زيدِ بنِ عليٍّ.

وصلِّ اللهم وسلِّمْ على الإمامِ الهادي إلى الحقِّ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ بن إبراهيمَ.

وصلَّ اللهم وسلَّمْ على سائرِ أهلِ بيتِ نبيئِكَ المطهرينَ، دعاةً منهم ومقتصدين، وارضّ اللهم عن الصحابةِ الأخيارِ من المهاجرين والأنصارِ، وعنَّا معَهم بفضلِكَ ومَنِّكَ يا كريمُ.

اللهم انصرِ الإسلامَ والمسلمين، واخذلْ أعداءَكَ أعداءَ الدينِ واليهودِ والنصارى أجمعين.

اللهم اهلك الكفرةَ والملحدينَ والمفرقينَ بينَ المسلمين، والصادين عن ذكرِكَ والمخربينَ لدينِكَ، والمتقطعين في سبيلِكَ، والمعادينَ لأوليائِك أينما كان كائنُهُم.

اللهم فَرِّقْ جمعَهم، وشتتْ شملَهم، واقطعْ دابرَهم، واهلكْ أوَّلَهم وآخرَهم، واكفِ المؤمنين شرَّهم وضرَّهم، واجعلْهم غنيمةً للمؤمنينِ، يا ربَّ العالمين، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

عبادَ الله:

﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

الخطبة الأولى

مبحث حول شرعية الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي امتنَّ على عبادِهِ بنبيِّهِ المرسلِ ﷺ، وكتابِهِ المنزلِ الذي لا يأتيهِ الباطلُ من بينِ يديهِ ولا مِن خلفِهِ تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ، حتى اتسعَ على أهلِ الأفكارِ طريقُ الاعتبارِ بما فيهِ من القصصِ والأخبارِ، واتضحَ بهِ سلوكُ المنهجِ القويمِ والصراطِ المستقيمِ، بما فصَّلَ فيه من الأحكامِ، وفَرَّقَ بين الحلالِ والحرامِ، فهو الضياءُ والنورُ، وبه النجاةُ من الغرورِ، وفيهِ شفاءٌ لِمَا في الصدورِ، فكلُّ مَن آمنَ بهِ فقد وُفِّقَ، ومَن قالَ بهِ فقد صَدَقَ، ومَن تمسكَ به فقد هُدِيَ، ومَن عَمِلَ بهِ فقد فازَ.

ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ المنانُ العظيمُ الشأنِ، المعروفُ بالإحسانِ، والمحمودُ بكلِّ لسانٍ، الذي ليس لصفتِهِ حدٌّ محدودٌ، ولا نَعْتٌ موجودٌ، ولا أمَدٌ معدودٌ، ولا وقتٌ محدودٌ.

ونشهدُ أن سيدَنا وسندَنا وخاتمَ الرسلِ من اللهِ إلينا مولانا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ، الطاهرُ الأواهُ، والحليمُ ذو الأناةِ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ وعلى عترتِهِ الولاةِ، سفنِ النجاةِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، عبادَ اللّه:

﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

إن من العجيبِ والغريبِ الذي يندى له الجبينُ أن نسمعَ في هذا الزمانِ مَنْ

يمنعُ مِن الاحتفالِ بالمولدِ النبويِّ، ويُثَبِّطُ الناسَ عن الحضورِ، بل ويصفُ مَن أقامَ هذا الحفلَ بالمبتدعِ الضالِّ الخارجِ عن سننِ الدينِ.

فالبدعةُ عندهم أن يحتفلَ الناسُ بيومِ ولادةِ النورِ الذي جاءَ لينقذَ الأمةَ وينجيَها من النارِ- يعتبرُ هذا حرامًا وغيرَ جائزٍ.

وأما أن نحتفلَ بالأعراسِ والمناسباتِ الخاصةِ وأعيادِ الثوراتِ والانتصاراتِ والمناسباتِ الرسميةِ في سننِ الدولِ والشعوبِ، وأعيادِ العظماءِ والمشاهيرِ من القادةِ والملوكِ والزعماءِ فهذا كلُّهُ جائزٌ.

المهمُّ الذي هو خطٌ أحمرُ لا يُسْمَحُ بتجاوزِهِ في نظرِهم ما يتصلُ برسولِ اللهِ، وما له علاقةٌ بالإسلامِ.

عبادَ اللّه:

اسألوا أولئك المتمذهبين الذين أصبحوا ثقلاً على الدينِ وحجرَ عثرةٍ في طريقِ المسلمين بماذا نحتفلُ؟

إذا لم نحتفلْ بمولدِ الرسولِ، بمولدِ النورِ الذي أضاءَ الدنيا وبدَّدَ الظلماتِ- فبماذا نحتفلُ؟

إذا لم نجعلْ لرسولِ اللهِ يومَ عيدٍ نفرحُ بهِ ونسعدُ لأنه كانَ سببًا في نجاتِنا وفوزِنا- فبماذا نفرحُ ونبتهجُ؟ ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴿٥٨﴾﴾.

لقد بذلَ ﷺ مِن أجلِنا الكثيرَ، وجاءَ لينقذَنا من دياجيرِ الظلماتِ، وينقلَنا من حضيضِ الكفرِ إلى قمةِ الإيمانِ، وضَحَّى بكلِّ ما يملكُ من أجلِ أنْ نحيا ونسعدَ وننجوَ من النارِ.

فلماذا نبخلُ بيومٍ بهذه المناسبة نجعلُهُ عيدًا نُذَكِّرُ أنفسَنا بفضلِ رسولِ الله ﷺ؟ ونستعيدُ ذكرياتِ حياتِهِ، ونُقَلِّبُ صفحاتِ كفاحِهِ وجهادِهِ وما عاناه

من أجلِ إيصالِ الدعوةِ إلينا لكي نزدادَ به معرفةً، ونرسخ حبَّه في قلوبِنا؟

يجبُ أن نتساءلَ لماذا يكونُ للعظماءِ والمشاهيرِ أعيادٌ واحتفالاتٌ تُمَجَّدُ فيه حياتُهم، وتُذَكِّرُ الناسَ بمآثرِهم وفضلِهم، وتُغْرَسُ في قلوبِ الأجيالِ عظمةَ أولئك الرجالِ وتُعَرِّفُ الناسَ بمكانتِهم وفضلِهم، وما قدموه من صنائعِ المعروفِ وأَسْدَوهُ مِن الجميلِ إليهم.

لماذا يُسْمَحُ لكلِّ هؤلاءِ بالاحتفالِ، ولا يُسْمَحُ لرجلٍ هو بحقٍّ أبو الإنسانيةِ وأستاذُ البشريةِ الذي تخرَّجَ على يديهِ أساتذةُ العلمِ والأخلاقِ، وتخرَّجَ من مدرستِهِ عظماءُ الإسلامِ وقادةُ الأمةِ؟

إنه رسولُ اللهِ الخاتمُ لما سبقَ، والفاتحُ لما انغلَق، الذي هو مدرسةٌ لكلِّ خيرٍ وفضيلةٍ، ومنبعُ كلِّ خصلةٍ نبيلةٍ، والذي يعودُ أعظمُ الفضلِ إليه في كلِّ فضيلةٍ نشأتْ وترعرعتْ في المجتمعاتِ.

إنه أبو الأحرارِ والثوارِ الذي بفضلِ جهودِهِ الباسلةِ أسقطَ أنظمةَ الجِبتِ والطاغوتِ، وزلزلَ عروشَ الظلمِ والطغيانِ، وهزَّ أركانَ الباطلِ، وهدَّ معاقلَ الشركِ والأوثانِ.

إنه الثائرُ المثابرُ الذي حرَّرَ الأمةَ من قيودِ الذلِّ والعبوديةِ، وأعادَ للمرأةِ حريتهَا وكرامتَها وعزَّتَها، ومنعَ من دفنِها حيةً في الترابِ، وردَّ لكلِّ ذي حقٍّ حقَّهُ.

إنه بكلِّ ما تعنيهِ الكلمةُ كلُّ شيءٍ بالنسبةِ لنا، الأبُ والأستاذُ والقائدُ والرمزُ والثائرُ والمحررُ والمعلمُ والعالمُ والسيدُ والمربي والإمامُ، والحبيبُ الغالي على قلبِ كلِّ مؤمنٍ.

وما مِن وسامِ شرفٍ، ولا لقبِ تكريمٍ، ولا مراسمِ تبجيلٍ وإعظامٍ إلا وهو يستحقُّها بجدارةٍ، وله بها الصدارةُ، بل وتتشرفُ هي أن تتزينَ بالارتقاءِ على أكتافِهِ أو تعلقَ على صدرِهِ.

أفلا يجدرُ بمَن كان هذا مقامُهُ أن يحظى كلَّ يومٍ بحفلٍ، وأن تجعلَ أيامُ السنةِ كلُّها أعيادًا له تشيدُ بذكرِهِ، وتشدوا بفضلِهِ، وتتغنى بعظمتِهِ.

إننا في زمنٍ تَكَالَبَ أهلُ الباطلِ فيه على الإسلامِ، وتداعوا عليه تداعيَ الكلابِ على الفريسةِ، كلٌّ قد كَشَّرَ أنيابَهُ، واستنَّ مخالبَهُ يحاولُ الوثوبَ عليه، وتمزيقَ أحشائِهِ.

إننا بين ذئابٍ تكنُّ الحقدَ والغلَّ على الإسلامِ ورسولِ الإسلامِ، وتسعى جاهدةً للنيلِ منهُ وتشويهِ صورتِهِ في نظرِ العيونِ.

لقد أضحى رسولُ الإسلامِ في هذه الأيامِ مرمى ألسنة الكفرةِ والملحدينَ، وبيتَ القصيدِ لديهم يكيلون إليه التُّهَمَ على شاشاتِ التلفزةِ وعلى القنواتِ الفضائيةِ وعلى صفحاتِ الجرائدِ والصحفِ.

ينالونَ من كرامتِهِ، ويصفونَهُ بأقبحِ الصفاتِ، ويوجهونَ إليهِ الشتائمَ والتهمَ الباطلةَ.

وبدلًا من أن نسمعَ مَن يردُّ عليهم ويُكَمِّمُ تلك الأفواهَ، ويُخْرِسُ تلك الألسنَ نجدُ مَن يزيدُ الطينَ بلّةً، فيمنعُ مِن الاحتفالِ بمولدِ النبيِّ الأعظمِ، ويحرمُ ذلك التجمعَ، ويصفُ كلَّ ذلك بالبدعِ والضلالِ، وبدلًا من أن يقومَ بمقاطعةِ الدولِ التي أساءتْ للنبيِّ ﷺ يقومُ بمقاطعةِ الاحتفالِ بالمولدِ النبويِّ، ومقاطعةِ كلِّ مَن حضرَ في ذلك الحفلِ من الناسِ.

أهذا ما كان ينقصُنا؟

أهذا هو ردُّنا على مَن نالَ مِن كرامةِ رسولِنا ونبيِّنا؟

أهذا هو جزاءُ إحسانِهِ إلينا وحسنِ صنيعِهِ فينا؟

أبهذا نكونُ قد نصرَنا رسولَ اللهِ على أعدائِهِ؟

أبهذه الطريقةِ يكونُ انتصارُنا لرسولِ اللهِ وانتقامُنا ممن تعدَّى على حقِّهِ، ونالَ مِن كرامتِهِ.

إن أضعفَ الإيمانِ وأقلَّ الجهدِ المتوقعِ منا لمناصرةِ رسولِ اللهِ ﷺ هو إقامةُ الأعيادِ والاحتفالاتِ والندواتِ والأمسياتِ الشعريةِ التي تشيدُ بتاريخِ الإسلامِ ورسولِ الإسلامِ، وتبرزُ فضائلَهُ وتنشرَ ما خفيَ على الأجيالِ من عظمتِهِ وكرامتِهِ، وحسنَ سيرتِهِ، وجميلَ صفاتِهِ وأخلاقِهِ، وتُعَرِّفَ العالمَ بذلك الرجلِ العظيمِ، والشخصيةِ الرساليةِ المثاليةِ التي سَمَتْ في سماءِ المجدِ وارتقتْ في عَلْياءِ العظمةِ واستحقتْ بكلِّ جَدَارَةٍ أن تسودَ العالمَ، وتتربعَ على عرشِ الكرامةِ والعزةِ والعظمةِ.

فإذا لم نفعلْ ذلك فلا أقلَّ مِن السكوتِ واحتواءِ الصمتِ.

ولا نحاولُ صدَّ الناسِ وتثبيطَهم عن الانتصارِ لرسولِ الأمةِ ومنقذِها والإشادةِ بذكرِهِ وتعريفِ الناسِ بفضائلِهِ.

وإلا فما هو الفرقُ بينَ من ينالُ من كرامةِ الرسولِ وينكرُ فضائلَهُ وبين مَن يمنعُ من الاحتفالِ بمولدِهِ ويصدُّ عن ذكرِ فضائلِهِ، وينسبُ فاعلَها للبدعةِ والضلالِ، فإذا كان ذكرُ رسولِ اللهِ بدعةٌ، واجتماعُ الناسِ لسماعِ فضائلِهِ ضلالةٌ فما هو المسنونُ والمشروعُ في الدينِ؟ وهل بقيَ مِن فضيلةٍ وهدايةٍ يمكنُ أن يتخذَها العبدُ قربةً إلى اللهِ.

عبادَ اللّه:

ما معنى الاحتفالِ بمولدِ الرسولِ؟

إن الحفلَ الذي يقيمُهُ المؤمنونَ بمناسبةِ ذكرى المولدِ النبويِّ ليسَ إلا ندواتٍ ومحاضراتٍ تُذَكِّرُ بالرسولِ وتشيدُ بذكرِهِ، وتُعَرِّفُ المؤمنين بفضائلِهِ وما قَدَّمَهُ من أجلِ الإسلامِ، وليس هناك مِن عملٍ يدعو للتبديعِ والتشنيعِ على المنتصرينَ للهِ ولرسولِهِ.

إن قومَ عيسى عليه السلام سألوا اللهَ أن ينزلَ عليهم مائدةً مِن السماءِ فأنزلَها عليهم

وجعلوا من ذلك اليومِ يومَ عيدٍ يحتفلون به كما أخبرَ اللهُ عنهم بذلك في القرآنِ: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ وبهذا فقد أقرَّ اللهُ فعلَهم ولم ينهاهم عن ذلك.

وكذا قومُ موسى عليه السلام جعلوا من اليومِ الذي هلكَ فيه فرعونُ بالغرقِ يومَ عيدٍ يصومونه ويحتفلون فيه، وهو يومُ عاشوراء، وروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قالَ: قدِمَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم المدينةَ فرأى اليهودَ تصومُ يومَ عاشوراءَ، فقالَ: ((ما هذا؟))، قالوا: هذا يومٌ صالحٌ، هذا يومٌ نجى اللهُ بني إسرائيلَ من عدوِّهم فصَامَهُ موسى، قالَ: ((فأنا أحقُّ بموسى منكم، فصامَهُ وأمَرَ بصيامِهِ)).

فلماذا لا يكونُ يومَ وجودِ رسولِ اللهِ وخروجِهِ إلى هذه الدنيا عيداً نفرحُ بهِ ونسعدُ؟

ولقد جعلَ نبيُّ اللهِ إبراهيمُ عليه السلام من اليومِ الذي نجا فيه إسماعيلُ من الذبحِ يومَ عيدٍ ينحرُ فيهِ القرابينَ والأضاحي شكرًا للهِ، وما زالَ ذلك سُنَّةً حتى يومِنا هذا.

أفلا يكونُ يومَ مولدِ الرسولِ صلى الله عليه وآله وسلم يومَ عيدٍ نفرحُ ونحتفلُ بنجاةِ أجيالٍ من الضلالِ واستنقاذِهم من الهلكةِ في النارِ.

أحبابَ الحبيبِ محمدٍ:

إننا عندما نحتفلُ بمولدِ النبيِّ الأكرمِ فنحن إنما نسعى لتذكيرِ الأمةِ والأجيالِ المتعاقبةِ بنعمةٍ هي مِن أجلِّ النعمِ التي أمَرَنا اللهُ بالإفصاحِ عنها، وحثنا على ذكرِها حيثُ قالَ عزَّ مِن قائلٍ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

وكيف لا يكونُ رسولُ اللهِ مِن أكبرِ النعمِ وقد كان سبباً في فلاحِنا ونجاحِنا، وبفضلِهِ عمَّ العدلُ والفضيلةُ واندحرَ الظلامُ وولَّى الظلمُ؟ فقد كانت رسالةُ

النبيِّ ﷺ مكملةً للدينِ، ومُتمةً للنعمةِ التي هي مِن أجلِّ النعمِ وأسناها، قالَ تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً﴾.

كيف لا يكونُ مَقْدَمُ رسولِ اللهِ نعمةً وبفضلِهِ سادَ الأمنُ والأمانُ، وانتشرَ الإحسانُ، وعمَّ الخيرُ، وتحرَّرَ العبيدُ، وأضاءَ نورُ الإيمانِ، وأشرقَ الوجودُ، وابتسمَ الكونُ، وسعدَ الزمانُ.

وُلِـدَ الهـدى فالكائنـاتُ ضـياءُ *** وفـمُ الزمـان تَبَسُّـمٌ وثنـاءُ

الـروحُ والمـلأُ الملائـكُ حولَـهُ *** للـدين والـدنيا بـه بشـراءُ

بـكَ بَشَّـرَ اللهُ السـما فازَّيَّنَـتْ *** وتَفَوَّحَـتْ مِسْـكًا بـكَ الغـبراءُ

كيف نحتفلُ ونفرحُ بمولودٍ رزقناه أو حصادٍ قَرُبَ جناه، أو رِبْحِ بيعٍ كسبناه، وكلُّ هذا من النعمِ الزائلةِ، والملاذِّ العاجلةِ التي لا يدومُ نعيمُها، والتي قد لا يُستحسنُ الفرحُ بها لكونِها من ملهياتِ الدنيا ولَـهْوِها.

كما قالَ تعالى: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

ماذا تساوي هذه النعمُ التي نُعِدُّ مِن أجلِها الولائمَ وتُضْرَبُ الطبولُ بجانبِ نعمةِ الإيمانِ والرسولِ التي يحقُّ لنا أن نفرحَ ونحتفلَ ونسعدَ بها، وصَدَقَ اللهُ القائلُ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ..... يشكرون﴾.

فقد نَبَّهنا اللهُ تعالى في هذه الآيةِ إلى شرعيةِ الاحتفالِ بقولِهِ: ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ وبَيَّنَ لنا مواضعَ الفرحِ المستحبةَ في الشرعِ، بل وجاءَ بلامِ الأمرِ الموجبةِ بالحثِّ والطلبِ لكلِّ مؤمنٍ بأن يفرحَ بهذا الفضلِ وهذه الرحمةِ التي هي خيرٌ مِن كلِّ ما نَكْنِزُهُ ونَحْرِصُ على جمعِهِ.

يـا مـن خـصَّ أحمـدَ واصـطفاه *** وأعطـاه الرسـالةَ والكتابـا
وقرَّبَـهُ وسـمَّاه حبيبًـا *** وأعتـقَ مـن شـفاعتِهِ الرقابـا
لـك الفضـلُ المبـينُ عـلى عطـاءٍ *** مَنَنْـتَ بـه وضـاعفتَ الثوابـا

بل وهناك مِن الدلائلِ ما يدعونا للاحتفالِ بميلادِ الرسولِ، وما يدعونا لنجعلَ من يومِ مولدِهِ عيدًا نفرحُ بِهِ ونعظمُهُ ونقدسُهُ؛ وذلك قولُ اللهِ: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، وشعائرُ اللهِ التي أمَرَنا تعالى بتعظيمِها هي كلُّ ما ذَكَّرَنا باللهِ وأشْعَرَنا بِهِ.

وقد جعلَ تعالى الهديَ مِن الإبلِ والأنعامَ مِن تلكَ الشعائرِ الواجبِ تعظيمِها فقالَ تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾.

فإذا كان لهذه الحيواناتِ قيمةٌ وفضيلةٌ استحقتْ أن تَنال هذه الكرامة، وأن تحظى بهذه المكانة أفلا يكونُ لرسولِ اللهِ مِن المكانةِ ما يستحقُّ بها أن يُعَظَّمَ وأن يُجْعَلَ مِن وجودِهِ يومَ عيدٍ؟

ألم يكن رسولُ اللهِ ﷺ من أعظمِ الشعائرِ الْمُذَكِّرَةِ باللهِ والتي تُشْعِرُنا بعظمتِهِ تعالى.

إذن أليس في احتفالِنا بيومِ مولدِهِ واحتفالِنا بذكرى مَقْدَمِهِ تعظيمٌ لشعائرِ اللهِ.

ألا نستحقُّ أن ندخلَ تحتَ ظلالِ تلك الآيةِ وننعمَ بالتقوى الموعودِ لتلك القلوبِ التي ملئت بعظمةِ تلك الشعيرةِ.

إننا نحتفلُ شرعًا بلا خلافٍ بالأعراسِ؛ وذلك لكونِنا بالزواجِ قد أكملنا الشطرَ الثاني والجزءَ الناقصَ من ديننا، وتَحَصَّنَّا بالعفةِ والزواجِ.

وليس الزواجُ إلا شعيرةً من شعائرِ الدينِ التي كان رسولُ اللهِ هو المؤسسُ لقواعدِها.

فيا عجباً ممن يبيحُ صغائرَ الأمورِ ويُعْلِي شأنَها ويستخفُّ بما علا مِن جلائلِ

النعمِ وعظائمِها، والتي رأسُ سنامِها مولدُ ذلك النبيِّ العظيمِ الذي مَهَّدَ عرشَ الإسلامِ، ومَهَّدَ لتلك الأمةِ طريقَ العزةِ والكرامةِ، وبنى لها مجداً شامخَ البنيانِ عاليَ المقامِ.

عبادَ الله:

إن المتتبعَ لبعضِ سلوكياتِ من يدَّعون الانتماءَ للإسلامِ والاتباعِ لرسولِ الإسلامِ ليرى أمرًا عجبًا من بعضِ التصرفاتِ حيثُ يجدُ أن هناك شبهَ مؤامرةٍ تُحاكُ ضِدَّ رسولِ اللهِ، وتدعو لِمَا يبعدُ الناسَ عنه ويصرِفُهُم عن التعلقِ بِهِ.

ليس الأمرُ مقتصرًا على منعِ الناسِ من الاحتفالِ وصدِّ الناسِ عن حضورِ ندواتِ المولدِ النبويِّ فحسبْ، بل هناك أمورٌ أخرى يلمسُ واقعَ حالِها مَن ذَهَبَ لزيارةِ المرقدِ الشريفِ والأماكنِ المقدسةِ في الحرمينِ الشريفينِ.

بحيث يرى الكمَّ الهائلَ من الأشرطةِ والكتيباتِ والنشراتِ والمرشدينَ والواعظينَ وكلُّهم يمنعُ ويحذرُ القاصدينَ للمدينةِ المنورةِ من نيةِ الزيارةِ لقبرِ رسولِ اللهِ ﷺ القائلِ فيما رواه أبو طالب: ((مَن زارني بعدَ موتي فكأنما زارني في حياتي))، بل يعتبرونَ كلَّ مَن ذهبَ إلى المدينةِ بنيةِ زيارةِ الرسولِ صاحبَ بدعةٍ وضلالٍ يأثمُ بِهِ الزائرُ، ولا يؤجرُ، وإنما الزيارةُ تكونُ للمسجدِ فقط.

سبحانَ اللهِ، وهل شَرُفَ المسجدُ إلا برسولِ اللهِ؟ بل وهل شَرُفَتِ المدينةُ إلا بمَقْدَمِهِ ﷺ.

فما الذي يعني مثلُ هذا؟ يقولون: لا يجوزُ أن تذهبَ إلى المدينةِ عاقدًا العزمَ على زيارةِ النبيِّ ﷺ فيكونَ سفرُك سفرَ معصيةٍ لا طاعةٍ؟

ثم ماذا؟ إنهم لم يكتفوا بهذا؟ بل ترى في المسجدِ النبويِّ حالَ وصولِك وتحديدًا حولَ قبرِ رسولِ اللهِ من يمنعُك من الزيارةِ، ويأمُرُك حالَ الزيارةِ بأن تُلقي للنبيِّ ﷺ ظهرَك، وأن تستقبلَهُ بقفاك وتوليهِ دبرَكَ، ولا تزيد على مجردِ

السلامِ، ثم تذهبُ، وليس من المشروعِ غيرُ ذلك، ولا يجوزُ تكرارُ الزيارةِ غيرَ مرةٍ واحدةٍ بلا قراءةٍ ولا دعاءٍ.

وأيضًا فإنَّ المرءَ ليقفُ مدهوشاً أمامَ مشاهدَ مماثلةٍ لهذه الحالةِ في مقاماتٍ أخرى يحقُّ لها أن تكونَ مِن أعظمِ المقدساتِ التي تُذَكِّرُنا بالإسلامِ وما فيه الخالدُ.

مِن ذلك غارُ حراءٍ، وجبلُ النورِ الذي انبجستْ من غارِهِ شمسُ العرفانِ، وأضاءتْ ما بين الخافقين، ذلك المكانُ الذي طَالما أوى إليهِ رسولُ اللهِ، وعَكَفَ فيه على العبادةِ والتفكرِ طيلةَ أيامِ الجاهليةِ.

هذا الغارُ الذي كان له مكانةٌ خاصةٌ في نفسِ رسولِ اللهِ ﷺ وذكرياتٌ عاطرةٌ في ذاكرتِهِ، تراهم يمنعونَ الحجاجَ من زيارتِها والوقوفِ عليها، ويعدُّون الزائرَ لها مبتدعاً ضالاً مأثوماً.

وكذا يجري الحالُ في غارِ ثورٍ، وفي الغار الذي لجأَ إليه النبيُّ ﷺ في يومِ أحدٍ حين كُسِرَتْ رباعيتاه، وغيرها من المشاهدِ والمقاماتِ كشهداءِ أحدٍ وشهداءِ بدرٍ التي تُذَكِّرُ بالإسلامِ لتلك الحضارةِ التي خَلَّدَها التاريخُ، وذاعَ صِيتُها في الآفاقِ.

فما الذي يعنيه مثلُ هذا التصرفِ في حقِّ النبيِّ ﷺ والإسلامِ، وهل هذا إلا طمسٌ لمعالمِ الإسلامِ، ومحوٌ لآثارِهِ المجيدةِ وكل ما يذكرنا به؟

لماذا يسعى أولئك لإخفاءِ كلِّ تراثٍ عن الرسولِ وكلِّ ما يتصلُ بهِ ابتداءً من بيتِهِ ومسجدِهِ وأماكنِ نزولِهِ وسراحِهِ ورواحِهِ، وانتهاءً بآلاتِ حربِهِ وسيوفِهِ وثيابِهِ وخاتمِهِ وكتبِهِ ورسائلِهِ، وغير ذلك من الميراثِ العظيمِ والتراثِ الذي لا تساويه كنوزُ الدنيا.

والآثار التي يعتزُّ بها كلُّ مسلمٍ يفاخرُ بحضارتِهِ والماضي المشرقِ الذي أضاءَ له الخافقان، وكان نقطةَ البدايةِ للحريةِ والعزةِ والكرامةِ.

نرى كلَّ ذلك يجري أمامَ سمعِ العالمِ الإسلاميِّ وبصرِهِ دونَ نكيرٍ، بينما نراهم في الجانبِ الآخرِ يسعونَ جاهدين بكلِّ ما أوتوا من قوةٍ وإمكانياتٍ للبحثِ والتنقيبِ عن ميراثِ الجاهليةِ وتراثِ الحضاراتِ البائدةِ في العصورِ الغابرةِ.

ويقومون بدفعِ الأموالِ الباهظةِ في البحثِ والتنقيبِ رجاءَ العثورِ على ما يُذَكِّرُ بالجاهليةِ والعهودِ الظلاميةِ من قطعٍ لصورٍ منحوتةٍ أو كسرِ أصنامٍ يمجدُونها ويباهون الآخرين بها والتي جاءَ الإسلامُ لطمسِها ومَنَعَ مِن اقتنائِها، ونَبَّهَ النبيُّ ﷺ بأن الملائكةَ لا تدخلُ بيتًا هي فيه، فالعجبُ العجابُ ممن يدوسُ حضارةً عامرةً بالإيمانِ لها مجدُها التليدُ، وتاريخُها المجيدُ ويسعى جاهدًا من أجلِ طمسِ معالِمِها ومحوِ آثارِها.

في حين يبحثُ عن مجدٍ آخرَ وحضارةٍ جاهليةٍ ميراثُها الأوثانُ ومعابدُ النيرانِ والصورُ والنقوشُ وما شابَهَها من مخطوطاتٍ تالفةٍ وصورٍ لآلهةٍ خرافيةٍ وأساطيرَ وهميةٍ.

يبذلون في سبيلِ العثورِ عليها الأموالَ الطائلةَ فإذا ما وُجِدَتْ أعيدَ ترميمُها، وهيكلةُ ما اندرسَ من معالِمِها، وشُيِّدَتْ بنفسِ النمطِ والبناءِ الذي كانت عليه، وأُخِذَتْ مقتنياتُها وما تبقى من القطعِ الأثريةِ بها إلى أماكنَ خاصةٍ وبُنِيَتْ لها المتاحفُ التي تعنى بحفظِها والعنايةِ بها، والتي لا تلبثُ أن تفتحَ أبوابَها لتدعوَ الزوارَ والوافدينَ للاطلاعِ عليها وزيارتِها، ولا ترى من ينكرُ ذلك أو يَنْسُبَ ما هذا شأنُهُ إلى شركٍ أو وثنيةٍ، ولا نرى معترضاً على زائرِها، ولا من يَنْسُبُهُ للبدعةِ والضلالِ.

إن الأمرَ المنهيَّ عنه والذي هو بدعةٌ وضلالةٌ هو ما حَمَلَ بين حناياه تاريخًا يُذَكِّرُنا برسولِ اللهِ أو يحملُ معالمَ تُذَكِّرُنا بحضارةِ الإسلامِ.

فهذا كلُّهُ بِدَعٌ، وزيارتُهُ والاعتناءُ به ضلالٌ وخروجٌ عن سننِ الشرعِ.

عجيبٌ أمرُ قومٍ يشيدون ما اندرسَ من آثارِ الجاهليةِ، ويحيون ما أماتَهُ الإسلامُ، ثم يعمدونَ إلى آثارِ الإسلامِ ومآثرِهِ الخالدةِ فتُطْمَسُ عن آخرِها، ويهدمُ ما بناهُ الرسولُ ﷺ في بدايةِ الإسلامِ، ويُشَيَّدُ في مكانِها بناءاتٌ حديثةٌ تنسي ما مضى من حياةِ الإسلامِ وعهدِهِ المشرقِ وذكرياتِهِ الخالدةِ.

فأضحت الأماكنُ المقدسةُ في مكةَ والمدينةِ أثرًا بعدَ عينٍ لم يعدْ بها ما يُذَكِّرُنا بماضي حضارةِ الإسلامِ سوى المحرابِ ومكانِ المنبرِ والروضةِ الشريفةِ.

لقد طُمِسَتْ كلُّ تلك الآثارِ الخالدةِ العامرةِ بالروحانيةِ والمعاني الساميةِ، والتي يستوحي منها الزائرُ نسماتِ الإيمانِ، ويشمُّ من ملامحِها عبقَ نورِ الإسلامِ، وتغمرُهُ لحظاتٌ غامرةٌ بالروحانيةِ يعيشُ معها أحلى أيامِ عمرِهِ، يحسُّ بالرسولِ والصحابةِ وأهلِ البيتِ مِن حولِهِ.

يعيشُ بين هذه المقدساتِ حياةً كلَّها روحانيةٌ ونورانيةٌ تملأُ قلبَهُ بعبقِ الإيمانِ.

يعايشُ واقعَ المسلمين، ويلمسُ ما كانوا عليه من تقشفٍ وزهدٍ وحياةٍ بسيطةٍ.

يتجولُ بين عمران كانت بالأمسِ منارًا يهتدى به، يتجولُ بين أزقةِ قلعةٍ كانت في يومٍ ما مركزَ القيادةِ والإمارةِ التي تصدرُ منها وإليها أحكامُ تلك المملكةِ.

لكن وللأسفِ كلُّ ذلك قد بادَ وامتحى، و الزائرُ اليومَ يشعرُ بأنه يتجولُ بين رياضٍ وحدائقَ وأماكنَ أقربَ للترفيهِ منها للتذكيرِ، لا تحملُ أيَّ معانٍ دينيةٍ ولا روحانية.

حتى البقيعُ وتلك المشاهدُ المقدسةُ والمضاجعُ التي يتوسدُ لحودَها أولئك العظماءُ الذين شادوا الدينَ، وحملوا على عواتِقِهم أعظمَ رسالاتِ السماءِ، والذين أهرقوا دماءَهم رخيصةً من أجلِ إعلاءِ كلمةِ اللهِ.

كلُّها طُمِسَتْ وسُوِّيَتْ وذَهَبَتْ آثارُها، ولم يبقَ منها سوى كومةٍ من الترابِ

تتبعثرُ على جنباتِها الحمامُ، وتتمرغُ بين ترابِها باحثةً عن بقايا حبوبٍ يرميها الزائرُ على تلك الأرضِ.

فيخالُ للزائرُ أنه يتجولُ في حديقةِ طيورٍ يتمتعُ بالنظرِ إلى تسابقِها وتدافعِها نحو ما يُلقى إليها من الحَبِّ لتلتقطَهُ بمناقيرِها.

عجبًا لهذه التصرفاتِ كيف نجدُ ونسمعُ كلَّ يومٍ أخبارَ التنقيبِ الجاري على قدمٍ وساقٍ تحت المسجدِ الأقصى وحواليه بحثًا عن هيكلِ سليمانَ الذي يدعيه اليهودُ؟ بينما نرى من يهدمُ حضارتَهُ بيده، ويبيدُها ويحاولُ طَمْسَها.

ما الذي يعنيه أن نحرصَ على اقتناءِ مخلفاتِ أشخاصٍ لا ينتمون للإسلامِ، ونحتفظَ بصورِهم ومدخراتِهم من أسلحةٍ وثيابٍ وغيرها من الحليِّ والكسوةِ، كالفراعنةِ والأكاسرةِ والسبئيين وغيرِهم.

ونطمسَ ما خلفَهُ لنا رسولُ اللهِ، وما بقيَ من تراثِهِ الخالدِ المجيدِ ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ۝٨ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ أقولُ ما تسمعون وأستغفرُ اللهَ العظيمَ من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

الخطبة الثانية

حول شرعية الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ وسلامٌ على عبادِهِ الذينَ اصطفى، ومن يطعِ اللهَ ورسولَهُ فقد فازَ فوزاً عظيماً.

والحمدُ للهِ الذي مَنَّ علينا بنبيِّه محمدٍ ﷺ دونَ الأممِ الماضيةِ والقرونِ السالفةِ، اللهم فصلِّ على محمدٍ أمينِكَ على وحيِكَ، ونجيِّكَ من خلقِكَ، وصفيِّكَ من عبادِكَ، إمامِ الرحمةِ وقائدِ الخيرِ، ومفتاحِ البركةِ، كما نصبَ لأمرِكَ نفسَهُ، وعَرَّضَ فيكَ للمكروهِ بدنَهُ.

وأشهدُ أنَّ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له ربُّ الأربابِ، ومالكُ الرقابِ، ومسببِ الأسبابِ، سبحانَهُ العزيزُ الوهابُ.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ الداعي إلى سبيلِ السلامةِ والثوابِ، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ كما جعلَ الصلاةَ والسلامَ عليه وعلى آله نجاحاً للآمالِ، ومفتاحاً للدعاءِ المستجابِ.

وبعدُ:

أيُّها المؤمنون:

لقد خلَّفَتْ لنا الحضارةُ الإسلاميةُ أعظمَ ميراثٍ من التراثِ الزاخرِ بالعبرِ، والذي يفوحُ بعبقِ الذكرياتِ الخالدةِ التي رُسِمَتْ بأحرفٍ من نورٍ تسجلُ تاريخًا مجيدًا على أسوارِ الحصونِ والقلاعِ الشامخةِ وفي أروقَةِ القصورِ، وبين أزقةِ المدنِ، وفي السراديبِ المظلمةِ والخنادقِ المحصنةِ، وفي سفوحِ الجبالِ، وعلى قممِ التلالِ، وبين الأنهارِ، وبين أمواجِ البحارِ وفي الصحاري القاحلةِ والرمالِ الناعمةِ.

لقد سجلَ التاريخُ الإسلاميُّ أروعَ الملاحمِ، وضربَ أروعَ المثلِ في التضحيةِ

والفداءِ، وَقَدَّمَ دروساً زاخرةً بالعبرِ والعظاتِ حَرِيٌّ بنا أن نجعلَها نموذجًا فَذًّا ونبراسًا وضاءً نسيرُ على دربِهِ ونقتفي خُطاه.

لم يدعْ لنا ذلك التاريخُ فراغًا في شأنٍ إلا وطرقَهُ ودخلَهُ من أوسعِ أبوابِهِ، ورمى فيهِ بحظٍّ وافرٍ في الشجاعةِ والبطولةِ وفي الزهدِ وفي كلِّ خصلةٍ حميدةٍ، وفي كلِّ ما له صلةٌ بالدينِ والدنيا.

إنَّ مكةَ والمدينةَ وبغدادَ والكوفةَ ودمشقًا وغيرَها من بلادِ المسلمين كانت تحملُ بين حناياها وتضمُّ بين أسوارِها أعظمَ تراثٍ عرفتْهُ البشريةُ، وأعرقَ الحضاراتِ، وأمجدَ آثارٍ على وجهِ الدنيا ابتداءً من نمطِ البناءِ وأصولِ العمارةِ، ودورِ العبادةِ، ومجالسِ القضاءِ، ومدارسِ العلمِ والمخطوطاتِ الأثريةِ وآلاتِ الحربِ ومصانعِ الأسلحةِ، وبيوتِ مالِ المسلمين، وأماكنِ الأمارةِ، ومواقعِ الحصونِ والقلاعِ، ومواقعِ المعاركِ والغزواتِ.

وكذا ما حوته تلك الحُقُبُ الزمنيةُ من نهضةٍ علميةٍ وسياسيةٍ، وما خلفته من ميراثٍ فكريٍّ وسياسيٍّ وعلميٍّ، وما بقيَ من آثارٍ أبنيةٍ إسلاميةٍ، وغيرِ ذلك من العاداتِ والتقاليدِ والتي لها أبلغُ الأثرِ في النفوسِ، والتي تفوحُ بالروحانيةِ والطقوسِ الدينيةِ.

ولكنْ للأسفِ الشديدِ ذهبتْ كلُّ تلك الحضارةِ أدراجَ الرياحِ، لم يبقَ منها سوى الأطلالِ وحنينِ الذكرياتِ، وما دَوَّنَتْهُ الأقلامُ على صفحاتِ الكتبِ، وما بقيَ في مخيلةِ المؤرخين؛ إذ أضحتْ أثرًا بعد عينٍ، وانطمستْ تلك المعالمُ، واندثرتْ تحتَ أنقاضِ الحضارةِ المعاصرةِ، والتوسعِ العمرانيِّ الجارفِ الذي قضى على كلِّ آثارِ الإسلامِ.

فهذا أحدُ العواملِ التي كان لها أبلغُ الأثرِ في طمسِ كلِّ ما من شأنِهِ أن يُذَكِّرَ بالإسلامِ ويوحي بتاريخِهِ المجيدِ.

وأما العاملُ الثاني فيتمثلُ في ثلةٍ من المتسمينَ بأهلِ السنةِ والذين سعوا جاهدين ولا زالوا ساعين لمحوِ كلِّ ما يُذَكِّرُ بالإسلامِ وبالرسولِ الكريمِ وكلِّ أثرٍ خلَّفَهُ هو ومَن بعدَه من الصحابةِ والتابعين، وكان ذلك منهم بحجةِ القضاءِ على الشركِ وأسبابِهِ، وكان ذلك منهم اعتقادًا بأن بقاءَ بيتِ رسولِ اللهِ وأماكنِ عبادتِهِ ومواضعِ صلاتِهِ وثيابِهِ وبعضِ آلةِ حربِهِ وما يتصل بذلك- سيجعلُ العامةَ يتبركون بها، ويتخذونها وسيلةً للتقربِ إلى اللهِ، وهذا في نظرهم من الشركِ الأكبرِ.

فسعوا إلى طمسِ معالمِ الحضارةِ الأولى، وإلى محوِ كلِّ آثارٍ تدلُّ على الحياةِ السائدةِ في العصورِ الغابرةِ.

ولم يألوا جهدًا في التعميةِ والتغييرِ والتبديلِ وطمسِ كلِّ أثرٍ بقيَ بعد الرسولِ ﷺ وأصحابِهِ، ابتداءً من بيتِهِ بمكةَ وانتهاءً بالمسجدِ الذي بناه وشيدَهُ في المدينةِ.

بل لقد طالَ الدمارُ والخرابُ حتى القبورُ والقبابُ والأضرحةُ في البقيعِ، والتي دُمِّرَتْ بالكاملِ ونُسفتْ، وامتحتْ كلُّ آثارِها، وعدمت كلُّ دلائلَ ترشدُ إلى أصحابِها.

وهذا كلُّه ليس من الدينِ في شيءٍ، بل لَعَمري إنه من هدمِ الدينِ، ومن الوسائلِ الماكرةِ لطمسِ معالمِ الإسلامِ وكلِّ ما يُذَكِّرُ بذلك الدينِ.

ولو أن آثارَ الإسلامِ بقت على ما كانت عليه مع ترميمِ ما يحتاجُ لذلك، والاعتناءِ بها على شكلِها وجوهرِها الذي كانت عليه لكان لذلك أبلغَ الأثرِ في نفوسِ الزائرين، ولكانت أعظمَ عبرةٍ، وأبلغَ عظةٍ يمكنُ أن تتغلغلَ في أعماقِ النفسِ.

كيف لا وهو يرى نفسَهُ يتمشى في نفسِ المكانِ الذي كان يضمُّ الرسولَ وأصحابَهُ، ويتجولُ في تلك الأزقةِ وبينَ تلك المحاريبَ في الصَّفَّةِ والبقيعِ

وأحدٍ، وفي غارِ حراءٍ وغير ذلك من الأماكنِ التي لها ذكرياتُها الخالدةُ في النفوسِ.

ولكن وللأسفِ سبقَ السيفُ العذلَ، ووقعَ المحظورُ، وإلا فكيف نفسرُ فعلَ أقوامٍ يمحون ما بقيَ من آثارِ أعظمِ رسالةٍ ودينٍ عرفتْهُ البشريةُ، ثم يسعون جاهدين في التنقيبِ والبحثِ عن حضاراتٍ غابرةٍ جاهدين في الحصولِ على بعضِ معلوماتٍ أو العثورِ على بقايا آثارٍ أو أصنامٍ أو نحو ذلك، وينفقون على كلِّ ذلك الأموالَ والمبالغَ الباهظةَ من أجلِ العنايةِ بها وترميمِها، والحفاظِ على مقتنياتِها، والإبقاءِ على أشكالِها بدونِ تغييرٍ أو تطويرٍ.

ومن ثَمَّ يخصصون لما تبقى من آثارٍ وقطعٍ أثريةٍ المتاحفَ والأماكنَ الملائمةَ للحفاظِ عليها وصيانتِها.

بينما يدوسون في الوقتِ ذاتِهِ ما بقيَ من آثارِ الحضارةِ الإسلاميةِ الساميةِ، ويضربون بيدٍ من حديدٍ كلَّ يدٍ تحاولُ أن تمجدَ تاريخَ الإسلامِ أو تحتفظَ بقلامةِ ظفرٍ تتصلُ بتلكَ الحقبةِ الزمنيةِ الخالدةِ والزمنِ المشرقِ بعبقِ الرسالةِ، حتى القبورُ والقصورُ والمساجدُ والمخطوطاتُ لم تسلمْ هي أيضًا من أيدي العابثين وشطحاتِ المفسدين الذي يهدمون الإسلامَ بمعاولِ أعداءِ الدينِ.

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الْأَبْصَارِ﴾

في حين ترى أن اليهودَ اليومَ يسعونَ جاهدين في البحثِ عما يوصلُهم إلى ما به يوثقون علاقتهم بديانتِهم ومنهجِهم.

تراهم اليوم يُنقِّبون عن هيكلِ سليمانَ، بينما تراهم من جانبٍ آخرَ يهدمون كلَّ ما يتصلُ بالإسلامِ ويغيرون كلَّ أسماءِ البلدانِ والمناطقِ الإسلاميةِ بأسماءَ يهوديةٍ جديدةٍ كحائطِ البراقِ سموه بحائط المبكى ونحوِ ذلك كثير.

عبادَ الله:

لم يتبقَّ من آثارِ الإسلامِ الدالةِ عليهِ والمذكرةِ بتاريخِهِ سوى الكعبةِ والقُبةِ الخضراءِ بالمدينةِ وشيءٍ قليلٍ.

وأما بقية المآثرِ التاريخيةِ والتراثِ الحضاريِّ والدينيِّ فقد تمَّ طمسُ أكثرِهِ، والبعضُ الآخرُ تمَّ مسحُ معالِمِهِ بذرائعِ التوسعةِ والتجديدِ وغيرِ ذلك، وآخرُ ما طالتْهُ أيدي الدمارِ البقيعُ، فقد نُبِشَتْ أكثرُ القبورِ فيه، وأيقظوا أهلَهُ من مضاجعِهم قبلَ النفخِ في الصورِ، وهذا التعدي بحجةِ إبدالِ الحاضرِ بالماضي وكأننا في حوارٍ بين الحضارات.

فكيف يستجيزون نبشَ قبرٍ وإخراجَ صحابيٍّ منه وإحلالَ غيرِهِ محلَّهُ، وكأنما ذلك القبرُ كان محلَّ استراحةٍ وموضعَ مقيلٍ لمدةٍ معلومةٍ تنتهي ثم يأتي الخلفُ والبديلُ ليحلَّ محلَّهُ، فإنا للهِ وإنا إليه راجعون، ولا عدوانَ إلا على الظالمين.

عبادَ الله:

أكثروا في هذا اليومِ وأمثالِهِ من الصلاةِ والسلامِ على نبيِّكم الكريمِ وآلِهِ امتثالًا لأمرِ اللهِ القائلِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾

اللهم فصلِّ وسلِّمْ وباركْ وترحمْ على عبدِكَ ونبيِّكَ وخيرتِكَ من خلقِكَ أبي الطيبِ والطاهرِ والقاسمِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بن هاشمٍ، وصلِّ اللهم وسلِّم على أخيه وابنِ عمِّهِ وبابِ مدينةِ علمِهِ أشجعِ طاعنٍ وضاربٍ علي بنِ أبي طالبٍ، وعلى زوجتِهِ الحوراءِ خامسةِ أهلِ الكساءِ فاطمةَ البتولِ الزهراءِ.

وصلِّ اللهم وسلِّم على ولديهما الإمامين الأعظمين أبي محمدٍ الحسنِ وأبي عبدِ اللهِ الحسينِ، وصلِّ اللهم وسلِّم على الوليِّ بنِ الوليِّ الإمامِ زيدِ بنِ علي.

وصلِّ اللهم وسلِّم على الإمامِ الهادي إلى الحقِّ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ بن إبراهيمَ.

وصلِّ اللهم وسلِّم على سائرِ أهلِ بيتِ نبيئِكَ المطهرين، دعاةً منهم ومقتصدين، وارضَ اللهم عن الصحابةِ الأخيارِ من المهاجرين والأنصارِ، وعَنَّا معهم بفضلِكَ ومنِّكَ يا كريمُ.

اللهم انصرِ الإسلامَ والمسلمين، واخذلْ أعداءَكَ أعداءَ الدينِ واليهودَ والنصارى أجمعين.

اللهم أهلك الكفرةَ والملحدين والمفرقين بين المسلمين، والصادِّين عن ذكرِكَ والمخربين لدينِكَ والمتقطعين في سبيلِك، والمعادين لأوليائِكَ أينما كان كائنُهم.

اللهم فَرِّقْ جمعَهم وشتتْ شملَهم واقطعْ دابرَهم وأهلك أوَّلَهم وآخرَهم، واكفِ المؤمنين شرَّهم وضرَّهم، واجعلهم غنيمةً للمؤمنين يا ربَّ العالمين، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

عبادَ الله:

﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فاذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يذكرْكم، واشكروه على نعمِهِ يزدْكم، ولذكرُ اللهِ أكبرُ، واللهُ يعلمُ ما تصنعون.

الخطبة الأولى

مولد الإمام علي عليه السلام ١٣ رجب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ قدمَ مَن شاءَ بفضلِهِ وأخَّرَ مَن شاءَ بعدلِهِ، لا يعترضُ عليه مخلوقٌ بعقلِهِ، ولا يسألُهُ عن علةِ فعلِهِ سبحانَهُ وتعالىٰ، لا يُسْأَلُ عما يفعلُ وهم يُسألون.

وأشهدُ ألا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، لَهُ الملكُ وله الحمدُ يحيىٰ ويميتُ بيدِهِ الخيرُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ.

وأشهدُ أن سيدَنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، اختارَهُ اللهُ لتبليغِ رسالتِهِ وأداءِ أمانتِهِ فبلغَ الرسالةَ وأدىٰ الأمانةَ ونصحَ الأمةَ وجاهدَ في اللهِ حقَّ جهادِهِ حتىٰ أتاه اليقينُ.

فصلواتُ اللهِ عليهِ وعلىٰ آلِهِ الأكرمين مِن يومِنا هذا إلىٰ يومِ الدينِ وسلَّم تسليماً كثيراً.

أولئـــك أبنـــاءُ النبـــيِّ محمـــدٍ *** فقل ما تشا فيهم فإنك لا تغلو

فروعٌ تسامتْ أصلُها سيدُ الورىٰ *** وحيدرة يا حبذا الفرع والأصلُ

أما بعدُ:

عبادَ الله:

نحمدُ اللهَ تعالىٰ علىٰ نعمةِ الإيمانِ ومِنَّةِ الإسلامِ، ونشكرُهُ عزَّ وجلَّ علىٰ الهدايةِ والتوفيقِ إلىٰ أوضحِ طريقٍ.

فنعمةُ الدينِ نعمةٌ عظيمةٌ من واجبِنا كمسلمين أن نُقَدِّرَ هذه النعمةَ، وأن نحمدَ اللهَ عليها وأن نسألَهُ الثباتَ عليها وأن يتوفانا غيرَ منحرفين عنها، وكذا فإن من واجبِنا أن نشكرَ فضلَ أولئكَ المؤمنينَ السابقينَ الذين لولا فضلُ

جهودِهم وكفاحِهم من أجلِ صونِ هذا الدينِ لما وصل إلينا، رجالٌ مضوا إلى ربِّهم ورحلوا عن هذه الدنيا بعد مشوارٍ طويلٍ في حمايةِ هذا الدينِ وصونِهِ ورفعِ منارِهِ، حملوا الدينَ على عواتقِهم وبذلوا في سبيلِ وصولِهِ إلينا أرواحَهم ودماءَهم.

إنهم أصحابُ وتلامذةُ رسولِ اللهِ الأخيارُ وأبناؤُه من الأئمةِ الأطهارِ الذين أفنوا أعمارَهم في نشرِ الدينِ وإقامةِ العدلِ ولولاهم ما قامَ للإسلامِ قائمةٌ.

لم يبخلوا بشيءٍ من أجلِ الدينِ، ولم يقصروا ولم يتوانوا في سبيلِ سعادتِنا ونجاتِنا.

سفكوا دماءَهم لتصانَ دماؤُنا، أزهقوا أرواحَهم لتحيا كرامتُنا، أتعبوا أنفسَهم لترتاحَ أنفسَنا.

نحن الذين بخلنا عليهم وقَصَّرْنا في حقِّهم وتجاهلنا فضلَهم وأنكرنا جميلَهم، لم نُقدرِ الجهدَ الذي بذلوه من أجلِ حفظِ هذا الدينِ الذي هو سرُّ سعادتِنا وفلاحِنا ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

عبادَ اللّه:

عرفاناً مِنَّا بفضلِهم وتقديراً لمعروفِهم الذي أسدوه إلينا يسرُّنا أن نعطرَ مسامعَنا بقصةٍ من قصصِ أولئك الركبِ الصالحِ والرجالِ الأوفياءِ الذين تفانوا في خدمةِ هذا الدينِ. وضيفُنا لهذا اليومِ هو إمامُ الأئمةِ وقائدُ الأمةِ الإمامُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كرم الله وجهة في الجنةِ وصلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليه، والذي يوافقُ هذه الأيام ذكرى ولادتِهِ المباركةِ، سلامُ اللهِ عليه.

إنه وصيُّ رسولِ اللهِ ﷺ وأخوه وابنُ عمِّهِ وزوجُ ابنتِهِ الزهراءِ سلامُ اللهِ عليهم أجمعين.

أخـو المصـطفى وخـدينُ الهـدى *** وهـــادي البريـــةِ والمهتـــدي
ونفـسُ الرسـولِ بـنصِّ الكتـابِ *** ومـا الـنفسُ كالصـاحبِ الأبعـدِ

أعظمُ شخصيةٍ عرفَها التاريخُ بعد رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، وُلِدَ عليه السلام في الثالثِ عشرَ من رجبِ المعظمِ في السنةِ العاشرةِ قبل البعثةِ، وكان من عظيمِ المكرماتِ أن يولدَ سلامُ اللهِ عليه في أشرفِ البقاعِ وأطهرِ المقدساتِ، في جوفِ الكعبةِ المشرفةِ جهةَ الركنِ اليماني.

ولدَ في مكانٍ لم يلدْ فيه أحدٌ قبلَهُ ولا بعدَهُ سلامُ اللهِ عليه، أمُّهُ فاطمةُ بنتُ أسدٍ التي كانت بمثابةِ الأمِّ الثانيةِ لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم والتي حزنَ صلى الله عليه وآله وسلم لموتِها وأغتمَّ لفراقِها، ومن حبِّهِ لها وتقديرِهِ لفضلِها كفنَّها في قميصِهِ واضطجعَ في لحدِها قبل أن تُدفنَ فيه تقرباً إلى اللهِ أن يتقبلها وأن يوسعَ لها في مضجعِها ويؤانسَها في غربتِها رضوانُ اللهِ عليها.

وقال عنها صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنها كانت أمي، إن كانت لتجيع صبيانَها وتشبعني، وتشعثهم وتدهنني)).

ألبســـها قميصـــه إعظامـــا *** ونـــام في فراشـــها إكرامـــا
وأمَّ بالملائـــــك الكرامـــــا *** حتـى قضـوا صـلاتهم تمامـا

عبادَ الله:

لم يمضِ على ولادةِ عليٍّ عليه السلام إلا فترةٌ من الزمنِ ثم أخذَهُ رسولُ اللهِ مِن عمِّهِ وضمَّهُ إليه ليخففَ على عمِّهِ ثقلَ التربيةِ وعسرَ النفقةِ.

فانتقلَ عليه السلام إلى بيتِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله يعولُهُ ويربيه ويؤدبُهُ ويعلمُهُ فأحبَّ كلُّ واحدٍ منهما الآخرَ وتعلَّقَ به، فلقد كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله حريصاً على عليٍّ عليه السلام شغوفاً به لا يطيقُ فراقَهُ ولا يحتملُ بعدَهُ.

نَشَأَ عليٌّ عليه السلام لا يعرفُ سوى رسولِ اللهِ، يتعلمُ منه الصدقَ والأمانةَ وعفةَ النفسِ ومكارمَ الأخلاقِ.

لم يختلطْ برفقاءِ السوءَ من شبابِ مكةَ، ولم يلجْ دورَ اللهوِ والغناءِ، ولم يعرفْ لعبَ الميسرِ ولا القمارَ ولا الخناءَ ولا السمرَ مع الراقصاتِ العاهراتِ، ولا ذاقَ المحرماتِ ولا شربَ المسكراتِ، بل كان مع رسولِ اللهِ وفي رفقتِهِ لا يفارقُهُ، حتى الأصنامُ التي تعجُّ بها أفنيةُ الحرمِ حولَ الكعبةِ التي يؤمُّها الناسُ بالذبائحِ والقرابينَ ساجدين لها وراكعين كان عليٌّ عليه السلام بعيداً عنها يمقتُها ويبغضهُا، بل إنه لم يطأطئْ رأسَهَ لصنمٍ قطْ، ولم ينحنِ عنقُهُ أبداً لغيرِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

ولأجل ذلك يقالُ إذا ذُكِرَ اسمُ عليٍّ: «كرم الله وجهه» أي: شرفَهُ وأعَزَّهُ عن أن يسجدَ لغيرِ اللهِ.

هكذا تعلمَ عليه السلام من رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، وهكذا رَبَّاهُ الصادقُ الأمينُ، وهذا كلُّه كان قبلَ البعثةِ وقبلَ نزولِ الوحي على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم.

عبادَ الله:

إنه لشرفٌ عظيمٌ أن يحظى رجلٌ بصحبةِ رسولِ اللهِ وأن يعيشَ بقربِهِ وأن يكحلَ ناظريه بطلعتِهِ البهيةِ.

فلقد كان المسلمون يتزاحمون حولَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، يتشرفون بقربِهِ ويتبركون بلمسِ جسدِهِ ويتسابقون على ما تَبَقَّى من ماءِ وضوئِهِ.

بل كانوا يتبركون بعرقِهِ وبصاقِهِ، إن حَلَقَ شعرَهُ تقاسموه، وإن بَصَقَ مسحوه، يتفاخرون بقطعةٍ من ثوبِهِ، ويتسابقون على قلامةِ أظفارِهِ.

بل لقد بلغَ من حبِّهم له وتعظيمِهم لمقامِهِ أن يتبركوا بترابِ نعلِهِ وما وطئتْهُ قدمُهُ الشريفةُ، لم يتركوا عصاً لمسَها إلا أخذوها ولا حجراً جلسَ عليها إلا حفظوها، كان الواحدُ منهم يفتخرُ على أقرانِهِ بأنه حَظِيَ بجلسةٍ انفردَ بها مع

رسولِ اللهِ، أو وهبَ له شيئاً من ثيابِهِ أو صاحَبَهُ في سفرٍ أو آكلَهُ طعامَهُ أو دخلَ معه بيتَهُ ونحو ذلك مما يُعَدَّ مفخرةً وكرامةً يتباهى بها الصحابةُ فيما بينهم، ولكن أين كل هذا مما كان يحظى به عليٌّ عليه السلام وما كان يختصُّهُ بهِ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله، فقد كان يلبسُهُ ثيابَهُ ويركبُهُ دابتَهُ ويجلسُهُ في حجرِهِ ويؤاكلُهُ طعامَهُ ويشاركُهُ شرابَهُ، حتى اللقمة كان يمضغُها له صلى الله عليه وآله ويخلطُها بريقِهِ ثم يطعمُهُ إياها، وكان يسكنُهُ في بيتِهِ وينامُ في فراشِهِ ويتسلى بكلامِهِ ويكاتمُهُ سرَّهُ ويبوحُ له بما في صدرِهِ، واستمرا على هذا المنوالِ لسنواتٍ عديدةٍ، فأيُّ فخرٍ وأيُّ شرفٍ بعد هذا.

صنو النبي ووصيه يا حبذا *** صنوان قد وشجتهما الأعراقُ

بأبي وبي وبخالدي وبتالدي *** تشفى بترب نعاله الأحداقُ

عبادَ اللّه:

لقد كان عليٌّ عليه السلام لرسولِ اللهِ سندَهُ وذراعَهُ، يشاورُهُ أمرَهُ، وإليه يشكو همَّهُ حتى بعد نزولِ الوحي على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، وعلى ما كان يواجهُهُ من أذى قريشٍ لم يكن هناك من يشدُّ أزرَهُ ويسليه ويعزيه إلا عليٌّ عليه السلام وخديجةُ رضوانُ اللهِ عليهما اللذان كانا له نِعْمَ العون، يواسيانه ويشجعانه، بل لقد كانا أولَ من آمنا به وصدَّقا برسالتِهِ، وبذلا كلَّ ما في وسعِهما في حمايتِهِ ونصرتِهِ، ولم يدعا أمرًا ولا وسيلةً فيها نصرةُ اللهِ ورسولِهِ إلا قدماها، وعندما ظهرَ أمرُ رسولِ اللهِ وانتشرَ خبرُهُ قامتْ في وجهِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله قريشٌ وشهرتْ في وجههِ السلاحَ وأظهرتْ له العداءَ وتسلطوا عليه بالأذى والعذابِ وقذفوه بأقبحِ الألقابِ فسموه بالساحرِ والكذابِ وبالمجنونِ والكاهنِ حتى أذاقوه من العذابِ ألواناً، وتسلط عليه سفهاؤُهم من الصبيانِ والنساءِ بالشتمِ والسبِّ والأذى، ولم يدعوا وسيلةً فيها إهانةٌ لرسولِ اللهِ إلا فعلوها، فهذا يضعُ القاذوراتِ على رأسِهِ، وهذا يبصقُ في وجهِهِ، وهذا يضعُ الشوكَ على طريقِهِ، وتماماً فقد صَوَّرَ اللهُ حالَهم في

قولِهِ تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

عبادَ الله:

لقد كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يعودُ إلى بيتِهِ منهكَ القوى مما تَعَرَّضَ له من الأذى والسخريةِ والاستهزاءِ، فمن له في محنتِهِ؟ ومن يقفُ بجانبِهِ ومن ينصرُهُ؟ وقد تكالبتْ عليه القبائلُ وتعاونت على إذلالِهِ أكابرُ القومِ مع الأصاغرِ، لقد كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في أحوجِ ما يكونُ لمن يشدُّ عضدَهُ ويمسحُ دمعتَهُ ويخففُ عنه آلامَهُ، لقد أصبح وحيداً بين قومٍ لا يعرفون الرحمةَ، وهنا وفي هذه الساعةِ الحرجةِ وفي هذا الوقتِ العصيبِ يظهرُ دورُ الإمامِ عليٍّ وخديجةَ رضوانُ اللهِ عليهما، تمتدُ يدُ الإمامِ عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وخديجةَ رضوانُ اللهِ عليهما إلى يدِ رسولِ اللهِ ليكونا له نِعْمَ العونِ في وقتٍ هو أحوجُ ما يكون فيه إلى نصرتِهما، حيث نالا شرفَ الوقوفِ إلى جانبِهِ يشاركانه آلامَهُ وأحزانَهُ في تحملِ أعباءِ تبليغِ الرسالةِ.

فمدتْ خديجةُ رضوانُ اللهِ عليها يدَها إلى جميعِ ما تملكُ من الأموالِ ووضعتْها تحتَ تصرفِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ينفقُ منها كيف يشاءُ حتى أفنتْ أموالَها في سبيلِ النصرةِ لرسولِ اللهِ، وقد كانت مِن أكبرِ أثرياءِ قريشٍ. وشَحَذَ الإمامُ عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ سيفَهُ الذي لا يملكُ غيرَهُ، وجعلَ مِن نفسِهِ درعاً حامياً لعرضِ رسولِ اللهِ، ذائداً عن الإسلامِ، فقال في حقِّهما رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ((قامَ الإسلامُ على سيفِ عليٍّ ومالِ خديجةَ)).

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

فهنيئاً ثم هنيئاً ثم هنيئًا لهما بذلك الفضلِ وتلك الشهادةِ مِن رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، صَدَّقاه حين كذَّبَهُ الناسُ، ونصراه حين خذلَهُ الناسُ، وواسياه حين حَرَمَهُ الناسُ،

ووقفا بجانبِهِ حين آذاه قومُهُ. أولئكَ السابقون، أولئك المقربون رضي اللهُ عنهم ورضوا عنه ذلك هو الفضلُ الكبيرُ ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

عبادَ الله:

لقد سَطَّرَ الإمامُ عليٌّ عليه السلام أروعَ ملاحمِ البطولةِ في التضحيةِ والفداءِ، بل لقد جعلَ من نفسِهِ درعًا حصيناً في الدفاعِ عن رسولِ اللهِ وعن الإسلامِ، وسَخَّرَ حياتَهُ في خدمةِ هذا الدينِ، فها هو سلامُ اللهِ عليه في إحدى مواقفِهِ الخالدةِ يصورُ لنا التضحيةَ في أبهى صورِها وأجملِ حللِها وذلك حين تحالفتْ ضدَّ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله قبائلُ قريشٍ وأجمعتْ على قتلِهِ وإزهاقِ روحِهِ في عقرِ دارِهِ، ففي ليلةٍ مظلمةٍ حالكةِ السوادِ أحاطَ فرسانُ قريشٍ ببيتِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وبأيديهم السيوفُ والرماحُ المرهفاتُ ينتظرون الفرصةَ لإزهاقِ روحِهِ وتمزيقِ جسدِهِ الطاهرِ فهبطَ جبريلُ عليه السلام على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وأخبرَهُ بما دَبَّرَهُ القومُ من المكيدةِ وأمرَهَ بالهجرةِ إلى المدينةِ وأن يأمرَ عليًّا أن ينامَ في فراشِهِ، فما كان من عليٍّ عليه السلام إلا أن لَبَّى أمرَ رسولِ اللهِ بأن ينامَ في فراشِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وأن يتغطى بردائِهِ الحضرميِّ ليوهمَ فرسانَ قريشٍ بأن رسولَ اللهِ ما زالَ نائماً.

تَقَدَّمَ عليٌّ عليه السلام إلى فراشِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وهو يعلمُ خطورةَ الموقفِ وعاقبةَ هذه المغامرةِ، فكان عليٌّ على علمٍ بأنه سيصبحُ بين لحظةٍ وأخرى عرضةً لتلك السيوفِ تنهشُ جسدَهُ وتقطعُ أوصالَهُ في ذلك الظلامِ الحالكِ والليلِ الدامسِ الذي لا يميزون فيه بين محمدٍ وعليٍّ وأيُّهما الضحيةُ، وكانت نسبةُ النجاحِ والنجاةُ من هذه التضحيةِ ضئيلةً، وعلى الرغم من كلِّ ذلك تَقَدَّمَ عليٌّ عليه السلام نحوَ فراشِ الرسولِ، لا بل إلى الموتِ وقد عقدَ العزمَ على أن يُقَدِّمَ نفسَهُ

كبشَ فداءِ قرباناً إلى اللهِ وحفظاً لحياةِ رسولِهِ، فما دام في موتِهِ حياةٌ للإسلامِ وبقاءٌ لروحِ رسولِ اللهِ فلا يبالي أوقعُ الموتُ عليه أم وقعَ هو على الموتِ، فتوكلَ على اللهِ وفوضَ أمرَهُ إليه إنه خيرٌ حافظاً وهو أرحمُ الراحمين، إنه موقفٌ يهتزُّ له الكونُ ومغامرةٌ تسكنُ لهيبتِها النفوسُ، ولكن عليًّا بعينِ اللهِ التي لا تنامُ وفي كنفِهِ الذي لا يضامُ، فقد أوحى اللهُ تعالى إلى جبرائيلَ وميكائيلَ عليهما السلام وقال: إني آخيتُ بينكما وجعلتُ عمرَ أحدِكما أطولَ من الآخرِ فأيُّكما يؤثرُ صاحبَهُ [أي: يفديه بروحِهِ] فاختارَ كلٌّ واحدٍ منهما الحياةَ، فأوحى الله إليهما: أفلا كنتما كعليِّ بنِ أبي طالبٍ آخيتُ بينه وبين محمدٍ ﷺ فباتَ على فراشِهِ يؤثرُهُ بنفسِهِ، اهبطا إلى الأرضِ فاحفظاهُ من عدوِّهِ، فكان ميكائيلُ عند رأسِهِ وجبريلُ عند رجليهِ، فقالَ جبريلُ عليه السلام: من مثلُكَ يا بنَ أبي طالبٍ يباهي بك اللهُ الملائكةَ، فنجاه اللهُ تعالى من مكرِ الذين كفروا وردَّهم اللهُ بغيظِهم لم ينالوا خيراً، وأنزلَ اللهُ تعالى في عليٍّ عليه السلام قولَهُ تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعَني وإياكم بما فيه مِن الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، وأستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

الخطبة الثانية

مولد الإمام علي عليه السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ مالكِ الملكِ يؤتي الملكَ مَن يشاءُ وينزعُ الملكَ ممن يشاءُ ويعزُّ مَن يشاءُ ويذلُّ مَن يشاءُ بيدِهِ الخيرُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٍ.

وأشهدُ ألا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ الطاهرين من يومِنا هذا إلى يومِ الدينِ.

أما بعدُ

عبادَ اللّه:

لقد كانت حياةُ أميرِ المؤمنينَ حافلةً بالبذلِ والعطاءِ، وكانت مواقفُهُ الخالدةُ تجاهَ رسولِ اللهِ ﷺ أكبرَ شاهدٍ على وفائِهِ وتضحياتِهِ في سبيلِ نصرةِ اللهِ ورسولِهِ، فلقد نَذَرَ حياتَهَ لخدمةِ الدينِ وقَدَّمَ روحَهُ على كفِّهِ رخيصةً في سبيلِ إعلاءِ كلمةِ اللهِ، ولم يتخلفْ ولم يتوانَ عن أمرٍ بهِ صلاحُ الأمةِ، بل إنه وبعدَ الهجرةِ المباركةِ لم يتخلفْ عن معركةٍ أو جهادٍ، ولم تدقْ طبولُ حربٍ إلا كان عليٌّ في مقدمةِ الصفوفِ، ولم يزحفْ جيشٌ إلا وعليٌّ حاملُ لوائِهِ أو قائدُ فرسانِهِ، وإذا ادْلَهَمَّتِ الخطوبُ وحارتِ الأفكارُ وتأخرتِ الفرسانُ كان عليٌّ الحكمَ الفصلَ وسيدَ الموقفِ.

من استقامت ملة الباري به *** وعلت وقامت للعلا أسواقُ

ولمن إليه حديث كل فضيلةٍ *** من بعدِ خيرِ المرسلين تساقُ

وأبو الأولى فاقوا وراقوا الأولى *** بمديحهم تتزينُ الأوراقُ

عبادَ الله:

لقد بلغَ الإمامُ عليٌّ عليه السلام حدًّا لا يوصفُ في الشجاعةِ وفاقَ الأقرانَ، شهدتْ له بذلك الفرسانُ، ولم يولِّ دبرَهُ في معركةٍ قط، ولم يتراجعْ في كرٍّ ولا إقدامٍ، وما أقدمَ في معركةٍ إلا عادَ ظافراً منصوراً. قَلِّبُوا صفحاتِ التاريخِ وسَلُوا المعاركَ عن صولاتِهِ، سلَ بدراً الكبرى مَن جندلَ فرسانَها وهزمَ أبطالَها، بل لقد بلغَ عددُ الذين قتلَهم أكثرَ مِن نصفِ مَن قُتِلَ من المشركين، وسلْ عنه أحداً حين ولَّى المسلمون الأدبارَ مَن قتلَ حملةَ ألويتِها، ومن وقفَ بجنبِ رسولِ اللهِ يدافعُ عنه حين فرَّ المسلمون، لقد جعلَ من نفسِهِ درعًا حصيناً لحمايةِ رسولِ اللهِ في أصعبِ المواقفِ وأحرجِ الساعاتِ يومَ أحدقَ المشركون برسولِ اللهِ وانهالتْ عليه السهامُ والرماحُ فَشُجَّ رأسُهُ وكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ والدماءُ تنزفُ مِن جسدِهِ الشريفِ، فلما أفاقَ جعلَ ينادي: ((أكفني بهم يا عليُّ، عليك بهم يا عليُّ)) وعليٌّ يذبُّ عنه المشركين ويفرقُهُم ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشمالِ حتى غَرِقَ في الدماءِ واحمرتْ ثيابُهُ من الدماءِ.

فلما رأى جبريل عليًّا عليه السلام صُنْعَ ما صَنَعَ قالَ: هذه المواساةُ يا رسولَ اللهِ، فقالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: ((إنه مني وأنا منه))، فقال جبرائيل عليه السلام: وأنا منكما. وقد رُوي أنه سُمعَ صوتٌ يومَ أحدٍ مِن قِبَلِ السماءِ يُنادي: ((لا سيفَ إلا ذو الفقارِ ولا فتىً إلا علي))، وأنزلَ اللهُ في ذلك آيةً يُعاتبُ فيها المسلمينَ حينَ فَرُّوا وتركوا رسولَهُ قائلاً: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

سَلْ عنه يومَ الخندقِ مع الأحزابِ، سلْ عنه يومَ برزَ عمرو بنُ عبدِ ودٍّ العامري حينَ هابتْهُ الأبطالُ وأحجمتْ دونَهَ الفرسانُ وهو ينادي للمبارزةِ، ورسولُ اللهِ ينادي: ((مَن يبرزُ له وأنا أضمنُ له الجنةَ؟)) فلم يبرزْ له سوى عليٍّ عليه السلام رغمَ صغرِ سِنِّهِ، فقالَ في حقِّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: ((بَرَزَ الإسلامُ كلُّهُ للشركِ كلِّهِ)) والتحمتِ المعركةُ

واصطدمَ الفارسانِ وعلا الغبارُ وثار، وانحبستِ الأنفاسُ، وشخصتِ الأبصارُ، وامتدتِ الأعناقُ تترقبُ عما تُسفرُ عنه المبارزةُ، ولمن تكونُ الغلبةُ، وما هي إلا ساعة فإذا بصوتِ الحقِّ يصدعُ مِن بينِ ظلمةِ الغبارِ: (اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ) فتهللتْ وجوهُ المسلمين بالبشرى، وابتهجتْ قلوبُهم، وانقشعتْ عنهم سحائبُ الهمِّ والضيقِ وما كانوا فيه مِن الشدةِ، كما قالَ تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾.

ولكَ أنْ تسألَ عنه يومَ خيبرَ من فتحَ حصونَها وهدَّ أركانَها، يومَ برزَ مرحبُ إلى الميدانِ وخافتْهُ الفرسانُ، وعجزتْ عن ردِّهِ الأبطالُ حتى قالَ صلى الله عليه وآله: ((لأعطينَّ الرايةَ غداً رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَهُ، ويحبُّهُ اللهُ ورسولُهُ، كرارٌ غيرُ فرارٍ يفتحُ اللهُ على يديهِ)) فلما أصبحَ الصباحُ نادى: ((أين عليُّ بنُ أبي طالبٍ؟))، فقيل: إنه أرمدُ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((أرسلوا إليه)) فجاءه عليٌّ عليه السلام يقودُهُ رجلانِ وهو لا يبصرُ من شدةِ الرمدِ.

فبصقَ صلى الله عليه وآله في عينيهِ فبرئَ مِن ساعتِهِ بإذنِ اللهِ، فأمرَهُ بمناجزةِ القومِ بعدَ أن يدعوَهم إلى الإسلامِ، فانطلقَ عليٌّ نحوَ الحصنِ فبرزَ إليه مرحبُ وكان يُعَدُّ بألفِ فارسٍ، فنازلَهُ عليه السلام وبارزَهُ فقتلَهُ وفرَّقَ جيشَهُ وفتحَ الحصنَ، وعادَ إلى رسولِ اللهِ ظافراً منصوراً.

عبادَ الله:

إن المقامَ لا يتسعُ لذكرِ مناقبِ الإمامِ عليٍّ ومواقفِهِ الخالدةِ، ومهما تحدثْنا وقلنا في حقِّهِ فهو قليلٌ بجنبِ ما بذلَهُ في خدمةِ هذا الدينِ، ولكن الذي يجبْ أن نعلمَهُ هو أن عليًّا عليه السلام لم يكن حربُهُ وجهادُهُ من أجلِ الغنائمِ والأموالِ، ولا حبًّا في الزعامةِ والسلطانِ، ولا طمعاً في جاهٍ أو سمعةٍ أو رياسةٍ كما قال ابن تيمية: إن

عليًّا يقاتل ليطاع ويتصرف في الأموال والأنفس، بل لقد كان جُلُّ همِّهِ هو خدمةُ الدينِ وإعلاءُ كلمةِ التوحيدِ.

فالإمامُ عليٌّ عليه السلام كان من أزهدِ الناسِ في الدنيا، فكان لا يملكُ منها قليلاً ولا كثيراً إلا ثوباً قد رَقَّعَهُ حتى استحيا من راقعِهِ، وهو الذي طَلَّقَ الدنيا ثلاثاً فقال: ((يا دنيا، غُرِّي غَيْرِي، أبي تعرضْتِ أم إليَّ تشوقْتِ؟ هيهاتَ هيهاتَ، قد أبَنْتُكِ ثلاثاً لا رجعةَ لي فيك، فعمرُكِ قصيرٌ، وعيشُكِ حقيرٌ، وخطرُكِ كبيرٌ، آهٍ مِن قلةِ الزادِ وبُعْدِ السفرِ وعظمِ المورِدِ)). ومِن مواقفِهِ عليه السلام التي تُبينُ مدى حرصِهِ على إقامةِ العدلِ والمساواةِ وإحقاقِ الحقِّ قولُهُ: (واللهِ لئن أَبِيْتَ على حَسَكِ السعدانِ مسهداً وأجرُّ في الأغلالِ مصفداً أحبُّ إليَّ مِن أنْ ألقى اللهَ ورسولَهُ يومَ القيامةِ ظالماً لبعضِ العبادِ وغاصباً لشيءٍ من الحطامِ).

واسمعوا إليه وهو يُقسمُ باللهِ حيث يقول عليه السلام: (واللهِ لو أعطيتُ الأقاليمَ السبعةَ بما تحت أفلاكِها على أن أعصي اللهَ في نملةٍ أسلبُها جلبَ شعيرةٍ ما فعلتُ، وإنَّ دنياكم عندي لأهونُ من ورقةٍ في فَمِ جرادةٍ تقضمُها).

اللهُ أكبرُ ما أعظمَها مِن نفوسٍ، وما أعظمَ ذلك الإيمان الذي انطوى عليه قلبُ الإمامِ عليٍّ عليه السلام، إنها نتاجُ تربيةِ رسولِ اللهِ وثمارُ آدابِهِ التي علَّمَهُ إياها وأدَّبَهُ بها.

فهـــل رأيـــت مثلـــه خطيبـــا *** مـــنهم وإلا ناطقًـــا غريبـــا

أو بادئًـــا في العلـــم أو مجيبـــا *** أو واعظًـــا مـــن خشـــية منيبـــا

عبادَ اللّه:

إن الحديثَ عن عليٍّ عليه السلام ومواقفِهِ ذو شجونٍ، ولكن في القليلِ الكفايةَ، ولنختم سيرتَهُ العطرةَ بهذه القصةِ الطريفةِ التي تُبينُ مدى عدلِهِ عليه السلام، وذلك حين وجدَ درعَهُ عندَ رجلٍ من أهلِ الكتابِ، عبدَ اللهِ تصورْ هذا الموقفَ ما أروعَهُ، وتابعْ أحداثَ هذا المشهدِ ما أبدعَهُ، إنه نزاعٌ وشجارٌ بين أميرِ المؤمنين

وإمامِ المسلمين وبين رجلٍ ذميٍّ من أهلِ الكتابِ، ماذا فعلَ الإمامُ عليٌّ؟ هل قطعَ رأسَهُ؟ أم سجنَهُ وعذبَهُ؟ أم طردَهُ مِن البلادِ وشردَهُ؟ لا هذا ولا ذاك، إن عدالةَ الإمامِ عليٍّ ومبدأَهُ الذي رسمَهُ لنفسِهِ وربَّاهُ عليه رسولُ اللهِ يأبى الظلمَ ويمنعُهُ أن يستغلَ قوتَهُ وسلطانَهُ في البطشِ والقهرِ ولو كان الحقُّ له، بل لقد اختارَ الإمامُ عليٌّ عليه السلام مبدأَ الإنصافِ والعدلِ، وأرادَ أن يطبقَهُ على نفسِهِ ليكونَ أسوةً لغيرِهِ، فعمدَ إلى مطالبة الرجل الكتابي حسب ما أمر الله فحاكمة إلى قاض من قضاته جعلاه حكماً بينهما، وَمَثُلَ هو والرجلُ بين يدي القاضي، ووقفَ أميرُ المؤمنين أمامَ القاضي موقفَ المدعي لا موقفَ القائدِ والأميرِ الآمرِ الناهي، وقال مدعياً: الدرعُ درعي ولم أبعْ ولم أهبْ، فقالَ الكتابيُّ: ما الدرعُ إلا درعي وما أميرُ المؤمنين عندي بكاذبٍ، فقال القاضي لعليٍّ عليه السلام: هاتِ البينةَ تشهدُ بأن الدرعَ درعُكَ، فضحكَ الإمامُ عليٌّ عليه السلام لأنه لا يملكُ البينةَ، نعم، ضحكَ وحقَّ له أن يضحكَ، إنه لا يضحكُ لأنه فَقَدَ الدرعَ وخسرَ المحاكمةَ، بل إنه يضحكُ لأنه قد طَبَّقَ مبدأَ العدالةِ والمساواةِ على نفسِهِ قبلَ غيرِهِ وأنه قد تمَّ بسطُ الإنصافِ بينَ كلِّ كبيرٍ وصغيرٍ بلا محاباةٍ ولا مجاملةٍ وبعيداً عن المداهنةِ والوساطاتِ وبلا ميلٍ إلى أحدٍ مهما كانت منزلتُهُ ومقامُهُ، ضحكَ لأنَّ القاضي قد أَمِنَ بطشَهُ وطبقَ حكمَ اللهِ ولم يجاملْ أميرَ المؤمنين، وحكمَ القاضي بالدرعِ للكتابيِّ على ظاهرِ الدعوى وإن كانت الدرعُ هي درعُ أميرِ المؤمنينَ في الحقيقةِ، ولكن الحكمَ يكونُ على مقتضى الدعوى والإجابةِ وليس مع الإمامِ عليٍّ عليه السلام البينةُ على ما ادعى، فأخذَ الرجلُ الدرعَ وذهبَ وأميرُ المؤمنين ينظرُ إليهِ، غيرَ أن الرجلَ مشى قليلاً ثم عادَ، رجعَ نحوَ القاضي وأميرُ المؤمنين بجانبِهِ، رجعَ وهو يقول: أما أنا فأشهدُ أنَّ هذه أحكامُ أنبياءٍ، آخذُ درعَ أميرِ المؤمنين ثم يدينني إلى قاضيهِ فيقضي عليه، أيُّ عدالةٍ هذه، أعتدي على أمامِ المسلمين وأميرِهم وآخذُ

درعَهُ ثم يشكوني إلى قاضٍ من قضاتِهِ لينصفَهُ ويردَّ له حقَّه فما يكون منه إلا أن يحكمَ عليه، فأيُّ عدالةٍ هذه غير عدالةِ السماءِ، وأيُّ حكمٍ هذا غير حكمِ أنبياء.

فصدق من قال:

أنـا وجميـع مـن فـوق الـتراب *** فـدا لـتراب نعـل أبي تـراب

والآن:

الدرعُ واللهِ درعُكَ يا أميرَ المؤمنين، وقد كنتُ كاذباً فيما أدعيتُ، ثم شَهِدَ ألا إله إلا اللهُ محمد رسول الله ودخلَ في دينِ الإسلامِ، نعم، دخلَ في الدينِ بسببِ العدلِ، بسببِ الإنصافِ والمعاملةِ وتطبيقِ شرائعِ اللهِ، لقد رأى ما أدهشَهُ، رأى ما أبهتَهُ، رأى أمراً لا نظيرَ له وموقفًا لم يشاهدْ مثيلَهُ مِن قبلُ.

عدالةٌ ومساواةٌ وإنصافٌ فاقَ الوصفَ وتعدى المعهودَ، أميرُ المؤمنين صاحبُ القوةِ والسلطانِ وأعلى منصبٍ في الدولةِ الإسلاميةِ وقائدُ الجيوشِ التي دوخت مشارقَ الأرضِ ومغاربَها يأخذُ درعَهُ رجلٌ ذميٌّ كافرٌ ويطالبُهُ بها أميرُ المؤمنين ثم ينكرُها ومع علمِ أميرِ المؤمنين بأنها درعَهُ إلا أنه لم يقمْ بأيِّ ردةِ فعلٍ تجاهَ ذلك الموقف إلا أنه عمدَ كما يفعلُ غيرُهُ من المظلومين إلى قاضٍ من قضاتِهِ لينتصفَ له من غريمِهِ ويردَّ له ظلامتَهُ، لم يستخدمْ نفوذَهُ في استردادِ حقِّهِ ولم يأمرْ جندَهُ بجلدِ غريمِهِ وحبسِ مَن أخذَ درعَهُ، بل رضيَ أن يقفَ مع الذميِّ أمامَ ساحةِ القضاءِ ويرضى بما تُسفرُ عنه المحاكمةُ من نتائجٍ، وفي الأخيرِ قضتِ المحكمةُ للذميِّ وخرجَ الحكمُ على أميرِ المؤمنين وخسرَ الدرعَ؛ وذلك لأنه لا يملكُ بينةً ولا دليلًا يثبتُ أن الدرعَ درعُهُ، فكانت هذه الحادثةُ سبباً في إسلامِ هذا الذميِّ ودخولِهِ في دينِ الإسلامِ لحسنِ تصرفِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام وعدالتِهِ التي نشرَها بين الناسِ، فسلامُ اللهِ عليه يومَ ولدَ ويومَ استشهدَ ويومَ يبعثُ حيًّا.

عليـه سـلام الله مـا هبـت الصَّـبا *** وفي كـل يـوم ألـف ألـف تحيـة

عبادَ الله:

أكثروا في هذا اليومِ من الصلاةِ والسلامِ على نبيِّكم الأمينِ كما حثَّ اللهُ على ذلك في القرآنِ الكريمِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾

اللهم فصلِّ وسلِّم على عبدِكَ ونبيِّكَ الطاهرِ الأواهِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ، وصلِّ اللهم على أخيه وبابِ مدينةِ علمِهِ، الليثِ الغالبِ مولانا الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ، وعلى زوجتِهِ الحوراءِ فاطمةَ البتولِ الزهراءِ، وعلى ولديهما الإمامين الأعظمين الحسنِ والحسينِ، وعلى الوليِّ بنِ الوليِّ مولانا الإمامِ زيدِ بنِ عليٍّ، وعلى الهادي إلى الحقِّ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بن القاسمِ بن إبراهيمَ، وعلى سائرِ أهلِ بيتِ نبيِّكَ المطهرين، دعاةً منهم ومقتصدين، وارضَ اللهم عن الصحابةِ الأخيارِ من المهاجرين والأنصارِ، وارضّ عَنَّا معهم بفضلِكَ ومَنِّكَ يا كريمُ، اللهم انصرِ الإسلامَ والمسلمينَ، واخذلِ الكفرةَ الملحدين، واجعلَ بلدَنا هذا آمنًا وسائرَ بلادِ المسلمين: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ آمين ربَّ العالمين، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

عبادَ الله:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

فاذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يذكرْكم، واشكروه على نعمِهِ يزدْكم، ولذكرُ اللهِ أكبرُ، واللهُ يعلمُ ما تصنعون.

الخطبة الأولى

فاجعة كربلاء

في العاشر من محرم الحرام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ المتفضلِ بالإحسانِ لمن أطاعَهُ واتقاه، والمتوعدِ بالخسرانِ مَن خالفَهُ وعصاه، مثيبِ المؤمنين بالنعيمِ والخيرِ العميم، ومذيقِ العاصين مِن سمومٍ وحميم، وظلٍّ من يحمومٍ لا باردٍ ولا كريم، نحمدُهُ تعالى كما حمدَ نفسَهُ، وكما حمدَهُ الحامدون من جميعِ خلقِهِ، ونُثني عليه أعظمَ الثناءِ، إنه وليُّ النعماءِ، وكاشفُ الضرِّ والبلاءِ، وهو نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصيرُ.

ونشهدُ ألا إله إلا اللهُ الملكُ الحقُّ المبينُ، المنتقمُ مِن الظلمةِ والمستكبرين، والمنتصفُ للمظلومين والمستضعفين.

ونشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا الشافعَ المشفعَ يومَ الدين، والمبلغَ عن ربِّ العالمين معالمَ الدينِ، محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الصادقُ الأمينُ، المبعوثُ رحمةً للعالمين، صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِهِ الطاهرين، وعِتْرَتِهِ المنتجبين من يومِنا هذا إلى يومِ الدينِ.

أما بعدُ:

عبادَ اللّه:

إننا في هذه الأيام نعيشُ ولادةَ عامٍ جديدٍ أهَلَّ علينا هلالُهُ قبل أيامٍ، وانبلجَ فجرُهُ المشرقُ لهذا العامِ مستفتحاً أيامَهُ بمحرمِ الحرامِ، إنه بدايةُ عامِ الهجرةِ، بدايةُ التحولاتِ والتغيراتِ الخالدةِ في طريقِ الدعوةِ.

ونحن ومع مطلعِ هذا العامِ الجديدِ، ومع بزوغِ هلالِ محرمِ الحرامِ لا ندري أَنُبَشِّرُ أنفسَنا ونهنيها بأعيادِ ذكرى الهجرةِ النبويةِ الخالدةِ؟ أم نُعزي الأمةَ

الإسلاميةَ وننعي إليها المآسيَ والأحزانَ التي حملها هذا الشهرُ الحرامُ بين طياتِهِ، من ذكرياتٍ مؤلمةٍ، وأحداثٍ داميةٍ مزقتِ الأكبادَ، وأذابتِ القلوبَ؟

إنها مآسٍ ومآتمُ عَمَّتْ كلَّ بيتٍ، وشملتْ كلَّ أسرةٍ مؤمنةٍ في ديارِ المسلمين.

عبادَ الله:

هذا هو شهرُ محرمٍ الحرامِ الذي ضمَّ بين طياتِهِ ذكرياتٍ ومآسيَ لأبشعِ مجزرةٍ سطرَها التاريخُ، وأفظعِ إجرامٍ ووحشيةٍ عرفتْها البشريةُ على الإطلاقِ.

إنها مجزرةُ (كربلاءَ) ومقتلةُ (الطفِّ)، والمذبحةُ الجماعيةُ التي أودتْ بحياةِ صفوةِ الخلقِ، والتي سُفكت فيها أطهرُ وأزكى الدماءِ، ومُزِّقَتْ أشرفُ وأكرمُ الأجسادِ على وجهِ الأرضِ.

إنها مجزرةُ أهلِ البيتِ النبويِّ، ومذبحةُ ذريةِ رسولِ اللهِ وعترتِهِ وأهلِ بيتِهِ، والتي كان في مقدمتِهم سبطُ رسولِ اللهِ، الإمامِ الحسينِ بنِ عليٍّ سلامُ اللهِ عليه هو وأهلُ بيتِهِ المطهرين نساؤُه وأطفالُهُ من العجزةِ والمستضعفين الذين نهى الدينُ عن قتلِهم ومنعَ مِن سفكِ دمائِهم ولو كانوا مشركينَ، فكيف إذا كان أولئكَ العجزةُ هم أبناءُ رسولِ اللهِ وعترتُهُ الذين استوصى بهم خيراً وتوعدَ كلَّ مَن آذاهم وأبغضَهم بأن لا يشمَّ رائحةَ الجنةِ.

إنهم ذريةُ ذلك النبيِّ العظيمِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ الذي نذرَ نفسَهُ للهِ ولهدايةِ الأمةِ، كان قلبُهُ يتقطعُ ألـمًا وحسرةً على هذه الأمةِ، والتي ضحى من أجلِها وتعبَ في سبيلِ هدايتِها، وتَرَكَ بلدَهُ ومسقطَ رأسِهِ، وأوذيَ وظلمَ وشرِّدَ، وسفكَ دمُهُ الطاهرُ، وهتكت حرمتُهُ، ونيلَ مِن عرضِهِ، وهو صابرٌ محتسبٌ يعفو ويصفحُ فكان كما وصفَهُ اللهُ: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾

كانت تلك مجزرةَ أهلِ بيتِ رسولِ اللهِ ذلك النبي الذي بذلَ نفسَهُ لخدمةِ الأمةِ وهدايتِها، والذي بفضلِهِ انقشعتْ سحائبُ الظلمةِ، وانبلجَ فجرُ العدالةِ والإسلامِ.

كان أولئك القتلى أبناءُ مَن جاءَ لينقذَ الناسَ من النارِ، وينتصفَ للضعفاءِ والمساكينِ، ويحررَ العبيدَ من رقِّ العبوديةِ، ويمنعَ مِن ظلمِ المرأةِ ووأدِ البناتِ، ويستنقذَ الأبناءَ مِن دفنِهم أحياءَ، كان أولئك المقتولون بأرضِ كربلاءَ هم بقيةُ الأمانةِ التي خَلَّفَها لنا نبيُّ الرحمةِ أولئك الضحايا هم وصيةُ ذلك النبي الذي جعلَ لهذه الأمةِ هيبتَها ومكانتَها بين الأممِ والذي بفضلِهِ صنعَ من أعرابِ الباديةِ رجالًا تضربُ بهم الأمثالُ، ولم يمتْ ﷺ إلا وقد مهَّدَ لقريشٍ مكانتَها بين القبائلِ، وجعلَهم سادةَ الدنيا فما كان منهم إلا أن ذبحوا حفيدَهُ وأبادوا ذريتَهُ وسفكوا دماءَهم فكأنهم أرادوا بفعلِهم ذلك أن يردوا له جميلَه، ويجازوه على معروفِهِ، ولم يجدوا ما يحسنون إليه به إلا أن يسفكوا دماءَ أهلِهِ وذريتِهِ، ويمزقوا تلك الأجسادَ الطاهرةَ.

فهل تلك هي أجرةُ رسولِ اللهِ ﷺ على تبليغِ رسالتِهِ حين قالَ: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.

عبادَ الله:

إنَّ لنا مع قصةِ الحسينِ وقفةً أرجو ألا يستثقلَها معلولٌ، ولا يستطيلَها ملولٌ، فإنَّ بها مِن العبرِ والعظاتِ ما تعجزُ عن وصفِهِ الكلماتُ.

فمجزرةُ كربلاءَ أكبرُ من كونِها إجرامٌ

ليست القضيةُ مجردَ اعتداءٍ وظلمٍ فحسب، كلا، فالقضيةُ أعظمُ وأكبرُ جرمًا من ذلك.

لا يكفي أن نعلمَ بأنَّ الحسينَ سلامُ اللهِ عليه استشهد في يومِ عاشوراءَ في

أرضِ كربلاءَ، وأن أهلَ بيتِهِ ونسائِهِ قد سيقوا كالسبايا فحسب، لا .. إنَّ موقفَ الحسينِ وقصةَ استشهادِهِ هو وأهلُ بيتِهِ أكبرُ من كونِهِ شهادةً، وأعظمُ من كونِهِ نهايةً لحياةِ بطلٍ خالدٍ.

إن هذا الموقفَ أكبرُ من أن يُنسى، لقد كان بدايةً للتحولاتِ، تحوَّلَ معه كلُّ شيءٍ، وعصفَ بالواقعِ وقَلَّبَ الموازينَ وغَيَّرَ الحقائقَ، إنه موقفٌ صدَّعَ بناءَ الأمةِ وشتتْ شملَها.

بكـــربلا عـــرج فـــإن بكـــربلا *** رمما منعن عيوننا طعم الكرى

حيث الذي حزنت لمصرعه السما *** وبكـــت لمقتلـــه نجيعًـــا أحمـــرا

إنه موقفٌ يعجزُ اللسانُ فيه عن التعبيرِ، ويحارُ الفكرُ فيه عن التصويرِ، إننا نقفُ أمامَ إجرامٍ لا يوصفُ، وجريمةٍ لا توازيها الجرائمُ، فقضيةُ كربلاءَ سهمٌ مسمومٌ أصابَ كبدَ الأمةِ كلِّها، وطعنةٌ أليمةٌ في قلبِ الإسلامِ.

فالقضيةُ هنا تخصُّ عرضَ رسولِ الأمةِ، ونبيِّ الرحمةِ، محمدٍ ﷺ الذي هو صاحبُ الشريعةِ ومَن جاءَ بالدينِ الإسلاميِّ الحنيفِ، والذي قد غَمَرَ معروفُهُ كلَّ مسلمٍ، والذي لا نُحصي فضلَهُ، ولن نطيقَ ردَّ إحسانِهِ.

فمجزرةُ كربلاءَ تُعَدُّ اعتداءً على كرامةِ الإسلامِ واستطالةً على حقِّ كلِّ مسلمٍ وإهانةً للمسلمين؛ إذ أنه اعتداءٌ على رمزِ الإسلامِ وقائدِ الأمةِ، اعتداءٌ على حرمِ رسولِ اللهِ ﷺ، وانتهاكٌ لعرضِهِ، وتطاولٌ في حقِّهِ.

كيف لا وقد ذُبِحَ في تلك المجزرةِ أطفالٌ رضعٌ، وذُبحَ ولدُ رسول الله ﷺ وفلذةُ كبدِهِ، وابنُ بنتِهِ وقرةُ عينِهِ الذي تربى في حجرِهِ، وعاشَ في كنفِهِ، وترعرعَ في أحضانِهِ، وعاشَ في بيتِهِ الذي هو مهبطُ الملائكةِ، إنه ابنُ رسولِ اللهِ ﷺ وحفيدُهُ الذي كان لا يطيقُ الصبرَ عن رؤيتِهِ، ولا يستلذُّ بطعامٍ إلا والحسينُ في حجرِهِ يداعبُهُ ويلاعبُهُ ويطعمُهُ بيدِهِ الشريفةِ، ويقبلُ فمَهُ وشفتيه،

وإذا جاعَ مضغَ له اللقمةَ بفمِهِ الطاهرِ، وخلطَها بريقِهِ المباركِ ثم يلقمُهُ إياها.

إن الحسينَ بنَ عليٍّ عليه السلام كانَ بالنسبةِ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم كعينِهِ وأحبَّ الناسِ إليه، كان يؤلِمُهُ ما آلَمَهُ، ويسعدُهُ ما أسعدَهُ، كان يخافُ عليه من الريحِ الباردةِ، ويخشى عليه من حرِّ الشمسِ، فكيف بمَن يسفكُ دمَهَ، ويقطعُ رأسَهُ، ويدوسُ جسدَهُ.

ماذا لو رآه رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الصورةِ وهو الذي كان يرفقُ بهِ في أبسطِ الأمور؟

فمما يُروى أن الحسينَ عليه السلام صعدَ على ظهرِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم ذاتَ يوم وهو ساجدٌ فأطالَ رسولُ اللهِ السجودَ حتى ظنَّ المصلون خلفَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم أنَّ أمرًا قد حَدَثَ أو أنه يُوحى إليه، فلما انتهتِ الصلاةُ سألوه عن ذلك، فقالَ: ((لقد ارتحلني ابني فخشيتُ أن أعجلَهُ)) فتركَهُ حتى نزلَ من على ظهرِه.

للهِ أنتَ ما أرحمَكَ يا رسولَ اللهِ، وما أرفقَكَ بولدِكَ، فماذا لو رأيتَ الخيلَ وهي تدوسُ جسدَهُ الشريفَ، والسيوفَ تمزقُ أعضاءَهُ فما كنتَ قائلاً؟

معاشرَ المؤمنين:-

إنَّ الإمامَ الحسينَ عليه السلام كان له مكانةٌ لا توصفُ في قلبِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، ولطالما سُمِع منه قولُهُ: ((الحسن والحسين ابناي أحبَّ اللهُ من أحبَّهما، وأبغضَ اللهُ من أبغضَهما))، ((حسين مني وأنا من حسين، أحبَّ اللهُ من أحب حسينًا)).

فهذه المجزرةُ قد شملتْ أبناءَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وأهلَ بيتِهِ وعترتَه الأخيارَ، وهؤلاء هم الذين استوصى بهمُ النبيُّ خيراً، وحثَّ الناسَ على نصرتِهم، والتمسكِ بهم، وأمرَ بمحبَّتِهم، وحَذَّرَ من معاداتِهم وأذيتِهم.

وكان آخرُ ما أوصى به الأمةَ أن قالَ صلى الله عليه وآله وسلم: ((أذكرُكم اللهَ في أهلِ بيتي أذكرُكم اللهَ في أهلِ بيتي)). قالها ثلاثًا.

بل لقد جعلَ حبَّهم أجرةَ تعبِهِ، وثمنَ تبليغِهِ للرسالةِ، كما قالَ تعالىٰ: ﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن اللهَ تعالىٰ جعلَ أجري عليكم المودةَ في أهلِ بيتي وإني سائلُكم فمحفٍ في المسألةِ)).

فهل يا تُرىٰ أوفىٰ بالأجرةِ مَن قتَلَ أبناءَه وسفكَ دماءهم؟!

عبادَ الله:

لقد كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم على علمٍ بما سيلقىٰ أهلُ بيتِهِ من الظلمِ والبلاءِ، وسفكٍ للدماءِ، وانتهاكٍ للأعراضِ من بعدِهِ، فقد أطلعَهُ اللهُ علىٰ ذلك، وأخبرَهُ بكلِّ ما هو كائنٌ إلىٰ يومِ القيامةِ، ولذا كان صلى الله عليه وآله وسلم كثيرًا ما يحثُّ الناسَ علىٰ التمسكِ بأهلِ بيتِهِ وموالاتِهم، ويحذرُ من عداوتِهم والتعرضِ لهم بأي سوءٍ أو مكروهٍ، فقد أخبرَ جبريلُ عليه السلام رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بما سيصيبُ ولدَهُ الحسينَ من بعدِهِ، وأن أمتَهُ ستقتلُهُ في أرضِ كربلاءَ، فكان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله يبكي بكاءً شديداً إذا ذكرَ ذلك، ويلثمُ ثغرَ الحسينِ عليه السلام ويقبلُهُ ويقولُ: ((حسينٌ مني وأنا من حسينٍ، أحبَّ اللهُ من أحبَّ حسينًا، حسينٌ سبطٌ من الأسباطِ)).

وروي عن ابنِ عباسٍ أن رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله خرجَ مسافرًا من المدينةِ، فلما كان في (بحرةَ) -اسم مكان- وقفَ واسترجعَ -أي: قال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾- ثم مرَّ، ثم وقفَ واسترجعَ أكثرَ من الأولِ وبكىٰ وقال: ((هذا جبريلُ يخبرُني أنها أرضُ كربٍ وبلاءٍ، يقتلُ فيها الحسينُ سخيلتي، وفرخُ فرختي، وأتاني منها -أي: مِن كربلاء- بتربةٍ حمراءَ، ثم دفعَها صلى الله عليه وآله إلىٰ عليٍّ عليه السلام وقالَ: إذا غَلَتْ وسالتْ دمًا عبيطًا فقد قُتِلَ الحسينُ عليه السلام، ثم قال -ومد يده-: يزيد، لا باركَ اللهُ في يزيدَ، كأني أنظرُ إلىٰ مصرعِهِ ومدفنِهِ.

قال ابنُ عباسٍ: ثم دفعَ عليٌّ عليه السلام التربةَ إلىٰ أمِّ سلمةَ فشدتها في طرفِ ثوبِها،

فلما قُتِلَ الحسينُ عليه السلام إذا بها -أي: تلك التربة- تسيلُ دمًا عبيطًا، فقالتْ أمُّ سلمةَ: اليومَ أفشي سِرَّ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم.

وروى أبو العباسِ الحسني يرفعُهُ إلى ابنِ عباسٍ قالَ: اشتدَّ برسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله مرضُهُ الذي ماتَ منه فَحَضَرْتُه -أي: جئته- وقد ضمَّ الحسينَ عليه السلام إلى صدرِهِ يسيلُ من عَرَقِهِ عليه، وهو يجودُ بنفسِهِ وهو يقولُ: ((ما لي وليزيدَ لا باركَ اللهُ في يزيدَ))، ثم غَشِيَ طويلًا وأفاقَ، فجعلَ يقبلُ الحسينَ عليه السلام وعيناه تذرفانِ ويقولُ: ((أما إنَّ لي ولقاتِلِكَ مقامًا بين يدي الله)).

لقد آذى مقتلُ الحسينِ عليه السلام رسولَ اللهِ في حياتِهِ وأبكاه وأحزنه، وها هو يتألمُ لمقتلِ الحسينِ وهو يجودُ بروحِهِ ويعالجُ سكراتِ الموتِ.

عبادَ الله:

لم تكن نفسُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله مطمئنةً لِمَا يكنُّهُ بعضُ الطلقاءِ في صدورِهم مِن العداوةِ والبغضاءِ له ولأهلِ بيتِهِ وقد أخبر بذلك حين قال للإمام علي عليه السلام: ((ضغائن في صدور قوم لا يبدونها لك إلا من بعدي))، ولذا فإنه صلى الله عليه وآله وسلم قد فرضَ محبةَ أهلِ بيتِهِ، وجعلَها فرضًا واجبًا، وجعلَها ثمنًا وأجرةً لتبليغِ الرسالةِ، فمن ناصبَهم العداءَ فقد مَطَلَ رسولَ اللهِ في أجرتِهِ وغمَطَهُ في حقِّهِ.

وقد قالَ الإمامُ الشافعيُّ في ذلك:

يـا أهـل بيـتِ رسـولِ اللهِ حـبُّكمُ *** فـرضٌ مـن اللهِ في القـرآنِ أنزلَـهُ

كفـاكم مـن عظـيمِ الشـأنِ أنكـمُ *** مَن لم يصـلِّ علـيكم لا صـلاةَ لـهُ

عبادَ الله:

إنَّ وصيةَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله في أهلِ بيتِهِ لم يُلقَ لها بالٌ، فما إن فاضت روحُ رسولِ اللهِ حتى ظهرتِ العداوةُ والبغضاءُ، وأظهرَ الطلقاءُ ما يكنونَهُ من العداءِ لأهلِ البيتِ عليهم السلام.

حتى إذا قبض المذل سطاهم *** حادوه عن سننِ الطريقِ وعاقوا
يا ليت شعري ما يكون جوابهم *** حين الخلائق للحساب تساقُ
حين الخصيم محمد وشهوده *** أهل السما والحاكم الخلاقُ
قد قيدت إذ ذاك ألسنتهم بما *** نكثوا العهود فما لها إطلاق

وبخاصةٍ بنو أميةَ وبنو مروان وأبناءُ (هندٍ) آكلةِ الأكبادِ التي شقَّتْ صدرَ حمزةَ بنِ عبدِ المطلبِ عمِّ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم واستخرجتْ كبدَهُ لتأكلَها.

فهل تلدُ تلك الحيةُ إلا أفعى مثلَها فقد جاءت بمعاويةَ، وجاءَ معاويةُ بيزيدَ، ذلك السكير العربيد الذي كان يقضي جُلَّ وقتِهِ في ملاعبةِ القردةِ والكلابِ، فقد روي في الشافي أن يزيدَ أولَ من شربَ الخمرَ ممن ادعى الخلافة، وأولُ من سمعَ الغناءَ والزمرَ ولعبَ بالكعابِ والكلابِ، وكان لا يُمسي إلا سكرانًا، ولا يصبحُ إلا مخمورًا، ثم يَدَّعي زوراً أنه أميرٌ للمؤمنين وخليفةٌ للمسلمين.

فبث دعاتَهُ في البلدانِ، وأرسلَ الرسلَ ليأخذوا له البيعةَ، ويوثقوا له الخلافةَ بالعهودِ المغلظةِ والأيمانِ المؤكدةِ، وأمرَ ولاتَهُ بأنَّ مَن رفضَ البيعةَ أن تُضربَ عنقُهُ ويُسفكَ دمُهُ، حتى ولو كان الحسينَ بنَ عليٍّ عليه السلام، ووصلتْ دعوتُهُ إلى والي المدينةِ الوليدِ بنِ عتبة وأمرَهُ بأخذِ البيعةِ من الناسِ، وبخاصةٍ الحسين عليه السلام، فإن رفضَ فليقتلْهُ.

فأي لئيم ما الزمان مسالم *** له وكريم ما الزمان محاربه
كما بالنبي محمد وبآله *** فهل بعدهم تصفو لحرٍّ مشاربه
دعا كل باغ في الأنام ومعتدٍ *** إلى حربهم والدهر جمٌّ عجائبه

خياران لا ثالثَ لهما: إما أنْ يمدَّ يدَهُ لمبايعةِ يزيدَ بنِ معاويةَ ذلك السكير المائع، الذي لا يحلُّ للهِ حلالًا، ولا يحرمُ حرامًا، والذي كان قصرُهُ يعجُّ

بالغانياتِ والراقصاتِ، والماجنين والماجناتِ، ويكونُ شريكًا له في ظلمِهِ وطغيانِهِ وراضيًا بمنكراتِهِ، وإما أن تحزَّ رقبتُهُ ويُسفكَ دمُهُ.

عبادَ الله:

لقد وقفَ الإمامُ الحسينُ في موقفٍ تزلُّ فيه الأقدامُ، وتَعَرَّضَ لامتحانٍ صعبٍ، إما أن يكونَ شريكًا في الظلمِ وإما أن تحزَّ رقبتُهُ.

فقد طلبَ من الحسينِ ذلك، وهو الذي نشأَ وترعرعَ في أحضانِ الرسالةِ، وفي مهبطِ الوحي، وارتضعَ العفةَ والنقاءَ من جدِهِ المصطفى وأمِّهِ الزهراء، والذي تعلمَ من أهلِهِ الرحمةَ والعطفَ وحبَّ الخيرِ، ونصرةَ المستضعفين.

فهل يختمُ آخرَ عمرِهِ بأن يضعَ يدَهُ في يدِ يزيدَ الظالمِ الغشومِ، ليكونَ له عونًا في ظلمِهِ وجبروتِهِ، هل يختمُ عمرَهُ بأن يبايعَ يزيدَ، ويداهنَهُ لكي يرضى عنه، ويعتقَهُ من القتلِ، هل يختمُ حياتَهُ بأن يُسخطَ اللهَ من أجلِ أن يرضى عليه يزيد؟

لم تطب نفسُ الإمامِ الحسينِ بهذا الأمرِ فقررَ أن يفرَّ بدينِهِ محفوظَ الكرامةِ، سليمَ العقيدةِ إلى حيثُ يأمنُ على نفسِهِ ودينِهِ، فزار قبر جده في جوف الليل الغابر، وصلى ركعتي الخيرة، وشكى أمره إلى ربه وبث بالدعاء والبكاء وقبل بياض الفجر غلبته عيناه فرأى رسول الله ﷺ قائلا له وهو محتضن له ومقبل بين عينيه: العجل العجل العجل يا بني، تأتي إلى جدك وأبيك وأمك وأخيك، يا لها من بشرى ما أعظمها.

فخرجَ سلامُ اللهِ عليه موجهًا وجهَهُ تلقاءَ مكةَ المكرمةِ والبلدِ الحرامِ، إلى البلدِ الأمينِ ليحتميَ به من يزيدَ، ومن ظلمِ يزيدَ، فلعلَّ حرمةَ البيتِ تمنعُهُ من أذيتِهِ ولا يتجاسرُ يزيدُ بنُ معاويةَ على انتهاكِ حرمتِهِ، فقد جعلَهُ الله حرمًا آمناً من دخلَهُ كان آمنًا، فدخلها وجلس فيها خمسة أشهر، وفيها راسله أهل العراق.

ولو جلس فيها ما سلم، فإن بني أميةَ وأعوانَهم لا يرعونَ للبيتِ حرمةً، ولا

يرقبونَ في مؤمنٍ إلًّا ولا ذمةً ولو كان من يطلبونَهُ تحتَ أستارِ الكعبةِ.

بل لقد فعلوها فقد أحرقَ يزيدُ الكعبةَ وانتهكَ حرمتَها واستحلَّ دماءَ أهلِها سنة (٦٣هـ) بقيادةِ الحصينِ بنِ نميرٍ في حربِهِ مع ابنِ الزبيرِ، وتكررتْ هذه المأساةُ مرةً أخرى فقد هدمَ الحجاجُ بنُ يوسفَ الكعبةَ وأحرقَها بالمنجنيقِ، وقتلَ مِن أهلِ الحرمِ من قتلَ من المسلمين بأمرِ عبدِ الملكِ بنِ مروان.

ويقال: إن الإمام الحسين عقد العزمَ على أن يتوجهَ إلى اليمنِ الميمونِ، بلدِ الإيمانِ والحكمةِ، وموطنِ الشيعةِ الكرامِ، أهلِ النجدةِ والنصرةِ والْمَنَعَةِ لعلَهُ ينجو من يزيدَ، ويسلمُ منه عرضُهُ ودينُهُ.

ولكن وفدتْ على الحسينِ رسلٌ بعد رسل من الكوفةِ، وتحمل رسائل ومكاتبات بلغت ثمانمائة كتاب فيها بيعة نحو أربعة وعشرين ألفًا يدعونَهُ إليهم، ويَعِدُوْنَه بالنصرةِ والمنعةِ، وأن يَهْلَكوا دونَهُ، ولكنَّ الإمامَ الحسينَ عليه السلام كان أكبر مِن أن يُخْدعَ فقد كان يعرفُ أهلَ العراقِ وما هم عليهِ من النفاقِ، وما تَحَلَّوا به مِن المكرِ والخديعةِ، وكيف يعوِّلُ عليهم في النصرةِ وهم أهلُ الغدرِ والخيانةِ؟

وكيف ينسى ما فعلوه بأبيهِ من قبلِهِ؟ وكيف خدعوه وانقلبوا ضدَّهُ.

ولكن ومع إصرارِ الحسينِ على موقفِهِ الرافضِ لطلبِهم تزايدتْ عليه المراسيل، وكَثُرَتْ من أهلِ الكوفةِ المكاتباتُ والمناشداتُ حتى بلغتْ ثمانمائة كتاب فيها بيعة أربعة وعشرين ألفا برواية أبي العباس في المصابيح، يشكون فيها ما يلاقونَ من ظلمِ بني أميةَ، وما ذاقوه من جبروتِ الولاةِ وبطشِهم، وحمَّلوه الحجةَ البالغةَ بأن يأتيَ إليهم ليخلصَهم من ذلك الظلمِ، وأنهم له أعوانٌ وأنصارٌ.

ويؤكدون له بالأيمانِ المغلظةِ والمواثيقِ المؤكدةِ بأن ينصروه، ويعدونه أنهم كلُّهم طوعُ أمرِهِ ورهنُ إشارتِهِ.

عند ذلك لم يرَ الإمامُ الحسينُ عليه السلام بُدًّا من إجابتِهم والاستجابةِ لطلبِهم، فقد

وجبتْ عليه الحجةُ، ولزمَهُ القيامُ إذا وجدَ الناصرَ والمعينَ استجابةً لأمرِ اللهِ القائلِ: ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾

فوَجَّهَ بمسلمِ بنِ عقيلٍ معهم للكوفةِ ليأخذَ له البيعةَ ويتأكدَ من صحةِ الخبرِ، وينظمَ الأمرَ ريثما يلحقُ به.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ الكريمِ، ونفعَني وإياكم بما فيهِ من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، إنه تعالى جوادٌ ملكٌ برٌّ رؤوفٌ رحيمٌ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

الخطبة الثانية

فاجعة كربلاء

في العاشر من محرم الحرام

[تنبيه: هذه الخطبة مطولة، أعدت خصيصا بإقامة المأتم الشريف، ينبغي للخطيب أن يختصر منها للجمعة بقدر الحاجة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ العزيزِ الجبارِ، الواحدِ القهارِ، مكورِ الليلِ على النهارِ، وعَدَ مَن أطاعَهُ بالجنةِ، وأوعدَ من عصاه النارَ.

وأشهدُ ألا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، نَصَرَ عبدَهُ، وأعزَّ جندَهُ، وهزَمَ الأحزابَ وحدَهُ، ولا شيءَ بعدَهُ.

وأشهدُ أن محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، وخيرتُهُ من خلقِهِ، صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وعترتِهِ الطاهرينَ وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ:

عبادَ الله:

بَعَدَ أيامٍ قلائلَ مِن ذهابِ مسلمِ بنِ عقيلٍ إلى الكوفةِ تَحَرَّكَ الموكبُ المباركُ مُيَمِّمًا وجهَهَ تلقاءَ الكوفةِ وفي مقدمتِهِ سبطُ رسولِ اللهِ الحسينُ بنُ عليٍّ عليه السلام وأهلُ بيتِهِ.

تحرَّكَتْ تلكَ القافلةُ مودعةً الديارَ المقدسةَ والبلدَ الحرامَ وهي تتألمُ حزنًا على فراقِ الأصحابِ والخلانِ والديارِ التي بها نشأوا، وكأن التاريخَ يعيدُ نفسَهُ ويُذَكِّرُنا بخروجِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم حين كادَهُ المشركونَ ليقتلوه فخرجَ إلى المدينةِ مهاجراً وقلبُهُ يتقطعُ ألماً وحزناً على فراقِ مكةَ.

خرجَ الإمامُ الحسينُ عليه السلام في أثرِ مسلمِ بنِ عقيلٍ الذي أرسلَهُ إلى أهلِ الكوفةِ.

خرجَ الإمامُ الحسينُ هو ومن معه من أهلِهِ وشيعته مِن الرجالِ والأطفالِ والنساءِ، خرجَ في موكبٍ هو مِن أعظمِ المواكبِ قدراً وأعلاها شأناً.

خرجَ في مائة من ولد النبي ستون فارسا وأربعون راجلا فيهم الأطفالُ والنسوةُ، مع من لحق به من صفوة الشيعة.

خرجَ عليه السلام يقطعُ الفيافي والقفارَ، ويجوبُ الصحاري والوديان سيرًا على الأقدامِ تحتَ لهيبِ الشمسِ المحرقةِ، وفي الصحاري الموحشةِ، وهو يجدُّ السيرَ ويحثُّ الخُطى، يقطعُ المسافاتِ الشاسعةَ نحوَ الكوفةِ وكلُّه شوقٌ بأن يلتقيَ بمسلمِ بنِ عقيلٍ وأنصارِهِ مِن أهلِ الكوفةِ الذين وعدوه أن يمدوهُ بالعونِ والنصرةِ، خرج وهو يردد:

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى *** إذا ما نوى حقًّا وجاهدَ مسلما

وواسى الرجال الصالحين بنفسه *** وفارق مثبورًا وخالفَ مجرما

فإن متُّ لم أندمْ وإن عشتُ لم أُلَمْ *** كفى بكَ ذُلًّا أن تعيشَ وتُرغما

عبادَ الله:

ما زالَ الحسينُ عليه السلام يطوي الصحاري القاحلةَ حيثُ لا ماءَ ولا كلأ، ويجدُّ السيرَ بين تلك الرمالِ الناعمةِ التي أصبحت قطعةً من الحميمِ من شدةِ حرِّها وحرِّ الهواء، فقد كان ذلك المسيرُ في أيامِ القيظِ وفي أشدِّ أيامِ الصيفِ حرًّا، وبينما كان الحسينُ عليه السلام يشقُّ طريقَهُ نحوَ الكوفةِ وقد شارفَ على الوصولِ إليها إذ اعترضَ طريقَهُ الحر بن يزيد في ألف فارس بأمر عبيدِ اللهِ بنِ زيادٍ، ومنعوه من دخولِ الكوفةِ وحاصروه، وضيقوا عليه الخناقَ.

فما كان منه عليه السلام إلا أن عَدَلَ بأهلِهِ وشيعتِهِ إلى ناحيةٍ في الصحراءِ، فمالَ إلى

ناحيةٍ قريبةٍ من نهرِ الفراتِ ليحتميَ بها من كيدِ الأعداءِ، وليكونَ قريبًا من الماءِ، فضيقَ عليه الحرُّ حتى ألجأه إلى أرض كربلاء، فقالَ الحسينُ لمن حولَهُ: ما اسمُ هذه الأرض؟ قالوا: (كربلاء)، فتنفسَ عليه السلام الصعداءَ، وقالَ: (ذات كربٍ وبلاءٍ).

ثم نزلَ الحسينُ عليه السلام وحطَّ رحالَهُ في أرضِ كربلاءَ، وكانت أرضًا جرداءَ لا عشبَ فيها ولا كلأَ ولا مرعى ولا ماءَ. وفي اليوم الثاني أتى ابن سعد في أربعة آلاف فارس وعدد كبير من الراجلين.

ووقفَ الإمامُ الحسينُ في قلبِ الصحراءِ يفكرُ في أمرِهِ، ويقلبُ ناضريه في الأفقِ البعيدِ، ويمدُّ بصرَهُ إلى أطرافِ الصحراءِ الشاسعةِ، ويحدثُ نفسَهُ، ويسألهم عن مصيرِ مسلمِ بنِ عقيلٍ؟ وأين هي الجنودُ التي تربو على مائةِ ألفِ فارسٍ الذين وعدوه النصرةَ؟ أين تلك الأيمانُ المؤكدةُ والعهودُ المغلظةُ التي قطعوها على أنفسِهم؟

هل يعقلُ أن يكونوا قد نكثوا البيعةَ، وأخلفوا الوعودَ وعادوا للمكرِ والخديعةِ كما هي عادتُهم؟

فإن كانوا قد فعلوها، فأين هو مسلمُ بنُ عقيلٍ؟ لماذا لم يحضرْ؟ لماذا لم يعدْ ليخبرَنا بذلك؟

أيعقلُ أن يكونوا قد مكروا به وقتلوه!!!

ولم لا؟ إنَّ ذلك ليس بالمستبعدِ على أهلِ العراقِ أهلِ الكفرِ والنفاقِ، أَوَلَيسوا قد خدعوا الإمامَ عليًّا عليه السلام ومكروا به؟

ما زالَ الحسينُ وهو في قلبِ الصحراءِ تتضاربُ في رأسِهِ الأفكارُ في أمرِ مسلمِ بنِ عقيلٍ، تساوِرُهُ الأوهامُ والشكوكُ حولَ موقفِ أهلِ الكوفةِ الذين بايعوه على النصرةِ.

ولا زالَ الحسينُ عليه السلام يتلفتُ الفينةَ بعدَ الأخرى هنا وهناك، يبحثُ عن غبارٍ يبعثُ بخبرٍ، أو رايةٍ تخفقُ أو فرسٍ يعدو من قِبَلِ الكوفةِ ولو لفارسٍ واحدٍ يأتي لنصرتِهِ، ولكن:

لقد أسمَعْتَ لو ناديتَ حيًّا *** ولكن لا حياةَ لمن تنادي

ونار لو نفختَ بها أضاءَتْ *** ولكن أنت تنفخ في رمادِ

فأهلُ الكوفةِ قد نكثوا البيعةَ، وعادوا للمكرِ والخديعةِ، وأخلفوا اللهَ ما وعدوه، ونقضوا العهودَ والمواثيقَ، وزادتْ بهمُ الجرأةُ فأقدموا على قتلِ رسولِ الحسينِ عليه السلام مسلمِ بنِ عقيلٍ، ولم يكتفوا بذلك، بل لقد خرجوا موجهين رماحَهم وسيوفَهم إلى صدرِ الحسينِ وأهلِ بيتِهِ.

ولَمَّا تحققَ للإمامِ الحسينِ الخبرُ، واطَّلَعَ على جليةِ الأمرِ عادَ إلى الخيامِ، وجمعَ أصحابَهُ، وأخبرَهم بما بلَغَهُ عن أهلِ الكوفةِ من الأخبارِ، ثم قالَ لهم: إنَّ القومَ لا يطلبون غيري، وأنتم اليومَ في حلٍّ من بيعتي، فإذا أقبلَ الليلُ فتفرقوا في الصحراءِ تحت جنحِ الظلامِ، وانجوا بأنفسِكم.

ولكن القوم أبوا ورفضوا ما عَرَضَهُ عليهم، وأقسموا على أنفسِهم أن يهلكوا دونَهُ.

وكيف تطيبُ نفوسُهم بأن يسلِّموا ابنَ بنتِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم لقمةً سائغةً لتلك الذئابِ المفترسةِ؟

وكيف يرضى مؤمنٌ أن ينجوَ بنفسِهِ ويتركَ حرمَ رسولِ اللهِ ونسائِهِ وأطفالِهِ في تلك الصحراءِ بين أيدي تلك الوحوشِ التي لا ترحمُ؟

ما حجتُهم عندَ رسولِ اللهِ أن يتركوا أبناءَهُ عرضةً للسلبِ والنهبِ، وطعاماً للسيوفِ المرهفاتِ.

لقد رفضوا ما عرضَهُ عليهم الحسينُ عليه السلام وعقدوا العزمَ على أن يقدموا

أرواحَهم قرابينَ فداءً بين يديه حتى تختلطَ دماؤُهم بدماءِ أبناءِ الرسولِ، وتزفَ أرواحُهم مجتمعةً إلى الرفيقِ الأعلى، ليكونَ في مقدمةِ المستقبلين أشرفُ الأنبياءِ والمرسلين محمدُ بنُ عبدِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم الذي ينتظرُ حفيدَهُ وفلذةَ كبدِهِ بفارغِ الصبرِ.

ياالله كل هذه الجيوش على هذه الكوكبة الطاهرة- أرسل ابن زياد شبث بن ربعي وشمر بن ذي الجوشن في سبعة ألف رجل- يا لها من نفوس فاجرة وقلوب كافرة، وأجساد خامرة- لولا أن الله أخر الجزاء ليوم الحساب لاستحقوا أن تمور بهم الأرض مورًا وتسير الجبال سيرًا- ولكن بعد الحياة موت.

عبادَ اللّه:

لقد كان الحسينُ عليه السلام من أشدِّ الناسِ حرصًا على صونِ الأعراضِ وحفظِ الدماءِ، لم يكن به مِن حاجةٍ لإزهاقِ الأرواحِ ولا إراقةِ الدماءِ.

لقد كان رجلَ إصلاحٍ وبناءٍ، ورجلَ سلامٍ، يسعى لنشرِ الودِّ والمحبةِ والرحمةِ والعدلِ والمساواةِ بين الناسِ.

ولذا كان يخرجُ بين الصفين ينادي عسكرَ يزيدَ كلَّ يومٍ بأعلى صوتِهِ يدعوهم بأسمائِهم وكُناهم: يا فلانُ بنُ فلان، يا أبا فلانٍ، ويعظُهم ويحذرُهم عاقبةَ فعلِهم وفداحةَ ما هم ناوون الإقدامَ عليه.

فلا يردون عليه إلا بالسبِّ والشتيمةِ والقذفِ بالحجارةِ والنبالِ، بل لقد أرسلَ الإمامُ الحسينُ إلى ابن سعدٍ قائدِ جيشِ ابن زيادٍ وطلبَ منه أن يجتمعَ به ساعةً، فاجتمعا ليلًا وتناجيا طويلًا.

ثم قالَ له الحسينُ عليه السلام: يا ابنَ سعدٍ، اخترْ مني إحدى ثلاث: إما أن تتركوني أرجعُ على المدينة كما جئتُ، أو إلى إحدى بلادِ المسلمين، أو أسيرُ إلى يزيدَ أرى رأيي معه.

ولكن لم يلقَ لصدى صوتِهِ أذنًا سامعةً، وذهبَ كلُّ صراخِهِ أدراجَ الرياحِ، فالقوم كانوا متعطشين إلى سفكِ الدماءِ قد أدمنوا على القتلِ والسلبِ والنهبِ.

عبادَ اللّه:

نهضَ جيشُ يزيدَ لحربِ الحسينِ عليه السلام وتتابعتْ جنودُ الظالمينَ زرافاتٍ، تتقدمُهم الراياتُ إلى أرضِ كربلاءَ، حتى اجتمعَ في كربلاءَ قرابةُ ثلاثينَ ألفَ مقاتلٍ، وقيلَ: سبعين ألفًا، الذين خرجوا إلى حرب الحسين، حيث إن أغلبَ أهلِ الكوفةِ الذين بايعوا الإمامَ الحسينَ وغيرِهم من القبائلِ قد نكثوا بيعتَهُ وقد خرجوا كباراً وصغارًا ليقاتلوا الحسين بدلاً من أن ينصروه حتى أنهم مِن كثرتِهم لم يجدوا خيلاً يركبونها فركبوا الحمير والأبقار، وذلك طمعاً منهم في المالِ الذي أغراهم به يُزيد، والجوائزِ المغريةِ التي طمعوا فيها، وهكذا ما زالت العساكرُ والجنودُ تتوافدُ إلى أرضِ كربلاءَ ثلاثةَ أيامٍ متتاليةٍ، والذي لم يحضرْ للحربِ فقد حضرَ للسلبِ والنهبِ.

عساكرُ جرارةٍ، وفوارسُ مدججةٌ بالسلاحِ، غارقةٌ في الحديدِ، كادوا أن يبلغوا السبعينَ ألفَ محاربٍ، خرجوا لا لينصروا الدينَ، ولا لفتحِ بلادِ المشركين، ولم يحضروا لردِّ عدوانِ الفرسِ أو الرومِ، بل خرجوا للقضاءِ على طائفة من قرابة النبي وقرناءِ القرآنِ ومن صحابة النبي وأبنائهم فيهم الأطفالُ والنساءُ.

قد ذبلت شفاهُهم من الظمإِ وتيبستْ حلوقُهم من العطشِ، خرجتْ جنودُ يزيدَ وابنِ زيادٍ مدججةً بالسلاحِ قد ضاقتْ بهم الصحراءُ من أجلِ القضاءِ على ذريةِ النبيِّ الخاتمِ، ومن أجلِ أن يستحلوا حرمَ رسولِ اللهِ، ويسوقون بناتَهُ كالسبايا كما تساقُ العبيدُ، فإنا للهِ وإنا إليه راجعون.

وبعد أن تجمعت الجيوشُ نادى ابنُ سعدٍ بالركوبِ فركبَ الجندُ، وزحفوا

نحوَ الحسينِ، وحالوا بينَهُ وبينَ ماءِ الفراتِ، ذلك النهرِ العظيمِ الذي تتمرغُ على شطّانه الكلابُ والخنازيرُ، ويتلوى كالأفعى في قلبِ الصحراءِ ولم يدعوا أحدًا من أبناءِ الحسينِ وأصحابِهِ أن يذوقَ منه قطرةً واحدةً، وكان الوقت صيفًا، والحرُّ شديدًا، فزاد بالأطفالِ والنساءِ العطشُ، وذبلتِ الشفاهُ، ويبست الألسنُ، وانقطعَ الحليبُ عن الأطفالِ، وزاد البكاءُ والعويلُ.

وزادوا في وقاحتِهم أن كتبَ ابنُ زيادٍ إلى ابنِ سعدٍ: أني قد حللتُ ماءَ الفراتِ للكلابِ والخنازيرِ، وحرمتُهُ على الحسينِ وأصحابِهِ وأهلِ بيتِهِ حتى يستسلموا لي، وينزلوا على حكمي، فجعلَ ابنُ سعدٍ على مشرعةِ الماءِ خمسمائة فارسٍ يحرسونها من الحسينِ وأصحابِهِ بالليلِ والنهارِ.

تموتُ الأسدُ في الغاباتِ جوعًا *** ولحمُ الضأنِ يرمى للكلابِ

وذو جهلٍ ينامُ على حريرٍ *** وذو علمٍ ينامُ على الترابِ

بنات يزيد في قصور مشيدة *** وآل رسول الله في الفلوات

سأبكيهم ما ظل في الأفق بارق *** ونادى منادِ الخير في الصلوات

عبادَ اللّه:

روي أن جندَ ابنِ زيادٍ لَمَا منعوا الحسينَ وأصحابَهُ من الماءِ زادَ العطشُ والظمأُ بالأطفالِ والنساءِ وقد كان الوقتُ صيفًا والحرُّ شديداً لا يطاقُ وخاصة في أرضِ العراقِ.

فأمرَ الحسينُ عليه السلام أخاه العباسَ وجماعةً من أصحابِهِ أن يحفروا بئرًا في المخيمِ، ففرحَ الأطفالُ والنساءُ واستبشروا خيرًا، وهرعوا بأجمعِهم واصطفوا حولَ البئرِ وهم ينتظرون ظهورَ الماءِ، وكلُّ واحدٍ يَعِدُ الآخرَ بشربِ الماءِ، وهم

يرتعشون كالفراخِ على شفيرِ البئرِ، فمنهم من يدلي رأسَهُ إلى بطنِ البئرِ لينظرَ هل ظهرَ الماءُ أم لا.

فيا لهفي على تلك الوجوهِ النظرةِ، والقلوبِ البريئةِ، والشفاهِ الذابلةِ، وتلك العيونِ الشاخصةِ نحوَ البئرِ، تنتظرُ ولو قطرةً من الماءِ، وكلما أخرجَ العباسُ شيئًا من الترابِ أخذتْهُ النساءُ لبرودتِهِ، ويضعْنَهُ على قلوبِ الأطفالِ ليسكنَ حرَّ قلوبِهم، وما زالوا يتقاسمونَ الترابَ النديَّ الذي يخرجُ من البئرِ، فمنهن من تجعلُهُ على فؤادِ ولدِها، ومنهن من تفرشُهُ تحتَها، وتلقى بنفسِها عليه، ومنهن من تمسحُ به فؤادَها، وهم يسألون العباسَ عن خروجِ الماءِ، وهو يَعِدُهم بذلك، ويقولون: أسرعْ بالماءِ يا عماه، فقد أضرَّ بِنا العطشُ، وأحرقَ أحشاءَنا الظمأُ.

فيا لهفي لهم، قد جفتْ ألبانُ الأمهاتِ، ويبست ألسنةُ الأطفالِ في أفواهِهم، وهم ينتظرون خروجَ الماءِ من البئرِ، ولكن ويا للحسرةِ بعد أن خرج لهم ماءً عذبًا زلالًا وشربوا منه سرعان ما دفنته الرمال، ولم يعد هناك وقت للحفر فقدوا الأملَ، وأيسوا من الماءِ، وأيقنوا بالهلاكِ.

عبادَ اللّه:

في اليومِ العاشرِ من محرمِ الحرامِ بدأتْ ساعةُ الصفرِ تدقُّ ناقوسَ الخطرِ، وتؤذنُ بالويلِ والثبورِ وعظائمِ الأمورِ، فرمى ابنُ سعدٍ بأولِ سهمٍ إلى ناحيةِ معسكرِ الحسين مؤذنًا ببدءِ المعركةِ، واعتناقِ السيوفِ، وهجمتْ الجيوشُ، وتقدمتْ الكتائبُ نحوَ معسكرِ الحسينِ، نحوَ سبعين من الشيعةِ الأخيارِ، ومن معهم من الصبيةِ والأطفالِ، والتحمتِ المعركةُ واصطدمتِ الفرسانُ وكثرُ الضربُ والطعانُ.

وثبتَ أنصارُ الحسينِ ثباتَ الجبالِ الرواسي، وصمدوا صمودَ البواسلِ، وصبروا وصابروا ورابطوا، وأظهروا من الشجاعةِ والبسالةِ ما حيرَ الألبابَ

رغم قلتِهم وعطشِهم، فقد ضربوا أروعَ الأمثلةِ في التضحيةِ والفداءِ بين يدي الحسينِ عليه السلام وفي الذودِ عن حرمِ رسولِ اللهِ وأهلِ بيتِهِ.

ولكن ومع تكاثرِ أعدادِ الجيشِ لم يستطعْ أنصارُ الحسينِ الإجهازَ عليهم، بل كلما فرقوا منهم طائفةً جاءتْ بعدها أخرى.

فتكاثروا على أصحابِ الحسينِ، وصاروا يقضون عليهم الواحدَ تلوَ الآخر، وكل واحد منهم يوصي صاحبَهُ بالحسينِ، وأن يهلكَ دونَهُ.

وهكذا دارتْ رحى الحربُ إلى أن ذهبَ أغلبُ أنصارِ الحسينِ شهداءَ أبراراً أتقياءَ، ولم يبقَ إلا القلةُ مع النساءِ والأطفالِ، وصدقَ عليهم قولُ اللهِ تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾.

وأستغفر الله أن أقول: سقطوا على الأرض، بل صعدوا إلى السماء وفازوا بالقدح الْمُعلَّى وشربوا كأس الْمُنى، ثم تبارزَ القومُ بعضُهم لبعضٍ، فكان يبرزُ الرجلُ من أنصارِ الحسينِ فيقاتلُ حتى يُقتلَ، ثم يخرجُ الآخرُ للمبارزةِ بعدَهُ، فبرزَ من أنصارِ الحسينِ زهيرُ بنُ القينِ فقاتلَ حتى قُتِل، ثم برزَ عابسُ بنُ شبيبٍ، فقاتلَ حتى قُتِلَ، ثم برزَ وهبُ بنُ الكلبيِّ، وكانت معه أمُّهُ وزوجتُهُ، فقالت له أمُّهُ: قمْ يا بنيَ انصر ابنَ بنتِ رسولِ اللهِ.

فقالَ: أفعلُ يا أماه، فقامت إليه زوجتُهُ وتعلقتِ بأذيالِهِ وقالت له: باللهِ عليك لا تفجعني بنفسِكَ.

فقالت أمُّهُ: لا تسمعْ قولَها، فتركَها وأقبلَ على الجهادِ، فقاتلَ حتى قطعتْ إحدى يديه، فالتفتَ إلى المخيم وإذا بزوجتِهِ حاملةً عمودَ الخيمةِ وهي تضربُ به الأعداءَ وتقولُ لزوجِها: فداكَ أبي وأمي يا وهبُ، قاتلْ دونَ الطيبين الطاهرين، فأقبلَ كي يردَّها إلى الخيمةِ، فقالَ لها: ويلكِ كنْتِ قبلَ ساعةٍ تنهينني عن القتالِ

فما حملَكِ على هذا؟ فقالت: رأيتُ شيئًا ما لي قرارٌ إليه، فقد رأيتُ الحسينَ ينادي: أما مِن ناصرٍ؟ أما مِن معينٍ، فارجعْ يا وهبُ، فقاتلْ حتى تموتَ دونَهم.

فرجعَ فقاتلَ حتى قُتِلَ (رحمه الله)، وقاتلتْ زوجتُهُ حتى تكسَّرَ عمودُ الخيمةِ وهو في يدِها، فجاءَ الحسينُ وردَّها إلى مخيمِها، وقيل: إنها قتلتْ.

ثم برزَ جونُ مولى أبي ذرٍّ الغفاري وكان عبدًا أسودَ فقالَ له الحسينُ عليه السلام: أنت في إذنٍ مني، [أي: أنت معفيٌّ من القتالِ]، فإنما تبعتَنا للعافيةِ فلا تبتلي بطريقنا.

فقالَ: يا ابنَ رسولِ اللهِ، أنا في الرخاءِ ألحسُ قصاعَكم، وفي الشدةِ أخذلُكم، واللهِ إن ريحي لنتنٌ، وإن لوني لأسودُ، وإن حَسَبي للئيمٌ، فلا واللهِ لا أفارقُكم حتى يطيبَ ريحي، ويبيضَّ وجهي، وَيَشْرُفُ حسبي ونسبي، فأذنَ له الحسينُ، فخرجَ نحوَ القومِ فقاتلَ حتى قُتِلَ (رحمه الله)، فهكذا يكون الوفاءُ، إنه عبدٌ ولا خبرةَ له بالحربِ، وقد عفاه الحسينُ، ولكنه أبى إلا يواسيهم في الملماتِ، كما يواسونه في أيامِ النعمةِ والرخاءِ.

ولما قُتِلَ جونُ مضى الحسينُ عليه السلام إلى مصرعِهِ فمسحَ الدمَ والترابَ عن وجهِهِ، ووضعَ خدَّهُ على خدِّهِ، وجعلَ يقولُ: اللهم بيضْ وجهَهُ واحشرْهُ مع الأبرارِ محمدٍ وآلِهِ الأطهارِ.

فأفاقَ جونُ وقد كان بقيَ فيه رمقٌ من الحياةِ، ونظرَ إلى الحسينِ عليه السلام بطرف خفي وهو واضعٌ خدَّهُ فوقَ خدِّهِ، فجعلَ العبدُ يفخرُ ويقولُ: مَن مثلي يضعُ ابنُ رسولِ اللهِ خدَّهُ فوقَ خدِّي، ثم توفي رحمه الله.

ثم برزَ مُسلمُ بنُ عوسجةَ فقاتلَ حتى قُتلَ، ثم برزَ حبيبُ بنُ مظاهر فقاتلَ حتى قُتلَ [رحمهم الله جميعاً].

وما زالَ أصحابُ الحسينِ يبرزونَ الواحدَ تلوَ الآخر حتى قُتلوا جميعًا رضوانُ اللهِ عليهم أجمعين.

ولم يبقَ من أنصارِ الحسينِ إلا العجزةُ والأطفالُ الذين لا قدرةَ لهم على القتالِ، وبدأوا يتدافعون إلى الحسينِ ليأذنَ لهم بالحربِ، فتقدمَ غلامانِ من بني غفار، قيل: هما أبناءُ أبي ذرٍّ الغفاريِّ رحمَهُ اللهُ، فتقدما إلى الحسينِ وهما يبكيان، وطلبا منه الأذنَ في الحربِ، فقال الحسين: مرحبًا بكما، ولكن ما يبكيكما.

فقالا له: جُعلْنا فداكَ ما على أنفسِنا نبكي، ولكن نبكي عليك، نراكَ وقد أحاطَ بكَ القومُ، ولا نقدرُ أن ندفعَ عنك ونمنعَكَ، فبرزَ الغلامان فقاتلا حتى قُتِلا رحمهما اللهُ، ثم خرجَ شابٌّ من مخيمِ الحسينِ كان قد استشهدَ أبوه في المعركةِ، وكانت أمُّهُ معه في كربلاءَ، فقالتْ له أمُّهُ: يا بنيَ اخرجْ وقاتلْ بين يدي ابنِ رسولِ اللهِ.

فخرجَ الشابُ، واستأذنَ الحسينَ، فقالَ الحسينُ: هذا قُتِل أبوه في المعركةِ، ولعل أمَّهُ تكرهُ خروجَهُ إلى القتالِ [أي: أنه لم يبقَ لها من يعولُها غيرُه].

فقالَ الشابُّ: يا سيدي، أمي هي التي أمرتني بالقتالِ، فخرجَ إلى المعركةِ ولم يزلْ يقاتلُ القومَ حتى قُتلَ رحمَهُ اللهُ.

ثم إن القومَ بعدما قتلوه احتزوا رأسَهُ ورموا به نحوَ مخيمِ النساءِ، فقامتْ إليه أمُّهُ فضمتْهُ وقبلتْهُ، ثم حملتْ عمودَ الخيمةِ وبرزتْ تقاتلُ القومَ فردَّها الحسينُ عليه السلام ومنعَها عن القتالِ.

عبادَ اللّه:

لقد مضى أنصارُ الحسينِ شهداءَ إلى رحمةِ اللهِ، ولم يبقَ سوى النساءِ والأطفالِ، وهم يتضورون عطشًا ويسألون الحسينَ عليه السلام أن يجلبَ لهم الماءَ، ويُذهبَ ما بهم من الظمإِ، وهم في حالةٍ يُرثى لها، عندها تقدَّمَ العباسُ بنُ عليٍّ أخو الحسينِ وهو آخرُ مَن تبقى من أصحابِ الحسينِ، وطلبَ من الحسينِ أن يأذنَ له في مبارزةِ الأعداءِ، فأذن له الحسينُ واعتنقَهُ، واستودعَهُ وداعًا لا اجتماعَ ولا لقاءَ بعدَه.

ثم أمرَهُ الحسينُ عليه السلام أن يستودعَ أخواتِهِ وبناتِ أخيه فدخلَ المخيمَ وجعلَ يودعُهم وداعًا لا رجوعَ بعدَهُ، وقد اشتدَّ العطشُ بالنساءِ والأطفالِ.

فقالوا له: يا أبا الفضلِ إذا انتصرتَ على الأعداءِ فأتنا بشربةٍ من ماءٍ، وأقبلتْ عليه سُكينةُ بنتُ الحسينِ تسألُهُ جرعةً من ماءٍ، ووعدهنَّ بإتيان الماءِ، وأخذَ القربةَ بكتفِهِ، والعلم بيسارِهِ وخرجَ إلى القومِ.

فلما توسطَ أرضَ المعركةِ فرُّوا من بين يديه، ولم يتجاسرْ أحدٌ أن يلقاه، فنادى العباسُ قائلًا: يا ابنَ سعدٍ، هذا الحسينُ بنُ بنتِ رسولِ اللهِ يقولُ لكم: إنكم قتلتم أصحابَهُ وإخوانَهُ وبنيه وبني أخيه، وقد بقيَ وحيدًا فريدًا مع بعضِ أهلِ بيتِهِ، وهذه نساؤُهُ وأطفالُهُ عطاشى، قد أحرقَ قلوبُهم الظمأُ، فخلوا بينه وبين ماءِ الفراتِ فإنه أشرَفَ على الهلاكِ هو وأهلُ بيتِهِ، ومع ذلك يقول لكم: دعوني أذهب إلى بلادِ الهندِ والرومِ، وأخلي لكم الحجازَ والعراقَ، فلما سمعوا كلامَهُ قالوا له: يا ابنَ أبي تراب، قل لأخيك الحسينِ: لو كان ماءُ الأرضِ تحتَ أيدينا ما سقيناكم منه قطرةً واحدةً حتى تنزلوا على حكمِ ابنِ زيادٍ أو تذوقوا الموتَ غصةً بعدَ غصةً.

عند ذلك حملَ عليهم العباسُ، وفرَّقَهم عن الماءِ بعد قتالٍ شديدٍ حتى استلمَ مشرعةَ الماءِ، فنزل عن جوادِهِ وأخذَ جرعةً من الماءِ ليشربَها فتذكرَ عطشَ أخيه الحسينِ وأهلِ بيتِهِ فرمى بالماءِ من يدِهِ، وقال: لا ذُقْتُهُ وأخي الحسينُ عطشان.

ثم ملأَ القربةَ وذهبَ يريدُ أن يوصلَها إلى مخيمِ النساءِ والأطفالِ، فأطبقَ عليه القومُ من كلِّ مكانٍ، وقطعوا عليه الطريقَ، وجعلوا يرشقونَهُ بالنبالِ حتى صارَ كالقنفذِ، وهو يدافع عن القربةِ، ثم هجموا عليه فضربوا يمينَهُ فقطعوها، وجعلَ يجاهدُ بشمالِهِ فأحاطوا به وضربوه على يسارِهِ فقطعوها، فعجزَ عن القتالِ وتكاثرَ عليه الأعداءُ، فأخذَ القربةَ بأسنانِهِ، وهو يريدُ أن يوصلَها إلى النساءِ والأطفالِ كما وَعَدَهم، فكمنوا له خلفَ نخلةٍ وضربوه بعمودٍ شدخَ رأسَهُ، وانطرحَ صريعًا

يخورُ في دمِهِ.

فصاحَ بأعلى صوتِهِ: يا أخاه، يا حسيناه، عليكَ مني السلامُ.

فلما سمعَ الحسينُ صوتَهُ انقضَّ نحوَهُ كالنسرِ، ففرَّقَهم عنه وانحنى عليه باكيَ العينِ، وحاولَ أن يجرَّ العباسَ إلى المخيمِ فأشارَ إليه العباسُ بكلامٍ خفيٍّ أن يتركَهُ في مكانِهِ، وألا يذهبَ به إلى المخيمِ وليس لديه ماءٌ كما وَعَدَهم، والقربةُ قد مزَّقَها القومُ وأراقوا منها الماءَ، فتركَهُ الحسينُ في مكانِهِ، وفاضتْ روحُهُ إلى بارئِها في رحمةِ اللهِ.

عليه سلام الله ما هبت الصَّبا *** وأعداءه منَّا لهم ألف لعنة

ولما قُتِلَ العباسُ لم يبقَ مع الحسينِ من أهلِ بيتِهِ إلا بعضُ الفتيةِ الذين هم دونَ سنِّ البلوغِ، وكان الحسينُ يحرصُ على بقائِهم.

فكانوا يتمارقون من بين الخيامِ خلسةً، ويتوجهون نحوَ الأعداءِ، والحسينُ عليه السلام يردُّهم، ويأمرُ النساءِ أن يعيدوهم ولكنهم أصروا على الخروجِ ومع كلِّ واحدٍ سيفٌ يجرُّهُ وراءَهُ قد أجهدَهُ حملُهُ لصغرِ سِنِّهِ ولِمَا به من التعبِ والظمإِ.

فبرزَ القاسمُ بنُ الحسنِ عليه السلام والنساءُ يتعلقنَ به ويحاولنَ رَدَّهُ، ولكنه أبى وقالَ: دعوني أجاهدُ بين يدي عمي الحسينِ أفديه بروحي، وأقيه بنفسي.

وكان القاسمُ هذا ابنُ أخِ الإمامِ الحسينِ وقد أوصاه عند موتِهِ أن يزوجَهُ بابنتِهِ، ولم يتمكنْ الحسينُ من تنفيذِ الوصيةِ إلا في كربلاءَ فزوَّجَهُ الحسينُ في ذلك اليوم بابنتِهِ، ولكن القاسم لم يجلس عندها ولم يرها قط.

فقالت له النسوةُ: يا قاسمُ، ما تصنعْ بعروسِكَ؟ إنك ما زلتَ عريساً فلمن تترك عرسك.

قال: أخرت عرسي إلى يوم القيامة.

ثم تقدم إلى عمِّهِ الحسينِ وطلبَ منه أن يأذنَ له في المبارزةِ، فمنعَهُ الحسينُ

وقال له: يا ابنَ أخي أتمضي إلى الموتِ؟ قال: أجلْ يا عماه، لا بدَّ من الموتِ، وجعلَ القاسمُ يقبلُ يدي عمِّهِ الحسينِ، ويلحُّ عليه في الطلبِ حتى أذنَ له في الخروجِ، ثم ألبسَهُ عمامةَ أبيه الحسنِ، وألبسَهُ ثوبًا على صورةِ الكفنِ، ثم أرسلَهُ نحوَ القومِ، ولم يكن أحدٌ من أهلِ البيتِ، بل ولا من غيرهم قد خرجَ في لباسِ الموتِ والأمواتِ إلا القاسمَ فنظرَ إليهِ القومُ وقد أدهشَهم صورةُ الكفنِ وتذكروا الآخرةَ، وكان من عادةِ العريسِ أن يلبسَ ثيابَ الزينةِ وأفخرَ الثيابِ إلا القاسم فقد ألبسوه ثيابَ الموتِ والأمواتِ، فخرجَ إلى القومِ وقاتلَهم حتى قَتَلَ منهم عدَّةَ رجالٍ، فانقطعَ حذاءَهُ فانحنى يصلحُها، فاغتنمَ أحدُ الأعداءِ الفرصةَ، فهوى عليه بالسيفِ وضربَ رأسَهُ فوقعَ القاسمُ صريعًا على وجهِهِ، وقد صبغتِ الدماءُ ثيابَهَ، فنادى بأعلى صوتِهِ: يا عماه أدركني.

فوثبَ الحسينُ عليه السلام ناحيةَ الصوتِ، وضربَ قاتلَ القاسمِ فقطعَ يدَهُ وانحنى على القاسمِ فإذا روحُهُ قد فارقتِ الحياةَ، فحملَهُ بين يديه وذهبَ به إلى المخيمِ.

ثم مَرَقَ عليُّ بنُ الحسينِ الأكبرُ من بين الخيامِ كالسهمِ إلى جهةِ الأعداءِ، وكلُّهُ شوقٌ إلى لقاءِ اللهِ، وكان أشبهَ الناسِ برسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فلما رآه الحسينُ متوجهًا نحوَ القومِ الظالمين أيسَ منه ولم يستطعْ إرجاعَهُ وأرخى عينيهِ بالدموعِ فانهملتْ على خديهِ.

ثم قال: اللهم كنْ أنتَ الشهيدَ على هؤلاءِ القومِ فقد برزَ إليهم غلامٌ أشبهُ الناسِ برسولِكَ ونبيئِكَ محمدٍ.

فقاتلَ عليٌّ الأكبرُ ساعةً، ثم عادَ إلى المخيمِ وهو يقولُ: يا أبتي، العطشُ قتلني، وثقلُ الحديدِ أجهدَني -وكان لا يقوى على حملِ السيفِ لصغرِهِ وضعفِهِ- فهل إلى شربةٍ من ماءٍ أتقوى بها على الأعداءِ، وكان من عادةِ العربِ أن إذا رجعَ إليهم الفارسُ استقبلوه بالماءِ يطفئُ به لهيبَ قلبِهِ.

وها هو علي الأكبرُ يعودُ ليسألَ أهلَهُ قطرةً من ماءٍ فلا يجدُها.

فكررَ القولَ: يا أبه، العطشُ فتتَ كبدي.

فقال له الحسينُ عليه السلام: اصبرْ حبيبي قليلًا، وارجعْ إلى القتالِ، فإنك لا تُمسي حتى تلقى جدَّكَ رسولَ اللهِ فيسقيكَ بكأسِهِ الأوفى شربةً لا تظمأُ بعدها أبدا، فهجمَ علي الأكبرُ على القومِ وقاتلَهم حتى أجهدَهُ التعبُ، وتكاثروا من حولِهِ، فطعنوه في ظهرِهِ، وضربوه على رأسِهِ، فانحنى علي على رقبةِ الجوادِ فاعتنقها، ونادى بأعلى صوتِهِ: يا أبتي عليك مني السلامُ، هذا جدِّي رسولُ اللهِ قد سقاني بكأسِهِ شربةً لا أظمأُ بعدها أبدًا، فحملَهُ الجوادُ إلى معسكرِ الأعداءِ وهو غائبٌ عن الوعي من شدةِ الضربةِ وألمِ العطشِ، فاستقبلَهُ الأعداءُ بالسيوفِ، وقطَّعوه إرباً إرباً.

فأسرعَ إليه الحسينُ عليه السلام وفرقَهم عنه فوجدَهُ صريعًا مقطعًا بالسيوفِ، فبكى الحسينُ وقالَ: على الدنيا بعدك العفا يا بني، قاتلَ اللهُ قوماً قتلوك، ما أجرأهم على اللهِ وعلى انتهاكِ حرمةِ رسولِ اللهِ.

فحملَهُ الحسينُ وجمع ما تناثرَ مِن أعضائِهِ، وذهبَ به إلى المخيمِ، ووضعَهُ بجانبِ إخوته.

وبينما هم يبكون عليه إذ جاءوا بجثةِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ جعفر، وألقوها بجانبِهِ، وما هي إلا برهةٌ قصيرةٌ حتى جاؤوا بجثةِ أخيه عونِ الولدِ الثاني لزينبَ بنتِ علي.

وهكذا تساقطَ رجالُ بني هاشمٍ الواحدُ تلوَ الآخر، فبرزَ أبناءُ جعفرٍ فقتلوا، وبرزَ أبناءُ عقيلٍ فقتلوا، وذهبوا إلى ربِّهم شهداءَ أبرارَ أتقياءَ، فرحين بما آتاهم اللهُ من فضلِهِ، ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ وقد ذكرَ صاحبُ الاعتبارِ وسلوةِ العارفين عن محمدِ بنِ الحنفيةِ أنه قالَ: قُتل مِنَّا مع

الحسينِ بنِ عليٍّ سبعةَ عشرَ شابًا كلُّهم قد ارتكضَ في بطنِ فاطمةَ بنتِ أسدٍ عليها السلام، وهؤلاءِ هم خيرةُ الخيرةِ مِن أهلِ البيتِ.

فكم قتلوا من آل أحمد سيدًا *** إمامًا زكت أعراقه ومناقبُه

فلم لا تمور الأرض حزنًا وكيف لا *** من الفلك الدوار تهوي كواكبُه

عبادَ اللّه:

بينما أهلُ البيتِ في بكاءٍ وعويلٍ على مَن ذهبَ من القتلى إذ غشي على طفلٍ صغيرٍ من شدةِ العطشِ وألمِ الظمإِ، فكان يرتعشُ من العطشِ كالطيرِ المذبوحِ يعالجُ سكراتِ الموتِ، فطلبوا من الحسينِ أن يأخذَ الطفلَ إلى القومِ لعلهم يرِقّون لحالِهِ ويرحمونَهُ بشربةٍ من الماءِ.

عندها حملَ الحسينُ عليه السلام الطفلَ بين يديه وهو يعلمُ علمَ يقينٍ أن القومَ لن يجيبوه، ولكن إبلاغًا للحجةِ حتى لا يبقى لهم عذرٌ عندَ اللهِ.

وتوجه الحسينُ إلى القومِ والطفلُ بين يديه ونادى: يا قومُ، قد قتلتم أصحابي وأهلَ بيتي، ولم يبق عندي سوى هذا الطفلِ وهو يتلظى عطشًا، ارحموه لصغرِ سِنِّهِ، فليس عليه جنايةٌ، ولا يدري ما الغايةُ، خذوه فاسقوه شربةَ ماءٍ، فإنه قد أشرفَ على الهلاكِ.

وبينما القوم في خلافٍ من أمرِهم وتنازعٍ في الذي يردون عليه والحسينُ منتظرٌ لما يجيبون إذا بسهمٍ غادرٍ قد مَرَقَ من بين القومِ فوقعَ في عنقِ الطفلِ فذبحَهُ من الوريدِ إلى الوريدِ.

فلما أحسَّ الطفلُ بحرارةِ السهمِ اعتنقَ أباه وصاحَ صيحةً عظيمةً سمعها أهلُ المعسكرِ.

فجعلَ الحسينُ يضعُ يدَهُ تحتَ دمِ الطفلِ، وكلما امتلأتْ رمى به نحوَ السماءِ فما

رجعَ منه قطرةٌ، وهو يقول: هكذا ألقى جدِّي رسولَ اللهِ على هذه الحالةِ، ثم رجعَ بهِ الحسينُ إلى المخيمِ قد غرقَ في دمائِهِ وقد فارقَ الحياةَ.

عبادَ اللّه:

رحلَ عن الحسينِ أهلُهُ وشيعتُهُ وأنصارُهُ ومن تبعَهم من الغلمانِ والأطفالِ نحوَ الفردوسِ الأعلى إلى جوارِ رسولِ اللهِ وعليٍّ والحسنِ وفاطمةَ صلواتُ اللهِ عليهم أجمعين، وبقيَ الإمامُ الحسينُ عليه السلام وحيدًا في أرضِ المعركةِ يقاسي العطشَ ونزفَ الجراحِ، والطواغيتُ يحيطون به من كلِّ مكانٍ.

فكان تارةً يكرُّ عليهم حتى يفرقَهم، وتارةً يعودُ إلى مخيمِ النساءِ يحميهن ويخففُ عليهن.

فاشتدَّ عليه العطشُ، وبلغَ به الظمأُ كلَّ مبلغٍ، فطلبَ من القومِ الماءَ، فردوا عليه في سخريةٍ واستهزاءٍ: الماءُ أمامَكَ فتقدمْ لتشربَ إن استطعتْ.

فثارت حميةُ الحسينِ وحملَ على القومِ يضربُهم ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشمالِ، واخترقَ الصفوفَ وفرقَ الجنودَ حتى وصلَ إلى الماءِ، فترجلَ عن جوادِهِ، وملأَ كفَّهُ بالماءِ، فلما أدناه من فمِهِ رماه الحصينُ بنُ نميرٍ بسهمٍ في فمِهِ فأحمرَ الماءُ في يدِهِ من الدماءِ، فصارَ الحسينُ يتلقى الدمَ بيدِهِ ثم يرمي به إلى السماءِ وهو يحمدُ اللهَ ويثني عليه، ويقولُ: اللهم إني أشكو إليكَ ما يُصنعُ بابنِ بنتِ نبيئِكَ.

رجعَ الحسينُ من على الماءِ عطشانًا قد أنهكَهُ الظمأُ ولسانُ حالِهِ.

شيعتي إذا شربتم عذبَ ماءٍ فاذكروني

شيعتي كلما هممتم بالشربِ وأدنيتم الماءَ الباردَ من أفواهِكم فتذكروا عطشي وحرَّ كبدي، وما أعانيه من الظمإِ في أرضِ كربلاءَ مع الأطفالِ والنساءِ.

عبادَ اللّه:

استفردَ الجيشُ بالحسينِ عليه السلام بعد رحيلِ أصحابِهِ عنه شهداءَ، تكالبُ القومُ

على الإمامِ الحسينِ من كلِّ جانبٍ، وأحاطوا به من كلِّ ناحيةٍ، وتكاثروا عليه، وأخذوا يرشقونه بالنبالِ، حتى أجهدَهُ التعبُ والعطشُ وكثرةُ جراحِهِ، فمالَ عن ظهرِ جوادِهِ صريعًا على الأرضِ، فتقدمَ نحوَهُ الشمرُ اللعينُ واحتزَّ رأسَهُ وهو يستغيثُ بشربةِ ماءٍ فلم يجيبوه، فذبحوه وهو عطشانُ، وسلبوه درعَه، وعرّوه من ثيابِهِ إلا سراويلَ باليةٍ لا مطمعَ فيها كان قد لبسَها خوفًا من أن تُكشفَ عورتُهُ، وداسوا جسدَهُ الشريفَ بحوافرِ الخيلِ حتى مزقوه، وتركوه ومن معه من الشهداءِ في أرضِ كربلاءَ، بلا دفنٍ ثلاثةَ أيامٍ تحتَ الشمسِ، وطعاماً للطيرِ والسباعِ، ولم يكتفوا بذلك بل توجهوا نحوَ خيامِ الأطفالِ والنساءِ، نحو حرمِ رسولِ اللهِ ﷺ وأضرموا النارَ في الخيامِ وروّعوا من تبقى من الأطفالِ، وأرهبوا النساء، وأخذوا يسلبون ما عليهن من اللباسِ والحُلي، حتى الأقنعة وما يغطين به رؤوسهنَّ، بل روي أن أحدهم رأى قرطاً [خرصاً] في أذنِ فاطمةَ الصغرى بنتِ الحسينِ فحاول أخذَهُ فلم يقدرْ فقرضَهُ وأدمى أذنها، ونزعَهُ والدمُ منها يسيل، ثم نظرَ إلى خلخالٍ في رجلي طفلةٍ صغيرةٍ فعالجَهُ وأخذَهُ، فأخذَ النسوةُ يصحن ويستغثن ولكن لا ناصرَ ولا مغيثَ، فضربوهنَّ ضربًا مؤلمًا، وساقوهنَّ كما تساق السبايا حاسرات، موثوقاتٍ بالحبالِ كالعبيدِ، ورأسُ الحسينِ عليه السلام ورؤوسُ أهلِ البيتِ الكرامِ مغروزةٌ في رؤوسِ الرماحِ تتقدمُ الموكبَ الذي يشقُّ طريقَهُ إلى دارِ الخلافةِ إلى عند يزيدَ بنِ معاويةَ في الشام، ونساءُ رسولِ اللهِ ومحارمُهُ في أسوإِ حالٍ، حاسراتٍ يدورون بهنَّ في البلدانِ، ويطوفون بهن من مكانٍ إلى مكانٍ، وكلما وصلوا إلى مدينةٍ استقبلهم أهلها وهم ينظرون إلى حرمِ رسولِ اللهِ وبناتِهِ ﷺ، ورؤوسُ أهلِ البيتِ على رؤوسِ الرماحِ، فهل هذا جزاءُ رسولِ اللهِ ﷺ؟ وهل هذه هي المودةُ التي أمرَ بها اللهُ؟ وهل هذا هو أجرُ تبليغِ الرسالةِ.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّه غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء﴾

ماذا لآل أمية عصب الشقا *** عند النبي محمد من ثار
شقيت أمية سوف تلقى ربها *** يوم القيامة خشع الأبصار

ولما دخلت النساء إلى الكوفةِ أخذَ نساءُ أهلِ الكوفةِ يبكين على نساءِ أهلِ البيتِ.

فقالت لهم أمُّ كلثوم أختُ الحسينِ سلامُ اللهِ عليهما: ويلكم يا أهلَ الكوفةِ، رجالُكم يقتلوننا ونساؤكم يبكين علينا، فقبحًا لكم، لقد جئتم شيئًا منكرًا، ثم أنشدت شعراً تقول فيه:

ماذا تقولون إن قال النبيُّ لكم *** ماذا فعلتم وأنتم آخرُ الأممِ
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي *** منهم أسارى وقتلى ضُرِّجُوا بدمِ
ما كان هذا جزائي إذ نصحتُ لكم *** أن تخلفوني بسوءٍ في ذَوي رحمي

عبادَ اللّه:

لقد ارتحَلَ أهلُ البيتِ من كربلاءَ إلى الكوفةِ، ثم من الكوفةِ إلى دمشق في رحلةٍ مضنيةٍ متعبةٍ تتقطعُ لها القلوبُ، وتنقطعُ دونها حياجينُ الصبرِ، ورأسُ الحسينِ عليه السلام في مقدمةِ الموكبِ شامخاً في الهواءِ على رأسِ رمحٍ، وكلما نظرَ النسوةُ من أهلِ البيتِ والأطفالِ إليه زادوا في البكاءِ والعويلِ، إلى أن وصلوا على أبوابِ دمشقٍ، وخرجَ الناسُ على جنباتِ الطرقاتِ يتفرجون على هذا المشهدِ المرعبِ.

قال سهلُ الشهروزي: كنت حاضرًا عند دخولِهم إلى دمشقٍ فنظرتُ إليهن فإذا فيهن طفلةٌ صغيرةٌ على ناقةٍ مهزولةٍ، وهي تنادي: (وا أبتاه وا حسيناه)، ثم

نظرَتْ إليَّ وقالت لي: أما تستحي مِن اللهِ وأنتَ تنظرُ إلى بناتِ رسولِ اللهِ، فقلتُ لها: يا بنيةُ، واللهِ ما نظرتُ إليكم نظرةً أستوجبُ بها التوبيخُ.

فقالت: من أنت؟ قلت: أنا سهلُ الشهروزي قد كنتُ في زيارةِ جدِّك رسولِ اللهِ ﷺ، فهل لك من حاجةٍ؟

فقالت: إن كان معك شيءٌ من الدراهمِ فأعطِهِ حاملَ رأسِ الحسينِ، وقل له أن يتقدمَ برأسِ أبي الحسينِ أمامَنا حتى تشتغلَ الأنظارُ إليه عَنَّا، فقد خزينا من نظرةِ الناسِ إلينا.

قال سهل: فأعطيتُ حاملَ الرأسِ كثيرًا من الدراهمِ، فتقدمَ به وسارَ به في أزقةِ دمشقٍ.

باعوا دينَهم بعرضٍ من الدنيا زهيدٍ فخسروا الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسرانُ المبينُ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾، ثم إن يزيدَ وضعَ الرأسَ بين يديه و أظهرَ ما كان يخفيه بين جنبيه من الكفرِ والنفاقِ، وأفصحَ عما يكنه من البغضِ لآلِ محمدٍ الأطهارِ وللنبيِّ المختارِ.

وقال شعراً فيه يتفاخرُ بأنه قد انتقمَ لآبائِهِ -من محمد وآله- الذين قتلَهم في بدرٍ وأحدٍ حيثُ قالَ:

ليت أشياخي ببدرٍ شَهِدُوا *** جزعَ الخزرجِ مِن وَقْعِ الأَسَلْ

لأهلُّوا واستحلُّوا فرحًا *** ثم قالوا: يا يزيدُ لا تُشَلْ

لستُ من عتبةَ إن لم انتقمْ *** من بني أحمدَ ما كان فَعَلْ

قد قتلنا القرمَ من أشياخِهم *** وعدلنا ميلَ بدرٍ فاعتدلْ

ثم ختم هذه الأبيات ببيتٍ من الشعرِ فيه رِدَّةٌ عن الإسلامِ وإنكارٌ للوحي

والقرآنِ فقالَ:

لعبــتْ هاشــمُ بالملــكِ فــلا *** خــبرٌ جــاءَ ولا وحــيٌ نــزل

عبادَ اللّه:

لقد فتحَ يزيدُ بنُ معاويةَ أبوابَ قصرِهِ فدخلَهُ البرُّ والفاجرُ ليشاهدوا رأسَ الحسينِ ونساءَه وأبناءَه وهم في أسوإِ حالٍ، وذلك قصداً منه ليشمتَ بأهلِ البيتِ ويستذلَّهم ويهينَهم، [وروي أن كان ممن حضرَ في ذلك المجلس رجلٌ نصرانيٌّ من أهل الذمةِ، فلما نظرَ إلى رأسِ الحسينِ عليه السلام وهو بين يدي يزيدَ، ورأى ما على ذلك الرأسِ من المحاسِنِ المحمديةِ، والصفاتِ الحيدريةِ، والمناقبِ الفاطميةِ، والهالةِ من النورِ التي تكسو وجهَهُ تعجبَ النصرانيُّ من ذلك، فقالَ: يا يزيدُ، لمن هذا الرأس، فقال يزيدُ: هذا رأسُ الحسينِ بنِ فاطمةَ الزهراءِ بنتِ رسولِ اللهِ.

فقالَ النصرانيُّ ومَن قتله؟ فقال يزيدُ: قتلَهُ عاملي ابنُ زيادٍ في العراقِ، حيثُ طلبَ الخلافةَ لنفسِهِ.

فقال النصرانيُّ: ومَن يكونُ أحقُّ بالخلافةِ منه وهو ابنُ رسولِ اللهِ، نبيِّكم ورسولِكم، فتبًّا لكم ولدينكم إن كان يأمرُكم بهذا العملِ، فلي دينٌ خيرٌ من دينِكم.

ثم قال: اعلم يا يزيدُ أن أبي مِن أحفادِ داوودَ النبيِّ وبيني وبينه أجدادٌ كثيرةٌ، والنصارى يعظمونني ويأخذون الترابَ من تحتِ أقدامي، وأنتم بالأمسِ كان نبيُّكم بينكم، أفتقتلون أبناءَهُ وذريتَهُ وتعذبون حريمَهُ، فقبحًا لكم.

فقال يزيدُ: لولا أن بلغني عن رسولِ اللهِ أنه قال: ((من قتل ذميّاً معاهداً كنت خصمَهُ يوم القيامة)) لقتلتك لأجلِ تعرضِكَ بهذا الكلام.

فقال النصراني: واعجباً لجهلك يا يزيدُ، أيكونُ رسولُ اللهِ خصمَ مَن قتلَ معاهدًا ولا يكون خصمَ من قَتَلَ أبناءَهَ وسَاقَ بناتَه.

فقال يزيدُ: اقتلوه لئلا يفضحنا.

فقال النصراني: أتريدُ أن تقتلَني، قال: لا بُدَّ من قتلِك، فالتفت النصرانيُّ إلى الحاضرين حولَه وقالَ: إني رأيتُ البارحةَ رسولَ اللهِ نبيَّكم وهو يقولُ لي: يا فلان، أنت معنا في الجنةِ.

ثم إنه نطقَ الشهادتين وأعلنَ إسلامَهُ من ساعتِهِ، ثم وثبَ على رأسِ الحسينِ وجعلَ يقبلُهُ ويبكي، ثم أمر يزيدُ بقتلِهِ فقُتلَ بعد ذلك، قُتلَ بعد أن علَّمَ يزيدَ الغويَّ وحاشيتَهُ الفاسدةَ درسًا في الوفاءِ والثباتِ على مبدإِ الحقِّ ولو كان في ذلك خروجُ روحِهِ، علَّمهم كيف يقولون كلمةَ الحقِّ وكيف يواجهون الباطلَ مهما كلفَ ذلك من ثمنٍ.]

عبادَ الله:

هذه قطرةٌ من مطرةٍ من سيرةِ كربلاءَ وما حملتْ في طياتِها من الأحزانِ والآلامِ، ولولا ضيقُ المقامِ لَزِدْنا، ولكنْ في القليلِ العظةُ والعبرةُ.

وهذه نبذةٌ يسيرةٌ من تاريخِ بني أميةَ وآلِ أبي سفيانَ الحافلِ بالجرائمِ والآثامِ والمجازرِ التي ارتكبوها، والتي راحَ ضحيتَها الآلافُ، والتي من أشدِّها فظاعةً وقعةُ (الحَرَّةِ) تلك الواقعةُ المؤلمةُ التي دارت رحاها في مدينةِ رسولِ اللهِ والتي كان الضحيةُ فيها هم أبناء الصحابةُ من المهاجرين والأنصارِ، وذلك عندما أمرَ يزيدُ جيشَهُ باقتحامِ مدينةِ رسولِ اللهِ ﷺ واستباحَها للجندِ ثلاثةَ أيامٍ ينهبون ويقتلون ويسلبون وينتهكون الأعراضَ ويغتصبون النساءَ الطاهراتِ من بناتِ المهاجرين والأنصارِ، وأجبروهم على أن يبايعوا ليزيدَ بيعةَ عبوديةٍ وأنهم عبيدٌ له يتصرفُ فيهم كيف يشاءُ، ومن قال: أبايعُ على سنةِ اللهِ ورسولِهِ ضُربتْ عنقُهُ، بل يقول: أبايعُ على أني عبدٌ ليزيدَ بنِ معاويةَ، وقد خُتمَ في هذه البيعةِ على أعناقِ وأيدي بقيةِ الصحابةِ على أنهم خَوَلٌ وعبيدٌ ليزيدَ.

ولقد روي أن عددَ من قُتِلَ في هذه الوقعةِ ألفٌ وسبعمائةٍ من أبناء المهاجرين والأنصارِ، وعشرةُ آلافٍ من سائرِ الناس، سوى النساءِ والأطفالِ. هذا، وقد كان الرجلُ من الأنصارِ يقولُ لمن جاءَ يخطبُ ابنتَهُ: لَعَلَّهُ أصابَها شيءٌ يومَ الحرةِ [أي: أنه لا يضمنُ بقاءها بكرًا لكثرةِ من عاث بهنَّ من جيشِ يزيدَ في تلك الأيامِ] حيث افتضوا ألفَ عذراء في تلك الواقعةِ وأحبلوا منهم الكثيرَ، فإنا للهِ وإنا إليه راجعون، وصَدَقَ رسولُ اللهِ ﷺ القائلُ: ((فسادُ أمتي على أيدي أغيلمةٍ من سفهاءِ قريشٍ)) وقوله ﷺ: ((أولُ من يبدلُ سنتي رجلٌ من بني أميةَ)) وقوله: ((إذا رأيتم معاويةَ على منبري فاقتلوه)).

فهم الشجرة الملعونة في القرآن، وهم وصمة عارٍ وشنار على كل إنسان وهم أذناب وأعوان وأنصار كل شيطان، وهم أهل المكر والكذب والخداع والزور والبهتان، فعليهم لعنة الله ولعنة الملائكة والإنس أجمعين.

عبادَ اللّه:

هذه هي الفتوحاتُ الإسلاميةُ وهذا هو الجهادُ الذي تتحدثُ عنه كتبُ التاريخِ ويمتدحون عليها بني أميةَ فإنا للهِ وإنا إليه راجعون.

فالذين فتحوا الأندلس هم الذين أحرقوا الكعبة، والذين فتحوا القسطنطينية هم الذين قتلوا الحسين، والذين فتحوا ما وراء النهر هم الذين عبثوا بالتوابين وقتلوا زيدًا ومن معه من الثائرين.

ولم يكتفِ يزيدُ بما فعلَ في المدينةِ، بل وَجَّهَ جيوشَهُ جهةَ مكةَ المكرمةِ، فرُميتْ بالمنجنيقِ من الجبالِ حتى تهدمتْ واحترقتْ؛ وذلك لإجبارِ الناسِ على السمعِ والطاعةِ ليزيدَ وعلى أن يكونوا عبيدًا له.

قالَ المسعودي: ليزيدَ أخبارٌ عجيبةٌ، ومثالبُ كبيرةٌ من شربِ الخمرِ، وقتلِ ابنِ رسولِ اللهِ، ولعنِ الوصيِّ، وهدمِ البيتِ الحرامِ وإحراقِهِ، وسفكِ الدماءِ،

واستباحةِ مدينةِ رسولِ اللهِ ﷺ، ولو لم يكن لبني أميةَ من ذنبٍ إلا ذنب الحجاجِ بنِ يوسفَ الطاغيةِ السفاحِ الذي ولَّوه أمرَ المسلمين فعاثَ فيهم قتلاً وسفكاً للدماءِ حتى قُتِلَ في سجنِهِ وحدَهُ أكثرُ من مائةِ ألفِ قتيلٍ، فاللهُ المستعانُ وإليه المصيرُ.

سيلقون يومَ الحشرِ غبَّ فعالهم *** وكل امرئ يجزى بما هو كاسبه

وأخيرا نقول:

السلامُ عليكَ يا أبا عبدِ اللهِ الحسينِ.

السلامُ عليكَ يا سبطَ رسولِ اللهِ وريحانتَهُ.

السلامُ عليكَ يا شهيدَ كربلاءَ، السلامُ عليكَ يومَ ولدتَ ويومَ استشهدتَ ويوم تبعثُ شهيدًا.

السلامُ عليكَ وعلى عبادِ اللهِ الصالحين وعلى رفقائِك في كربلاءَ.

ولعنَ اللهُ قاتليك وخاذليك ومبغضيك من يومِنا هذا إلى يومِ الدينِ، ولا عدوانَ إلا على الظالمين، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

وصلى اللهم وسلَّمَ على أبي الطيبِ والطاهرِ والقاسمِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بن هاشمٍ، وصلِّ اللهم على أخيه وابنِ عمِّهِ، وبابِ مدينةِ علمِهِ عليِّ بنِ أبي طالب.

وصلِّ اللهم على زوجتِهِ الحوراءِ فاطمةَ البتولِ الزهراءِ.

وصلِّ اللهم على ولديهما الإمامين الأعظمين أبي محمدٍ الحسنِ المقتولِ سُمًّا وأبي عبدِ اللهِ الحسينِ المقتولِ بشطِ الفراتِ عدوانًا وظلمًا.

وصلِّ اللهم على مولانا الوليِّ بنِ الوليِّ الإمامِ زيدِ بنِ علي.

وصلِّ اللهم على الإمامِ الهادي إلى الحقِّ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ بن إبراهيمَ.

وصلِّ اللهم على سائرِ أهلِ بيتِ نبيِّكَ المطهرين دعاةً منهم ومقتصدين.

وارضَ اللهم عن الصحابةِ الأخيارِ والتابعين لهم بإحسانٍ من يومِنا هذا إلى يومِ الدينِ، وارضَ اللهم عَنَّا معهم بفضلِكَ ومَنِّكَ يا كريمُ.

اللهم انصرِ الإسلامَ والمسلمين، ووَحِّدْ صفَّهم، وأعلِ رايتَهم واجمعْ كلمتَهم وانصرْهم على من عاداهم.

وأهلِكِ اللهم الكفرةَ والملحدين والصادِّين عن ذكرِك والمعادين لأوليائِكَ أينما كان كائنُهم.

اللهم فرق جمعَهم، وشتتْ شملَهم، واقطعْ دابرَهم، واكفنا بهم كيفَ شئتَ وأنى شئتَ يا جبارُ يا منتقمُ.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

عبادَ الله:

﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.

الخطبة الأولى

استشهاد الإمام زيد بن علي عليه السلام الجمعة ٢٥ محرم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ وليِّ المؤمنين، وكهفِ المظلومين، وناصرِ المستضعفين، نحمدُهُ على ما كان وعلى ما بقيَ، ونسألُهُ العفوَ والسلامةَ في جميعِ أمورِنا.

اللهم إنا نسألُكَ حسنَ الخاتمةِ والسدادَ، ونسألك التوفيقَ والرشادَ.

اللهم جنبنا البلاءَ، واصرف عنا الوباءَ، وقنا شرَّ الأعداءِ، فإنا نشهدُك وكفى بك شهيدًا أنكَ أنت اللهُ الذي لا إله إلا هو، عدلٌ في الحكمِ، قائمٌ بالقسطِ، رؤوفٌ بالعبادِ.

ونشهدُ أن محمداً عبدُكَ ورسولُكَ، وأمينُكَ على وحيك، الخاتمُ لما سبقَ، والفاتحُ لما انغلقَ، ومعلنُ الحقَّ بالحقِّ، بلغ رسالتَكَ وأدى أمانتَكَ وجاهدَ في سبيلِكَ حتى أتاه اليقينُ، فصلواتُ اللهُ عليه وعلى آلِهِ وعترتِهِ الأكرمين دائمًا أبدًا من يومِنا هذا إلى يومِ الدينِ.

أما بعدُ:

عبادَ الله:

إننا في زمنٍ هو آخرُ الزمانِ، ومحطُّ البلوى والامتحانِ، والفتنُ فيه قد عَمَّتْ، والبلايا قد طَمَّتْ، والناجي من لزمَ الصراطَ، واستمسكَ بالسنةِ والكتابِ، وسلكَ سبلَ الهداةِ المهديين من ذريةِ خاتمِ النبيين صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ القائلِ فيهم: ((إني تاركٌ فيكم ما إنْ تمسكتم به لن تظلوا من بعدي أبدًا: كتابَ اللهِ وعترتي أهلَ بيتي، إن اللطيفَ الخبيرَ نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوضَ)).

وزمنُنا هذا هو كغيرِهِ من الأزمانِ، كلُّهُ تعبٌ ومشقةٌ، مليءٌ بالآلامِ والأحزانِ والمتاعبِ والمصاعبِ، فلا يكادُ عامٌ أن يمرَّ، ولا زمنٌ أن يمضيَ إلا ويحملُ بين

طياتِهِ آلافَ المآسي والأحزان، وهذا هو طبعُ الدنيا، وهكذا هي الحياةُ كما قالَ تعالىٰ: ﴿الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾.

هـي الـدنيا وأنـتَ بهـا خبـيرٌ *** فكـم هـذا التجـافي والغـرورُ

تـدلي أهلَهـا بحبـال غـدرٍ *** فكـلٌّ في حبائلهـا أسـيرُ

عبادَ اللّه:

إنَّ الحديثَ عن الفتنِ والمحنِ ليس وليدَ اليومِ والساعةِ، بل إنَّ جذورَهُ متعمقةٌ في ذلك اليوم الذي هبطَ فيه آدمُ من الجنةِ، تاريخُهُ يمتدُ منذُ بدءِ الخليقةِ من عهدِ آدمَ وفتنةِ قابيلَ وهابيلَ وإلىٰ يومِ القيامةِ، إنه صراعٌ بين الحقِّ والباطلِ علىٰ مرِّ العصورِ، صراعٌ بين الفضيلةِ والرذيلةِ، ونحن وفي الأمسِ القريبِ تحدثنا عن قصةِ الحسينِ سلامُ اللهِ عليه ومأساةِ كربلاءَ، واليومَ نتحدثُ عن مجزرةٍ أخرىٰ، وجريمةٍ نكراءَ لا تقلُّ بشاعةً عن مجزرةِ كربلاءَ، إنها مذبحةُ نجمٍ من نجومِ أهلِ البيتِ يتكررُ معه نفسُ السيناريو والمشهدِ السابقِ في كربلاءَ، إنها محنةُ حفيدِ الحسينِ الثائرِ المثابرِ الغاضبِ للهِ مولانا الإمامِ زيدِ بنِ عليِّ بنِ الحسينِ بن عليِّ بنِ أبي طالبٍ سلامُ اللهِ عليهم أجمعين.

عبادَ اللّه:

مِن حقِّنا كمسلمين أن نُقَلِّبَ صفحاتِ التاريخِ، وأن نُنَقِّبَ بين سطورِهِ المشرقةِ ونتعرفَ علىٰ أخبارِ السابقين وأحوالِهم، وما حملت في طياتِها مِن عبرٍ وعظاتٍ ودروسٍ مستوحاةٍ من سيرِهم وتاريخِ حياتِهم ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

لا بد لنا من دراسةٍ لحياةِ القادةِ والعظماءِ والصالحين لنأخذَ منهم العظةَ

ونقتبسَ من سيرِهم العبرَ، ونستلْهِمَ من حياتِهم عبقَ الإيمانِ، لا بد من الاطلاعِ على سيرِ حياتِهم ومعاملاتِهم وعباداتِهم لأنهم أسوتُنا وقدوتُنا ونبراسُ التقوى الذي نستضيءُ بنورِهِ، ونسيرُ على خطاه، ليكونَ المرءُ على بصيرةٍ في دينِهِ، وعلى معرفةٍ بمبدئِهِ، واثقًا من نهجِ إمامِهِ الذي يقلدُهُ في أمورِ دينِهِ، يومَ يدعى كلُّ أناسٍ بإمامِهم؛ لِمَا ورد عن المصطفى ﷺ أنه قال: ((إنَّ هذا العلمَ دينٌ فانظروا عمن تأخذونَ دينكم عنه)).

ولا نكن همجًا رعاعًا أتباعَ كلِّ ناعقٍ، جهلاءَ بمعالمِ ديننا وتاريخِ قادتِنا ومن نقلدُهُم من الأئمةِ والعلماءِ، بل لقد حثَّ اللهُ في كتابِهِ على التدبرِ في سيرِ القرونِ الخاليةِ والاعتبارِ بأخبارِهم، قالَ تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

إن دراسةَ التاريخِ ليست مجردَ قصصٍ للتَّسلي نقطعُ بها وقتَ فراغِنا، وليست أساطيرَ وخرافاتٍ حاكتها أناملُ الخيالِ، بل إنها قصصٌ نيراتٌ، وسيرٌ خالدةٌ وحقيقيةٌ واقعيةٌ، صاغتها صراعاتٌ مريرةٌ بين الحقِّ والباطلِ بين أمواجِ الحياةِ المرةِ، وخطتها أسنةُ الرماحِ بالدماءِ على صدورِ الرجالِ، في السهولِ والجبالِ بجماجمَ وأشلاءَ وأنهارٍ من الدماءِ سفكتْ ظلمًا على وجهِ هذه الأرضِ.

عبادَ الله:

خذوا من أخبارِ الطغاةِ الظالمين العظةَ والعبرةَ، واجتنبوا مناهجَهم، وأعلنوا للهِ بعداوتِهم والبراءةِ منهم ومن أفعالِهم فإن المرءَ قد يشاركُ الظالمَ في ظلمِهِ إذا رَضِيَ بفعالِهِ وإن تأخرَ بهِ الزمنُ ونأى به المكانُ، وإن المرءَ قد يشاركُ الصالحين في جهادِهم وإرشادِهم ويكتبُ له من الأجرِ مثلُ ما لهم وذلك بولائِهِ لهم ورضاه بفعالِهم وصالحِ أعمالِهم.

فعلينا أن نعلنَ الولايةَ والمودةَ لأولياءِ اللهِ، ونعلنَ بالعداوةِ والبراءةِ من كلِّ ظالمٍ وطاغيةٍ متعدٍّ لحدودِ اللهِ.

ولنتخذْ من سيرِ الأولياءِ والصالحين أسوةً فإن قصصَهم خيرُ قدوةٍ ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّه فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾

عبادَ الله:

إن لنا في هذا اليومِ وقفةٌ مع طودٍ شامخٍ من أعلامِ الهدايةِ، ونبراسٍ وَضَّاء يسيرُ على نهجِهِ المتقون وأحدِ أباةِ الضيمِ.

إنه الإمامُ المجاهدُ المجددُ لدينِ اللهِ الصابرُ المثابرُ الإمامُ زيدُ بنُ عليِّ بنِ الحسينِ بنِ عليِّ بن أبي طالبٍ عليهم السلام، إمامُ الزيدية وقائدُها ومؤسسِ قواعدِها، قدوتُنا ومفخرةُ مذهبِنا.

كـلٌّ يُقّصِّـرُ عـنْ مَـدَى مِيْدَانِـهِ *** وَهُوَ الْمُجَلِّي في الكـرامِ بِـلا مِـرَا
بـاللهِ أقسـمُ إنـه لأجـلُّ مَـنْ *** بعدِ الوصيِّ سِـوَى شَـبِير وشُـبَّرَا
قَـدْ فَـاقَ سـادةَ بيتِـهِ بمَكَـارِمٍ *** غَـرَّاءَ جلَّـتْ أنْ تُعَـدَّ وتُحْصَـرَا

إنه زيدُ بنُ عليٍّ حفيدُ رسولِ اللهِ الذي بذلَ نفسَهُ ومهجتَهُ من أجلِ إصلاحِ أمرِ أمةِ جدِّهِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، الحريصُ على خدمةِ الدينِ وإصلاحِ أمرِ المسلمين، القائلُ سلامُ اللهِ عليه: (والله لوددتُ أنَّ اللهَ أصلحَ الإسلامَ بي، وأن يدي معلقةٌ بالثريا، ثم أهوي إلى الأرضِ فلا أصلُ إلا قطعًا)، وقوله عليه السلام: (واللهِ لو أعلمُ أنه تؤججُ لي نارٌ بالحطبِ الجزلِ فأقذفُ فيها وأن اللهَ أصلحَ لهذه الأمةِ أمرَها لفعلتُ).

هو حجةُ اللهِ الـذي نَعَـشَ الهُـدَى *** وحبيبُهُ بالنَّصِّ مِنْ خـيرِ الـوَرَى
ومُزَلْـزِلُ السَّـبْعِ الطِّبَـاقِ إذا دَهَـى *** ومُزَعْزِعُ الشُّمِّ الشَّـوَامِخِ إنْ قَـرَا

إنه ابنُ زينِ العابدين، وحفيدُ رسولِ ربِّ العالمين.

تربى في أحضانِ الرسالةِ، ونشأَ في مهبطِ الوحي، وترعرعَ في بيتِ النبوةِ بين

العترةِ النبويةِ الطاهرةِ، شبَّ على العفةِ والفضلِ والزهادةِ، وعلى الطاعةِ والعبادةِ، عكفَ على العلمِ والتعلمِ على يدِ والدِهِ زينِ العابدين وأخيه محمدٍ الباقرِ عليهم السلام.

قطعَ عمرَهُ منذُ نعومةِ أظفارِهِ في الطاعةِ والعبادةِ، لم يخالطِ الفسادَ والإجرامَ، ولم يدنسْ عرضَهُ بالذنوبِ والآثامِ، قالَ يومًا لأحدِ أصحابِهِ: (يا أبا قرةَ، والذي يعلمُ ما تحتَ وريدِ زيدِ بنِ علي أن زيدَ بنَ علي لم ينتهكْ للهِ محرمًا منذ عرفَ يمينَهُ من شمالِهِ) وقالَ سلامُ اللهِ عليه: (واللهِ ما كذبتُ كذبةً منذ عرفتُ يميني من شمالي، ولا انتهكتْ محرماً منذ عرفتُ أن اللهَ يؤاخذُ به).

ما زال مذ عقدت يداه إزاره *** لم يدري كذبًا في المقال ولا افترى

حتى تكامل فيه كل فضيلة *** وغدا بأفق المجد بدرًا نيِّرا

اللهُ أكبرُ

ما أطهرَها مِن نفوسٍ، وما أنقاها من قلوبٍ، حقًّا إنها أخلاقُ أبناءِ الأنبياءِ تناقلَتْها أصلابُ الرجالِ، وحقيقٌ لمن كان أبوه زينُ العابدين، وسيدُ الساجدين وجدُّهُ رسولُ اللهِ أن ينشأَ نشأةَ آبائِهِ، وأن يسيرَ على نهجِهم، ولا غرابةَ فالفرعُ من تلك الشجرةِ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾

حقًّا ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِى خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾.

عبادَ الله:

هذا هو زيدُ بنُ عليٍّ عليه السلام إمامُنا ورمزُ مذهبِنا، هذا هو قدوتُنا معشرَ الزيديةِ، ومن إليه ننتسب.

أفقه أهل زمانه وأعلمهم وأتقاهم وأحلمهم، وأشجعهم وأوفاهم وأكرمهم

مــن قــام في ذات الإلــه مجاهــدًا *** ولحصــد أعــداء الإلــه مشــمرا

وحق لنا أن نفخرَ أن يكونَ إمامُنا حفيدُ رسولِ اللهِ، من خيرِ شجرةٍ، وأشرفِ نسلٍ، وأطهرِ سلالةٍ، وأكرمِ أرومةٍ، أعلمَ الناسِ بكتابِ اللهِ، وأعلاهم فضلًا، وأكرمَهم نفسًا، وأفصحَهم لسانًا.

أبوه سيدُ الساجدين، وجدُّهُ سبطُ رسولِ اللهِ، وابنُ فاطمةَ الزهراء، القائلُ فيهم عزَّ مِن قائلٍ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾

فكلُّنا نثقُ أننا على الحقِّ والصراطِ السويِّ وفي الطريقِ المستقيمِ، كيف لا ورسولُ اللهِ الذي أوصى بهم، وأمرَ باتباعِهم، فقالَ: ((إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً: كتابَ اللهِ وعترتي أهلَ بيتي، إن اللطيفَ الخبيرَ نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوضَ))، فأهلُ البيتِ هم وصيةُ رسولِ اللهِ وعلى رأسِهم إمامُ الأئمةِ زيدُ بنُ عليٍّ عليه السلام، وليس هذا مِنَّا تعصباً لأنفسِنا أو تحيزاً مع إمامِنا بلا دليلٍ، بل لقد شهدتْ علماءُ الأمةِ، وأجمعَ كبراءُ الأئمةِ من المخالفين والموالفين على فضلِ الإمامِ زيدٍ وغزارةِ علمِهِ، حتى ذاعَ صيتُهُ في الآفاقِ، وشُدَّتْ إليه الرحالُ.

لما رأيت الناس قـد أضـحوا عـلى *** جـرف مـن الـدين الملفـق هـارِ

تابعـــت آل محمـــد متيقنًـــا *** أن اتبـــاعهم مـــراد البـــاري

وقفـوت نهـجَ أبي الحسـين ميممًـا *** منــه ســبيلا واضــح الأنــوار

قالَ عنه أبو حنيفةَ، أحدُ الفقهاءِ الأربعةِ وإمامُ مذهبِ الحنفيةِ: (شاهدتُ زيدَ بنَ عليٍّ كما شاهدتُ أهلَهُ فما رأيتُ في زمانِهِ أفقهَ منه، ولا أعلمَ، ولا أسرعَ جوابًا، وكان منقطعَ النظير).

بل كان من تلامذةِ الإمامِ زيدٍ وأتباعِهِ، وقد أوصى بالجهادِ معه وأعانَهُ بثلاثين ألفَ درهمٍ.

وقالَ عنه الشعبيُّ: (ما ولدتِ النساءُ أفضلَ من زيدِ بنِ عليٍّ).

وكان الجاحظ يفاخرُ بالإمامِ زيدٍ عليه السلام ويثني عليه أبلغَ الثناءِ، وكان الإسكافيُّ وغيرُهُ من كبارِ المعتزلةِ يتفاخرون بالإمامِ زيدٍ وينتسبون إليه ويقولون: نحن زيديةٌ.

وأبلغُ دليلٍ على أفضليةِ الإمامِ زيدِ بنِ عليٍّ عليه السلام شهادةُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله له بأنه داعي حق، وصاحبُ حقٍّ حين قال: ((يُقتلُ رجلٌ من ولدي يُدعى زيدًا بموضعٍ يعرفُ بالكناسةِ، يدعو للحقِّ يتبعُهُ عليه كلُّ مؤمنٍ)).

فهذه شهادةٌ ممن لا ينطقُ عن الهوى بأن الإمامَ زيدًا على الحقِّ، وشهادةٌ أخرى نبشرُ بها كلَّ أتباعِ الإمامِ زيدٍ عليه السلام بأنهم مؤمنون بنصِّ حديثِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله حين قال: ((يتبعُهُ عليه كلُّ مؤمنٍ))، ويعضدُ هذا القولَ حديثٌ آخرُ وبشارةٌ أخرى تضافُ إلى أدلةِ الزيديةِ وشيعةِ الإمامِ زيدٍ وأتباعِهِ بأنهم على الحقِّ وذلك قوله صلى الله عليه وآله للحسين عليه السلام: ((يا حسينُ، يخرجُ من صلبِكَ رجلٌ يقالُ له: زيد يتخطى هو وأصحابُهُ يومَ القيامةِ رقابَ الخلقِ، غرًّا محجلين يدخلون الجنةَ بغيرِ حسابٍ)) فأيُّ إمامٍ وردَ في حقِّهِ مثلُ هذه الشهادةِ، وأيُّ أتباعِ مذهبٍ لهم مثلُ هذه البشائر.

عبادَ الله:-

إذا لم يكن الإمامُ زيدٍ على حقٍّ وصوابٍ فمع مَن يكونُ الحقُّ؟

وأيهما أحقُّ بالإتباعِ الذي أخذَ علمَهُ من علماءِ العجمِ، وتتلمذَ على أيدي علماءِ السوءِ الذين باعوا دينَهم بعرضٍ من الدنيا؟

أم الذي تلقَّى علمَهُ غضًّا طريًّا من علماء حلماء، واستقاه من منبعٍ صافٍ عذبٍ زلالٍ، وسمعَهُ من أفواهِ طاهرةٍ صادقةٍ، عن أبيه زينِ العابدين عن جدِّهِ

الحسينِ سبطِ رسولِ اللهِ الذي تربى في أحضانِ جدِّهِ رسولِ اللهِ، وتعلمَ عنه أحكامَ دينِهِ، فإذا تكلم قالَ: حدثني أبي عن جدي عن رسولِ اللهِ، ما أطهرَها من سلسلةٍ ذهبيةٍ وما أوثقه من سندٍ، فهل بعدَ الحقُّ إلا الضلال ﴿أَفَمَنْ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّى إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

لقد كان عليه السلام يُعرفُ في عصرِهِ بحليفِ القرآنِ؛ وذلك لكثرةِ ملازمتِهِ له وانشغالِهِ بقراءتِهِ.

فقد روي بأنه عكفَ على القرآنِ ثلاثةَ عشرَ سنةٍ يرتلُ آياتِهِ، ويتدبرُ معانيه، ويتأملُ أحكامَهُ حتى أحاطَ علماً بدقائقِهِ وغرائبِهِ، ومحكمِهِ ومتشابهِهِ، بل لقد كانَ أوَّلَ مَن فسَّرَ غوامضَهُ وكتبَ عن غرائبِهِ، وهو أولُ من فتحَ بابَ الاجتهادِ على مصراعيه، وأولُ من قامَ بجمعِ الحديثِ وتدوينِهِ حفاظاً عليه وصيانةً له من الدسِّ والتحريفِ، فألفَ المجموعَ الحديثي والفقهي، وهما من أولِ ما أُلِّفَ في ذلك الشأنِ. قال مولانا مجد الدين قدس الله روحه في لوامع الأنوار: إنه أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى، وإنه متلقى بالقبول عند آل محمد خلف عن سلف.

وإن من فضائلِ الإمامِ زيدٍ عليه السلام أن بشرَ بهِ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، ونعاه لأمتِهِ قبل وجوده؛ وذلك تأكيداً منه على فضلِهِ وحثٌّ للناسِ على اتباعِهِ واقتفاءِ أثرِهِ؛ حيث قالَ صلى الله عليه وآله وسلم: ((خيرُ الأولين والآخرين المقتولُ في اللهِ، المصلوبُ في أمتي، المظلومُ في أهلِ بيتي- سميُّ هذا، ثم ضَمَّ زيدَ بنَ حارثةٍ إليه، ثم قال: يا زيدُ، لقد زادَكَ اسمُكَ عندي حُبًّا سمي الحبيبِ من أهلِ بيتي)).

وعن أنسِ بنِ مالكٍ، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: ((يُقتلُ رجلٌ من ولدي يُدعى زيدًا بموضعٍ يُعرفُ بالكناسةِ، يدعو إلى الحقِّ، يتبعه عليه كلُّ مؤمنٍ)).

جعلَنا اللهُ وإياكم من المتبعين لرسولِهِ، الحافظين حقَّهُ في عترتِهِ وأهلِ بيتِهِ

الموالين لأوليائِهم، والمعادين لأعدائِهم، وأن يرزقَنا في الدنيا حُبَّهم، وفي الآخرة شفاعتَهم إنه سميعٌ قريبٌ مجيبٌ.

أقولُ ما تسمعون وأستغفرُ اللهَ العظيمَ الجليلَ لي ولكم من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

الخطبة الثانية

استشهاد الإمام زيد بن علي عليه السلام الجمعة ٢٥ محرم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي غَمَرَ صفوةَ عبادِهِ بلطائفِ التخصيصِ طولًا وامتنانًا، وألَّفَ بين قلوبِهم فأصبحوا بنعمتِهِ إخوانًا، ونزَعَ الغلَّ من صدورِهم فظلوا في الدنيا أصدقاءَ وأعوانًا وفي الآخرة على سررٍ إخوانا.

وأشهدُ ألا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له ولي الصالحين.

وأشهدُ أن محمداً عبدُهُ ورسولُهُ سيدُ الأولين والآخرين، صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ قرناءِ الكتابِ، مَن بذلوا أرواحَهم في سبيلِ إتمامِ نورِ الهدايةِ لهذه الأمةِ.

وبعدُ

عبادَ الله:

سبقَ وأن تكلمنا عن فاجعةِ كربلاءَ والمجزرةِ البشعةِ التي نفذها العدوانُ الغاشمُ من الأمويينَ ومَن والاهم في حقِّ الحسينِ وأهل بيتِهِ عليهم السلام، والتي أودت بحياةِ سبطِ رسولِ اللهِ، وانتهتْ بقطعِ رأسِهِ وتمزيقِ جسدِهِ تحتَ حوافرِ الخيولِ، وقتلِ الأبرياءِ والأطفالِ من أهلِهِ وأصحابِهِ، وما تلى ذلك من هَتْكِ سترِ نساءِ أهلِ البيتِ وحملهن على ظهورِ الجمالِ والبغالِ يطوفون بهنَّ البلدانَ، ويذيقونهنَّ الهوانَ، ورأسُ الحسينِ عليه السلام ورؤوسُ أهلِ بيتِهِ ومحبيه في مقدمةِ الصفوفِ على رؤوسِ الرماحِ.

والنساءُ والأطفالُ يجهشونَ بالبكاءِ والنحيبِ لفراقِ أهلهم وذويهم، وحق للعيونِ أن تذرفَ الدموعَ على أطفالٍ يُتموا ونساءٍ رملوا، ورؤوسٍ قُطِّعَت وفُصِلَت عن أجسادِها بعد أن هلكتْ من الظمإِ.

إن الموقفَ أكبرُ من أن يوصفَ، إنها مأساةٌ وإجرامٌ وهمجيةٌ تعدتْ كلَّ المقاييسِ.

واليومَ وفي نفسِ الشهرِ الحرامِ الذي رحلَ فيه الحسينُ تكررَ مشهدٌ آخرُ ومجزرةٌ أخرى بنفسِ الإجرامِ والوحشيةِ مع عَلَمٍ بارزٍ من أعلامِ الهدى، وشخصيةٍ مرموقةٍ من رموزِ الحقِّ والفضيلةِ من أئمةِ الهدى والدينِ، مع زيدِ بنِ عليٍّ عليه السلام من قِبلِ الطغاةِ أبناءِ الطلقاءِ من بني أميةَ المدمنين على أكلِ لحومِ الأبرياءِ والمتعطشين لشربِ الدماءِ، ولا غرابةَ فهم أتباع هندٍ آكلةِ كبدِ حمزةَ يومَ أحدٍ، ومن يشابه أباه فما ظلم.

ماذا تقولون إن قال النبي لكم *** ماذا فعلتم وأنت آخر الأمم

بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي *** منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدمِ

ما كان هذا جزائي أن نصحت لكم *** أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

عبادَ الله:

لم يكد الجرحُ أن يندملَ، والدموعُ أن تجفَّ من بعد مأساةِ الحسينِ عليه السلام حتى أعاد بنو أميةَ نفسَ المسلسلِ الإجرامي مع حفيدِهِ الوليِّ المثابرِ زيدِ بنِ عليٍّ عليه السلام.

لم يكتفِ بنو أميةَ بما خلفوه من مخازٍ وجرائمَ في حقِّ الحسينِ عليه السلام وأهلِ بيتِهِ، فلا يكادون يغمدون سيوفَهم من مجزرةٍ حتى يسلوها من جديدٍ لمجزرةٍ أخرى.

عبادَ الله:

لقد كان تاريخُ بني أميةَ تاريخًا أسودَ مظلماً حافلاً بالمخازي والمساوئ منذ أن تولوا أمورَ المسلمين بالقهرِ والغلبةِ، يسومونهم سوءَ العذابِ يقتلون أبناءَهم ويستحلون نساءهم.

استحوذوا على بيتِ أموالِ المسلمين بعد أن حرموها الضعفاءَ والمساكين، فشادوا بها القصورَ، وعمروا بها القلاعَ، واشتروا الجواريَ والغلمانَ والوصائفَ الحسانَ، واتخذوا الحجَّابَ على الأبوابِ، وطردوا العلماءَ والصالحين من مجالسِهم، وآووا الشعراءَ والمغنياتِ والراقصاتِ في قصورِهم، واستباحوا

المنكراتِ، وشربوا المسكراتِ، وأقاموا السمراتِ على آلاتِ اللهوِ والغناءِ والرقصِ والخلاعاتِ.

واستحلوا المحارمَ، فلبسوا الحريرَ، وتحلوا بالذهبِ، والناس عرايا جوعى يقتاتون الفتاتَ، ومع ذلك يزعمون زورًا أنهم خلفاءُ اللهِ في أرضِهِ والقائمين بأمرِهِ.

يفترون على اللهِ الكذبَ قاتلَهم اللهُ أنى يؤفكون.

كيف وهم الذين لم يرقبوا في المسلمين إلًّا ولا ذمةً، ولم يدعوا محرمًا إلا هتكوه، ولا منكرًا إلا ارتكبوه، استباحوا دمَ الحسينِ فذبحوه، وهتكوا حرمةَ البيتِ الحرامِ فهدموا الكعبةَ وأحرقوها بقيادةِ الحجاجِ.

واستباحَ يزيدُ المدينةَ المنورةَ لجيشِهِ ثلاثةَ أيامٍ بقيادةِ مسلمِ بنِ عقبةَ فقتلوا رجالَها ألفًا وسبعَ مائةٍ من أبناءِ المهاجرين والأنصارِ، وعشرةَ آلافٍ من سائرِ الناس، وأفتضوا أكثرَ من ألفِ عذراءَ من بناتِ المهاجرين والأنصارِ، وجبروا الناس على بيعةِ يزيدَ بالعبوديةِ على أنهم عبيدٌ له يتصرفُ فيهم كيفما شاءَ.

فهذه هي كراماتُ بني أميةَ، وهذه هي الفتوحاتُ الإسلاميةُ التي يدعونها ويتغنون بها، وهذه هي بعضُ نماذجَ من تاريخِ بني أميةَ وولاتِهم الذين ينقضون عهدَ اللهِ من بعدِ ميثاقِهِ، ويقطعون ما أمرَ اللهُ به أن يوصلَ ويفسدونَ في الأرضِ، أولئك هم الخاسرون.

فقل لبني أمية حيث حلوا *** وإن خفت المهند والنجيعا

أجاع الله من أشبعتموه *** وأشبع من بظلمكم أجيعا

أيُّ دينٍ ينتمي إليه أمثالُ هؤلاء؟ وأيُّ شريعةٍ يتبعون؟

فالعجيبُ أن تسمعَ في هذا الزمانِ من يترحمُ عليهم ويدافعُ عنهم ويواليهم.

بأيِّ فضيلةٍ نمدحُهم؟ وأي خيرٍ قدموه للإسلامِ وأهلِهِ غيرَ الهدمِ والظلمِ، وتجويعِ الضعفاءِ والمحرومين، لا سيما أهلَ البيتِ الذين أذاقوهم الأمرَّين، وحرصوا على إبادتِهم وإهانتِهم، وأمعنوا في مضايقتِهم ومطاردتِهم فأنزلَ يزيد

بن خالد القسري عامل هشام على المدينةِ بالإمامِ زيدٍ وأهلِ بيتِهِ أشدَّ الأذى فصبرَ على ذلك، واحتسبَ عند اللهِ الثوابَ حتى ضاقتْ نفسُهُ، فذهب يشكوه إلى هشامِ بنِ عبدِ الملكِ فلم يأذن له هشامٌ بالدخولِ، فكتبَ له كتاباً، فكتب هشامٌ في أسفلِها: ارجعْ إلى منزلِكَ.

فقال زيد: واللهِ لا أرجعُ أبدًا.

فأذن له بالدخولِ فأهانَهُ واستذلَّهُ ولم ينصفْهُ ممن ظلمَهُ.

وروي أن يهوديًّا كان في مجلسِ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ يسبُّ رسولَ اللهِ ﷺ فانتهرَهُ الإمامُ زيدُ عليه السلام وقال: يا كافرُ، أما واللهِ لئن تمكنتُ منكَ لاختطفنَّ روحَك، فقال له هشامٌ: مهٍ يا زيدُ، لا تؤذِ جليسَنا. انظرْ إلى أي مدى بلغَتْ بهمُ الوقاحةُ والعداءُ للدينِ وأهلِهِ يأتي هشامُ بنُ عبدِ الملكِ فينصبُ نفسَهُ خليفةً للمؤمنين ويفتحُ بابَ الإمارةِ لليهودِ والكفرةِ ويمنعُ عنها المؤمنين البررةَ فيتجرأُ ذلك اليهوديُّ على النيلِ مِن رسولِ اللهِ ﷺ على مرأى ومسمعٍ من إمامِ المسلمين الكاذبِ وأعوانِهِ الخونةِ فيقومُ الإمامُ زيدٌ ليدافعَ عن رسولِ اللهِ فيقفُ في وجهِهِ هشامٌ ليدافعَ عن اليهوديِّ على حسابِ عرضِ رسولِ اللهِ، فإنا للهِ وإنا إليه راجعون، ولم يكتفِ هشامٌ وأعوانُهُ بذلك، بل لقد تآمروا على إذلالِ الإمامِ زيدٍ عليه السلام فادعى خالدُ القسريُّ زوراً أن عند الإمامِ زيدٍ له ديناً، وعندما زادَ الظلمُ بالمسلمين، واشتدَّ الأمرُ وعظمَ على المستضعفين قررَ الإمامُ زيدٍ عليه السلام الانتصارَ للأمةِ، ورفعَ الظلمِ عنها، وإحياءَ السننِ، وإماتةَ البدعِ، والقضاءَ على المنكراتِ.

رجعَ الإمامُ زيدٌ من عندِ هشامٍ كئيبًا حزينًا لم يجيبوا له طلبًا، بل زادوه سخريةً وإهانةً وإذلالًا، وفي طريقِهِ إلى المدينةِ لحقَهُ أهلُ الكوفةِ، ووعدوه النصرةَ والعونَ فلم يسمعْ لقولِهم لِمَا يعلمُ من خدعِهم ومكرِهم، فضمنوا له مائةَ ألفِ مقاتلٍ يقاتلون بين يديه، وأعطوه العهودَ والمواثيقَ البالغةَ على ذلك فقبلَ منهم، فعلمَ بخبرِهِ يوسفُ بنُ عمرَ الثقفيُّ والي العراقِ فجدَّ في طلبِهِ، فأعلنَ الإمامُ زيدٍ

الجهادَ قبلَ أوانِهِ، ودعا أنصارَهُ وأتباعَهُ فانقلبوا على أعقابِهم وخذلوه كما خذلوا جدَّهُ الحسينَ عليه السلام.

فلم يستجب له إلا ثلاثُمائةِ رجلٍ خرجَ بهمُ الإمامُ زيدٍ ليواجهَ جيوشَ بني أمية التي بلغتْ خمسةَ عشرَ ألفِ مقاتلٍ أو يزيدون، وبدأتِ المعركةُ وثبتَ الإمامُ زيدٍ وأنصارَهُ ثباتَ الجبالِ، وقاتلوا قتالًا عظيمًا مدةَ ثلاثةِ أيامٍ، ووقفت جموعُ بني أميةَ عاجزةً أمامَ إيمانِ تلك الثلةِ المؤمنةِ.

وتراجعت خيولُهم القهقرى، وشارفَ الإمامُ زيدٍ على النصرِ وأوشكَ على الظفرِ.

يـــا ليتنـــي كنـــت الفـــداء وأنـــه *** لم يجر فيه من الأعادي ما جرى

بـــاعوا بقتلـــك ديـــنهم تبًّـــا لهـــم *** يا صفقة في دينهم مـا أخســـرا

ولكن الأمويين استعانوا بالسهامِ والنبالِ، فرشقوا الإمامَ وجيشَهُ بالسهامِ فانهالت عليهم كوابلِ المطرِ من كلِّ جانبٍ، وانطلق من بين تلك السهامِ سهمٌ غادرٌ استقرَ في جبينِ الإمامِ عليه السلام فبلغَ الدماغَ، ولفظَ الإمامُ زيدٍ نفسَه، وفاضتْ روحُهُ الشريفةُ كريمةً عزيزةً إلى بارئِها، قد أدت واجبَها وأبلغت جهدَها، وذلك في آخر جمعةٍ من محرمِ الحرامِ سنة ١٢٢هـ وعمره ٤٦ سنةً، رحل إمامُ الأمةِ وقائدَها، رحلَ بعد أنْ أبلى بلاءً حسنًا في نصرةِ المستضعفين، ورفعِ الظلمِ عنهم، رحل وأوصى ولدَهُ يحيى بأن يواصلَ المشوارَ قائلاً: (يا بُنيَ، جاهدِ القومَ، واللهِ إنك لعلى الحقِّ، وهم على الباطلِ، وإن قتلاك في الجنةِ وقتلاهم في النارِ).

عبادَ اللّه:

تولى يحيى بنُ زيدٍ أمرَ أبيه بعد موتِهِ فجهزَهُ وصلى عليه ثم أخرجَهُ ليلًا مع مَن يثقُ بهِ من أنصارِهِ ثم دفنَهُ وأخفى قبرَهُ، وأجرى على قبرِهِ الماءَ لئلا يُعرفَ مكانَهُ، ولكن بني أميةَ كانوا له بالمرصادِ فلم يكتفوا بقتلِهِ، بل جدوا في البحثِ عن

موضعِ قبرِهِ حتى وجدوه ثم نبشوا القبرَ وأخرجوا جسدَهُ الشريفَ، وفصلوا رأسَهُ وأرسلوه إلى هشامِ بنِ عبدِ الملكِ ليتسلى به، ثم أُرْسِلَ إلى المدينةِ، ونصبَ في مسجدِ رسولِ اللهِ، وأمرَ الناسَ بلعنِهِ ولعنِ الحسينِ وعليٍّ سبعةَ أيامٍ ثم بعثوا به إلى مصرَ وفيها دُفنَ.

وصلبوا جسدَهُ الطاهرَ على جذعِ رمانٍ في مكانٍ يُعرفُ بالكناسةِ عريانًا بعد أن جردوه من ثيابِهِ.

فأرسلَ اللهُ له العنكبوتَ فنسجت خيوطَها ليلًا على عورتِهِ، فلما أصبحَ الصباحُ أبعدوا النسيجَ فبدت العورةُ، فعادتِ العنكبوتُ لتسترَها وعادوا في الصباحِ ليكشفوها، ولم يعتبروا بكرامةِ اللهِ، ولم يستحوا أن تجردَ عورةُ حفيدِ رسولِ اللهِ أمامَ أعينِ الناظرين، وهو القائل ﷺ: ((يُصلبُ رجلٌ من أهلِ بيتي بالكوفةِ عريانَ لا ينظرُ أحدٌ إلى عورتِهِ متعمدًا إلا أعماه اللهُ عزَّ وجلَّ يومَ القيامةِ)).

صلبوه عريانًا على الجذع الذي *** لو كان يدري مَن عليه تكسرا

واستنزلوه وضرموا نيرانهم *** كي يحرقوا الجسم المصون الأطهرا

أكذا حبيب الله يا أهل الشقا *** وحبيب خير الرسل ينبذ في بالعرا

نسجت عليه العنكبوت خيوطها *** ضنًّا بعورته المصونة أن تُرى

ولجده نسجت قديما إنها *** ليد يحق لمثلها أن تشكرا

فعند ذلك استرسلت لحمةٌ من جسدِهِ وتدلت من أمامِهِ وخلفِهِ حتى سترت عورتَهُ، ومكثَ مصلوبًا على ذلك الجذعِ خمسَ سنواتٍ، فكانت تفوحُ من جسدِهِ الطاهرِ رائحةٌ أشبهُ بالمسكِ، فكان الناسُ يأتونَ إلى مكانِهِ التماسًا للبركةِ وازدادَ وفودُ الناسِ لرؤيتِهِ، وكثرَ محبيه، واشتهرَ خبرَهُ بين الناسِ وانقلبَ السحرُ على الساحرِ فقد أرادوا بصلبِهِ إهانتَهُ وأعزَّهُ اللهُ وأكرمَهُ وقُصدَ من كلِّ مكانٍ، فأمر الوليدُ بنُ يزيدَ بإنزالِهِ من مكانِهِ وإحراقِ جسدِهِ حتى إذا صارَ رمادًا ذروه بين

نهرِ الفراتِ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾

فتجمعَ الرمادُ بين ماءِ النهرِ كهالةِ القمرِ يشعُّ نوراً يُرى للعيانِ.

فسلامُ اللهِ عليه يومَ ولدَ ويومَ استشهدَ ويومَ يبعثُ حيًّا، وسلامُ اللهِ على أصحابِهِ وشيعتِهِ ومحبيه من يومِنا هذا إلى يومِ الدينِ.

عبادَ الله:

هذا هو تاريخُ بني أميةَ، وهذه سنةُ الأمويين وسيرةُ أولِهم وآخرِهم وأخلاقُ أبناءِ الطلقاءِ، هؤلاءِ ذريةُ آكلةِ الأكبادِ أبناءُ معاويةَ بنِ أبي سفيانِ الذي قالَ عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إذا رأيتم معاويةَ على منبري فاقتلوه))، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((فسادُ أمتي على أيدي أغيلمةٍ من قريشٍ))، وقوله: ((أولُ من يُبدلُ سنتي رجلٌ من بني أميةَ)).

فقد كانت أيام معاويةُ نقطةَ تحولٍ في التاريخِ الإسلاميِّ وبدايةَ انحرافٍ عن نهجِ اللهِ القويمِ، فدولةُ الأمويين كانت أهمَّ المصائبِ التي بُلِيَ بها الدينُ وتليها دولةُ العباسيين واللتان كان لهما أبلغُ الأثرِ في هدمِ الدينِ وإلحاقِ الأذى والضررِ بالمسلمين وشتمِ أهلِ البيتِ المطهرين فاطمةَ عليها السلام وعليٍّ والحسينِ وزيدٍ، وقتلِ أبناءِ الأنبياءِ وتفريقِ الرؤوسِ عن الأجسادِ، يعيثون في الأرضِ الفسادَ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء﴾

ألا وصلوا وسلموا على مَن أمَرَكم اللهُ بالصلاةِ عليه، أبي الطيبِ والطاهرِ والقاسمِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ، وعلى أخيه ووصيه، وبابِ مدينةِ علمِهِ الليثِ الغالبِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ، وعلى زوجتِهِ الحوراءِ خامسةِ أهلِ الكساءِ فاطمةَ البتولِ الزهراءِ، وعلى ولديهما الإمامين قاما أو قعدا أبي محمدٍ الحسنِ المسمومِ، وأبي عبدِ اللهِ الحسينِ المظلومِ، وعلى التقيِّ الوليِّ الإمامِ الأعظمِ

زيدِ بنِ عليٍّ، وعلى إمامِ اليمنِ محيي الفرائضِ والسننِ الهادي إلى الحقِّ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ بنِ إبراهيمَ، وعلى مَن بيننا وبينهم من الأئمةِ الهادين دعاةً منهم ومقتصدين، وارضَ اللهم عن الصحابةِ الأخيارِ، وعنا معهم بِمَنِّكَ، وكرمِكَ يا أرحمَ الرحمين.

اللهم انصرِ الإسلامَ والمسلمين، وأعزَّ أولياءَ الدينِ.

اللهم وحِّدْ كلمةَ المسلمين وأعلِ مقامَهم، وثبتْ أقدامَهم، وأثبْهم فتحًا قريبًا.

اللهم دمِّرِ الكفرةَ والملحدين والجاحدين والمخربين.

اللهم شتتْ شملَهم، واطفِ نارَهم، واجعلِ الدائرةَ عليهم واجعلْهم غنيمةً للمسلمين، وعبرةً للمعتبرين، وأنزلْ عليهم بأسَكَ الذي لا يُرَدُّ عن القومِ الظالمين.

اللهم اسقنا الغيثَ وأمنا من الخوفِ، ولا تجعلنا من القانطين، ولا تهلكنا بالسنين برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمين، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

عبادَ الله:

﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

فاذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يذكرْكم، واشكروه على نعمِهِ يزدِكم ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.

تم بحمد الله

الفهرس

السعادة المنشودة ٣
الخطبة الأولى ٣
السعادة المنشودة ٩
الخطبة الثانية ٩
التوبة ١٤
الخطبة الأولى ١٤
التوبة ٢٢
الخطبة الثانية ٢٢
حقوق المساجد ومكانتها في الإسلام ٢٨
الخطبة الأولى ٢٨
حقوق المساجد ومكانتها في الإسلام ٣٦
الخطبة الثانية ٣٦
أول جمعة في شهر رمضان ٤٢
الخطبة الأولى ٤٢
أول جمعة في شهر رمضان ٤٦
الخطبة الثانية ٤٦
في الذكر ٥٢
الخطبة الأولى ٥٢
في الذكر ٥٨
الخطبة الثانية ٥٨
في العشر الأواخر لشهر رمضان ٦٥
الخطبة الأولى ٦٥

في العشر الأواخر لشهر رمضان ٧١
الخطبة الثانية ٧١
عيد الفطر ٧٥
الخطبة الأولى ٧٥
عيد الفطر ٨٢
الخطبة الثانية ٨٢
عيد الأضحى ٨٦
الخطبة الأولى ٨٦
عيد الأضحى ٩٣
الخطبة الثانية ٩٣
الابتلاء ٩٧
الخطبة الأولى ٩٧
الابتلاء ١٠٢
الخطبة الثانية ١٠٢
حقائق الدارين ١١١
الخطبة الأولى ١١١
حقائق الدارين ١٢١
الخطبة الثانية ١٢١
الإيمان بالغيب ١٢٩
الخطبة الأولى ١٢٩
الإيمان بالغيب ١٣٦
الخطبة الثانية ١٣٦
الاستعداد لليوم الآخر ١٤٣
الخطبة الأولى ١٤٣
الاستعداد لليوم الآخر ١٥١
الخطبة الثانية ١٥١

في الموت ١٥٣
الخطبة الأولى ١٥٣
في الموت ١٥٩
الخطبة الثانية ١٥٩
السفر الطويل ١٦٣
الخطبة الأولى ١٦٣
السفر الطويل ١٧١
الخطبة الثانية ١٧١
أهوال القيامة ١٧٨
الخطبة الأولى ١٧٨
أهوال القيامة ١٨٦
الخطبة الثانية ١٨٦
حسرات اليوم الآخر ١٩٢
الخطبة الأولى ١٩٢
حسرات اليوم الآخر ١٩٧
الخطبة الثانية ١٩٧
على أرض المحشر ٢٠١
الخطبة الأولى ٢٠١
الخطبة الثانية ٢٠٩
على أرض المحشر ٢٠٩
الخطبة الأولى ٢١٦
عذاب النار ٢١٦
الخطبة الثانية ٢٢٤
عذاب النار ٢٢٤
الخطبة الأولى ٢٣٠
الجنة ٢٣٠

الخطبة الثانية ٢٤٠
الجنة ٢٤٠
الخطبة الأولى ٢٤٦
خلافة الله في الأرض ٢٤٦
الخطبة الثانية ٢٥٦
خلافة الله في الأرض ٢٥٦
الخطبة الأولى ٢٦٣
المولد النبوي الشريف ٢٦٣
الخطبة الثانية ٢٦٨
المولد النبوي الشريف ٢٦٨
الخطبة الأولى ٢٧٦
مولد الرسول الأكرم ٢٧٦
الخطبة الثانية ٢٨٦
مولد الرسول الأكرم ٢٨٦
الخطبة الأولى ٢٩٧
مبحث حول شرعية الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف ٢٩٧
الخطبة الثانية ٣١٠
حول شرعية الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف ٣١٠
الخطبة الأولى ٣١٦
مولد الإمام علي عليه السلام ١٣ رجب ٣١٦
الخطبة الثانية ٣٢٤
مولد الإمام علي عليه السلام ٣٢٤
الخطبة الأولى ٣٣١
فاجعة كربلاء ٣٣١
الخطبة الثانية ٣٤٢
فاجعة كربلاء ٣٤٢

الخطبة الأولى ٣٦٧
استشهاد الإمام زيد بن علي عليه السلام الجمعة ٢٥ محرم ٣٦٧
الخطبة الثانية ٣٧٦
استشهاد الإمام زيد بن علي عليه السلام الجمعة ٢٥ محرم ٣٧٦
الفهرس ٣٨٥
الفهرس ٣٨٥